المركز القومى للترجمة

تريفور كلارك

رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان

الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا



ترجمة وتقديم

صبرى محمد حسن

1531

المشروع القومى للترجمة

الجزء الثانى



هذه هى السيرة الذاتية الأولى للحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا، رئيس وزراء نيجيريا المستقلة. والكتاب يعد دراسة وافية لحياة الرجل وأزمانه، فضلا عن كونه أيضا تبصرا جديدا فى تاريخ أكثر الدول الإفريقية سكانا فى القرن العشرين، وربما تكون أهم الدول الإفريقية، على حد قول البعض. الكتاب قصة فريدة لرجل فريد يرويها واحد من أولئك الذين يعرفون أبا بكر حق المعرفة.



رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا

(الجزء الثانى)

المركز القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1531
- رجل شريف ماجد: سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا (الجزء الثانى)
- تريفور كلارك
- صبرى محمد حسن
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

A Right Honourable Gentleman:

The Life and times of Alhaji Sir

Abu bakar Tafawa Balewa

By Trevor Clark

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤ .

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا

(الجزء الثانى)

تــألـيــــــف : تريفور كلارك

ترجمة وتقديم : صبرى محمد حسن



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

كلارك ، تريفور.
رجل شريف ماجد: سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا
(ج٢) تأليف: تريفور كلارك، ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن.
ط١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٥٠٨ ص ، ٢٤ سم
١ - السياسيون النيجيريون .
٢ - باليوا ، أبو بكر تافاوا ١٩١٢-١٩٦٦
(أ) حسن ، صبرى محمد (مترجم)
(ب) العنوان ٩٢٣,٢٠٦٦

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٢٢٣٤٩
الترقيم الدولى 978-977-479-715-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

الفصل التاسع عشر

التردد في التصالح مع ليجوس

الأرض الحزاب الغابية الواسعة هى علاج الرجل الغيور الحاقد(*)

وصلت الحكاية بالفعل إلى نقطة من نقاط التحول. بعد أن أصبح أبو بكر بلا دور يلعبه فى المجلس التشريعى الشمالى، قَلَّت مبررات تَعَرُّفه شئون الشمال. هذا يعنى أن مسألة استمرار تعرفه هذه الشئون مثلما كان يحدث فى الماضى، ومسألة احتفاظه بجذوره الباوتشية Bauci ستصحبان أمرين واضحين، لكن آفاق الرجل بدأت تتسع اتساعًا ملحوظًا.

كان ذلك يعتمد على طبيعة العمل الذى يقوم به الرجل، لكن لم يكن كل رفاقه يستجيبون استجابة أبى بكر، قلة قليلة من هؤلاء الرفاق والزملاء هم الذين يذكرهم الناس بفضل إنجازات وزارتهم فى أواخر الخمسينيات مثلما فعل أبو بكر. ونحن عندما نرجع إلى الشمال، وإلى الأرقام التى أوردناها فى أواخر الفصل الخامس عشر، يجدر بنا أن نستعيد أنه حتى فى ذلك الوقت كان الشماليون فى الأفرع المتساوية من خدمة "كبار الموظفين" فى الحكومة الآيلة للزوال، مكونين فقط من ثلاثة من كبار الموظفين، وموظف فى الإذاعة، وسبعة منهم من كبار موظفى التعليم، وموظف كبير مسئول عن الغابات، وموظفين فى الصناعة المحلية، وأحد عشر موظفًا صحيًّا، وثلاثة

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى الذى يقول "الوحدة هى التى تجعل الإنسان يستقبل الغرباء." (المترجم)

من ضبـاط الشرطة، ومـوظفين فـى العلاقات العامـة، ومـسـئول فى الأشـغال العـامة، ومـوظفـين بيطريين، وكانت المجمـوعـة التى تتـولى "الوظـائف الإدارية" تضم اثنين من مـوظفى التنمـيـة، هذا يعنى أن ضـعف الإقليم فى إنتـاج الوزراء الأكفـاء، هو الذى جعله يعتمد اعتماداً كليًا على المستشـارين والتنفيذيين الأجانب، الأمر الذى لا يمكن تناسـيه أو تجـاهله، هذا يـعنى أيضـًا أن القـوة المحـتملة للبـلاد، إن قـدر لهـا أن تحظى بالثـقـة الداخلية، وبالصبر، يتعين التنبؤ بها والتطلع إليها.

تولى أبو بكر بصفة مؤقتة مرة أخرى حقيبة الأشغال إلى جانب حقيبة النقل، وقد وجـد الرجل ذلك عـبئًـا ثقـيـلاً لكن يمكن تحـمله، نظراً لأن ذلك العـبء كان مـألوفًا لديه ومعروفًا له، لكن ميخائيل فارفل Varvill سكرتير أبى بكر المدنى والدائم، كان ينظر إلى ذلك باعـتبـاره عمـلا مضـنيًا ومـجـهداً: كان كـلاهمـا مشـغـولاً بمشكلات سلطة الموانئ الجديدة وهيـاكل السكك الحديدية الجديدة ومبـانيـهـا أيضًا. وأحس الوزير أن بوسعه الادعاء والزعم بأن الشـعب بدأ يثق من جديد بالسكك الحديدية النيجيرية بعد تعيين العقيد إميرسون Emerson مديراً عامًا للسكك الحديدية فى العام ١٩٥٣، والذى كانت له، على الرغم من جدة الأمر عليه فى نيجيريا، خبرة طويلة سـابقة بهذا الموضـوع فى الهند. كانت سلطة الموانئ لا تزال جديدة تمامًا، وتحت رئاسـة السيـد/ كليفورد -Clif fored دوف Dove، رئيس مـجلس إدارة ليـفربـول. وكليـفورد هذا هـو الآخـر جـديد على هذا العـمل فى نيـجـيريا، وكـان من بين الأعـضـاء المحليين مـعـارف قدامى للوزير من أمـثال: جاك Jack ديفز، الذى يشـغل حاليًا منصب المدير العـام فى ليـجـوس فى شركة إفريقـيا المتـحـدة، والسـيـد/ جى. إى. ب. هول Hall الذى يشـغل حـاليـًا منصب مـدير التجارة والصناعات.

عندمـا وافق أبو بكر تافاوا باليوا على تعيين "التجاريين" فى سلطة الموانئ، قال لهم، إن من المهم تبنى آراء الناس العمليين الذين يعرفـون مـا يـصلح ومـا لا يصلح - وأنهم قد يكونون مخطئين ولكن "مصلحتهم" معروفة وواضحة: **"لدينا سياسيون كثيرون**

بوسعهم إرسال أوراق اجتماعاتهم إلى إيبادان Ibadan ويسألون أوو Awo الرأى".
كانت المسئوليات الأخرى الأقل عبئًا تتمثل فى الطيران المدنى (الذى لم يعد بعد مجالاً للأحقاد الإقليمية) وكذلك الأرصاد الجوية. وجاء العقد الجديد الذى جرى إبرامه مع شركة نيدكو Nedeco ومدته ثلاثة أعوام للقيام بدراسة لمنظومتى نهر النيجر Niger ونهر بنيو Benue، تطلعا إلى تحسين ظروف الملاحة الموسمية فى هذين النهرين، كان الوزير قد انتهز من قبل الفرصة وأمضى ثلاثة أسابيع فى إحدى كبائن اللنشات النهرية، الأمر الذى مكنه من استطلاع نهر بنيو بنفسه فى المنطقة من يولا Yola إلى لوكوجا Lokoja.كما قام الوزير أيضًا بزيارة مقاطعة كابًا Kabba، حيث قام جايلز Giles، الممثل المقيم، الذى يعرفه أبو بكر معرفة جيدة منذ أيام باوتشى، باصطحاب الوزير فى السيارة، على الطريق المشترك الممتاز الذى جرى شقه من بلدة أوكينى Okene، موطن الأجبيرا Igbirra، إلى بلدة كابًا. وقد حاول "آفو" Afo الحصول على تأييده بغية الحصول على المزيد من العون والمساعدة الفيدرالية، وهنا نجد أن السحر والجاذبية المتواضعة تختفى بصورة مؤقتة: **"أنتم يا من يعيشون فى الحزام الأسط، حصلتم على ما هو أكثر من نصيبكم بالفعل"** (وهذا بلغة السكان يعد أمرًا صادقًا وحقيقيًا فى السنوات الأخيرة).

ومع ذلك احتاج موطن أبى بكر تافاوا باليوا إليه مرة أخرى. كان أمير باوتشى السابق قد أشار فى رسالة تقاعده (إلى المعاش) إلى "..... حاجة اليوم الحالى إلى معالجة جديدة واقتراب جديد من قبل شبَّان صغار على استعداد للتكيف مع الظروف الجديدة" هذا الكلام سبق أن لقنه إياه كل من أبى بكر وآخرين. كان المنتخبُون التقليديون قد اختاروا بالإجماع الوزير آدم Adamu جومبا Jumba، أحد أحفاد يعقوب الأول، باعتباره الخلف الذى ينبغى تعيينه للموافقة عليه من قبل الحاكم الإقليمى، الأمر الذى أسعد الإدارة وكثيرًا من مسئولى الإدارة المحلية، هذا الآدم الذى يبلغ من العمر سبعة وأربعين عامًا، عمل من قبل كاتبًا قرويًا فى العام ١٩٣٩، ثم مساعدًا زراعيًا فى

العام ١٩٤١، ثم مشرفًا زراعيًا Wakilingona فى العام ١٩٤٣، كما عمل وزيراً أيضًا على امتداد العامين الأخيرين. وبعد يومين من الإعلان الصادر فى اليوم السادس والعشرين من شهر أكتوبر، نظمت أسرة يعقوب الثالث حشداً للتظاهر، قاموا بتحطيم بعض الممتلكات من خلال هذه المظاهرة، وأحرقوا منازل أربعة عشر مستشاراً. وهنا أقنع أبو بكر الحاكم العام بالسماح له باستعمال الطائرة الهيرون Heron طراز WAAC DH، والتى كان يجرى استئجارها دومًا فى جولات الحاكم الخاصة، وطار أبو بكر بتلك الطائرة فى رحلة طائرة لتقديم يد العون للسيد/ جيل Gill الممثل المقيم، فى مسألة مصالحة المضربين من وراء ستار. كانت مطالبة آدم جومبا بالإمارة مبنية على الجانب النسوى فى الأسرة الملكية فى باوتشى وكان هناك أيضًا ثلاثة آخرون يطالبون بالإمارة وينتظرونها، اعتماداً على انحدارهم من الجانب الذكورى. وأمكن استعادة الهدوء بواسطة الشرطة النيجيرية وبمعاونتها التى عززت الشرطة المحلية. جلب الأمير الجديد كثيراً من الأعباء الأخلاقية على أبى بكر تافاوا باليوا بسبب دعمه له طوال فترة تخلى سلفه عن منصبه، وطوال فترة تعيينه هو، لكن الجدل الذى دار حول هذا الأمر صعَّب على الرجل مسألة رد الجميل بطريقة ترضى أبا بكر لكنها أحرجت آدم جومبا. لكن بعد هذا الحادث بدأ القيل والقال حول مسألة أن أبا بكر تافاوا باليوا، كان يسعى ويتوق إلى الحصول على لقب من الألقاب التقليدية، كيما يُحْدث شيئًا من التوازن فى أعين غير المثقفين، وهو يواجه أولئك الذين يحملون ألقاب المستشارين السياسيين الرئيسيين، Sardaunas، وموزِّعى المهام Makamas والوزراء فى حزبه، وإحداث شىء من التوازن أيضًا مع "الرؤساء" Chiefs الذين بدأوا يتكاثرون على شكل ألقاب قانونية شرفية، ذلك بدءًا من الأقاليم الغربية، لكنهم أصبحوا ينتشرون الآن فى سائر أنحاء الجنوب. وسوف أعود إلى هذه المسألة بالمزيد من التفصيل فى الفصل الثالث والعشرين.

كـان أبو بكر مطلوباً فى كـادونا . كـان الحـاكم، بالشكل الذى هـو عليـه فـى ذلك الوقت، قد حاول تخفيف الضربة التى أصابت كبرياء رئيس الوزراء فيما يتصل بخيبة أمله فى إدخال وزارة "للتنميـة": استـبـدال الحـاكم، للسكرتيـر المالى سـريع الغـضب، بصـفته رئيساً لمجالس تطوير الإنتاج، وبصـفته أيضـاً رئيسـاً لمجلس القروض، بكبير مراقبى الغـابات المدعو جـيـمـسى James لوكاى Lockie. كان المستـشـار السـيـاسى الرئيـسى قـد قـام برحلة طويلة بعد أن كتب مـسـودة رسـالة غـاضـبـة كى يوقع عليـهـا الوزراء الآخرون: كانت تلك الرسـالة تتحدث عن الدسـتور باعتبـاره رسـالة ميـتة، من رسـائل العـرقلة التى يتـقـدم بهـا المسئـولون، وتحـدثت الرسـالة نفسـهـا عن الدسـتـور باعتبـاره شكاوى تهديدية لوزير الدولة. جاءت بـعد ذلك بعض الخطب العنيفة المعادية للبريطانيين والجنوبيين، وكان ذلك العداء من جانب رابطة شباب أهـل الخيـر Alheri التابعة لحزب المؤتمر الشعبى الشمـالى. جاءت بعد ذلك المطالبات الكثيرة التى تنادى بتغيير مـخـصـصـات الميزانية بعد أن قامت الحكومـة المرهقة بطبع هذه المخـصـصـات ونشـرهـا كيمـا تفى الحكومـة بالتـاريخ المحدد من قبل المجلس التـشـريـعـى (وكـانت لجنة مـخـصـصـات المجلس التنفيذى قد فشلت فى الانعـقـاد نظراً لأن وزراء إدارات الإنفـاق كانوا يقومون بالجولات وبالعمل من أجل إنجاح أشخاص بعينهم فى الانتخابات). كان هناك أيضـاً خـلاف مـحـرج مع السيـر إريك Eric برايدى Pridie المستـشـار الطبى فى وزارة المستـعـمرات، الذى كان يرى أنه فى حـال إحداث نوع من التكامل بين الإدارات لتحـويلهـا إلى وزارات فإن من يشـغل منصب كبيـر المسئولين الطبيين هو والسكرتيـر الدائم القـادم يجب أن يكونا مـتـسـاويين من الناحـيـة الوظيـفـيـة، كـمـا هـو الحـال فى بريطانيـا وفى سـاحل العـاج. جاء أبو بكر وشـهـد هـذا الغليان، وحـذر بعد ذلك السـيـر براين Bryan شارود Sharwood سميث Smith أن وزراءه كانوا يتحدثون حديثاً عنيفاً عن المطالبة بلجنة ملكية. وهنا أكد الحـاكم لأبى بكر أن إعادة تنظيم الوزارات الأربع الرئيـسيـة جرت الموافقة عليه قبل أربعة وعشـرين سـاعة. وهنا أقنع أبو بكر زمـلاءه بأن يُعْملوا فكرهم فى احتمال أن يكون غضبهم قد زاد بفعل الإدراك الخـاطئ الذى مفاده

أن مطالباتهم بتغيير المخصصات (التى كان قد جرى الوفاء بها بالفعل) ربما لم يكن لها مبرر من الناحية الفنية، وأن انتقاداتهم لعملية التكامل ربما تكون سابقة لأوانها. ومع ذلك، ظل المستشار السياسى الرئيسى مترددًا فى مسألة الاعتراف بالدستور الذى كان لا يزال جديدًا تمامًا، لكنه وافق عليه فى المؤتمر، مع أن الدستور لم يخوله السلطات كلها فى تحديد المسئوليات وإدارة الإدارات. وبذلك نجد أن التهدئة التى قام بها أبو بكر تافاوا باليوا امتدت وتوسعت توسعًا كبيرًا، فضلاً عن إشارة الرجل أيضًا إلى الانهيار الذى يمكن أن يترتب على خروج الجماهير الجنوبية وهجرتهم الكبيرة من الحرفيين والكتبة إذا لم يجر تقليم أظافر الشوفانية المغالية والتدين العسكرى المفرط.

كان أبو بكر يتخذ من العاصمة مركزًا ومقرًا له، كما كان مسئولاً عن موضوع خاص بالبلاد كلها. وفى ظل سياسة المواجهة التى تشجعها الديموقراطية البرلمانية البريطانية، أصبح أبو بكر معزولاً عن زملائه بفارق واحد مهم هو: أن الرجل لم يكن يؤمن بالتضييق على خصومه (باستثناء أولئك الذين كانوا يمعنون فى الضلال ولا سبيل لإصلاحهم). تعلم أبو بكر أيضًا كيف يضع نفسه مكان الآخر، للتوصل إلى الأسباب التى جعلت ذلك الآخر، يتبنى وجهة نظر بعينها، ومن ثم يتمكن من الوصول إلى أقرب الطرق التى تجعل ذلك الآخر يغير من ذلك الموقف. فهم الرجل أيضًا الإجباويين Igbos وطريقة العمل معهم، والسبب فى ذلك الأفراد المحيطون بأبى بكر والذين كانوا من المحتالين بحق، كانوا "محتالين مخلصين" لأبى بكر. فهم أبو بكر تافاوا باليوا اليوروباويين أيضًا، لكن على الرغم من دعاوى قرابتهم الثقافية للشماليين، اكتشف الرجل أن مراوغة البعض منهم تؤثر على ثقة الرجل بهم جميعًا. كان ذلك، فى أضعف الأحوال، هو حكم الغالبية من زملائه البريطانيين عليه. لكن السواد الأعظم من حلفائه السياسيين، فى ذلك الوقت، إذا ما أُتيحت لهم الفرصة، كانوا يفضلون سحق خصومهم سحقًا تامًا، وعلى نحو لا يسمح لا بالحلول الوسط ولا بالعفو أو السماح، سالكين فى ذلك مسلك التقاليد التى كانت سائدة فى الصراعات السابقة والتى تقوم

على ("استبعاد أولئك الذين لم يجر ذبحهم")، هذا يعنى أن أرحم التعليقات التى كان يمكن انتظارها من هؤلاء تتمثل فى مبدأ **"الويل للمغلوب"** **Vae victis**. هذا الفارق غير معروف لدى البلدان والساحات الأخرى، وغير معروف أيضًا بين الواقعيين المتحضرين أو الأيدولجيين أو الأنويين الأقل فطنة وذكاء. فى الأزمان الحديثة نجد أن الأنويين يفضلون بل ويغلب عليهم أن يكونوا سياسيين طول الوقت، كما أن الكثيرين منهم يفوزون فى الانتخابات - أما الأيدوليجيين، فيفضلون البحث عن العائدات والمكافآت فى المهن أو فى الصيحات والنداءات الإبداعية، التى لا تكون بحاجة إلى استبعاد الصناعة والتجارة. ويزداد الإشفاق على هذه النزعة عندما يظل السياسيون ضيقى الأفق، بسبب الخوف على فقدان المساعدة والعون والدخل، كما سبق أن لاحظنا، فيما يتعلق بالشبان الذين يتمتعون بمواهب طبيعية فى إدارة شئون الأوطان. لاحظنا أيضًا أن الرجل الكبير ينبغى أن يكون له قلب صبى صغير ورأس رجل كبير. ولعل القارئ ينتبه إلى أخذ هاتين الملاحظتين فى الاعتبار، عندما يقارن - وهذا أمر حتمى - (وسوف يحدث ذلك فى الفصل الرابع والعشرين)، المُعَلّم أبو بكر تافاوا باليوا بالمعلم أحمد بللو، مستشار سكتو السياسى الرئيسى، ناهيك عن الدكتور آزكوى أو الرئيس Chief أولوو Awolowo.

لكن الكثير مما حدث كان يمكن توقعه. التاريخ لا يقول لنا بدقة أو على وجه اليقين، كيف أن دستور العام ١٩٥٤ كان على وشك الانهيار منذ البداية تمامًا، نظرًا لأن الانتخابات التى أجريت فى الشمال تمت بعد الانتخابات التى جرت فى الجنوب. يزاد على ذلك أن الانتخابات العامة الخاصة بمجلس المندوبين أو الممثلين الجديد، خاضها أصحابها ببيانات عجزت، كما هو الحال فى الانتخابات الحزبية الخاصة بالحكومات المحلية والوطنية باستخدام المنظومات متعددة الأُطر، عن تعريف الناخبين بالسلطات التى انطوت (أو لم ينطو عليها) كل إطار من هذه الأطر حول كل موضوع من الموضوعات. وقد خاض مرشحوا تلك الانتخابات هذه الانتخابات على أساس من

حقوق انتخابية دستورية متباينة: فى الشرق، على سبيل المثال، خاض المرشحون تلك الانتخابات العامة على أساس من حق الانتخاب المقصور على الكبار، وفى الغرب جرت تلك الانتخابات العامة باستعمال أصوات الذكور الذين يبلغ سن الواحد منهم واحداً وعشرين عامًا فى الدائرة الانتخابية، أو عن طريق دافعى الضرائب الذين مضى عام على إقامتهم فى الدائرة الانتخابية، كما شاركت الإناث أيضًا اللاتى لهن المواصفات نفسها فى تلك الانتخابات وذلك عن طريق الانتخابات غير المباشرة المألوفة. كانت الحكومة البريطانية قد بدأت مؤخراً فى التساوى حول ما إذا كان مجرد التحالف بين حزبى المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى وحزب جماعة العمل أو مجرد الائتلاف بينهما يمكن أن يرقى إلى مستوى "الحزب" القادر على الحصول على أغلبية المجلس من خلال النصوص الدستورية الجيدة، يزاد على ذلك أن الحكومة البريطانية ظلت مقتنعة بأنه لا يمكن التفكير فى تعيين رئيس للوزراء إلا بعد أن يكون هناك حزب فيدرالى واحد يستطيع الحصول على تلك الأغلبية الكبيرة فى المجلس.

كانت التغييرات السياسية المهمة فى الجنوب لا تتمثل فقط فى اكتساح حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى لمقاطعات الشرق كلها فى الانتخابات المباشرة، وإنما تمثلت أيضًا فى حصول حزب جماعة العمل على ثلاثة وعشرين مقعداً من المقاعد الاثنين والأربعين المخصصة للغرب، إضافة إلى إيبادان Ibadan ونصف أبيوكوتا Abe-okuta. وفى كل من أوندو Ondo وأويو Oyo حصل الحزبان على أحد عشر حيًا إضافة إلى الأحياء السبعة المخصصة لحزب جماعة العمل، وتقاسما خمسة أحياء أخرى. أفاد الحزبان أيضًا من الشعور المعادى لليوروبايين فى بنين ومناطق الدلتا ("الغرب الأوسط")، كما أفادا أيضًا من التشريع الإيبادانى Ibadan غير المعروف للجميع، الذى يتعامل مع التقارير الصحفية البذيئة المتعلقة بالوزراء باعتبارها تحريضًا على الفتنة والعصيان، كما استفاد الحزبان أيضًا من المساندة الإسلامية، ومن الأشياء العامة من سياسة الضرائب المرتفعة التى ينتهجها حزب جماعة العمل، التى لولاها لأصبح التعليم

الإلزامى الابتدائى "المجانى" أمرًا مستحيلاً. واجه حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى معارضة حقيقية فى منطقة "الأنهار": حيث حصل على خمسة أقسام من بين ستة أقسام ساحلية فى كل من إيجو Ijo وإيفيك Efik، كما واجه معارضة حقيقية أيضًا فى أبا Aba حيث تقيم عشيرة نجوا Ngwa (التى أنجبت النساء المضربات فى الثلاثينيات) التى انقلبت على الحزبين. وهذا يقودنا مباشرة إلى أمر شاذ جديد، يتمثل فى مجلس وزراء فيدرالى يضم ثلاثة وزراء من المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى كل منهم من الشرق ومن الغرب ووزير من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى (والذى استفاد على الرغم من ذلك استفادة شخصية فى حملته الانتخابية من الشعور المعادى للإجبو)، ومن المفترض أيضًا أن ثلاثة وزراء فقط من حزب المؤتمر الوطنى الشمالى، جرى التفوق عليهم فى عدد الأصوات وجرى حصارهم، لم تكن ليجوس ممثلة على الإطلاق فى هذا المجلس الوزارى الفيدرالى. وسرعان ما راح المنظرون يتحدثون عن المجلس الثانى لإدخال نوع من المراقبة أو التوازن.

مع ذلك جاءت الفترة الانتقالية هشة ومشوبة بالقلق فيما يتعلق بالوزراء المشرفين على الوزارات، وأوضحت أن موضوع حديثنا راح يشفى نفسه بصورة متدرجة من الخوف. فى البداية كان المعلم أبو بكر مضطربًا بفعل الشذوذ الحزبى غير المنتظر فى مجلس الوزراء المستقبلى، إلى حد أن الرجل قال للحاكم : "**هذه أزمة أكبر وأفضل من أزمة العام الماضى**". ويلتقى أبو بكر سكرتير التنمية، الذى كان قائمًا بعمل كبير السكرتيرين ويصحبه هو وشتيما Shettima كاشيم Kashim إلى مقر الحكومة، ليعلن بهدوء وانفعال برىء، أنه بغض النظر عن رأى الحزب فإن الشمال كان "مشئوم" القدر. وينتقل أبو بكر بعد ذلك مباشرة إلى الكلام عن الحاجة إلى وكالة للخدمات المشتركة وإلى حاكم عام له مجلس من الرسميين "**المسئولين مسئولية مباشرة أمام مجلس العموم [البريطانى]**". تشكك أبو بكر فى نوايا حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى رفض تعيين وزراء مركزيين، وأن الحزب سوف ينضم إلى حزب جماعة العمل "**لمجرد إثارة**

المتاعب" فى مجلس الممثلين، وأنه بهزيمته كل المقترحات الحكومية سوف يثير أزمة دستورية. وإذا ما حدث شىء غير ذلك، فإن وزراء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى قد ينزلون عند رغبة أى وزير من وزراء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الذين جرى تعيينهم، غير أن سلوكًا من هذا القبيل لن يكون حقيقيًا وقد لا يدوم، صحيح، مثلما فعل وزراء حزب جماعة العمل، أن ثلاثى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى الذى كان موجودًا فى ذلك الوقت، هب لتقديم المشورة والنصح، بل إن هذا الثلاثى طلب إلى أبى بكر أن يتصرف تصرف زعيم الحزب، وتصرف رئيس الوزراء الفعلى، لكن النية الحسنة كانت ضئيلة وجرى استغلاله بغية الحصول على تأييد الشمال ومساندته لأهداف الجنوب ونواياه. وراح رالف Ralph جرى Grey يتفكر غضبًا مسألة حل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وحزب جماعة العمل لنفسيهما وتشكيل حزب واحد على الوقف، لكن أبا بكر هو وشتيما كاشيم سخرا من هذا العمل. وراح المعلم أبو بكر يتحدث أسفًا وحزنًا على الهزيمة التى لقيها الرئيس Chief أرثر Arthur برست Prest فى الانتخابات، ملقيًا باللوم على محاولاته التى كانت تستهدف إبعاد حزب جماعة العمل عن "**اللا مسئولية**". فيما يتعلق بأبى بكر شخصيًا، وعلى الرغم من عدم اتخاذه قرارًا نهائيًا فى مسألة تمثيله لمجلس المندوبين الجديد باعتباره واحدًا من الهيئة الحاكمة (لم يكن ميعاد دخول انتخابات الشمال قد فات)، فإن الرجل كان كله رغبة فى مغادرة ليجوس، مثل شتيما كاشيم، كيما يكرِّس طاقاته كلها لخدمة باوتشى، التى هى بحاجة إليه وإلى هذه الطاقات. وهنا أبلغه الحاكم العام المضطرب ألا يهدم عُمُد المعبد، وطلب ذلك الحاكم من شتيما كاشيم، الذى لم يقل سوى القليل، لكنه وافق فى نهاية المطاف على أن أبا بكر تافاوا باليوا، يتحتم عليه محاكمة النظام الجديد، وبذلك يمكن المحافظة على تواصل "الهدوء النفسى لزميله". ويفترق الرجال وقد علت وجوههم ابتسامات غير سعيدة، ويعلق جوك Jock على ذلك فيما بينه وبين نفسه بقوله : "**عندما يصاب الشمال باليأس يصبح قادرًا على فعل أى شىء**".

بعد ذلك بأسبوعين التقى أبو بكر هو وشتيما كاشيم ماكفرسن مرة ثانية، والذى بقى على عناده إلى حد أنهما هما ورفاقهما لم يستطيعوا تحمل ستة من وزراء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، وإذا ما فشل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى الفوز بستة وثمانين مقعداً، فإن الحزب سوف يقبل بالحل الوسط - أى ثلاثة وزراء من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى من الشرق، ووزيرين من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى فى الغرب، ووزير واحد من حزب جماعة العمل فى الغرب. (إذا ما وافق حزب جماعة العمل على ذلك أيضاً)، وأن هؤلاء الوزراء كلهم يجب أن يكونوا مقبولين من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان زملاؤهم فى كادونا متخوفين من استعمال حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى قوته الفيدرالية فى تدعيم تفسيره لمفهوم "نيجيريا واحدة" فى الشمال. كان المستشار السياسى الرئيسى Sardauna . لا يزال على إصراره الذى مفاده أن الحديث عن تحالفه مع الجنوبيين أمر مرفوض، لكن إذا كانت مسألة الإعداد تجعل من ذلك أمراً محتوماً فإن الرؤساء وسائر أعضاء الحزب على اختلاف مشاربهم لابد أن يوافقوا على ذلك منذ البداية. ومع ذلك، اعترف المعلم أبو بكر بأنه قد يقف قبل كل شىء، بصفته ممثلاً للمنصب فى كل من المجلس الفيدرالى والحكومة. كان ماكفرسن واقعاً تحت ضغط الحكومة البريطانية حتى يقنع أبا بكر أن الدستور إذا ما انهار قبل أن يبدأ فإن الشمال سوف يتحمل المسئولية كلها، ماكفرسن هذا أكد لأبى بكر من جديد أن ليتلتون (هو والسيد لينوكس بويد) كانا قد تفهما وأرادا دعم الشمال ومساندته، وأخبره أيضاً أنه لا يمكن التضحية بحسن النوايا هذا على هذا النحو. وقال ماكفرسن أيضاً إنه سيأخذ مصالحهم بعين اعتباره عند توزيع الحقائب. ووافق أبو بكر على أن ثقات أزكوى، من أمثال مبادوى Mbadiwe وأوجوكو Ojukwu، كانوا قد رفضوا "الحل الوسط" الذى تقدم به حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان الرجل فى ذلك الوقت يتلاعب بفكرة إقناع أعضاء حزب جماعة العمل بالانضمام إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ومن ثم يمكن النظر فى مسألة إدراجهم ضمن الوزراء، إذا ما حصل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على الأغلبية الكاسحة،

لكن الرجل وافق على أن الشرق سوف يصعب إقناعه. هذا يعنى أن مسألة الحصول على ثلاثة أعضاء من مجلس الأربعة أعضاء الممثلين لحزب الاستقلال الوطنى تعد أمرًا صعبًا تمامًا، ويصعب معها أيضًا إبعاد حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى إبعادًا تامًا، وهنا بدا أبو بكر أكثر هدوءًا، وأحسَّ الحاكم العام أن خوف الرجل قد انتهى وولى.

عاد أبو بكر إلى كادونا مرة أخرى، التى أكد فيها المستشار السياسى الرئيسى الموافقة على آرائه الجديدة بعد تعديلها. هذا يعنى أن المجلس التنفيذى فى الشمال هو وكبار الأمراء كانوا قد أطلقوا يد الرجل باعتباره الزعيم الفيدرالى المناب، وجرى التصالح مع استمرار الدور الذى كان يلعبه الرجل فى ليجوس. كان الدكتور آزكوى قد أوفد مبادوى Mbadiwe، الزعيم الفيدرالى المعين من قبل حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، والذى تلقى تعليمه هو الآخر فى أمريكا، ليؤكد لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى على الوعود التى مفادها أن حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى لن "يتطرف" أو يبالغ فى حملة الشمال، وأنهم على الرغم من توليهم دور القيادة فى مجلس الوزراء، فإنهم سيسمحون لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى بتبوؤ دور "الزعامة" فى المجلس، وجاء رد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يفيد أنهم قد يواجهون أسوأ الأمور لكنهم لا يمكن أن يثقوا بهم. كان أمل أبى بكر الواهى فى ذلك الوقت يتمثل فى اعتراف حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى بأن أغلبيتهم فى الغرب لم تكن آمنة أو غالبة من ناحية، وسماح الحزب، من ناحية أخرى، لحزب جماعة العمل بتعيين ثلاثة وزراء فيدراليين أولاً وقبل كل شىء، ومع ذلك كان الناس فى كادونا يتحدثون عن حل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وحزب جماعة العمل وكذلك حزب الاستقلال الوطنى وإنشاء جبهة متحدة لمواجهة العدو المشترك. كان رأى أبى بكر فى تلك العملية يفيد أن ذلك يقتضى ضمنًا قيام المجلس مدة خمس سنوات كاملة لا يجرى الحديث خلالها عن إحداث المزيد من التغييرات الدستورية أو الحكم الذاتى فى العام

١٩٥٦ . وطلب أبو بكر المشورة السياسية من ماكفرسن عند عودته، لكن الرجل على العكس من الآخرين، ضنَّ متشككًا، على أبى بكر بتقديم هذه المشورة، وذلك على الرغم من الصداقة الخاصة التى كانت بين الرجلين. وهنا قام أبو بكر تافاوا باليوا بإبلاغ جرى Grey بتخوُّفه من تلك التحالفات: من منطلق أن انضمام المرء إلى حزب جماعة العمل يمكن أن يكون عملاً مشينًا ومخزيًا، وأن الانضمام إلى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى يمكن أن يكون أحادى الجانب، نظرًا لأن وزراء هذه الأحزاب سوف يساعدون الحكومة لكنهم سيسمحون للمشاركين فى المسئولية بالمعارضة، وبذلك يتركون حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ومسئوليه وأعضاءه الخصوصيين يتمتعون بالخزى والعار المترتب على تمرير بعض الإجراءات غير الشعبية. وجاءت نصيحة جرى Grey للرجل تفيد أنه يتحتم عليه المشاركة فى اللعب طبقًا لقواعد اللعبة وأصولها.

حاول مبادوى بعد ذلك بيوم أو يومين طمأنة أبى بكر شخصيًا. لم يكن الشك يخامر مبادوى فى أن الدستور يمكن تأويله وتفسيره على نحو يسمح بوجود التحالفات أو التجمعات الحزبية، وكان الرجل على يقين أيضًا من أن مواعيد الحل تكون قبل الانتخابات وليس بعدها. لكن مبادوى أبلغ أبا بكر أنه لا يخاف ولا يخشى من تقسيم السلطة بنسبة ٦ (أو ٧) :٣، نظرًا لأن سياسة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى تقوم منذ زمن طويل على عدم الزج بحزب المؤتمر الشعبى الشمالى إلى مسافة بعيدة (والشاهد على ذلك موافقة الحزب على التدريب العاجل فى الخدمة الدبلوماسية)، كان حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، قد رد على تشكك أبى بكر، عندما ساند حزب جماعة العمل فى مسألة "الحكم الذاتى" فى العام ١٩٥٦، بأن قال: إن ذلك التشكك يرجع فقط إلى أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لم يستشر حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى فى مسألة تغيير دستور ماكفرسن تغييرًا طفيفًا كيما يسمح بحل المجالس الإقليمية كل على حدة. وفيما يتمثل بمسألة مساندة حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، وحزب الحزام الأوسط الشعبى، نجد أن وجود

حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى كان سابقًا لوجود حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وأن مسألة شجب هذين الحزبين أو التغاضى عنهما إنما تعد محاولة وقحة وسمجة من محاولات السعى إلى السلطة، لكن مبادوى لم يكن يعرف أيًا من أعضاء هذين الحزبين سوى أمين كانو وبللو Bello إيجومو Ijumu، فى الوقت الذى كان له أصدقاء كثيرون فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. واقع الأمر أن حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى هو والجنوب ينبغى عليهما مقاومة الشماليين الذين يحاولون إدارة البلاد كلها. ويلتقى مبادوى ماكفرسن بعد ذلك وينصحه باتخاذ الترتيبات اللازمة لعمل افتتاح رسمى لمجلس الممثلين، مع خطاب يلقيه الحاكم العام باسم التاج البريطانى، كما حذره أيضًا من مقابلة كل من الدكتور آزكوى وأو Awo سويًا أثناء طلب تسمية الوزراء.

كان المسئول التنفيذى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى طلب من أبى بكر تافاوا باليوا مقابلة الدكتور أزكوى ومعه أبا Abba حبيب عضو شمالى الكاميرون الدُّكْوى(*)، لكن الدكتور أزكوى بدا مراوغًا كعادته. يزاد على ذلك أنا أبا بكر نفسه التقى كلاً من أكنتولا Akintola ورسيجى Rosiji فى اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر لبحث فكرة تكوين جبهة مواجهة موحدة أو حتى حزب موحَّد، بعد أن التقى أبو بكر الرجلين عندما كانا بصحبة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو وآولوو Awolowo فى اليوم السابق، وكان محتملاً أيضًا انضمام حزب المؤتمر الوطنى الكاميرونى أيضًا إلى مثل هذه الجبهة بزعامة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وكان هناك اقتراح بدعوة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى إلى تعيين ثلاثة وزراء شرقيين، بل والانضمام أيضًا إلى هذه الجبهة باعتباره حزبًا. كان أبو بكر ميالاً إلى القول إنه إذا ما رفض حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى هذا العرض، فإنه لن يكون له وزراء، وأن

(*) نسبة إلى بلدة دكوا النيجيرية (المترجم).

حزب الاستقلال الوطنى هو الذى سيحظى بتعيين مثل هؤلاء الوزراء أو تعيينهم فى نهاية المطاف، لكن الواقع يقول: إن ذلك يمكن أن يسفر عن معارضة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، للشمال معارضة تامة بكل الطرق والوسائل الممكنة. ويوافق سياسيًا حزب جماعة العمل على أنه فى حال تشكيل تلك الجبهة الموحدة، فإن حزب جماعة العمل سوف يتخلى عن مسألة - "الحصول على الحكم الذاتى فى العام ١٩٥٦"، والمطالبة بحقوق اليوروبا الجماعية فى المنطقة الواقعة بين كل من إيلورن Ilor-in وكبًّا Kabba، والتخلى أيضًا عن المطالبة بأجر حده الأدنى خمس شلنات الذى لم يستطع الاتحاد الفيدرالى الوفاء به، وسوف يتوقف الحزب أيضًا عن الكلام عن تقسيم الشمال إلى ولايات، كما سيتخلى الحزب أيضًا عن المطالبة بعودة المؤسسات الفيدرالية فى ليجوس إلى سيطرة الغرب الإقليمية على أراضيه. وقال حزب جماعة العمل أيضًا إن ذلك كله سوف يجرى تدوينه كتابة مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا.

ولعب الفار فى عب أبى بكر، ولم تجر تسوية أى أمر من الأمور، ونصحه موزّع الأعمال على البطاوى(*) من منطلق أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو وحزبه سوف يرفضان أية صفقة من هذا القبيل. كان أبو بكر حتى ذلك الحين عاجزًا عن التقاء الدكتور آزكوى، ويتشجع الرجل بفعل أنس مبادوى ووده ويصحب كلاً من شتيما كاشيم ورباط Ribadu للقاء ماكفرسن مرة ثانية، طالبًا إليه استدعاء الزعماء كلهم ويقول لهم: **"هذا دستوركم، وأنتم الذين تُفعِّلونه!"** وهنا راح الحاكم العام، الذى كان يستشعر اقتراب موعد دعوى المجلس الجديد إلى الانعقاد، يفكر ويُعْمِلُ فكره فى النصيحة التى أسداها إليه مبادوى وأوضح بطريقة جادة أنه إذا ما عقد مؤتمر "مائدة

(*) نسبة إلى مدينة "بطا" Bida ويصح فيها أيضًا بُدا. (المترجم).

مستديرة" ، فإن الدكتور آزكوى سيسأله عن الأسباب التى جعلته لا يمضى قدمًا فى مسألة تعيين أو تسمية الوزراء طبقًا للتعليمات الملكية، يزاد على ذلك أن ماكفرسن كان بحاجة إلى الاطمئنان إلى مجىء زعماء الأقاليم جميعهم ومع كل واحد منهم زميل فيدرالى مناسب. كان من الأفضل الانتظار إلى أن تنهار المفاوضات السياسية فى نهاية المطاف، وعندئذ يقوم الرجل باستدعاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وقبله حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى نظرًا لأن هذين الحزبين يشكلان الأغلبية. عند ذلك الحد، كان المعلم أبو بكر تافاوا باليوا لا يزال مرتابًا فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى على الرغم مما قاله مبادوى، ولذلك قال أبو بكر: إن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى سيجتمع فى كادونا فى اليوم السادس من شهر يناير، ملمحًا إلى أنه سيجرى بعد ذلك تشكيل حزب جبهة موحدة.

فى الانتخابات غير المباشرة التى أجريت فى الشمال فاز حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ومؤيدوه بأربعة وثمانين مقعدًا من أصل اثنين وتسعين مقعدًا فى حين لم يفز حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى ولو بمقعد واحد. وجاء ذلك مخالفًا بل وعلى النقيض تمامًا من توقعات الحكومة البريطانية المبنية على خبرة سابقة فى المستعمرات الأخرى. وقد أدت هذه النتيجة إلى زيادة الشكوك فى كل من ليجوس ولندن، وبخاصة أن تلك الشكوك كان يجرى التعبير عنها بصورة كتومة، نظرًا لأنها لم تكن قائمة على أساس متين، وتفيد أن بعض الموظفين البريطانيين الشماليين القريبين من المستشار السياسى الرئيسى Sardauna لم يكونوا مجرد معارضين فقط لمسألة "الوحدة" هذه، وإنما كان لهم تأثير ونفوذ إلى حد ما، فى عرقلة هذه الوحدة. ويعود السير جون ماكفرسن إلى العمل من خلال السير برايان Bryan شارود سميث. كان المستشار السياسى الرئيسى فى ذلك الوقت قد بدأ يلعب من جديد دورًا نشطًا من الناحية الشكلية فى السياسية الوطنية. كان الرجل قد ترك الشمال قبل الانتخابات مباشرة

ليقوم بزيارة إلى الرئيس أولوو Awolowo فى بلدة أجبوموشو Ogbomosho، غافلاً فى ذلك الوقت عن زلة الوقوع فى تجاهل رفات الشيخ(*)، يزاد على ذلك أنه كانت هناك فرضية وقحة مفادها أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان بحاجة إلى طرف ثالث يسدى له النصح حول الطريقة التى يستطيع بها أعضاؤه فى المجلس الفيدرالى مواجهة مجلس وزراء ملىء بأعضاء من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى الذى يحتقره ذلك الرجل. واقع الأمر أن أولوو، سبق أن فاتح المستشار السياسى فى هذا الأمر على أمل الحصول على مساندة الهوساويين المقيمين فى الإقليم الغربى لحزب جماعة العمل. وكل ما حدث، فى ضوء ما رواه أبو بكر تافاوا باليوا بعد ذلك لماكفرسن، هو أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى **"لَعِب لُعبة سياسية صغيرة"** وأبلغ بعض الشماليين المقيمين فى الغرب بألا يصوتوا لأى حزب من الأحزاب، فى الوقت الذى حاول فيه أكنتولا Akintola إقناع الهوساويين المقيمين فى أجبوموشو بإعطاء أصواتهم له. ومع أول يوم من أيام العام ١٩٥٥ سافر المستشار السياسى الرئيسى Sardauna إلى ليجوس للتباحث مع الوزراء الشماليين القائمين على الأمر هناك، وحظى الرجل بزيارة مجاملة من مبادوى Mbadiwe: قال البعض، إن المستشار السياسى الرئيسى كان يختبر ردود الفعل الممكنة فى حال قيام حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحده بمحاولة تشكيل الحكومة. لم يكن المستشار السياسى الرئيسى، يسعى إلى التباحث مع الدكتور أزكوى الذى يصعب الإمساك به. تجاهلت هذه التكهنات الوضع النهائى للحاكم العام: والذى يعطيه الدستور حق طلب المشورة والنصح من زعيم حزب الأغلبية - لكن على الرغم من أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، الذى ينتمى إليه أبو بكر تافاوا باليوا كان أكبر الأحزاب، فقد انتهى بخسارة الأغلبية الساحقة، وبقيت مسألة الجبهات والتحالفات وكذلك الاندماجات أموراً نظرية ليس إلا، ولم يترك

(*) الشيخ المشار إليه هنا هو الشيخ عثمان بن فودى (المترجم).

ذلك من خيار أمام السير جون ماكفرسن سوى البحث عن تزكيات للترشيحات الوزارية عند زعماء أحزاب الأغلبية الفيدرالية الذين جرى انتخابهم فى كل إقليم من الأقاليم. وعليه، إذا كان السير روبرت Ropert والبول Walpole واقعًا تحت الرعاية والعناية، فإن السير جون ماكفرسن كان لا يزال بمثابة جورج الثانى، ورئيسًا لوزرائه (على الرغم من قيامه بدور كبير أمناء الحكومة والذى كان الأدب يقتضى الإشارة إليه على أنه بديل لرئيس الوزراء).

لم يكن الرجل بحاجة إلى المزيد من النصح والإرشاد. كان محمد رباط قد أبلغ الرجل من قبل أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لا يزال يود إضعاف حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى من خلال إيجاد نوع من التفاهم الشمالى - الغربى، لكنه لا يعارض وجود وزيرين من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى شريطة أن يكونا وزراء بلا حقائب. ويلتقى مبادوى المستشار السياسى الرئيسى مرة ثانية، ويحذره الرجل ويطلب إليه المضى فى عمله فى سهولة ويسر إن كان يود التمتع بالعمل الجماعى السعيد الذى يبتغيه. وهنا تبرز شخصية شابة من شخصيات حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، صاحب هذه الشخصية هو السيد/ ماتيو Matthew مبو Mbu، الذى اقترح تعيين "زعيم لحكومة المال والأعمال" كيما "يداهن" حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ويتودد إليه. ويدافع فيز Phiz براون Browne الكادونى قائلاً: إن أبا بكر تافاوا باليوا يجب ألا يستشار أكثر من ذلك، حتى لا يخاطر الرجل بإفساد الأمر كله. بعد ذلك، يجىء المعلم أبو بكر تافاوا باليوا فى اليوم الثالث من شهر يناير ليعترف بأن المستشار السياسى الرئيسى هو وأبا حبيب وعيسى كيتا أقنعوه هو وزملاءه الليجوسيين بأن شاروود Sharwood سميث Smith قد أقنعهم أنهم ليس أمامهم من خيار سوى التسلم بالنسبة "٦ : ٣ : ١". ويعرب أبو بكر عن أسفه وندمه الذى مفاده أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان قد قرر هو الآخر أن تفضيله القوى الخاص للرجل باعتباره بديلاً فى ليجوس عن شتيما كاشيم، ويحيى جوساو، لم يكن "تفضيلاً قويًا أو

كافيًا من جانب رجل من رجال الحزب"، وأن هذا التفضيل سوف يفضى إلى جعل إينوا Inuwa وادا Wada الوزير الشمالى الثالث (لكنه هو ومحمد رباط "سيتمكنان من السيطرة عليه"). وبذلك يصبح بوسع حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى اختيار من يشاء، لأن الأمر لن يستدعى التشاور مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى نظراً لعدم وجود "**أى تحالف أو ائتلاف بينهما والمؤسف أنك لم تطلب منى ترؤس حكومة مُشَكَّلة من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، حتى وإن قدر لذلك الترؤس أن يدوم مدة أسبوع واحدا!**" ويعترف الرجل أيضًا أنه تحتم عليه البحث عن ستة من الجنوبيين على استعداد للانتقال إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى حتى يتمكن السير جون ماكفرسن من تنفيذ ذلك، واعترف أيضًا أن حكومة من هذا القبيل لا يمكن أن تعيش طويلاً، لكن الرجل أعرب مراراً عن استيائه من الأساليب التى لجأ إليها الجنوبيون لكسب الأصوات. ويجىء دور محمد رباط بعد ذلك، ويقول إن فكرة مبو Mbo كانت مقبولة باعتبار الرجل "رئيسًا للفريق الوزراى"، وهذا أمر يقلل بشكل واضح من شأن تقييم جون ماكفرسن لمنصب كبير الأمناء الرسمى. وفى اليوم الرابع من شهر يناير يعود أبو بكر، دون أن يكون له رأى فى هذه الفكرة، لكنه قال بحزم: إن الشمال يتوقع الحصول على حقيبة النقل، وحقيبة المناجم والعمل، وحقيبة الأشغال.

يجتمع المجلس التنفيذى لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، فى اليوم السابع من شهر يناير، فى مدينة كادونا، ويجد المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو فى ذلك الوقت) Sardauna نفسه مقيداً بحجج شارود ـ سميث المستمرة، ويداهن الرجل تلك الحجج التى تقضى بالموافقة على قبول ستة وزراء جنوبيين من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، وأن يكون الوزير السابع من الكاميرونيين الجنوبيين، وقد أهابت الإدارة بكل من السلطان وأمراء كل من كانو Kano، وكاتسنا وزرابا أن يساعدوا على تحقيق ذلك. وفى اليوم التالى المصادف لليوم الثامن من شهر يناير، توافق الهيئة التشريعية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على الأسماء الثلاثة التى جرى بالفعل

الاتفاق عليها مع السير جون ماكفرسن - المعلم أبو بكر، المعلم محمد رباط، والمعلم إينوا Inuwa وادا Wada ـ باعتبارهم وزراء فيدراليين من الشمال، ويستقيل أبو بكر من دائرته التى انتصر فيها ليقيم مدة طويلة فى ليجوس. وتجد هيئة الحزب التنفيذية نفسها تواجه صعوبة بالغة فى أن تفسر لأعضاء الحزب بل وأعضاء الهيئة نفسها مسألة أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لن يدخل فى أى شكل من أشكال "التحالف" مع أى حزب من الأحزاب السياسية التى لها جذورها وأصولها فى الجنوب، أو مع أى حزب من الأحزاب التى يسيطر عليها الجنوب. وقد نبعت هذه المقاومة من داخل الأعضاء الشبان الذين كان البعض منهم من المرتدين عن حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، هؤلاء الشبان كانوا يتطلعون إلى إثبات أن وزراء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ليست لهم سلطة أو وزن، وذلك على العكس من وزراء الشرق والغرب الذين نحُّوا جانباً المسئولين البريطانيين فى المجلس التنفيذى.

يقوم أبو بكر تافاوا باليوا، ومعه شتيما كاشيم ومحمد رباط، وفى اليوم الثامن من شهر يناير بزيارة شارود ـ سميث دافع عن بعض الأفكار الثانوية التى خطرت ببالهم. كان الثلاثة متعصبين بسبب النتائج المترتبة على حصول حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على الأغلبية فى المجلس والتى ارتكزت فى الأساس على، عضوية مزعومة تقدر بحوالى مليون عضو فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، تخوف الرجال الثلاثة من زيادة العزلة فى ليجوس، وسعوا إلى الاطمئنان إلى أنه لا تزال هناك نية حسنة تجاههم لدى الجهات الرسمية فى كادونا. وقبل الرجال هذه العزلة، ويعود بعد ذلك كل من أبى بكر ومحمد رباط إلى ليجوس. وهنا تبدأ المساومات والمقابلات، إلى أن يتم الاتفاق مؤخراً فى اليوم التاسع من شهر يناير، على أن يحصل وزيران من كل إقليم من الأقاليم على حقائب فى المرحلة الأولى. وقد أسفر ذلك عن بقاء كل من فيكتور Victor ميوكيت Mukete (ذلك الكاميرونى فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى

الكاميروني والحاصل على درجة البكالوريوس في النبات من جامعة مانشستر Manchester)، وإينوا وادا (الذى يتفق الجميع على أنه نضج تماماً بعد مظاهرات العام ١٩٥٣)، وكولا Kola بالوجن Balogun وماتيو Matthew مبو Mbo بلا تحمل أى شىء من المسئوليات. وقبل كولا بالوجن ذلك الحظ من القدر، بشىء من التسامح، من منطلق معرفته أنه لم يكن هناك موظفون أكفاء أو متسع للمزيد من الوزارات. وللسبب نفسه (ومن باب حتمية تسهيل المسئوليات الفيدرالية) لن يجرى تعيين سكرتيرين برلمانيين بعد الآن - كان الدكتور آزكوى قد عين السيد/ مبادوى "لتزعم" الإقليمين الجنوبيين، لكن الحاكم أقنعه بإعادة تعيين الرئيس Chiefأديلابو Adelabuليكون ممثلاً للغرب.

يجتمع مجلس الوزراء فى اليوم العاشر من شهر يناير، ليستمع ويقر توزيع السير جون ماكفرسن المبدئى للحقائب ومواجهة الحقائق الأخرى. جرى تثبيت أبى بكر وإعطائه حقيبة النقل والأشغال، وحصل محمد رباط على حقيبة الأرض، والمناجم والطاقة، وحصل مبادوى على حقيبة المواصلات والطيران. وهنأ الوزراء أيضًا أبا بكر تافاوا باليوا على حصوله على نوط قائد الإمبراطورية البريطانية ضمن قائمة الألقاب والأنواط الشرفية، كما حصل رئيس مجلس الممثلين المدعو إدوارد فيلوز على لقب فارس (وتولى خلفه فردريك متكالف دور المتحدث الرسمى فى اليوم نفسه). ويقتطع أبو بكر جزءًا من وقته ليكتب مهنئًا روبرت رايت Wright الذى جرى ترفيعه من منصب كبير من موظفى التعليم إلى سكرتير دائم فى وزارة كادونا، كما كتب الرجل أيضًا تهنئة إلى السير برايان شارود سميث الذى سبق حصوله على النوط الملكى الفيكتورى لنجمة الهند إضافة أيضًا لحصوله على نوط فارس قائد الإمبراطورية البريطانية. وبدأ الناس يلاحظون حصول الوزراء الشماليين على أنواط الفروسية فى مجال الخدمة العامة فى الوقت الذى كانوا لا يزالون يحتفظون فيه بمناصبهم السياسية، وتلك إشارة كانت محجوزة عن البريطانيين، وعند هذا الحد، كان الوزراء الجنوبيون النيجيريون يحصلون على هذه الأنواط نفسها على الرغم من أن حزب جماعة العمل كان قد بدأ

يرفض منظومة الأنواط والألقاب. كانت هناك مراسلات على أعلى مستوى حول هذه المرحلة من نظرية "العصا والجزرة" التى كان شارود يطبقها بصفة خاصة فى مجال تشجيع السياسيين المناسبين على الإبقاء على انضباط سلوكهم.

أثَّرت القرارات الانتخابية أو بالأحرى أهواء الخدمة على أناس آخرين كثيرين من الذين ورد ذكرهم فى هذه الرواية، وهم أناس متباينوا الأهمية. وعلى سبيل المثال لم يعد الحكام المنابون أو إن شئت فقل: مساعدوا الحكام أعضاءً فى مجلس الوزراء، الذى كانوا لا يحضرونه إلا نادراً، ويكونون بالملابس الرسمية فى معظم الأحيان. كما أصبح السير جون ماكفرسن حاكمًا عامًا، كما أصبح شتيما كاشيم، الذى سبق أن قرر مغادرة ليجوس، وزيراً شماليًا حاملاً لحقيبة فضلات متباينة لا تليق به، وتختص بالتنمية الاجتماعية وعمليات المسح (وقد قام شارود – سميث بترقيع هذه الأشياء إلى بعضها البعض لحفظ ماء وجه المستشار السياسى، كما سبق أن أوضحنا، الذى سبق أن أعلن دونما اكتراث بالوقائع الدستورية العاجلة، أو التنظيم أو الاقتصاد أنه سوف ينشئ وزارة "للتنمية"، كيما تتحكم وتسيطر بشكل محدد على مجالس التنمية)، يزاد على ذلك أن المُعَلم عيسى كيتا أصبح وزيراً شماليًا للأشغال، أصبح المعلم ميتاما Mai-tama سول Sule، الذى كان قائمًا بالتدريس فى مدرسة كانو المتوسطة، واحداً من القادمين الجدد الكثيرين الذين دخلوا مجلس الممثلين، بعد فوزه على المعلم أمين كانو فى دائرة كنو Kano الانتخابية الحضرية، وكان المعلم يعقوب Yakubu وانكا Wanka الذى خلف بابان Baban إنا Inna فى منصب أمين خزانة باوتشى المحلية من بين كثير من الأشخاص الذين التقى بهم فى مجلس الممثلين، وكان من بين هؤلاء الأشخاص أيضًا المعلم نوح بامالّى Bamalli الزارى(*)، الذى يعمل حاليًا مساعداً لمدير المبيعات فى شركة MAC للسيارات، وقام حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى بطرد أبا

(*) نسبة إلى مدينة زاريا. (المترجم).

Abba ميكوارو Maikwaru بسبب تفاوضه بدون ترخيص مسبق مع حزب جماعة العمل حول إنشاء تحالف انتخابى، وكتب المعلم على، موزع الأعمال فى بطا Bida، إلى جريدة المانستشر جارديان يطلب نساء بريطانيات للقدوم إلى نيجيريا للعمل فى إدارة التعليم فى الشمال الآخذة فى التوسع بصورة سريعة، ويعود ضابط (رئيس) حى باوتشى من إجازته على باخرة البريد نفسها التى عاد عليها شارود - سميث، ولم يكن يعرف أى شىء عن منصبه الجديد، وقد أخبره شارود ـ سميث وهما فى غرفة التدخين أنه يتعين عليه أن يداوم فى مكتب الحاكم فى كادونا ـ وجرى الاحتفال بتنصيب السير برايان شارود سميث، وفى قاعة لوجارد، أول حاكم للأقليم الشمالى لمدة أربعين عامًا، فى حين وجد ضابط (رئيس) الحى نفسه سكرتيرًا مساعدًا، مثل كاتب أو بالأحرى نائب سكرتير للمجلس التنفيذى، فى المكتب الجديد، الذى جرى تشييده مثل مكتب ليجوس، بحيث يكون قريبًا من مقر الحكومة، وقد أبدى النقاد المتهكمون ملاحظة مفادها أنه لم يجر فقط تحويل مساعد حاكم مثبَّت على وظيفة حكومية، إلى حاكم يقيم فى منزل حكومى وإنما جرى أيضًا ترفيع غسَّال ذلك المساعد أيضًا فى ضوء زيادة المسئوليات الملقاة على عاتقه.

كان لا بد من تعزيز هذه الترفيعات عن طريق السيد/ ليسلى Leslie جورستش Gorsuch، مسئول المرتبات الجديد، الذى أدت توصياته إلى إعادة مراجعة سلم المرتبات وتسريع عملية الترقيات فى الخدمات العامة الجديدة المنفصلة، كما أسفرت تلك التوصيات عن نوع جديد من الحشو العمالى ـ هذا يعنى أن العمال وهم يدفعون شاحنة من الشاحنات أو يفردون الزكائب والجوالات على كومة من الأكوام كانوا يرددون العبارة التى تقول: Gor-such باعتبارها مساوية للعبارة: Heave-ho التى معناها "هيلا هوب". كان وزير الدولة قد عين جورستش Gorsuch كرد فعل للمبادرات التى قام بها السيد/ أولوو، عندما كان يعمل زعيمًا للمسائل الأعمالية والمالية الحكومية فى الإقليم الغربى، وهذا هو ما سنعود إليه مرة ثانية. تحتم على جورستش إلغاء التمييز على

الورق، بين الوظائف الكبرى والوظائف الصغرى، وأن يقوم بإدخال التقسيمات الإنجليزية إلى الدرجات العليا، والدرجات الإدارية أو الفنية، والدرجات التنفيذية، والدرجات الكتابية وشبه الكتابية (أو المعادلات الخاصة)، وتحتم على جورستش أيضًا أن يوصى بدفع بدلات الأبناء للعاملين فيما وراء البحار، وكذلك دفع بدلات الإجازات، لكن هذه المفاهيم المبنية على الوظائف البريطانية لم تكن مقبولة أو مستساغة من الناحية السياسية، وكان لابد من ابتكار بدائل فورية لهذه المفاهيم كلها.

فى ظل هيمنة حزب المؤتمر الشعبى على المجلس (نظرًا لأن الشمال، والكاميرون والمسئولين يستطيعون رفض قرارات حزب المجلس الوطنى النيجيرى بأغلبية الأصوات) وفى ظل هيمنة المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى على المجلس، كانت خبرة المعلم أبى بكر تافاوا باليوا ونضجه خطيطين إلى حد أنهما كانا يؤثران على القادمين الجدد على نحو جعل الجميع يستشعرون ويحسون بل ويقرون ويعترفون باستمرار أهمية هذا الرجل. وبذلك يصبح أبو بكر زعيمًا فعليًا للأعمال والأموال الحكومية دون أن يحمل لقبًا بهذا المسمى. وقد شهد أول اجتماع لمجلس الوزراء آخر توقيع للرجل على ردود فعل المعاناة، عندما قال همسًا: "**أعضاء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى لا يزالون أعداء لأعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى**". وسرعان ما يتعافى الرجل عندما يبدأ العمل منطلقا من السياسة من جديد، وعندما أبدى السيد/ مبادوى استعداده للتعاون مع الرجل والإنصات إلى قضية الشمال بشكل واقعى. وأصبح يغلب أيضًا على البقية الباقية من أعضاء حزب الاستقلال الوطنى (الذين بدأوا يطلقون على أنفسهم اسم حزب الاستقلال الوطنى المتحد) مساندة حزب جماعة العمل على شكل معارضة فرعية، وذلك على الرغم من معارضة واشوكو لردود آكنتولا المعادية .

سبق أن قال الدكتور آزكوى: إن المجلس الجديد سيمثل مصالح دوائره الانتخابية تمثيلاً مباشرًا، لكنه لن يمثل مصالح أقاليم الأعضاء، وقد ظهر أن الدستور الجديد كان يتفق قبل المؤتمر مع بعض آراء آوو Awo، وفى ظل حسن النيّة الذى بدأ يظهر فى

اللحظات الأخيرة، وفى ظل لعق حزب جماعة العمل لجراحه، قد يصبح من الطبيعى وبلا تذمر، أن يكون وزراء المجلس الجديد قد شرعوا فى فهم بعضهم البعض، وفهموا أيضًا أهمية التطور والنمو من خلال قدر أكبر من التعاون. لقد حدث ذلك على الرغم من المفكرين غير السياسيين من أمثال كل من إينى Eni نجوكو Nojoku، نوابا Nwapa وأركبو Arikpo الذين فسحوا الطريق للسياسيين من غير المفكرين مثل: أدجوك Ade-goke أدلابو Adelabu رئيس مجلس حى إيبادان Ibadan. وقد أثبت أدلابو أنه مسلم أوتوقراطى، لكنه كان بدائيًا غوغائيًا، وماهرًا فى جذب دائرته الانتخابية، وواع تمامًا بتاريخ اليوروباويين كما يفهمه القرويون. وقد اكتسب هذا الرجل خبرته العملية من التفتيش على الإنتاج من ناحية ومن العمل مع الشركة الإفريقية المتحدة من ناحية أخرى.

فى ظل رئاسة السير جون ماكفرسن استطاع أبو بكر المفرفش رابط الجأش، هو ومحمد رباط الصارم أن يجعل السيد/ أدلابو Adelabu (وزير الموارد الطبيعية والخدمات الاجتماعية)، والرئيس فستوس Festus وكوتاى Okotie إيبو Eboho (الذى كان يدعى فستوس إيداه Edah من قبل، ذلك الثرى أمين صندوق حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى والمناح الذى استطاع إبعاد آرثر برست، والسادة كنجسلى مبادوى، وريموند Raymond نجوكو الذى استطاع هزيمة نوابا Nwapa والحصول على حقيبة التجارة والصناعة)، وكولا Kola بالوجُن (الذى ذاع صيته بأنه صاحب شعار "الحكم الذاتى فى العام ١٩٥٦")، والأعضاء الجدد فى المجلس، استطاعا أن يجعلا كل هؤلاء يسلمون بالدرس الذى مفاده أن تسود العلاقات الشخصية الطيبة لأجواء غرفة مجلس الوزراء الخاصة يسمح بمناقشة الأمور مناقشة جادة وودية، فى جو يخلو أحيانًا من الانفعال، فى حين يؤدى جنون العظمة والاضطهاد والإساءة إلى الإطاحة بأفضل الأفكار المطروحة. وربما كان من الضرورى على المسئولين البريطانيين حضور الاجتماعات كيما يمكنوا منظومة عمل بريطانية من أن تعمل عملها فى بيئة إفريقية.

ويبقى السيد/ مبوكيت استثناء من ذلك كله، إذا لم يكن الرجل يتكلم إلا عندما تتطرق الأمور إلى الكاميرون. كما أبلغ الدكتور آزكوى رفاقه أن الجانبين إذا ما كانا مخلصيْن وصادقيْن، فإن حزبى المؤتمر الشعبى الشمال، والمجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى يمكن أن يعملا من خلال التوافق والاتفاق. وخطط حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى لإرسال وفد آخر إلى لندن للمطالبة بمنظومة انتخابية موحدة.

وقد علق السيد/ طونى Tony إينا هورو Enahoro فى ذلك الوقت بما يفيد أن النيجيريين يتعين عليهم، فى ظل تفشى الفساد، التفكير مرتين فى مسألة نجرنة Nige-rianising المناصب العليا فى جهاز الشرطة.

على مستوى الخارج، نجد أن السيد/ هنرى هوبكنسون، وزير الدولة لشئون المستعمرات، كان قد أعلن بصورة مقتضبة عشية تقديم ليتلتون استقالته، أن جزيرة قبرص لن تحصل مُطلقًا على استقلالها، وكان الرجل يقول ما تعنيه هذه العبارة بحق، لكن يبدو أن هذه العبارة كانت توحى بالتجدد السريع للمطالبة بتوحيد قبرص مع اليونان Enosis، وقد استمر هذا الطارئ طيلة أربع سنوات، وأسفر فى النهاية عن الاستقلال (وكان هوبكنسون قد جرى ترفيعه فى العام ١٩٥٦ إلى لقب البارون كوليتون Colyton، وجرى فى الوقت نفسه التوصل إلى اتفاق للجلاء عن مصر وبخاصة عن منطقة القناة، وأيدت المحكمة العليا فى أوغنده سحب الاعتراف بفريدى Freddy موتيسا Mutesa حاكمًا Kabata لبوجنده Buganda، وفى ذلك الوقت نشر مؤلف يدعى ريتشاردز Richard رايت Wright كتابه فى الولايات المتحدة الذى يحمل عنوانه **عبارة لافتة هى القوة Power السوداء Black**، وساد فى تلك الفترة أيضًا الإرهاب فى الجزائر ليتحول بعد ذلك، فى عناد وإصرار، إلى شكل من أشكال الحب؛ يُزَاد على ذلك أن اللواء محمد نجيب الذى كان السير أنتونى إيدن قد توصل معه إلى تفاهم حول كل من السودان والقواعد العسكرية البريطانية فى السويس، والذى سبق أن وقع اتفاقًا حول هذا الموضوع فى شهر أكتوبر من العام السابق، والذى خسر أيضًا تأييد المصريين

والقوى المعارضة للملك فاروق، جرى تنحيته عن السلطة لصالح العقيد جمال عبد الناصر. وفى العام الذى قامت فيه الولايات المتحدة الأمريكية بتفجير أولى قنابلها الهيدروجينية الاختبارية شهدت بريطانيا العظمى، فى نهاية المطاف، إزالة البقية الباقية من توزيع الطعام بالبطاقات.

كان آلان Alan لينوكس Lennox بويد، وزير الدولة الجديد، وبصحبته كل من توم وليامسون Williamson وكيل الوزارة المساعد المسئول، والسيد/ جاك جونستون، السكرتير الخاص الرئيسى، قد جاءوا ليشهدوا الجلسة الأولى للمجلس الجديد، التى صحبه إليها فولى Foley نيونز Newns، ومن يمن طالع الرجل أنه حقق طموحه وخَلَفَ ليتلتون فى منصبه. كان أوليفر ليتلتون قد أصبح الفيكونت(*) شاندورس Chandos، بعد أن تخلى الرجل عن موقعه (نظرًا لنضوب رأسماله ومدخراته بسبب دخل الوزير والتزاماته) فى ذلك التعليق العامر بالسخرية، فى تطلعه إلى نيجيريا، والذى مفاده أن "السواد الأعظم من هذه الحكومات [الاستعمارية] يمكن أن تشكل مجلس مدينة سيىء فى أكسفورد". وقد قرأ الحاكم العام رسالة الملكة بوصفه رئيسًا للمجلس. ويقوم أبو بكر تافاوا باليوا، بحكم كونه الوزير الأول بما لايدع مجالاً للشك، وبغض النظر عن قوى الحزب، بإلقاء أول خطاب رسمى أمام المجلس التشريعى، لكن الرجل، من جانب آخر، يقتصر على نقطة نظام واحدة أكسبته تصفيقًا غير عادى من الحاضرين. وتحدث محمد رباط هو الآخر حديثًا رسميًا. وأشار الرئيس سام أكنتولا، بصفته زعيمًا للمعارضة، بالإشارة إلى الحكومة الجديدة على أنها "جوقة للغناء الجماعى" أو بالأحرى "ناد من نوادى الإعجاب المتبادل"، كما أساء سام أكنتولا أيضًا إلى وزراء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، نظرًا لفشل وزراء هذا الحزب فى الإفادة من الأغلبية لمصلحتهم. وعلّق الرئيسى أولوو Awolowo تعليقًا مريرًا (لكن الرجل كان

(*) الفيكونت: نبيل دون الكونت وفوق البارون. (المترجم).

صـادقًا فى تعليقه) من وجهة نظر الخطوط الجانبية فى إيبادان، مفاده أن الدستور الجديد هو والآمال المنتظرة من جورستش Gorsuch (مسألة المرتبات) كانا يعنيان تمامًا قلة العمل وزيادة الضوضاء، والمزيد من الأجور، كما كانا يعنيان أيضًا أن هؤلاء الذين ارتفعت أصواتهم مطالبين بأسباب الراحة والتنمية بشكل عام كانوا من بين أبشع الناس الذى يتهربون من الضرائب. وأثناء استراحة تناول الشاى دار أول حديث لأبى بكر تافاوا باليوا مع عضو من أعضاء مجلس الوزراء الجدد هو المعلم الشيخ شاجارى Shagari، المدرس الزائر فى مدينة سكتو Sokoto، وقد أدى هذا الاجتماع أيضًا إلى إقامة علاقة بين أبى بكر ولينوكس بويد Lennox - Boyd، وهذه العلاقة تعد أفضل مثال على الثقة والاحترام المتبادل بين زعيم استعمارى بريطانى ووزير الدولة، وذلك على الرغم من أن احترام لينوكس - بويد لتنكو Tenqku عبد الرحمن Rahman فى الملايو كان أقل من هذا الاحترام بكثير. وقد انشرح صدر أبى بكر تافاوا باليوا عندما وجد السيد/ لينوكس - بويد يستعمل مثلاً هوساويًا عندما كان يتحدث إلى مجلس الممثلين: **"فى الوقت نفسه الذى يجرى فيه بناء الجدار، تقوم الأصابع بوضع بصماتها عليه" والذى يعد تفسيرًا للمثل الهوساوى الذى يقول:** tun ran gini, ran zane.

كان لينوكس بويد رجلاً فارع الطول، مثل اللورد ريث Rith، المدير العام لاتحاد الإذاعة البريطانية فى فترة ما قبل الحرب، والذى كان يشغل منصب رئيس مجلس إدارة اتحاد التنمية الاستعمارية والذى قام هو الآخر بزيارة نيجيريا فى ذلك الوقت، كان من عادة هذين الرجلين التقاء الرجال فارعى الطول فى أى اجتماع من الاجتماعات، وكان الهدف من ذلك بطبيعة الحال، قياس أطوالهم على مثل هؤلاء الرجال. كان مستشار سوكتو Sokoto السياسى الرئيسى Sardauna، أقل طولاً من هذين الرجلين، لكنه كان صاحب بنية قوية كان يعززها بعمامة فى أغلب الأحيان، وقد ثبت أنه كان يفضل البشر أصحاب البنى الضخمة، ولم يكن يفضل أولئك الذين كانوا

يتفقون معه، كان من السهل أيضًا على الرجال، أصحاب البنى الصخمة، إقناع المستشار السياسى الرئيسى بالموافقة على ما يهدفون إليه. وقد جاءت مسألة تشجيع الوزراء الإقليميين الشماليين الحريصين والواعين لخطاب الحاكم Makama عن مسئولى تعليم المرأة، على توقيع الرسالة اللطيفة التى أرسلت إلى جريدة التايمز والتى تطمئن "المغتربين" على عملهم المستقبلى، وأن البريطانيين الذين غادروا السودان سيجرى الترحيب بهم فى الشمال، كما جرت أيضًا طمأنة الأجانب الجدد الذين يحتمل أن يجيئوا إلى الشمال بعقود محددة المدة للقيام بالأعمال التى لم يتدرب عليها الشماليون بعد، بأن الشماليين لن يخشوهم أو يتخوّفان منهم، حدث كل هذا التشجيع والطمأنة على شكل نتيجة مباشرة للزيارة التى قام بها لينوكس بويد إلى كادونا وهو فى طريق عودته إلى إنجلترا. كانت تلك الرسالة صادقة بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة، لكن الأرجح هو أن تلك الرسالة لم يكن لها تأثير مباشر على الموظفين الذين جاءوا من الخدمة المدنية فى السودان، أما فيما يتعلق بالمغتربين الموجودين بالفعل، فقد تأثروا بشكل عام، لكنهم أقروا واعترفوا أن غرماء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وخصومه لم يكونوا ملتزمين بتلك الرسالة. علق السيرجون ماكفرسن، الذى لم يعترف قط لأى مسئول من المسئولين بأنه كان "يحابى" إقليمًا بعينه (على الرغم من أن الرجل لم يكن يقصد أيضًا المصطلح الفنى عندما كان يشير إلى الأمراء على أنهم "إقطاعيون" Des-pots) قائلاً لمستشار سكتو السياسى الرئيسى: إن التلميح إلى مدة خدمة مدتها ثلاثين عامًا "لمجدِّد" retread سودانى سابق، تثبت أن الوتد الأبيض يمكن إزالته بسهولة ويسر من المجلس عن الوتد الأسود، وتمتم المستشار السياسى إشارة إلى موافقته التامة على ذلك. كان ماكفرسن يود لزعماء البلاد أن يعملوا فى ليجوس، لكن الرجل لم يندم مطلقًا على تفضيل المستشار السياسى الرئيسى كادونا على ليجوس.

كان لينوكس - بويد قد انتقد ماكفرسن أيضًا قبل تقاعده، إذ حفلت التعليقات الصحفية على سلف لبنوكس - بويد بالتباين، وقد تطرقت تلك التعليقات، عن جهل، إلى

أن اعتلال صحة "جوك" Jock كانت سببًا كافيًا لعدم تمديد خدمته مرة أخرى (كان الرجل يضطر فى بعض الأحيان إلى استلام ملفاته فى مقر الحكومة وهو مستلقٍ على ظهره فوق لوح من الخشب، بل إنه كان فى أحيان أُخر يحضر اجتماع المجلس وهو واقف منتصب القامة ومتكئًا على الجدار كيما يخفف عن نفسه آلام العمود الفقرى). كانت هناك وظيفة وكيل دائم لوزارة الخارجية على وشك الخلو من شاغلها، وكان لينوكس - بويد يفكر بالفعل هو والسير توماس لويد Liyod شاغل المنصب، فى اتخاذ الترتيبات اللازمة لتعيين رجل ميدانى فى هذا المنصب بدلاً من اتباع طريقة التعيين الروتينية المتبعة فى مقر الحكومة البريطانية. كان لينوكس - بويد يرى أن ثقة المستعمرات بلندن يجب أن تزداد، وأن المنصب يجب أن يفيد إفادة كبيرة من الخبرة المكتسبة، من المستعمرات، كانت المبادلات الماضية، التى كانت تتم من حين لآخر، بين وزارة المستعمرات وخدمة المستعمرات، قد أسفرت عن خروج أو تقاعدهما واحد أو اثنين من رجال الحكومة البريطانيين السابقين من منصب الحاكم، ولم يكونا يصيبان نجاحًا فى كل الأوقات، لكنهما لم يرقا إلى مستوى الموظفين الاستعماريين السابقين الذين لم يعودوا بعد على المستوى الذى يجعل منهم موظفين سياسيين كبار (وكان يجرى التعلل بأن هؤلاء الناس قد يطلعون على الملفات الخاصة بحكام الماضى، وحكام الحاضر، وحكام المستقبل). كان لينوكس - بويد قد صارح أبا بكر تافاوا باليوا عن القوة البشرية السودانية، وحتمية دعم الروح المعنوية فى الخدمة، وجاء اختيار لينوكس - بويد لمفهوم دعم الروح المعنوية هذا فى الخدمة على المستوى المحلى اختبارًا عامًا تامًا وواضحًا.

كان أبو بكر تافاوا باليوا نفسه واعيًا إلى مدى الحاجة إلى المحافظة على الثقة بين الموظفين المغتربين من أصحاب الخبرة المتعاطفين معه، وكشف عن ثقته بهؤلاء الموظفين المغتربين من نواحٍ عدة. حدث أن تسبب سخان أحد دواليب الملابس فى حدوث حريق فى منزل أرميتاج سكرتير أبى بكر السابق، وكان أبو بكر هو ومحمد

رباط وشتيما كاشيم (كانوا جميعهم يغلب عليهم استعمال أرميتاج معاونًا خاصًا لهم، بحكم أن أرميتاج كان من قبل موظفًا سابقًا فى خدمة وزير شمالى - واقع الأمر أن أرميتاج كتب ذات مرة مسودة رسالة إلى إحدى الصحف فى ليجوس، نيابة عن المستشار السياسى) قد هبوا لنجدة الجيران المنكوبين والمتضررين ومساعدتهم، عرض محمد رباط على أرميتاج الإقامة فى بيته بصورة مؤقتة، أما أبو بكر فقد قدم شيكًا لأرميتاج لشراء فضيات وأوانى زجاجية بدلاً من تلك التى تكسَّرت بفعل الحريق، والتى كانت موضوعة داخل دولاب لم ينقذه سكرتير آخر بالطريقة الصحيحة. أهم من ذلك، ومن باب تشجيع أولئك الموظفين الذين ضاقوا ذرعًا بالفساد و"الإسراف"، استطاع أبو بكر، هو ومحمد رباط وشتيما كاشيم اكتشاف استغلال بعض الوزراء لسلطتهم الجديدة، وقد تجلى ذلك الاستغلال فى الإجراء الذى اتخذه أبو بكر عندما صوَّت مجلس الوزراء الجديد على بدل شهرى مقداره ٥٠ جنيه إنجليزى لتغطية مصروفات السيارة الخاصة، والأكثر من ذلك أن زوجات هؤلاء الوزراء كن يستعملن السيارة الرسمية وسائقها فى مصالحهن الخاصة، بما فى ذلك قضاء الحاجيات المنزلية والاحتياجات الترفيهية والترويحية الخاصة.

ويسأل أبو بكر فارفيل Varvill، سكرتيره الدائم عن مقدار بدله، وعندما عرف أن ذلك البدل يقدر بحوالى ثمانية عشر جنيهًا إنجليزيًا، أرسل مذكرة شخصية إلى كاتب الحسابات تفيد أنه لا يود أن يسحب أكثر مما هو مخصص له: وكان طبيعيًا أن يعمل فارفيل على إحاطة هيئة العاملين كلهم بذلك الأمر. لكن قيل مرارًا بعد ذلك إن أبا بكر قال: إن الموظفين المدنيين هم الذين يتحتم أن يحكموا البلاد ويديرونها وليس السياسيين، وعندما تستقر الأمور بشكل معقول، ستتبدى لنا الحاجة إلى مراجعة الكفاية والكفاءة وتحسينهما، ولن تكون هناك حاجة إلى إحداث تغييرات كبيرة.

كان هدف الحكومة، هو إدارة القوى الموجودة والقائمة إدارة جيدة وأمينة، وليس إحداث سلسلة من الانقلابات وإحداث نوع من التجديد الاجتماعى. كانت راديكالية

أبى بكر الشمالية كلها تنزع إلى البحث عن التمسك السياسى الذى يطيقه الناس ويرضون عنه وهم يحيون حيواتهم المعتادة. عندما توفيت زوجة سكرتيره السابق لارى Larry أرمسترونج Armstrong فى حادث تصادم الطائرة 'واى فيرر" Wayfarer فى بريستول بالقرب من مدينة كلبار Calabar، عقب فترة قصيرة من الزيارة التى قام بها لينوكس – بويد، زاد كرب المعلم أبى بكر وغمه عما كان عليه يوم أن وقف على دلائل فساد رفاقه وعلامات ذلك الفساد .

أُعيد تعيين الرجل من جديد عضواً فى مجلس الحاكم العام الخاص. لم يكن هناك اعتراض فى نيجيريا على حقيقة أن هذا المجلس كان يغلب عليه النصح بالرحمة فى المواقف التى يرى فيها الرأى العام المحلى أسباباً تدعو إلى الرحمة، يزاد على ذلك أن هذا المجلس الخاص لم يكن ينتحل أعذاراً من فلسفات بعيدة كيما يمنع بها القانون من السير فى مجراه عندما يكون الرأى المحلى محبِّذاً للتنفيذ ومؤيداً له. كانت تلك هى رؤية أبى بكر ورأيه، وذلك على الرغم من زيادة الصرا ع فى داخل الكثيرين من المسئولين وبعض الشخصيات الجنوبية. فى ذلك الوقت، ضاقت المسئولية وانحسرت عن ذى قبل، نظراً لأن السلطات الإقليمية كانت تمارس نوعًا من التطهير خارج ليجوس والكاميرون الجنوبى، يضاف إلى ذلك أن أبا بكر هو وكبير الأمناء، حضرا أيضاً بصفتهما ممثلين لنيجيريا، الاجتما ع الأول الذى عقده فى أكرا مجلس الجيش الاستشارى، الذى يذْكر أنه سبق إنشاؤه فى غرب إفريقيا البريطانى، كيما يضمن وحدة التنظيم والمعدات وأساليب التدريب. كانت نيجيريا لتوها قد تسلمت من وزارة الحرب البريطانية المسئولية عن مبانيها العسكرية الخاصة بها، وجرى وضع برنامج مدته عشر سنوات، لكن مسألة مشكلات الدخل كانت سببًا من أسباب الإبطاء فى ذلك البرنامج، على الجانب الآخر، جرى أيضًا فى زاريا تجنيد سرية من الصبية ضمن الكتيبة النيجيرية، لتخريج ضباط الصف المتعلمين، بل وربما كان ذلك تمهيداً لضباط المستقبل (نظراً لأن الكلية الحربية النيجيرية المنتظرة، قد تكون خلفًا مباشراً لهذه السرية).

ونظراً لأن نيجيريا كانت لا تزال مستعمرة، لم يكن بوسع المعلم أبى بكر تافاوا باليوا أو أى إنسان نيجيرى آخر، حضور المؤتمر الآفر - أسيوى الذى عقده الرئيسى سوكارنو فى جاكارتا، لم يغضب أبو بكر من ذلك، لكنه أثار الكثير من الانتقادات الداخلية التى مفادها أن البلاد لا تزال تفتقر إلى رئيس للوزراء. ومع ذلك، فإن ساحل الذهب والسودان، بحكم أنهما أصبحا قاب قوسين أو أدنى من الحصول على حريتهما، انضما بالفعل إلى الدول الإفريقية الأربعة والدول الآسيوية الثلاثة والعشرين التى حضرت المؤتمر الذى انعقد فى باندونج فى الفترة من ١٨ إلى ٢٤ أبريل. وقد عمل زعماء هذه الدول (ومن بينهم عبد الناصر وشوئن لاى) على تقوية معتقدات ما بعد الاستعمار التى مفادها أن السياسة بوسعها التحكم فى الاقتصاد، وأن الحكم الفردى يمكنه التحكم فى الأحزاب السياسية فى العام الثالث Le tiers monde ـ هذا يعنى أن مصطلح "العالم الثالث" أصبح مفهوماً محدداً ومختصراً وواضحاً اعتباراً من ذلك الحين، ومكملاً للمثلث الذى يضم الديموقراطيات الغربية والاقتصاد الشرقى المخطط. حدثت بعض المخاطرات الأجنبية التعويضية الصغيرة؛ فقد أوفد الإقليم الشمالى كلاً من المعلم عيسى كيتا وشتيما كاشيم إلى الباكستان فى مهمة للتعبير عن حسن النوايا، ولإلقاء نظرة على الممارسات القضائية والتعليمية الإسلامية. كانت الإدارة تتطلع إلى أن يقف هذين الرجلين ويعترفا بالعقبات الكبيرة التى يتعين إزالتها قبل أن يصبح الحكم الذاتى حقيقة واقعة، وأن يدركا أيضاً أن باكستان نفسها، ذلك البلد الذى أصبح للإسلام المحافظ فيه قوة روحية كبيرة، لكنه يعانى ضعفاً فنياً، كانت فيه وجوه بريطانية كثيرة تعمل بجد واجتهاد فى الغرف الخلفية. أعرب النيجيريون غير الشماليين عن قلقهم من احتمال أن يكون الشمال يسعى إلى العون والتأييد والمساندة من البلدان الإسلامية بدلاً من إفريقيا. وهنا نجد أن مسلمى الشمال، وهم يرون الشروط التى وضعتها الحكومة الكينية لاستسلام الماوماو، وعندما يرون أيضاً أن الأشانتى Ashanti، التى يجرى فيها الهجوم على حاكم ساحل الذهب أردن ـ كلارك Arden - clarck، نظراً لظهور حركة تحرير وطنى معارضة لحزب المؤتمر الشعبى الذى يتزعمه الدكتور

نيكروما، يقولون: إن تحركهم له مبرراته. وبعد ذلك بفترة قصيرة يقوم المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو وأمير كانو بزيارة طرابلس ومصر والحجاز للتفتيش على ترتيبات الحج، وجرى استقبالهما استقبال رؤساء الدول، لم يترك هذا الاحترام أثره على أسارير وجه رئيس الوزراء فقط إنما أفضى أيضًا إلى زيادة عصبية غير المسلمين فى سائر أنحاء نيجيريا، سواء داخل الحكومة أو خارجها.

بينما كانت خطوط السكك الحديدية النيجيرية تهنئ نفسها مرة ثانية بانتهائها من نقل أهرامات جوالات الفول السودانى لتصديرها من مدينة كانو، قام السير جون ماكفرسن بزيارته الأخيرة للإقليم الشمالى. كان أثنا عشر طالبًا قد التحقوا بمدرسة كانو الطبية الجديدة الخاصة بالعمليات الطبية، وشاهد جون ماكفرسن أيضًا الاستعداد لمهرجان الفنون النيجيرية الشمالية، بما فى ذلك الرسوم التى رسمها فنان فرنسى طلبوا منه وضع تصميم للطوابع البريدية الخاصة بالبلاد. لم يكن اسم خَلَف جون ماكفرسن معروفًا حتى ذلك الحين، تدنت الروح المعنوية فى الخدمة عندما تنبأ الصحفيون عن قناعة أن سياسيًا بريطانيًا سيجرى تعيينه للتعجيل فى المسائل الروتينية الخاصة بالحكم الذاتى، وعليه فإن أولئك الذين ظنوا أنهم جادون فى عملهم، كانوا يرون أن التهديد بالتغيير الجذرى من جانب قليلى الخبرة لم يكن أمرًا تقدميًا بالمرة.

لم تكن الأمور على ما يرام فى الأقاليم فى الوقت الذى كان مجلس الوزراء فيه ينعم بالأمان وراحة البال والهدوء. فى الغرب، على سبيل المثال، جرى إدخال سياسة "الهواء المجمد" التى تقضى بعدم منح علاوة اغتراب عن تعيين أو ترقيته أى مغترب، بدون موافقة صريحة على مثل هذا التعيين أو الترقية من المجلس التنفيذى الإقليمى. وأعرب الوزراء الغربيون أيضًا عن شكوكهم فى مسألة استمرار عمالة الشرقيين وتوظيفهم فى الإقليم الغربى، وبخاصة قوة الشرطة التى لا سيطرة لهم عليها. وراح الغرب أيضًا يخلق المتاعب للحكومات الأخرى عن طريق إدخال الحد الأدنى للأجر

اليومى الإقليمى والذى يقدر بحوالى خمسة شلنات فى اليوم، كما سبق أن ذكرنا، باعتبار ذلك مشروعًا من مشروعات الحزب الوطنى السياسية، فى حين كانت متوسطات ذلك الأجر اليومى قبل ذلك تتردد بين شلنين وثلاثة بنسات وثلاثة شلنات وخمسة بنسات. ولولا حركة جمود العمالة النسبى لما التزم الشرق فترة طويلة بأجر يومى يتروا ح بين شلن واحد وست بنسات، أو الشمال بأجر يومى يتردد بين شلن واحد وست بنسات، وشلنين وثلاثة بنسات، وهذه الأرقام بحد ذاتها تعكس الحال الذى كانت عليه التكلفة المحلية ومستويات المعيشة.

وصل الحاكم الشرقى، السير كلمنت Clement بليس Please إلى شأو بعيد إلى حد تقديم استقالته، وأعرب الرجل عن أسفه لعجزه عن كبح جماح مشروع الدكتور أزكوى الخاص بفرض المحلية السريعة على المناصب الرئيسية وذلك عن طريق استبعاد أجر الاغتراب من الميزانية لستة سكرتيرين دائمين من بين ثلاثة عشر سكرتيرًا دائمًا، واستبعاد ذلك الأجر أيضًا عن سكرتيرين مساعدين فى مكتب الحاكم، كان المظهر الخارجى لذلك كله يتمثل فى أن هؤلاء هم "رجال الحاكم" بدلاً من أن يكونوا "رجال الوزراء". هذا المظهر الخارجى نفسه كان هدفًا أيضًا للدكتور أزكوى عندما جرى إلغاء وظيفة كبير الممثلين المقيمين، هذا يعنى أن الممثلين المقيمين الأربعة الآخرين جرى إدخالهم ضمن سياسة "الهواء المجمد" (أى جرى تجميد هؤلاء الممثلين المقيمين، بحيث لا يجرى استبدالهم بآخرين)، كما جرى أيضًا التقليل من أهمية سكرتير رئيس الوزراء وسكرتير المجلس التنفيذى، الواقع أن حرية تصرُّف الحاكم الدستورية فى تعيينات الخدمة المدنية والترقيات والمناصب جرى تقييدها تقييدًا محكمًا عن طريق إغلاق الخزانة من ناحية، وعن طريق ملف موثق توثيقًا جيدًا، من ناحية أخرى، يبيِّن الإساءة التى نزلت بأحوال بعض الموظفين وآمالهم المرتقبة، وذلك على العكس من تأكيدات المؤتمر ووعود الدكتور أزكوى للخدمة المدنية. ولما كانت مسألة التخفيضات موجهة أصلاً إلى الموظفين الأجانب، فقد حاقت أيضًا بآمال المواطنين المحليين.

وفى نهاية المطاف تحتم على بليس Pleass، الذى سبق أن واجه بعض المصاعب الأخرى من السيد/ إيو إتا هو وسكرتيره القانونى الأجنبى، عندما بدأ الرجل استغلال سلطاته الخاصة، التى تمثل الملاذ الأخير عند أى حاكم من الحكام الاستعماريين، فى دفع رواتب بعض هؤلاء الموظفين المنصوص عليها فى العقود.

دافع لينوكس - بويد عن موقف بليس Pleass فى مجلس العموم (وجلب النقد والانتقاد على رد فعله غير المرن على رغبة الدكتور آزكوى المستمرة فى إنشاء أربعة عشر ولاية)، لكن لم يعد المتشككون وحدهم هم الذين يدركون ويفهمون أن الأمر يحتاج إلى المزيد من الإجراءات لفرض الأعمال والتصرفات الجادة وتفعيلها بدلاً من مجرد الإشارة على عجل إلى نوايا صائغى الوثائق ومشروعات القوانين. وبغض النظر عن العدالة أو القرارات الفردية، نجد أن العواطف عندما كانت تنادى بوضع المناصب الحساسة التى تنطوى على السلطة الواضحة البينة فى أيدى المواطنين الحقيقيين، فإن هذه العواطف نفسها كانت كفيلة بالانتشار والذيوع بين الناس. ونجد أيضًا أن الإصلاحات التى أدخلها جورستش Gorsuch والتى ألغت (عن طريق الامتصاص) بدل الاغتراب الذى كان يحصل عليه موظفوا الدرجات العليا (المرتبات الثابتة الخالية من العلاوات التى كان يحصل عليها الموظفون بغض النظر عن مدة الخدمة المحددة للموظفين الإداريين والفنيين) كانت قادرة، إلى حد ما، على حل هذه المعضلة، ومع ذلك أصبح واضحًا أن مسألة وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب تتطلب مهارة فى التفاوض مستقبليًا، وأن ذلك لم يكن مقصورًا على إينوجو Enugu وحدها. واهتز الشرق أيضًا بفعل اقتراح قُدِّم للمجلس عن الرشوة والفساد، وأدى إلى تقديم استجواب من قبل السيد/ جستس Justice أكبيزو Ikpeazu، وأذيعت عن طريق التسريب، بعض المزاعم والادعاءات الدقيقة، واضطر مبونو Mbonu أوجيك Ojike إلى الاستقالة بفعل القدح والطعن، ودون أن يجرؤ أحد من زملائه على رفع إصبعه تأييداً أو دعمًا أو مناصرة له، ويَلْقَى الرجل ربه بعد ذلك بأشهر قلائل.

وصل حال المسائل المالية مرحلة المناقشات الخطيرة داخل الحكومة البريطانية، وقد حرص الحكام الأربعة على حضور تلك المناقشات، التى دارت حول مسألة سحب الوعد الخاص بإعطاء الحكم الذاتى للإقليم الشرقى. ودافع بليس Pleass دفاعًا مستميتًا بأن إقليمه لم يكن سيئًا تمامًا، وإنما أتيحت له فرصة قصيرة جدًا للنمو والتطور، فضلاً عن أن ضغوط الشرق التقليدية كلها كانت تتمثل فى معايير أخلاقية تختلف عن معايير الخدمة العامة البريطانية التى نمت وتطورت ضمن منظومة اجتماعية بريطانية فريدة. كان التقريع أفضل من التهديد وقد يؤدى الحصول على الحكم الذاتى المباشر إلى كارثة فى الموازنة فى غضون سنوات قلائل، لكن رفض إعطاء الحكم الذاتى يمكن أن يتسبب فى إثارة بعض المتاعب الآن. وحذر شارود سميث Sharwood - smith أن انسحاب حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى من الشرق ومن الحكومات الفيدرالية، وأن سحب قوات الأمن الداخلى من الشمال، يمكن أن يؤديا إلى إثارة الاضطرابات والمتاعب المضادة لليوروباويين هناك. وتمثلت النتيجة النهائية فى النصح للسيد/ لينوكس بويد بالتشاور مع الدكتور آزكوى شخصيًا، كما نُصِح له أيضًا أن إنفاقه على التعليم الابتدائى العام، وعلى الجامعة، وعلى المؤسسات الرسمية المتعددة (التى تحتاج جميعها إلى قوى بشرية فنية وإدارية مكلفة، تزيد بكثير جدًا على الثمانية وأربعين عضوًا من أعضاء الجمعية العمومية فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى الموزعين على مجالس إدارة تلك المؤسسات الرسمية المتعددة، وهذا الامتياز ليس موجودًا عند أعضاء البرلمان البريطانى) كانت على وشك أن تأتى عن مداخيل الإقليم الشرقى. وقد أصبح ذلك القلق مشوبًا بالفضيحة المصرفية التى ناقشناها فى الفصل الثانى والعشرين، لكن الحكام هم والموظفين المدنيين المحليين كانوا جميعًا يتطلعون إلى أن أية مبادأة لتأجيل المؤتمر إلى ما بعد أغسطس من العام ١٩٥٦ الميلادى يجب أن تكون نابعة من زعيم نيجيرى، وليس منهم هم أنفسهم.

كان السـير برايان Bryan يواجـه فى الوقت نفسـه مشكلات أخـرى مـختلفـة فى الشمال، كان محتمًا على الرجل تحذير مجلس، جرى سحب السواد الأعظم من أفضل أعضـائه إلى ليجوس، من أن المجالس المحلية الفاسدة يمكن أن تكون أشد خطراً من الرؤسـاء الفاسدين أنفسـهم، لسبب بسـيط مفاده أن هذه المجالس لها مظهر الاحترام الكاذب المزيف، هذا يعنى أن ذلك المجلس الجديد كان أكثر وعيًا بمـخاوفه من سـيطرة الجنوب وهيمنتـه أكثر من تخوفه من التـهديدات الفعلية التى تأتى إلى حد ما من الحزام الأوسط السـاخط والمسـتاء. وقد جـرى جـعل أذكيـاء هـذا المجلس سكرتيـرين برلمانيـين (الأمـر الذى حـال بينهـم وبين شـرعـيـة الاطلاع على الأوراق الوزارية) وبالتـالى جـرى إسكاتهم.

واقع الأمر أن المعارضة الشمالية الفعلية، التى جرى تدعيمها بمجموعة قليلة من ممثلى الأقلية ناقصى الخبرة، انكمشت لتصبح رجلاً واحداً، وهو المعلم إبراهيم إمام، الذى يتـعـين علينا إغفـال دوره لمجرد أن مـصلحـتنا مع ليـجـوس، والسـبب فى ذلك أن إبراهيم إمام بقى بمثابة الشخص الذى كان أبو بكر تافـاوا باليوا يوليه اهتمامًا كبيراً. كـان إبراهيم إمـام قـد جـرى نقله مـؤخـراً من مـجلس برنو المحلى بسـبب إخـفـاقـه فى حضور اجتـماعات المجلس، ولانتقاده لطهارة أيدى بعض الأعضـاء، ولانتقاده أيضًا حق الشيخ Shehu المطلق فى تشـيـيد بنايات مكونة من طابقين أو اسـتـعـمـال المظلة، هذا يعنى أن إبراهيم إمـام جرى طرده من منصب مُشْرِف الأشـغال فى مـجلس برنو المحلى (جـرى فى الإضـراب الذى تلى ذلك وشارك فـيـه ٢٠٠٠ من عـمـال الاتحـاد الفـيـدرالى لعـمـال الإدارة المحلية رفت جـمـيع العـمـال أو طـردهـم باسـتـثناء أولئك الذين تزيد مـدة خدمـتهم على عشـر سنوات، وأتيـحت لهـم فرصـة إعـادة تـوظفـيـهم عن طريق المسـابقـات المحـايدة مع المتـقـدمـين الآخـرين للوظائف الجـديدة، بشـرط أن يبـدأوا من أول سلم الرواتب)، ولما كان إبراهيم إمـام محـاوراً فريداً طلق اللسـان فقد كان يحير نفسه ويحير الجمعية العمومية كلها، وينضم إبراهيم إمام فى أواخر العـام إلى حزب اتحاد العناصر

الشمالية التقدمى (الذى كان يتآمر فى ذلك الوقت مع أحد رؤساء Lamido أدماوا Ada-mawa المعزولين الذى كان يعرض ابتلاع طُعْم استعادة أراضى أسلافه فى الكاميرون الفرنسية). لم يكن إبراهيم يتطلع إلى أن يصبح سكرتيراً برلمانياً، لكنه مثل باقى أعضاء المجلس كان يتقاضى راتباً جرت مضاعفته بسبب تزايد المسئوليات الدستورية الإقليمية (ولم يقابل هذه الزيادة تخفيضات فى المجلس الفيدرالى). ولما كان إبراهيم إمام شبه باحث فى الإسلام واللغة العربية، ومفكراً ألمعياً سريع البديهة، فقد أصبح الرجل أيضاً صاحب منزلة عالية، وبخاصة إذا ما تكيف مع الأوضاع وانصاع لها. كان من صالح حكومة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بل ومن مصلحتها أن يعارضها ويواجهها واحد من المفكرين فى أضعف الأحوال، لكن نزوع الرجل إلى زلاقة اللسان وقلة الاحترام والتهور قلل من خطورة الرجل على المستوى الفلسفى داخل المجلس فى مواجهة حكومة الشمال، لكنه مع ذلك لم يرق إلى مكانة أمين كانو فى هذا المجال. وخلال أشهر قلائل، تحتم على إبراهيم إمام أن يعلن على الملأ أنه "سيترك حلبة السياسة النيجيرية بصورة مؤقتة".

حدث فاصل غريب فى مطلع العام ١٩٥٥ . كانت حركة إعادة التسلح الخلقى قد بذلت جهداً لتجمع لها مندوبين وأعضاء فى مؤتمر لندن، وادعت بشكل رئيسى فى واحد من أفلامها أنه لولا جهود هذه الحركة لتخلى النيجيريون عن ليتلتون وربما تحولوا إلى موسكو. كان لحركة إعادة التسلح الخلقى هذه سنداً واحداً، فى أضعف الأحوال، هو هوغ Hugh إليوت Elliott، ذلك الموظف الإدارى الشمالى سابقاً، والذى يخدم حالياً فى إدارة الإقليم الشرقى، وهنا بدت مطالبة لندن بإنشاء اللجنة الوطنية النيجيرية وتشكيلها لإعادة التسلح الخلقى (بالتعاون مع العروض المسرحية لواحدة من المسرحيات أعدتها الحركة وراحت تجوب البلاد، الأمر الذى أدى إلى إخراج أولئك الموظفين الإداريين الذين استضافوا ذلك الذى قالوا عنه إنه عبارة عن ممثلين بريطانيين محترفين فى دراما تجارية) أمراً غير محتمل، كانت تلك اللجنة على الورق

مكونة من عشرة وزراء إقليميين شرقيين، ورئيس (ملك Ooni) الإيف وملك Alake أبيوكوتا Abeokuta، كولا Kola بالوجن Balogun، وماتيو Matthew مبو Mbu، محمد رباط، إينوا Inuwa وادا والمعلم أبى بكر تافاوا باليوا. وسرعان ما خبا نشاط تلك اللجنة، على الرغم من عدم ذبول نفوذها، كان أبو بكر مهتمًا اهتمامًا كبيرًا بالدوافع الشكلية والسطحية لهذه الحركة وبخاصة فيما يتعلق باستعادة الأخلاق ومقاومة الشيوعية، لكن الرجل قَبِل إدراج اسمه من باب الإحسان وتجنب الحرج عن الرفض، ولم يكن ذلك الإدراج عن رضا أو قناعة.

الفصل العشرون

حاكم عام جديد: استمرار الشمال فى المطالبة

تقاتُل الرجال هو الذى ينشئ الصداقة(*)

كانت المشكلات المتعلقة بالنقل الجديد لا تزال تهيمن على أفكار المُعَلِّم أبى بكر تافاوا باليوا وتشغل باله. كان العمل قد بدأ بالفعل فى شق طريق جديد لسيارات الأجرة وبناء صالة سفر جديدة وموقف انتظار فى مطار كانو. يضاف إلى ذلك أن قانون إنشاء مؤسسة الخطوط الحديدية النيجيرية كان يحظى بموالاة الرجل ومساندته له فى مجلس الممثلين (المندوبين)، كما وعد أبو بكر أيضًا وعدًا قاطعًا بالقيام بمسح هندسى لمد الخطوط الحديدية داخل كل من باوتشى وبرنو Borno إلى أن تصل إلى بلدة ميدوجورى Maiduguri. رفض أبو بكر اقتراح المعارضة الذى تقدم به آكنتولا Akintola، ويقضى بتمديد خطوط السكك الحديدية الرئيسية الأخرى، الأمر الذى كان يمكن أن يضيف ١٦٨٪ إلى أطوال الخطوط الحديدية الموجودة حاليًا. قال أبو بكر فى اعتراضه: **"الخطوط الحديدية لا يجرى مدها لإضفاء الأهمية على الأماكن الصغيرة... والطريق الصحيحة هو أن نقوم أولاً بعمل مسح وبحث لحركة النقل وبذلك يمكن اتخاذ القرار الصحيح، ثم نقوم بعد ذلك بعملية متابعة دقيقة لتحديد الخط الحديدى الفعلى المطلوب"**. وأضاف أبو بكر بعد ذلك: "وأنا لا يسعنى الآن إلا الاقتباس عن نائب رئيس

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب من المثل الإنجليزى الذى يقول "العدو الواضح خير من الصديق الزائف" وهو قريب أيضًا من المثل العامى المصرى "ما محبة إلا بعد عداوة". (المترجم)

الجماعة التى كانت فى ذلك الوقت تابعة لرئيس المعارضة المرحوم الرئيس Chief بود Bode توماس Thomas. عندما قال "..... المرفق العام الذى يكون من هذا القبيل يمكن أن يجرى تشغيله على نحو أفضل بناء على أسس شبه تجارية من قبل مؤسسة قانونية بدلاً من الإدارة الحكومية. هذا يعنى أن التشدد والتحكم والسيطرة الشكلية الزائدة عن الحد التى تعد أموراً ضرورية فى الإدارات الحكومية، لا تناسب المرافق العامة التى لا يتعين عليها فقط تقديم الخدمة المطلوبة للجمهور، وإنما يتحتم عليها أيضاً تقديم مثل هذه الخدمة على هدى من خطوط وإرشادات مالية حقيقية. **"وأنا أرى أن هذا الكلام، يحدد دور الحكومة أو مهمتها تحديداً واضحاً"**. هذه الأفكار كانت تفصح عن كل من الحاكم، وزميل السكرتير العام، السكرتير المالى، وكبار المسئولين، لكن لما كان الرجلان مهتمين بالأمر من منطلق أن بود توماس جنوبى، وباعتبار أن أبا بكر مدرساً من أهل الشمال، فقد وجدا أن هذه الأفكار منطقية وتدعو إلى التأمل والاستفادة منها والالتزام بها. كما رفض أبو بكر أيضاً تعديلاً تقدمت به المعارضة يسمح للوزير بإدارة مؤسسة الخطوط الحديدية وتوجيهها، ووجد من المناسب فى هذا الصدد أن يقول: "لدينا فى لغة الهوسا مثل يقول: المارد يقترض فى أغلب الأحيان بنطال طفل كيما يستحم فى النهر" da warkinyaro a kan shiga ruwa (يستطيع المرء الاستحمام فى الماء إذا ما ارتدى سروال الطفل المصنوع من الجلد) ومغزى هذا المثل: هو "أن الكبير يلقى باللائمة على الصغير عندما تنكشف الأمور".

دفاع أبى بكر عن إدارة الأشغال التابعة له، فى مواجهة الرئاسة العامة التى رفض فيها أرميتاج أن يكون مرءوساً لموظف Oficer غير فنى، مما جعله يعود للعمل مهندساً مدنياً فى منطقة الهضبة، هذا الدفاع يكشف عن وثوق أبى بكر بنفسه، وذلك على النقيض من كثير من رفاقه، وهنا يتضح أن أبا بكر لم يكن ممن يعيدون ويزيدون فى الملخصات الوزارية، وعلى سبيل المثال نجد أن أبا بكر يرفض الطلب الذى تقدم به آكنتولا لإنشاء جسر جديد أو نفق لدعم الاتصال بين ليجوس والأرض الأم، من منطلق "أن الاختناق والزحام لا يتكدس على جسر كارتر وحده"، الطريق الرئيسى "أ" يوضح

أن "الإنجازات يمكن القيام بها على الرغم من الصعاب الكبيرة التى يُلقى بها على عاتق العاملين. وهناك مثل يقول: إن العمل المستمر فى ظل غياب اللعب يجعل جاك Jack بليد العقل أو ثخين الدماغ. وأنا أود أن أُذَكِّر المجلس أن القدح فى غياب المدح يحوِّل الوزارة أو الإدارة إلى شىء كئيب".

كانت الحكومة قد وكلت أبا بكر فى توجيه الشكر لرابطة الكمنولث البرلمانية على هدية القضيب الفضى(*) كما تركه كبير الأمناء يحتوى القلعة العسكرية ويدافع عن كل من الأنفاق والقوة العسكرية النيجيرية التى حلت محل قوة الحدود الملكية لغرب إفريقيا. مما لا شك فيه أن الرئيس آكنتولا كان يرغب فى وجود "جيش"، لكنه كان يريد لذلك الجيش أن يكون بسيط الحال وبعيداً عن الأنظار: **"نحن نحبهم، ومعجبون بهم - عندما يكونون على بعد مسافة آمنة منا"**. وهنا نجد أبا بكر يكرر ذلك الجدل القديم السئيم الذى كان يدور فى كل جلسة من جلسات الموازنة عن الحماقة فى تدريب المزيد من الضباط محليًا والنفقات الباهظة المترتبة على ذلك، فى الوقت الذى يعجز فيه أولئك المتدربون عن شغل الأماكن الشاغرة المخصصة لهم فى الكلية الحربية البريطانية Sandhurst، وفى إيتون Eaton هول Hall، وفى المدرسة العسكرية التى فى بلدة تشاى Teshie فى ساحل الذهب، يزاد على ذلك أن أبا بكر ناشد الأعضاء الكبار تعليم الأعضاء الجدد، وناشد الأعضاء الجدد أن يقرأوا محاضر البرلمان القديمة المتوفرة فى المكتبة. وعندما كان أعضاء المجلس يتناقشون حول:

> **"إنفاق نصف مليون جنيه إنجليزى على [القوة العسكرية النيجرية]، يجعل من الصعب على أى إنسان خارج نيجيريا تفهم حقيقة هذا المبلغ ..... سيكون خطأ إذا ما كان لدينا ثلاثة جنود ثم نطلق عليهم اسم جيش. هذا خطأ بحق. لقد استمعت فى هذا**

(*) القضيب الفضى: شىء شبيه بالوسام. (المترجم)

المجلس مرات عدة أننا فى إفريقيا أو بالأحرى نحن فى نيجيريا لا نريد مطلقًا سوى الأفضل. والذى أعرفه الآن يا سيادة الرئيس، هو أن بوسعنا أن يصبح لدينا قلة قليلة من الجنود (مسلحة ربما ببنادق دانمركية) ثم نطلق على هؤلاء الجنود اسم الجيش النيجرى - وهذا من باب الاستهزاء بما يسمى "جيشًا" فى البلاد الأخرى .... الجيش النيجيرى الذى يتكلف نصف مليون جنيه إنجليزى لا يعد جيشًا. ويستحيل على نيجيريا أن يكون لديها جيش بأربعة ملايين جنيه فقط [يصيح صائح، "ليبريا تستخدم المصطلح "جيش"]!- حسن، إذا كنت تريد جيشًا مثل الذى فى نيجيريا، فليعنك الله على ما تريد!".

الجنود لديهم من الأسباب ما يجعلهم ممتنين لذلك الرجل. على الجانب الآخر، عندما انتقل السيد/ جاجا Jaja أنوشا Anucha واشوكو إلى وظيفة رئيس الوزراء، نجد أن زميل الأمين العام هو الذى انبرى للرد على تلك الحجج، وهنا نجد أن أولئك الذين كانوا واقعين تحت سيطرة أبى بكر على المجلس، راحوا يتخيلون أن شماليًا خائب الآمال كان يتمعن فى صمت مسألة ما إذا كان أفضل له أن يكون زعيمًا لفريق كله من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. لكن الرجل أدرك ببساطة شديدة مسألة الحتمية السياسية، كما أدرك ووعى أيضًا مسألة أن تكون وكالة الحاكم مجرد تفسير لذلك الذى كان لا يزال قرارًا من قرارات سيادة مجلس الوزراء البريطانى.

بعد الجلسة المخصصة لمناقشة الموازنة فى العام ١٩٥٥ جرى تقسيم الحقيبة المجمعة تقسيمًا محددًا، ليصبح إينوا Inuwa وادا Wada وزيرًا فيدراليًا للأشغال، الأمر الذى أدى إلى تركيز أبى بكر على مصالحه المتزايدة، تضمنت هذه المصالح تشجيع مدير الطيران المدنى تشجيعًا قويًا فى وزارة مبادوى Mbadiwe، مدير الطيران المدنى هذا هو إريك Eric كولمان Coleman، وقد جرى تشجيعه، كيما يُسَهِّل عملية وجود

خطوط جوية إقليمية شمالية. وقد بدأت هذه الخطوط بطائرة ذات محرك واحد، ثم بطائرة ذات محركين من طراز أوستر Auster. وقد أدى استعمال هذه الخطوط الجوية إلى تقصير الرحلة من أيام إلى ساعات وبخاصة فيما يتعلق بالرحلات والجولات العاجلة التي يتعين على الوزراء القيام بها، وجاء ذلك كله على العكس مما كان ينتظره صغار موظفي الماليات، الذين كانوا يتشككون دومًا في ألاعيب شارود. سميث Smith ـ Sharwood الذي أوحى وسعى إلى إيجاد هذه الخطوط، وكانوا ينظرون إلى هذه الألاعيب باعتبارها نوعًا من التبذير، ولم يعرفوا أن الوقت يحسب بالمال أيضًا. قام مكتب حاكم كادونا بالإشراف على شئون هذه الرحلات، وكان نائب الأمين العام للمجلس التنفيذي، يقوم، في كثير من الأحيان، بعمل الترتيبات اللازمة كيما "يستعير" وزير النقل طائرة من طراز أوستر Auster للقيام بمهام رسمية في باوتشي أثناء اجتماعات الحزب في كادونا.

بعد إنشاء الخطوط الجوية الإقليمية الشمالية بفترة قصيرة، غادر السيرجون ماكفرسن نيجيريا بمناسبة إحالته إلى التقاعد، وسلّم مقاليد منصبه إلى السير هوجو Hugo مارشال Marshall، الذي كان هو نفسه على وشك التقاعد، واستمر الرجل في عمله مدة شهرين باعتباره قائمًا بأعمال الحاكم العام. مارشال هذا، كان من قبل مساعدًا لحاكم الغرب الذي حل محل السير أرثر Arthur بنسون (الذي يجني حاليًا ثمار غضب الروديسيين الجنوبيين البيض بعد أن جرت ترقيته ليصبح حاكمًا لروديسيا الشمالية) في منصب كبير أمناء الاتحاد. ويتقاعد مارشال ويخلفه جرى Grey، الذي خلفه هو أيضًا السيد/ نونز Newns في سكرتارية الحاكم العام ومجلس الوزراء. نونز هذا كان قد تُرك لحال سبيله من قبل جرى Grey نفسه الذي كان سكرتيرًا للتنمية، جرى جلبه خصيصًا إلى مكتب الحاكم العام للقيام بمهمة تقسيم الوظائف المدنية في البلاد وإنشاء المحاكم الإقليمية، كان جرى Grey أيضًا قد مارس منصب زميل السكرتير العام، طبقًا لما أوردناه في الفصل الأخير.

خلف ماكفرسن وراءه مخزونًا كبيرًا من حسن النية الخالصة والإعجاب الحقيقى. ولم يعلن اسم خلف ماكفرسن إلا قبيل إبحاره عائدًا من نيجيريا (كان ماكفرسن قد عُيِّن رئيسًا لبعثة الأمم المتحدة الزائرة لمناطق الوصاية فى المحيط الهادى، يضاف إلى ذلك أن ماكفرسن كان فى غينيا الجديدة عندما وصلته البرقية المرسلة من لينوكس - بويد Lennox - Boyd تعرض عليه ذلك المنصب فى واشنطون). **فى ذلك الوقت كان السير جيمس روبرتسون أصبح سكرتيرًا مدنيًا للسودان، وشخصية رئيسة، فيما أسماه من باب التعاطف، "اندفاع" ذلك البلد نحو الحكم الذاتى اعتبارًا من العام ١٩٥١ (ذلك الاندفاع الذى أملاه وفرضه إدراك الخدمة المدنية السودانية لأهمية إنقاذ الثقافات المختلطة والأديان المختلطة فى السودان من الامتصاص والاستيعاب المصرى، وبخاصة أن وزارة الخارجية البريطانية هى والحكومة الأمريكية كانتا تؤديان مطالب مصر بشكل طبيعى تمامًا)**. بعد التقاعد عُين روبرتسون رئيسًا للجنة التى أوصت بالعودة إلى حكومة دستورية عملية فى جيانا Giana البريطانية. كان روبرتسون على وشك، أن يصبح بمثابة لجنة مكونة من شخص واحد، تكون مهمتهما إنشاء خدمة مدنية مركزية موحدة لاتحاد البحر الكاريبى، لكن السيد/ لينوكس - بويد استدعاه إلى إنجلترا بعد أن رفض المعينين الآخرين، بما فيهم الأسماء السياسية المُفزعة، وعرض عليه عقدًا مدته ثلاث سنوات يكون بموجبه حاكمًا عامًا لنيجيريا.

حصل روبرتسون على موافقة زوجته على العرض الأمر الذى دعاه إلى إعطاء موافقته النهائية بقبول العرض. من يمن طالع هذا الرجل أنه كان مُلمًّا بالأفارقة وبالإسلام، فضلاً عن أن سجل عمله الإدارى الطويل كان مشكورًا وحميدًا. كان الرجل أكثر إلمامًا أيضًا بوزارة الخارجية التى لم تفهم الإدارة أو خصائص الحكم، وتركت شئون السودان الداخلية فى أيدى خدمته المدنية، بدلاً من تركها للمكتب الاستعمارى، الذى كان يشعر بحساسية شديدة ناحية البرلمان، وكان يغلب عليه تقديم النصح

والإرشاد فى المسائل التى كانت تشغل بال الكثيرين من أعضاء البرلمان المتيمين بتقديم الاستجوابات. كان روبرتسون (على حد قول المستشار السياسى الرئيسى Sardauna) رجلاً كبيراً، سلس الكلام، واثقًا بنفسه، ولا يميل إلى العظمة أو الأبهة، وصاحب نكته وفكهًا إلى حد بعيد. غنى عن القول: إن الرجل كان أسكتلنديًا. قال المعلم أبو بكر إلى سكرتيره الخاص الجديد، وهو رئيس حى إدارى آخر من باوتشى: "خبرنى، يا سيد هوالى Whalley، **يقول لى القائم بعمل الحاكم العام إننا لابد أن يجىء إلينا جيمس روبرتسون. هل هناك قاعدة فى وزارة المستعمرات تنص على أننا لابد أن نُحكم بواسطة الأسكتلنديين؟ وهل سيتحدث ذلك الرجل الإنجليزية؟**".

قبل قيام السير جيمس James روبرتسون برحلته إلى ليجوس بوقت قصير، كانت بريطانيا قد عرضت نزاعها مع كل من شيلى والأرجنتين، على السيادة على جزر الفوكلاند Falkland على المحكمة الدولية فى لاهاى، لكن أحداً من الدولتين المدعيتين لم يوافق على تقديم دعواه. كان السير ونستون تشرشل، فى شيخوخته، قد تخلى عن منصب وزير صاحبة الجلالة الأول وخلفه السير أنتونى Anthony إيدن فى هذا المنصب، ومعروف أن إيدن كان وليًا للعهد فى هذا المنصب الذى كان ينتظره منذ زمن طويل. كان إيدن يشعر بالرضا وهو يرى أن الحزب الأطلسى الشرق أوسطى، أو إن شئت فقل: "الحلف المركزى Cento قد تأسس ومكن بريطانيا من الوصول إلى حزب بغداد المبرم بين تركيا والعراق، على الرغم من خيبة أمل إيدن نتيجة ابتعاد الدول الغربية مثل مصر، وإيران، والأردن، وباكستان عن ذلك الحزب، ومع ذلك جرى الترحيب بألمانيا الغربية عضواً فى حلف شمال الأطلسى، وذلك فور إنشاء الكتلة الشرقية لحلف وارسو. بمناسبة الانتخابات البريطانية العامة، التى زاد بها المحافظون أغلبيتهم، قال أبو بكر تافاوا باليوا، ذات صباح لسكرتيره الخاص بعد الاستماع إلى نشرة الأخبار: "**الأخبار طيبة، يا سيد هوالى Whalley، لقد كسبنا تسعة وخمسين مقعداً** أزيد من الآخرين!" تشكيل الحكومة الجديدة كان يعنى أيضًا أن وزارة المستعمرات كان بوسعها

تقديم المستندات التى كانت تختزنها إلى مجلس الوزراء من جديد. وعقب ذلك مباشرة شكل أنتونى إيدن لجنة خاصة بالشئون السياسية الاستعمارية وتابعة لمجلس الوزراء، على أن يتولى اللورد رئيس المجلس رئاسة كل من وزير المستعمرات، ووزير الكمنولث ووزير الخارجية ووزير الدفاع. وجرى ندب كل هؤلاء للقيام باللازم نحو الإمبراطورية الاستعمارية المتوقفة من ناحية والتخلص من المتخلفات والفُضالة. لم يحدث مطلقًا أن لاحظ أحد الدور الذى قامت به هذه الشخصيات بعد ذلك، فيما يتصل بتنسيق السياسة المتفق عليها وتوجيهها، وهذا يعنى أن هذه الشخصيات لم تقم بالدور المطلوب منها.

تُوّج وصول السير جيمس روبرتسون بأداء القسم أمام المحاكم القانونية، وكان فولى Foley نونز Newns هو الذى يقوم بتلاوة القسم على الملأ. لم تكن رحلات التعرف الباكرة التى قام بها الرجل فى سائر أنحاء ليجوس والأقاليم الأخرى عذرًا ينتحله السياسيون أو الموظفون المدنيون لأنفسهم كيما ينتظروا ليروا التغييرات التى يود الرجل فرضها عليهم، جرى أيضًا طى الكثير من البواعث والمنعطفات. أقر السير جيمس ووبرتسون أيضًا أن الشمال النيجيرى، شانه شأن السودان، لم يكن مستودعًا للمتعلمين من الذين لا يعملون فى الخدمة المدنية، وبذلك يكون الشمال على العكس من الجنوب (والهند) اللذين كان فيهما بالفعل بعض المتعلمين المتشوقين الذين يتحينون الفرص. والذى أدهش السير جيمس روبرتسون بحق، هو أن الرجل كان يعلم جيدًا أنه ربما كان آخر حاكم عام لنيجيريا، كما اندهش الرجل أيضًا لأن السياسيين المسئولين كانوا قد وضعوا حرية التصرف أدراج الرياح فى السودان، واندهش الرجل أيضًا من ناحية ثالثة من قلة عدد كبار المحترفين النيجيريين الذين يعون مسألة تقسيم السلطات بين الاتحاد الفيدرالى والأقاليم فى إطار التنظيم الجديد، أكثر من ذلك أن الرجل اندهش أيضًا لقلة عدد المناصب الكبرى التى يشغلها النيجيريون. كان ذلك كله واضحًا وجليًا فى تلك المناطق الرئيسية بصفة خاصة، التى لم تكن فيها المجالس المستقلة التى

تضم ممتحنين محترفين معترفًا بهم دوليًا، تقر أو توافق على المؤهلات المقدمة لشغل هذه المناصب، أو إن شئت فقل: مناصب الإدارة، والشرطة، والتعليم والجيش.

وسرعان ما يقوم السير جيمس روبرتسون بتقديم نفسه إلى كير Kerr بوفل Bo-vell، المفتش الشرطي العام، الذى كان قد وصل مؤخرًا قادمًا من الملايو التى كان يشغل فيها منصب كبير مساعدى المفوض الشرطي العام، كما قدم روبرتسون نفسه أيضًا إلى القائد العام - الذى كان لا يزال غارقًا فى المحلية - الذى كان يحس بأنه جزء من أسرة عسكرية فى غرب إفريقيا، فضلاً عن أن ضباط هذا الرجل كانوا من الناحية الاجتماعية يؤثرون الابتعاد عن الإدارة المدنية.

كان النقاد يحبذون، فى ظل الإدارة الواضحة، الاتهام الذى مفاده أن وزارة المستعمرات هى والإدارات المحلية نفسها كانت تنظر إلى مسألة حماية شروط الخدمة هى والآمال المرتقبة المعلقة على حياة المغتربين العملية، باعتبارها أولوية أولى. ومع ذلك كان للدفاع مبرراته أيضًا، وهى أن هؤلاء الذين يعدون أنفسهم مسئولين أمام الرأى العام العالمى عن رفاه الملايين من الأفارقة الواقعين تحت صولجان وزارة المستعمرات والإدارات المحلية، أكثر من مجرد مسئوليتهم عن بضعة آلاف من السياسيين والموظفين المتعطشين للصعود والترقى على حساب الملايين من إخوانهم المواطنين، هؤلاء تحركوا طلبًا لراحة تلك الملايين واستقرارهم وليس بدافع من طلب الرضا أو القوة الانفعالية لتلك الآلاف القليلة. هناك مُسلَّمة قوية أخرى مفادها أن هؤلاء المسئولين، بغض النظر عن مسألة الأبوة، كانوا معنيين أيضًا بآمال العاملين الوطنيين وأحوالهم طويلة الأجل. يزاد على ذلك، أن كبار الموظفين الحاليين هم ونقاط ضعفهم كانوا معروفين للجميع، كما أن من سيحلون محلهم، قد يكونون هم أيضًا كمًا مجهولاً، وبخاصة إذا ما تمت عملية الإحلال هذه على عجل وبدون تدريب أو تلقين لمهام الوظائف الكبرى، لكن على أن يكون ذلك فى ظل ضمانات قد تستمر على امتداد عقود من الزمان أو من خلال استمرار وظيفى مستقبلى آمن. كان السير جيمس روبرتسون واعيًا للأخطار الجسيمة، لكن الشىء العجيب، أن الصبى العجوز خريج مدرسة قلعة

ميرشيستون Merchiston، كان أكثر حرصًا من سلفه الواتسونى Watsonian، على الرغم من أنه مثل سلفه لم يتح لنفسه الوقت الذى يمكنه من إقامة ارتباطات عاطفية. كانت مشكلة السير جيمس روبرتسون الأولى تتمثل فى إحداث نوع من المصالحة بين الحاجة إلى توطين الخدمة المدنية الفيدرالية التى جرى فصلها مؤخرًا، والتى عزلها رالف Ralph جرى Grey عزلاً كاملاً فى مهامه الخاصة، وبين المشكلات المصاحبة لعملية دعم الخدمة المدنية ومساندتها فى جنوبى الكاميرون التى جرى فصلها حديثًا من ناحية، والمحافظة من ناحية ثانية على العلاقات والروابط مع الشمال الذى حصل مؤخرًا على الحكم الذاتى، وأيضًا على العلاقات مع الخدمة المدنية فى كل من شرقى نيجيريا وغربها (وذلك من باب التحسب لانجراف أحوال تلك الخدمات المدنية وأمالها إنجرافًا يصعب الرجوع فيه أو معالجته)، فضلاً عن إحداث نوع من المصالحة فى مسألة تنفيذ قرار جورستش Gorsuch، الذى جرى نشره مؤخرًا، فى بنى هذه الخدمات المدنية الخمسة. لم يقر جورستش أو يعترف بأن السلطات التى جرى سحبها من ليجوس كانت تهدف إلى التقليل من شأن أولئك الوزراء الذين ليست لهم مسئوليات فدرالية واسعة على السلطات الإقليمية. أدى الحكم الذاتى الحقيقى الذى أصبحت الأقاليم تتمتع به فى الوقت الراهن، إلى نشوء بعض الاختلافات السريعة التى أصبحت من بين مشكلات أبى بكر طوال المرحلة الثانية من ذلك التغيير، وهذا هو السبب وراء إدراج بعض المقطوعات الخاصة، بأحزان البيروقراطيين، فى هذا الفصل، وفى فصول تالية، والتى يعدها المؤرخون السياسيون نوعًا من الإزعاج الذى لا صلة أو علاقة له بالموضوع.

إعادة التنظيم البيروقراطية بكل أنواعها، والتى تهدف إلى تطوير الاقتصاد، وزيادة الكفاية وإحداث استجابة سريعة لنزوات المطالب الشعبية والسياسية يغلب عليها فى معظم الأحيان أن تسفر، بدلاً من ذلك، عن تطويرات توسعية وسريعة. تناول البودنج يثبت فى معظم الأحيان أن الأفراد لا يقومون بعمل أفضل نتيجة الترقى

والحصول على تعويض أفضل، وذلك بغض النظر عن الحافز النظرى المخصص لمن سيحلون محلهم أو يأتون بعدهم. والمعروف أن جورستش Gorsuch هو وفريق العمل التابع له، استطاعا أن يقدما للحكومة البريطانية بنية Structure مألوفة، ومنطقية ومعقولة. كانت تلك البنية غريبة على الرجال، سواء أكانوا مواطنين أم مقيمين، الذين درجوا منذ توظيفهم على تقسيم أفقى واحد بين الوظائف العليا (التى يُنْتظر للنيجيريين توليها، عندما تصبح لديهم مؤهلات المقيمين الشاغلين لهذه الوظائف) والوظائف المحلية الصغيرة، كما درجوا أيضًا على تقسيم رأسى آخر بين الأدغال والسكرتارية. كان هناك أيضًا خطأ التضخم الناجم عن تمثل عنصر إغراء المقيمين وامتصاصه فى سائر مربعات الإدارة والوظائف العليا (أو إن شئت فقل "الإدارة العليا" حسبما هو وارد فى الفصل الأخير من هذا الكتاب)، التى أعطت الكثير من الشبان، الذين تحصلوا على ترقيات سريعة فى مجرى صغير، مرتبات تصل إلى أضعاف الرواتب التى يحصل عليها نظراؤهم فى الأماكن الأخرى التى تنطوى مجاريها المائية الأكبر على التنافس والمنافسة. وقد أدى " التركيز المستمر" على مرتبات السياسيين، ومن ثم التركيز أيضًا على المكافآت التجارية، إلى إحداث فجوة بين الرؤساء والمرءوسين، الأمر الذى أدى، طبقًا لتوقعات ماكفرسن، إلى إحداث أضرار معنوية يتعذر إصلاحها.

ظن الشمال بقيادة كل من شارود ـ سميث وجيلوم Guillum سكوت، أن مقترحات جورستش تعد نوعًا من المغالاة، لكنه سلّم بتلك المبادئ وقبلها: "منحة شارود" (أى قائمة تنظيم تقاعد الحاكم وترقيته) التى ترمى إلى التأكد من حصول موظفى الغابة على نسبة من مناصب الترقيات لا تقل عن تلك النسبة التى يحصل عليها أهل كادونا، وفى الوقت نفسه شجع جيلُّوم على رواج فكرة لا تتفق مع ما تم الاتفاق عليه، مفادها أن بعض السكرتيرين الدائمين كانوا لا يتساوون مع وزرائهم، وأسس الرجل إطارًا أدنى من الإطار السابق، يضم الشخصيات قليلة الأهمية. كان هم وزراء الشمال الأول

يتمثل فى قناعتهم بأن اللجنة الاستشارية الجديدة للخدمة العامة لا تخول الممثلين المقيمين أية سلطات مخافة أن يستغل أولئك الممثلون المقيمون تلك السلطات ويقومون بتعيين الجنوبيين، وتحتم على اللجان الاستشارية الإقليمية إرسال توصياتها بشأن أصغر الوظائف التى جرى إنشاؤها فى لجنة السكرتيرين الخصوصيين فى كادونا. كان الدكتور آزكوى فى شرق نيجيريا الفقير الذى لا يقوى على دفع الضرائب، نزَّاعًا إلى الإبقاء على المراتب الوزارية فى مستوى منخفض، والتعامل مع الآلة المركزية باعتبارها سكرتارية استعمارية موسعة وليست إفريقية من الوزارات الانتقالية، كان لذلك التصرف مغزاه من الناحية الاقتصادية، لكنه تزامن مع فرض خط متشدد على مقترحات أجور المغتربين والمقيمين ("الزيادة المغرية")، وانكماش متعمد فى أهمية العمل فى الغابات، الأمر الذى شجع الكثيرين من موظفى الشرق فيما وراء البحار، على التقاعد من وظائفهم قبل الأوان المحدد لذلك. من ناحية أخرى، نجد أن تلك الزيادات التى طرأت على الرواتب أدت أيضًا إلى زيادة رواتب المشرِّعين، "طلبًا لإحداث نوع من التوازن"، كما أدت أيضًا عن طريق زيادة المعاشات فى كل من الشرق والغرب إلى زيادة الإقبال على مسألة قبول "مبلغ التعويض النهائى". ويستمر الغرب النيجيرى فى تنفيذ العملية التى ابتدأها حزب جماعة العمل، والتى تقوم على وزارات كاملة ولجنة للخدمة العامة، وتحويل الإدارة الإقليمية إلى مفتشية حقيقية ومصدر للحصول على كتبة المجلس الإقليمى المطلوبين لوزارة الحكم المحلى، كما واصل الغرب أيضًا حملته القاسية التى لا تعرف الرحمة، على النصوص الدستورية الخاصة بالمحليات. وافقت الخدمة الفيدرالية إلى حد كبير على مقترحات جورستش Gorsuch، لكنها تراجعت عن التنفيذ الكامل على أمل أن تهدأ التنقلات والتحركات، التى لم تكن خاضعة للسيطرة المركزية فى ذلك الوقت، وبخاصة أن كثيرًا من الموظفين النيجيريين كانوا يسعون، عن طيب خاطر، إلى النقل إلى مناطق المراعى الغضة فى مواطنهم، كما كان كثيرون من النيجيريين يهربون من التمييز العنصرى فى المناطق التى كانوا يجدون أنفسهم فيها مستهدفين، كانت هناك أيضًا ضغوط معاكسة قادمة من موظفين

فيما وراء البحار، جرى حرمانهم من الترقية فى مواطنهم بسبب انتقالهم إلى بيروقراطية ليجوس الآخذة فى التوسع، والتى شاعت فيها أيضًا مسألة الترقية قبل إنهاء المدة المحددة.

أقر الجميع بحتمية زيادة حصة الشماليين فى ليجوس، لكن المعلم أبا بكر لم يكن فى وضع يسمح له فى تلك الظروف السائدة آنذاك، بالتلميح بذلك إلى السير جيمس، أو إلى كبير الأمناء أو حتى السكرتير الإدارى (ليسلى Leslie جوبل Goble، الذى أنشأ هذه الوظائف فى أول الأمر) بالأماكن التى يمكن أن يجىء منها شاغلوا هذه المناصب، ومتى يكون المستشار السياسى الرئيسى بحاجة ماسة إليهم فى كادونا. جاءت مسألة استقالة المعلم يحيى جوساو، الذى آثر الاستقالة من مجلس الممثلين، الذى جرى مؤخرًا إعادة انتخابه فيه مرة ثانية، جاءت هذه المسألة بمثابة أقل حد ممكن من العزاء لأبى بكر تافاوا باليوا، لكنه كان عزاءً يبعث على السعادة، فقد استقال يحيى جوساو من مجلس الممثلين ليصبح مسئولاً حكوميًا عن التعليم، ذلك المنصب الذى لم يدم لهذا الرجل سوى ثلاثة أشهر فقط جرى تعضيده بعدها ليصبح عضوًا ذا شأن فى لجنة الخدمة العامة الفيدرالية: هذا يعنى أنه على الرغم من قلة عدد الأصدقاء الشماليين من ذوى الميول والمشارب المتقاربة، الذين يعيشون بصفة دائمة فى ليجوس، فإن المعلم أبا بكر كانت تربطة علاقة وثيقة وخاصة، بمعدل مرتين أو ثلاث مرات كل أسبوع، مع رجل عاقل وحكيم لم يعد بعد مقيدًا بقيود الساسة والسياسيين. كانت المسألة التنسيقية الأقل إزعاجًا للحاكم العام الجديد تتمثل فى إقناع الرجل لنفسه أن الزيارة الملكية، التى كانت محل أخذ ورد من قبل الوزارة والقصر قبل أن يغادر بريطانيا، يمكن أن تحظى بالترحيب من قبل نيجيريا، ولا يترتب عليها إشعال نيران الحقد ضد كل من نيكروما أو أردن – كلارك Arden - Clarke فى ساحل الذهب.

عقب وصول روبرتسون مباشرة أولى الرجل مسألة إنشاء مجلس اقتصادى وطنى ومجلس وطنى للموارد الطبيعة تشجيعًا كبيرًا. وجرى أيضًا تشكيل لجنة من الوزراء

برئاسة السكرتير المالى، الذى كان إلى العام ١٩٥٧ الميلادى نائبًا لألجار Algar روبرتسون Robertson (السكرتير المالى الدائم)، والذى كان جورج George كارلايل Carlyle "قائمًا بعمله بصورة مؤقتة". كانت مهمة هذه اللجنة تتمثل فى تحويل المقترحات المتضاربة فى الوزارات الفيدرالية كلها إلى خطة تنموية متناغمة ذات قيمة، لكن وزير النقل لم يكن عضواً فى تلك اللجنة. كما جرى رفض العرض الأول الذى تقدم به هذا الوزير لتمويل مد الخط الحديدى إلى الشمال الشرقى، الذى سبق أن تقدم به شتيما Shettima كاشيم وراح يسعى من أجل تنفيذه. ويعقد المعلم أبو بكر اجتماعين مع جورج كارلايل فى محاولة منه لتغيير قرار اللجنة ورأيها أو إيجاد مصدر آخر للتمويل، لكن الرجل ينفد صبره فى الاجتماع الثانى بسبب الإحباط وخيبة الأمل. كانت شكوك أبى بكر الأزلية فى السكرتيرين الماليين السابقين هم وألجار Algar روبرتسون حول مسألة الاحتياطيات الفيدرالية، ذلك السور الذى ربما كان محمد رباط Ribadu الوزير الوحيد من بين وزراء الفترة الاستعمارية، الشخص الوحيد الذى استطاع اختراقه بفعل ذكائه المالى. كان ذلك السور يهدف إلى إخفاء المبالغ إلى أن ينضج الوزراء تماماً بفعل الخبرة والمسئولية الأمر الذى يمكن أن يعصمهم من الانغماس فى مرض الإسراف والتبذير. وسواء تعلم الوزراء أو لم يتعلموا هذا الدرس، فإن خطة التنمية كانت بمثابة الفرصة التى مكنت كارلايل من اطلاع الوزراء على الحقيقة، لكن أبا بكر، بحكم كونه خارج تلك الدائرة السحرية، كان يغلب عليه الظن (وبخاصة أنه سبق له أن شكك فى أدلة الجيولوجيين) أن الحقيقة الكاملة يجب أن تكون أكبر من ذلك بكثير، وقد جاهر الرجل بذلك فى مجلس الوزراء أثناء اجتماعه. رفض أبو بكر التصديق على الموازنة حتى بعد مراجعتها ومراقبتها. وهنا يقوم السير جيمس بعرض حل وسط مفاده إضافة تمديد الخط الحديدى على شكل ملحق لخطة التنمية، بحيث يجرى تنفيذه فى حال توفر الأرصدة اللازمة لذلك، وبذلك يكون السير جيمس قد أحيا من جديد شكلاً من أشكال ملحق التقديرات العقيم "T" الذى سبق الإشارة إليه فى

الفصل السادس عشر. وفى شهر أبريل من العام ١٩٥٦ أصبحت وزارة المستعمرات Colonial Office مشغولة بمسألة توفير التمويل المطلوب للخطة بكاملها، ونظرًا لأن الوزارة كانت تسعى لإقناع البنك الدولى لتقديم قرض لبعض المشروعات فى إفريقيا، فقد راحت تلقى الضوء على وصلة السكك الحديدية الواردة فى ذلك الملحق.

كان افتتان وزير النقل بالآلات الهندسية قد تحول فى ذلك الوقت إلى خطه الحديدى. كانت الخطوط الحديدية الحكومية، قد أصبحت مؤسسة بعد تمرير القانون، كما أصبح رالف Ralf إميرسون Emerson رئيسًا أيضًا ومديرًا عامًا لتلك الهيئة. كان أبو بكر يرتبط بعلاقة عمل طيبة مع هذا الصاحب القديم، الذى ترك انطباعًا لدى الكثيرين بأنه رجل غضُوب. لم يدرك أحد أن الرجل كان يطور ذلك الذى ثبت مؤخرًا أنه ورم عضال فى المخ. دعى أميرسون وزيره لتناول العشاء ذات ليلة، وأجلسه بجوار المشرفة على مدرسة التلغراف اللاسلكى. وخلال الحوار الاجتماعى الذى دار بينهما سألت أبا بكر عما يقرؤه فى ذلك الوقت. وجاء الرد على عكس ما كانت تنتظره تلك المشرفة: Das Kapital.

كانت بعثة البنك الدولى قد سلمت مؤخرًا تقريرها الخاص بالتنمية الاقتصادية المستقبلية فى نيجيريا؛ يرى (البعض) أن هذا التقرير، كان يشير إلى انتظار الكثيرين من مموِلى الضرائب كما كان التقرير يعلق آمالاً كبارًا على استعداد قلة قليلة من الحكام المحليين والوطنيين، لمواجهة التحديات النقدية والائتمانية بطريقة عقلانية. وعلى الرغم من هذا التشكك، فإن الثلاثى المتباين المكون من أبى بكر، وأميرسون Emerson وفارفيل Varvill، ومعهم المتخصصون الماليون والاقتصاديون فى خلفية المشهد، بعد أن لحقوا برغبة وزارة المستعمرات فى تحقيق بعض الإنجازات، استطاعوا إقناع البنك الدولى "بتخصيص" المبلغ المطلوب لتنمية خط السكك الحديدية، الذى سبق أن وعد الوزير به كلاً من تافاوا باليوا، باوتشى – ميدوجورى Maiduguri: وقد أصبح ذلك الخط واحدًا من التوسعات الرئيسية فى الخطوط الحديدية التى نفذت فى العالم بعد الحرب العالمية الثانية.

كان هؤلاء الذين يؤمنون بمرونة النقل البرى، وبخاصة مهندسوا تنمية ما بعد الحرب، لا يزالون يتشككون فى اقتصاديات مشاريع السكك الحديدية، لم يصدق أحد منهم اعتقاد أبى بكر الراسخ الذى مفاده أن منظومة السكك الحديدية الجيدة، التى تستخدم فى النقل من الطرق الرئيسية، تعد أكفأ وسائل النقل أو سبله من مناطق شرق الفول السودانى إلى الموانئ، وأن مرور الخط المقترح عبر بلدة تافاوا باليوا كان بمثابة المصادفة السعيدة ولم تكن عاملاً من العوامل المُسَبِّبة. وقد آثر أبو بكر السفر بالقطار عندما ذهب لحضور حفل التنصيب الرسمى من قبل حاكم الشمال لأمير باوتشى الجديد، وقد حضر سلطان سكتو Sokoto ذلك الحفل أيضًا. وكعادته لم يطلب أبو بكر حجز صالون خاص له على القطار، باعتبار أن ذلك امتيازًا من امتيازات الرجل، وإنما اكتفى بحجز كابينة على القطار المعتاد الذى يقف على محطات بعينها. وتصادف سفر نائب الرئيس المشرف، على القطار نفسه، بل وفى العربة نفسها إذ كان قائمًا بعملية تفتيش باعتباره الرجل المسئول عن القوة المحركة. فى المسافة ما بين أوجنشايل Ogunshile وإلوجن Ellugun توقف القطار وقفة ارتجاج واهتزاز فى شمس عصر ذلك اليوم القاسية، وهذا أمر عادى عند المسافرين العاديين. ويتوجه الخبير إلى الجرَّار ليكتشف أن جهازى حقن الماء إلى الغلايات قد توقفا، ويمضى الخبير حوالى عشر دقائق، عامرة بالقلق فى محاولة منه لإصلاح جهاز من الجهازين، وهو يراقب مرايا الضغوط، لكن الرجل فشل فى مهمته شأنه شأن السائق الذى سبقه. أطفئت نار القطار، وقام الحارس بالاتصال بإيبادان Ibadan عن طريق وصلة تليفون طوارئ القطار بالأسلاك العلوية. ويعود الخبير بعد ذلك، ويطرق باب العربة الموجود فيها الوزير، ويشرح له أن العطل لا علاج له ولا يمكن إصلاحه، كما شرح الخبير أيضًا لأبى بكر موضحًا أن القطار محمى بمفجرات على السكة الحديد من الأمام ومن الخلف أيضًا، كما أوضح الخبير أيضًا أن قطار النجدة القادم من إيبادان سيصل عند الساعة كذا، وأنهم سيصلون إلى إيبدان فى الوقت الفلانى. ويعتذر الخبير بعد ذلك

عما حدث. ويقول له أبو بكر: "**شكرًا، يا سيد جاكل، هذا أمر غير مهم. نحن لسنا على متن طائرة**".

كانت احتفالات باوتشي عامرة بالسعادة على الرغم من الاكتئاب القديم الذى أصاب محيط أبى بكر التعليمي والذى مفاده أن مبانى المدرسة المتوسطة الجديدة التى لم يمض عليها عشر سنوات أصبحت بحاجة ماسة إلى مبلغ ضخم يقدر بحوالى عشرة آلاف جنيه إنجليزى لاستعمالها فى إصلاح المدرسة وترميمها. كان همفرى Humphrey جيل Gill الممثل المقيم، قد ابتسمت له الأيام، عندما تهيأت له فرصة الانضمام إلى همفرى Humphrey توبر Tupper كارى Carey، أحد رؤساء الأحياء الكبار المتقاعدين، والذى أُعيد استخدامه من جديد ليكون مسئولاً عن الغابة وقيِّمًا غير رسمي على مسألة الصيد، فى مسألة تقييم تباين الحياة الفطرية حول مستجمع يولى Yuli الغابى وداخله فى منطقة دوجورى Duguri، التى طاف حولها قبل عامين كل من الأمير الجديد وضابط (رئيس) الحى السابق، لم يكن ذلك المستجمع قد عُرف بعد باسم يانكارى Yankari. كان أبو بكر يتشكك فى مسألة المحافظة على الصيد من أجل خاطره هو شخصيًا (فقد سبق لرئيس الحى أن قال بعدم وجود حيوانات الصيد بأى عدد من الأعداد)، يضاف إلى ذلك أن رئيس الحى لم يكن يتوقع أو ينتظر مجىء السائحين الدوليين إلى هذه البرية النائية، طلبًا للإثارة أو المتعة. كان أبو بكر مهمومًا فى المقام الأول بالاجتماع غير الرسمى لرؤساء الشمال كلهم والذى كان السلطان ينادى ويطلب بانعقاده فى كادونا فى أوائل شهر يونيو من العام ١٩٥٥ الميلادى.

حدث بعد الجلسة الأخيرة من جلسات المجلس التشريعى الشمالى، اجتماع خاص لكبار الرؤساء Chiefs ناقشوا فيه الاتجاه الجديد الذى يأخذ الدستور نيجيريا إليه، وناقشوا بصفة خاصة أيضًا مسألة ما إذا كان المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى يتوليان بالفعل قيادة إقليمهما. وجرى

أيضًا التصويت على منح السياسيين زيادات سخية فى رواتبهم، وقد شملت هذه الزيادة الرؤساء الذين فى المجلس التنفيذى، والذين لم تجر استشارتهم حول هذه الزيادات، ولم يكونوا بحاجة إليها (وقرر البعض منهم التبرع بتلك الزيادات على سبيل الخير والإحسان). كان رئيس الوزراء قد أحرج التقدميين فى مناجاة حامية فى المجلس التشريعى دعا فيها إلى استئصال اللصوص والقضاء عليهم، وعلى العبودية وتجار العبيد. (وأردف قائلاً: Akwai su Kuma بمعنى "وهم موجودون لدينا")، كان رئيس الوزراء قد ضايق أمير كانو وأزعجه أيضًا عندما قام بالتفتيش على حرس الشرف الخاص المكون من الشرطة المحلية والموجود عند مدخل القصر الملكى. وهنا أدرك كثير من الأمراء، وليس مجرد الوزراء المفوضين وحدهم، أن الأحداث بدأت تقلل من شأن مناصبهم، إلى حد أنهم لم يعودوا قادرين على القيام بمهامهم الدينية التى ورثوها عن أهليهم تجاه شعوبهم، هؤلاء الأمراء والوزراء أدركوا أن السياسيين الجدد كانوا يناضلون من أجل إثبات وجودهم أمام الفلاحين فى تباه شبيه بتباهى المستشار السياسى الرئيسى Sardauna (الذى كان يفعل ذلك بحكم مولده): ومع ذلك كان الفلاحون، فى رأى السياسيين، لا يزالون يتطلعون إلى رؤسائهم Chiefs الحقيقيين، بل والأسوأ من ذلك، إلى ضباط الإدارة المحلية الذين يعرفونهم حق المعرفة، طلبًا للنصح والإرشاد. يزاد على ذلك أن الرؤساء كانوا يترددون بطبيعة الحال فى الإعراب عن آرائهم الحبيسة فى صدورهم، فى إطار ذلك الجو المصطنع، إن لم يكن مجالدًا(*)، داخل مجلس الرؤساء، (أقر شارود – سميث أن ذلك التردد كان أكثر حرجًا وانتقادًا من الحرس الجديد، الذى لم يصدق أفراده أن الرؤساء يمكن أن يلعبوا دورًا فعالاً فى نيجيريا المستقبلية)، لكن إذا ما نحينا هذا جانبًا نجد أن السلطان، أولاً وقبل كل

(*) مجالد: أى يتطلب القتال حتى الموت. (المترجم)

شيء، كان عضواً مشاركًا مع رئيس المجلس التنفيذى التابع للحاكم، هذا يعنى أن السلطان لا يستطيع أن يدير نقاشًا مناسبًا عن مكانة رفاقه من الأمراء، أو عن مشكلاتهم أو مشكلات الإدارات المحلية التى يترأسونها، دون أن يكون هذا النقاش علنيًا، حتى وإن كان مجلس الرؤساء تحت رئاسة حاكم يتعاطف مع هؤلاء الأمراء.

كان السلطان قد هاتف ذلك الحاكم فى كادونا ليقول له: إن الرؤساء كلهم فى المجلس التنفيذى يودون التحدث معه. قال السلطان: إن الرؤساء **Chiefs** منزعجون من تهديد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وتخويفه للمحاكم المحلية وتدخله فى أمور الإدارة المحلية، لا عن طريق الوزراء غير الناضجين الاحتماليين وإنما أيضًا عن طريق الشبان المتطرفين فى الحزب، الذين كان البعض منهم أعضاء سابقين فى حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى. وعلى الرغم من أن هؤلاء الرؤساء كانوا أعضاء فى الحكومة، فإنهم لم يحضروا سوى ما يطلق عليه الاجتماعات المهمة، وكانت الأمور فى أغلبها تمر دون الرجوع إليهم بشأنها أو إشراكهم فيها. كان الرؤساء **Chiefs** الذين لا يتحدثون الإنجليزية يعتمدون على الكتبة السريين الذين كانوا بدورهم بعيدين عن الحديث السياسى الذى يجرى فى المؤتمر الحزبى الذى كان انعقاده يسبق تقديم الأوراق الرسمية، فضلاً عن أن هؤلاء الكتبة أنفسهم لم يكونوا قادرين على القيام بمثل هذا العمل أو أهلاً له. لم يكن هؤلاء الكتبة قادرين على إعطاء الموافقة القاطعة، فضلاً عن عجزهم عن مواصلة القيام بعملهم. ترى، ماذا يحدث لو استقال هؤلاء الكتبة؟ يزاد على ذلك أن رفاقهم من الرؤساء الذين لم يكونوا أعضاء فى المجلس التنفيذى بدأوا يفقدون ثقتهم بأولئك الكتبة – كان شارود – سميث قد أخبرهم بعدم رفع أيديهم إلا بعد أن ينتهى من كلامه مع المستشار السياسى الرئيسى **Sardauna**. كان شارود – سميث، هو وموظفوه المدنيون يقرون ويعترفون أنه بغض النظر عن الحوار والنقاشات السياسية فإن المستشار السياسى الرئيسى **Sardauna** بصفته رئيسًا للوزراء قد

يوافق بصفة خاصة مع السلطان وأمير كانو على مناقشات المجلس التنفيذى وحواراته جميعها تحت رئاسة الحاكم التى كانت تضم هذه الشخصيات ومعها أيضًا أمير زاريا وملك Aku وُكارى Wukari، وأن كل هذه الموافقات لم تكن سوى اعترافات رمزية بحقوقهم الدستورية فى أنهم وزراء مفوضين أو إن شئت فقل: وزراء بلا وزارات، عكست هذه الشكوى رأيًا واسع الانتشار مفاده أن رئيس الوزراء رجل عقد العزم وتقرر له أن يحكم الشمال كله، مستفيدًا من الحكام التقليديين كلهم من منطلق أنهم أدوات أو وسائل ليس إلا، وبخاصة أن قلة قليلة من التقليديين أو إن شئت فقل: مؤيدى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تجارأوا على انتقاد هؤلاء الحكام التقليديين وتحديهم. لم يكن ذلك ناتجًا فقط عن إقحام المسئولين الإداريين الكبار أنفسهم فى الأمر، أو إقحام الساسة الشبان أنفسهم فى الأمر، الذين اكتشفوا أن الصراع مع السياسيين قليلى الخبرة ومع الطفيليين المحيطين بهم، أمر يصعب التكهن به أو إدراكه سلفًا، نظرًا لأن الصراع كان أمرًا منشودًا بحق وحقيقة، ظن بعض الرؤساء، ومعهم أيضًا بعض صغار الموظفين، أنهم أصبحت لهم أهمية كبرى – تلك الأهمية التى نبعت من مجرد لقب أو منصب صغير أدى فى بداية الأمر إلى انتقاء سَهل، مما سهَّل بعد ذلك التعيين فى وزارة من الوزارات. جرت أيضًا بعض اللقاءات والمقابلات المحرجة بين الرؤساء Chiefs ومستشاريهم البريطانيين، الذين بدأت الشكوك تدور حول صراحتهم وأمانتهم واستقامتهم عندما بدأوا يفقدون قواهم الأخلاقية. ويكفينا هنا أن نورد مثالاً واحدًا.

حدث أن جاء آدم جومبا Jumba، أمير باوتشى لتناول الشاى، وسأل سكرتير المجلس التنفيذى المناب فى كادونا باعتباره صديقًا قديمًا له، سأله إن كان بوسعه التعبير عن متاعبه ومشكلاته بصورة علنية وصريحة مثلما فعل ابن من الأبناء عندما تلقى تقريرًا سيئًا من مدرسة زاريا الثانوية. "ماذا سيحدث؟ شعبنا لا يفهم. الناس يعرفون رؤساءهم ويتبعونهم، الناس يعرفون أيضًا أن قلة قليلة من الرؤساء Chiefs

السينين جرى التخلص منهم عن طريق الحاكم gwamna ya ficce Su Kurum، الناس يفهمون ذلك ويعونه. المعلمون يجرى عرضهم عليهم كيما يختاروا منهم، أولئك الذين سيتكلمون باسمهم في كل من كادونا Kaduna أو ليجوس، لكن هؤلاء المعلمين لا يعودون إليهم ليسألوهم الرأى أو يخبروهم عما جرى أو تم. هؤلاء المعلمون لا يعبرون عن هؤلاء الرؤساء، على الإطلاق. بعض المعلمين يصبحون وزراء، ونحن لا نعرف إن كان هؤلاء المعلمون لديهم القوة الحقيقية على توجيه المتخصصين والمدرسين ورؤساء الأحياء، معلومات هؤلاء الوزراء ومعرفتهم ليست كافية فى هذا الصدد. وبمشيئة الله، وأنا أحمده وأشكره، وأنا الآن أمير باوتشي: هل مثل هؤلاء المعلمين يرأسونني أو أعلى مني؟ لقد وضع الحاكم العمامة على رأسي وأعطاني العصا الحمراء [المذهّبة]، هو الذى أعطاني ذلك وليس هم. معلمنا المدرس [المعلم أبو بكر] رجل طيب، ونحن نثق به لأنه يحترمنا على الرغم من أن كلامه قد يؤذينا فى بعض الأحيان. لكن المستشار السياسى الرئيسى ليس هو السلطان. الوزراء الباقون غرباء على السواد الأعظم منا. أعضاؤنا المنتخبون Wakilai لا يزالون يحيوننا بالكلام، لكننا نرى أنهم يودون إبعاد الرئاسة Chieftainship عنا وأخذها منا، هم لا يُحبُّوننا من قلوبهم". ربما كان أمير باوتشى يصور مقوِّمًا فى دائرة من الدوائر الانتخابية، ممتنًا لكونه مواطنًا فى بلد مستقر، لكنه ناقم ومستاء من ممثليه البرلمانيين الذين لا يظهرون إلا فى وقت الانتخابات، لكنهم لا يسمع أحد عنهم حسًا أو خبرًا بعد ذلك.

أعقب ذلك حوار عن كلمة "الديمقراطية"، تلك الكلمة التى جعلت الناس، بعد أن دخلت النسخة العربية التى تسللت إلى لغة الهوسا، يتشككون فى معناها الحقيقى فى ظل غياب الخبرة العملية لفضائل هذه الكلمة كما وردت عند أبى بكر (فى الاقتباس الذى أوردناه فى الفصل قبل الأخير) فى كلامه عن قانون السلطة المحلية فى العام السابق. لم ير الأمير أية مشكلة فى مسألة توسيع هذا المصطلح وتسهيله على عامة الناس، وبخاصة أولئك الذين لديهم أفكار ومتاعب يودون إبلاغه بها، يزاد على ذلك، أن

السلطان قال أولاً وقبل كل شيء: "أنا من جانبي، أعد نفسي دومًا خادمًا لشعبي"، كما أن مسألة استئصال سلطة محلية وحيدة واستبدالها برئيس للمجلس تجيء بمثابة حصان مُسرج على استعداد للقيام برحلة من الرحلات. لكن ماذا عن الحكم الذاتي؟ "الحكم الذاتي Mulkinkai"؟ هذا شيء جديد يحدث في كل من كادونا وليجوس، الناس لا يفهمون ذلك. الحكم الذاتي يعني حتمية رحيل رئيس الحي والأوروبيين الآخرين، ولا أحد منا يريد ذلك، ولا حتى شخص واحد منا يريد ذلك. كيف يمكن أن يكون لدينا حكمٌ ذاتيٌّ؟ هل يعني ذلك أنكم سترحلون عنا وتتركونا في جهلنا؟ انظروا إلى هذه الشلنات! هل نستطيع سكها؟ لا، إنها تسك لنا في إنجلترا ويجري إحضارها إلى هنا لاستعمالها نقوداً. متى يستطيع أهلنا سك Kira نقودنا، اسمحوا لنا وهيا بنا نتحدث عن الحكم الذاتي. "وينصرف الأمير دون أن يشعر بالطمأنينة التي مفادها أن العون الوحيد الذي يمكن أن يتطلع إليه إنما سيكون من قبل السلطان وأمير زاريا، فضلاً عن الأعضاء المحترمين من أعضاء المجلس التنفيذي، وجرى إبلاغ الحاكم بذلك الحوار، كما جرى إبلاغه بحوارات كثيرة أخرى جاءت من مصادر أخرى، كانت بعض هذه التقارير من النوع الساذج. هذا الأمير نفسه طرح السؤال التالي على كي. بي. مادوكس Maddocks يوم أن كان حاكمًا: "لماذا يتعين عليكم أيها البريطانيون أن تتركونا وترحلوا عنا؟".

كان الحاكم عند ذلك الحد قد عقد سلسلة من المحادثات الخاصة وأقام عدداً من حفلات الشاي التي حضرها الرؤساء، وبخاصة تلك الحفلات التي حضرها أمير جواندو وحده، وكان الحاكم أيضًا قد اتخذ الترتيبات اللازمة لاستبداء جلسة علنية شبه رسمية لأميري كانو وزاريا في حضور الوزراء المفوضين كلهم فيما عدا المستشار السياسي Sardauna (الذي كان يقضي فترة راحة في جوس Jos)، وعلى تُراكي Tura-ki من إمارة زاريا وكذلك أبا Abba حبيب. وترك الحاكم رئاسة الجلسة للسلطان على أن يقوم سكرتير الحاكم بدور أمين سر ومسجِّل الجلسة. كانت حرية السلطان قد جرى

تقييدها إلى حد الهمود وبشكل يدعو إلى القلق، بغية التخفيف من الانتقادات المشروعة، لكن الوزراء وعدوا بالمزيد من المشاورات والتعاون مع السلطات المحلية مستقبلاً، وسحب كبار الرؤساء عروضهم التى تقدموا بها للاستقالة من المجلس، على الرغم من عدم تقديمهم ما يثبت قناعتهم بما ينادون به. لم يحضر ملك Aku وكارى Wukari تلك الجلسة، لكنه "كان على اتصال" مع الآخرين - ونظراً لاستياء رئيس الوزراء من هذا العمل راح الرجل ينادى ويتحدث ويطالب من جانب واحد بالحكم الذاتى الإقليمى العاجل، لكن الرجل تنصل عن هذا الطلب عندما سمع المعلم أبو بكر عن الاضطراب والقلاقل، وراح يضغط بكل قواه، على الرغم من أن أول استجابة من جانب المستشار السياسى الرئيسى كانت تعرض "تقديم الأضحية الكبرى".

الخلفية الغريبة والمحيرة لهذه المقطوعة تتمثل فى أن كلاً من حاكم بدأ (بطا) Bida هو ومحمد رباط كانا، قبل وقت غير طويل، قد ناقشا مناقشة مستفيضة مسألة الرغبة فى محاولة إعادة المعلم أبى كر تافاوا باليوا إلى الشمال فى منصب رئيس الوزراء، كان الرجلان يريان أن أبا بكر هو أفضل من"يتعامل" مع شارود - سميث، الذى يحظى بسمعة سيئة باعتباره رجلاً بريطانيًا قويًا يرتدى بنطالاً حديديًا، وهو على النقيض من ماكفرسن الأكثر مرونة، والديبلوماسى القوى، صاحب القفاز المصنوع من القطيفة. كان من رأى الرجلين أنه على الرغم من ابتعاد المستشار السياسى الرئيسى Sardau-na ابتعاداً كبيراً عن حاكمه، فإنه سوف يتراجع عن الانفكاك النهائى من الرجل الذى عرفه حق المعرفة، مخافة أن يؤثر ذلك الفكاك على فرض الرجل فى تولى منصب السلطان. ناقش محمد رباط هذه الفكرة مع المعلم أبى بكر إمام، ولم تكن تلك الفكرة جديدة على الإطلاق. وحذر أبو كر إمام محمد رباط مما كان يراه على أنه اتهام متزايد لرجل من رجال الدولة، وذلك من منطلق أن أبا بكر إمام كان يرى أن الشمال بحاجة أكثر إلى رئيس وزراء يستطيع مواجهة الأمراء مواجهة باسلة أكثر من مواجهته لشارود سميث. وقد استمع المستشار السياسى الرئيسى فيما بعد إلى رواية لبقة

لهذه القصة من كل من حاكم بدا Bida ومحمد رباط، وشكر أبو كر إمام الذى "أنقذ عُنقه".

وقع حادثان مماثلان لهذا الحادث فى الفترة ما بين الأشهر الختامية من دستور "ماكفرسن" واجتماع الرؤساء Chiefs هذا، فى تلك الأثناء دق جرس تليفون وزير النقل فى ليجوس ليحمل إلى الوزير رسالتين عن انقلابات كبيرة محتملة فى نظام الحكم، يقوم بها حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، والتى لم يكتب لها الحدوث مطلقًا. كان أبو بكر على استعداد لمناقشة هذه المسألة مناقشة علنية شبه جادة وبثقة كاملة من سكرتيره الخاص.

كان أبو بكر يرى أنه إذا ما عاد إلى الشمال، سيكون بوسعه فعل شىء ما على الرغم من أهل السلطة Masu Sarauta (أى الأمراء وأصحاب الألقاب)، لكن من ذا الذى يستطيع التحكم فى مصير ليجوس؟ كان كل من محمد رباط، وكاشيم Kashim، ووادا Wada لا يزالون قليلى الأهمية وغير ذى بال فى أية معركة يمكن أن تنشب مع الجنوبيين أصحاب الخبرة. وما الذى يمكن انتظاره من المستشار السياسى الرئيسى Sardauna إذا ما وجد نفسه يتزعم المعارضة الداخلية؟ هل يبقى هادئًا وقانعًا؟ وإذا كان بوسع جانب من الجوانب تدبير انقلاب سياسى، فليس هناك من شك أن أى جانب آخر يستطيع أن يفعل الشىء نفسه. "نحن السياسيون، **كلُّنا فراش فى عاصفة رعدية!**".

كانت وزارة المستعمرات ترى الأمور مختلفة من خلال منظورها العالمى. كان من رأى كرستوفر Christopher إيستود Eastwood رئيس الإدارة، هو ووليا مسون وكيل الوزارة، أن الرؤساء Chiefs إذا ما تخلوا على المجلس التنفيذى، فإن ذلك سوف يؤدى حتمًا إلى سقوط المستشار السياسى الرئيسى، على الرغم من الشعبية التى يتمتع بها الرجل بين الناس. كان الرجلان يتفكران فيما إذا كان شتيما كاشيم، على الرغم من اتفاقه مع الوزراء الآخرين، "يدافع دفاعًا مستميتًا" من أجل تولى المستشار السياسى

الرئيسى السلطة، أو إحضار وإعادة أبى بكر من ليجوس إلى الشمال من جديد، كما كان الرجلان يتفكران أيضًا فيما إذا كان استغلال شارود ـ سميث الحذر لأمير كانو لإحداث نوع من التوازن مع المستشار السياسى الرئيسى، يمكن أن يسفر عن رؤية هذا الرئيس Chief لنفسه على أنه هو رئيس الوزراء المنتظر. وقد أجبرت مصادر المعلومات كلها هذين الرجلين على تغيير تقديراتهما، من منطلق أن حكومة الشمال تؤدى عملها فى سهولة ويسر عندما يكون المستشار السياسى الرئيسى غائبًا فى جولاته وأسفاره، وأن الحاكم كان يحاول فقط ترميم الشروخ والتصدعات التى تحدث بينه وبين الحكام التقليديين، وأن إحداث تغيير فى زعامة الشمال سيكون فى مصلحة كل من نيجيريا ومصلحة وحدة الإقليم. وقد أوجز وليامسون ذلك كله عندما قال: ما دام أن الفرنسيين لم يتعلموا بعد، فإن الإنسان بوسعه أن يحكم عن طريق الاتفاق، أو قد يستطيع الحكم بالقوة، لكنه لا يستطيع مطلقًا الحكم بالمنطق.

كان السير برايان Bryan طبقًا لما وعد به السلطان، قد تشاور مع المستشار السياسى الرئيسى، وذكّره بالحوارات الباردة السابقة، عندما حذر رئيس الوزراء من الخطر الناجم عن ترك مثيرى الشغب يهتاجون تحت لواء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، لكن رئيس الوزراء قال له إنهم أمنون تحت لواء هذا الحزب، مما لو كانوا تحت قيادة حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى أو حلفائه. فى ذلك الوقت كان الرؤساء يعدون المستشار السياسى الرئيسى مسئولاً عن التطرف والتآمر بالغدر والخيانة. ويجيء رد المستشار السياسى الرئيسى مكشوفًا وكالحًا، لكنه كان قد تقدم باقتراح مفاده أن السلطان يود عقد لقاء آخر للأمراء وكبار الرؤساء Chiefs من سائر أنحاء الشمال، وأن بوسعهم عرض استياءاتهم بطريقة علنية وصريحة، وأن يقوم الوزراء أيضًا بعرض وجهة نظرهم، وبذلك يمكن تسوية الأمور كلها فى نهاية المطاف. وبعد أن تم الاتفاق على ذلك كله وبعد عمل الترتيبات المبدئية اللازمة مع السلطان، تداعت الأمور كلها. كان شارود ـ سميث هو الحاكم فى ذلك الوقت، ومصدر الشرف،

ورئيسًا لكل من مجلس الرؤساء والمجلس التنفيذى، فضلاً عن كونه الرجل الذى كان السلطان يستغيث به، كان الحاكم قد انتوى التحدث إلى الاجتماع حديثًا قصيرًا عن الأسباب التى دعت إلى ذلك الاجتماع، وربما يقدم شيئًا عن رؤيته الشخصية "للدعائم الاثنى عشر" (التى سيجرى توضيحها فى الفصل الثالث والعشرين)، ولكى يجعل الرؤساء والأمراء يبلورون أفكارهم على شكل منتدى حر خاص، وعندها يسمح الحاكم للوزراء بالدخول ويتوصلوا مع بعضهم البعض إلى نوع من التفاهم. كان المستشار السياسى الرئيسى رئيسًا للوزراء فى ذلك الوقت، وكان غاضبًا لكونه يجىء ترتيبه ثانيًا فى مجلس يجىء فيه ترتيب زميل السكرتير العام، وحزب جماعة العمل، والسكرتير المالى فى المراتب من الثالثة إلى الخامسة، وفيه أيضًا مكانة عالية أيضًا للرؤساء الأربعة، كان المستشار السياسى الرئيسى قد قرر التحدث إلى الاجتماع مباشرة دون تقديم من الحاكم، ويقوم "بشرح" الواقع السياسى دون أن يعطى الرؤساء الفرصة التى تمكنهم من تجهيز أنفسهم ويكونوا جبهة متحدة. كان تكتيك رئيسى الوزراء دقيقًا وحصيفًا، وعلى شكل منظور سياسى قصير الأمد، إذ كان لا يتمنى سوى خنق النقد العلنى، وكانت استراتيجية الحاكم دقيقة وحصيفة أيضًا، لو لم يكن السلطان صامتًا صمتًا مطبقًا، وكان على الآخرين البقاء فى ذل وخزى، على أن يبقى صراع الإدارات بدون تقرير انتظارًا للمستقبل القريب. أثناء اجتماع الرؤساء والأمراء فى مكتبة الحاكم هاج المستشار السياسى الرئيسى وماج، وتزعم خروج الوزراء من الاجتماع غاضبين، فى حين قال شارود سميث فى يأس إنه يستعيد التفكير فى الأمر على أنه يعيد طرحه على الاجتماع مرة أخرى. كان شارود سميث يعرف أن هناك خلفية من التورط العاطفى الخاص والتنافس على الحب، وأن ذلك هو ما كان يشغل بال رئيس الوزراء.

استقل الحاكم القطار إلى كانو لكى يقدم شارة الشرف للأمير، الذى كانت إصلاحاته المحلية عالية الفعالية فى ذلك الوقت وعلى قدر كبير من الشعبية، كان السير بريان مقتنعًا أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، هو والتقليديين، وكذلك الحكام

الطبيعيين لا يمكن أن يتشاجروا مع بعضهم البعض، كان السير بريان Bryan مقتنعًا أيضًا أنه لا يزال هناك نوع من النزوع العاطفى الأجنبى، وأن ذلك النزوع مؤمن بأن هناك قوة ثالثة تستطيع كبت أى نوع من أنواع المساندة الشعبية التى تأتى من أى من هذين الجانبين أو منهما مجتمعين. كان من رأى السير بريان أيضًا أن الجماهير إذا ما رأت هؤلاء الحكام الطبيعيين الذين يحبونهم، وهم يجرى إضعافهم عن طريق السلطة البريطانية، فإن حملة الألقاب الجدد هم و"المعلمين" Mallams المنتخبين كانوا لا يزالون يتمتعون بشعبية كبيرة باعتبارهم بدلاء لتكلم الحكام الطبيعيين، لم يكن للناقمين الذين لا ينتمون إلى أية طبقة من الطبقات وكذلك أشباه المتعلمين أى وجود فى هذا السياق. كانت أكبر مخاوف السير بريان تتمثل فيما اعتبره هو أول أزمة ثقة بينه وبين وزرائه، وقد اعترف الرجل بذلك لكل من الحاكم العام الجديد فى ليجوس ووزير الخارجية فى لندن.

اتصل المعلم محمد رباط هاتفيًا من كادونا بمقر الممثل المقيم فى كانو ليبلغ عن وصول الوزراء الاتحاديين قادمين من ليجوس Lagos. كان المعلم أبو كر تافاوا باليوا قد سمع هذه القصة من الوزراء الإقليميين، وكان قد تحدث حديثًا صريحًا مع أبا Abba حبيب ومع عيسى كيتا بصفة خاصة (نظرًا لأن المستشار السياسى الرئيسى كان يتحدث حديثًا غاضبًا عن موضوع الاتجاه صوب "الحكم الذاتى فى العام ١٩٥٦"، وكان يتطلع إلى هذين الاثنين طلبًا لمساعدتهما له فى مواجهته لأمير كانو وآخرين الذين كانوا يؤيدون أبا بكر وشتيما كاشيم)، عن حتمية وجود علاقات أفضل من العلاقات القائمة مع المستشارين الرسميين وحتمية وجود علاقات طيبة فيما يتعلق بالذمة المالية، كانت أعمال الوزراء وتصرفاتهم كلها تحت المراقبة، ولم يستطع الوزراء التلاعب بالمال العام أو بمسألة النقل الذى يجرى توفيره للجمهور. كان أبو بكر قد أبلغ الوزراء أن زملاءهم الفيدراليين يرون أن الحاكم ليس هو الذى يضع المتاعب أو يحرض عليهم الرؤساء Chiefs، لكن الحاكم كان يحاول المحافظة على وحدة المكان

وإحداث نوع من المصالحة بين الرؤساء والوزراء، وأبلغهم أيضًا أن "الشبان الصغار" هم الذين يخلقون المتاعب والقلاقل. كان أبو بكر يود التحدث إلى السير بريان فور عودته. وفي كادونا، يحضر أبوبكر إلى الرئاسة العامة، ويكرر الرسالة على السير بريان التي أرسلها إليه محمد رباط، ويستطرد أبو بكر قائلاً: هو نفسه يريد نوعًا من الانحياز بين الزعماء السياسيين والرؤساء التقدميين، وقال أيضًا: إن المستشار السياسي الرئيسي والحاكم قد افترقا وتباعدا تباعداً كبيراً، لم يدرك شارود ـ سميث طبيعة الضغوط الواقعة على رئيس الوزراء، وكان يود لقاءه على وجه السرعة ـ إن لم يكن يوميًا، فعن طريق الاتصال التليفوني في أضعف الأحوال. كما اعترف الحاكم أنه على الرغم من الفكرة الشائعة التي مفادها أنه يسيطر على الأمور كلها، فإن الخط الذي يسير الرجل عليه منذ إنشاء منصب رئيس الوزراء، كان يقضي بعدم التدخل في شئون المستشار السياسي الرئيسي وبخاصة الأمور التي "لا تخضع للتحفظ" (وربما أدى ذلك إلى التقليل من تأثير الرجل شخصياً عندما تؤدي الخلافات داخل اجتماعات المجلس التنفيذي إلى إثارة المتاعب والتوترات، أزعج خط عدم التدخل هذا كثيراً من المسئولين البريطانيين في المقاطعات والذين كانوا مهتمين بالحكم الجيد أكثر من اهتمامهم بالتنمية السياسية). قال أبو بكر بطريقة نظار المدارس: إنه قد ضمن أن المستشار السياسي الرئيسي سوف يطلب مقابلته في وقت متأخر من ذلك اليوم، وأنهما سوف يتعين عليهما العودة من جديد إلى صداقتهما القديمة. كان أبو كر عاقداً العزم على مساعدة المستشار السياسي الرئيسي ومناصرته من أجل المحافظة على الوحدة وحفظ ماء الوجه.

كان احترام السير بريان وتوقيره لنفوذ المعلم أبي بكر المعتدل وحكمته السياسية قد وصل إلى الذروة طوال هذه التجربة المؤلمة، كما أصبحت اجتماعاتهما والتقييمات المتبادلة بينهما كتابة أو عن طريق المكالمات الهاتفية أمراً ثابتًا وحقيقة واقعة، كان السير جيمس روبرتسون على علم بكل هذه الاتصالات، وكان يطقطق أسنانه غيظًا بين

الحين والآخر، لكنه لم يكن يعترض عليها – إذ إن هذه قضية خاصة. وبدأ المشايعون لشارود - سميث فى تجميع الروايات المثيرة ورقية الغلاف كيما يتمتع أبو كر بقراءتها، كان أبو كر لا يزال قارئًا نهمًا للتاريخ الجاد، لكن الرجل كان قد تعلم فائدة عنصر التلطيف والتهدئة أثناء الأزمات. فسّر جيل المراقبين الشماليين القدامى تصرف شارود – سميث على أنه استغلال من جانبه لأبى بكر تافاوا باليوا كيما يكون شريكًا سيكولوجيًا (نفساويًا) فى حث المستشار السياسى الرئيسى على اتباع الوسائل المتوازنة باستعمال الجزره مع المغرورين واستعمال العصا مع المشاكسين، ظن أتباع شارود - سميث أيضًا أن حاكم الشمال كان يبرز بطريقة غامضة لوزير النقل الفيدرالى السلطة والنفوذ اللذين كان أبو بكر يتمتع بهما فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وأن هذه السلطة وذلك النفوذ قد يُفْلِتَا من بين يديه. لكن هناك بعض آخر من الناس يقولون: إن المعلم أبا بكر من ذلك الحين فصاعداً لم يكن يؤكد أن "**الشمال ليس مستعداً**"(*) وقد استمر أبو بكر على موقفه هذا حتى عندما كان يواصل توضيح رأيه الذى مفاده أن الحكم الذاتى النيجيرى يجب أن يتمهل بعض الشىء.

أثناء انعقاد اجتماع الرؤساء، عُقد اجتماع آخر فى ماكوردى Makurdi للمندوبين الفيدراليين من الحزام الأوسط، وقد اتفق ذلك مع نزعة حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى وميوله، لكن حزب جماعة العمل كان متعاطفًا أيضًا مع تعاطف حزب الحزام الأوسط الشعبى مع حزب عصبة المنطقة الوسطى الحليف الأسمى لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. غضب رئيس بايروم BiRom بفعل الأعمال التى قام بها مخربوا حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى منطقة الهضبة، وقد أسفرت الوحدة عن قيام حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، برئاسة الوزير المفوض الشمالى الشهير القس ديفيد لوت David Lot، الذى كان يساعده ويعاونه باتريك Patrick دوهرتى Doherty.

(*) بمعنى أن الشمال لم يكن مستعداً للحصول على الحكم الذاتى. (المترجم)

كان رئيس بدا Bida يقول: إن حركة الحزام الأوسط هى حركة سلبية فى أساسها، وأنها تعارض كلاً من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى والمستشار السياسى الرئيسى بدلاً من استلهام الخطط الإيجابية، كان رئيس البايروم ينظر إلى الهوساويين الموجودين فى منطقة الهضبة بالطريقة نفسها التى كان الهوساويون ينظرون بها إلى الإجباويين فى كانو. لكن فشل الحركة سياسياً كان قد رضع الكثير من العيوب من كل من حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمي وحزب عصبة المنطقة الوسطى، ونقل هذه العيوب والنقائص إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى.

عقد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى مؤتمره السنوى، بعد ذلك بأيام قلائل فى ميدوجورى Maidguri. حدث فى هذا الاجتماع إفصاح وتعبير عن المشاعر المعادية للإجبو، وقد صاحب هذا الإفصاح تعبير وأوصاف لمعاملة الهوساويين فى الشرق، الأمر الذى أدى إلى تطرق المحادثات فى المؤتمر إلى مسألة تبادل السكان. فى هذا الجو المشحون بالتوتر فى تلك اللحظة كان هناك تهديد حقيقى مفاده أن بعضًا من خلاًن المستشار السياسى الرئيسى فى الحزب سيجرى الطعن فى انتخابهم ويطلب إليهم خوض الانتخابات من جديد، وقيل أيضًا إن الرئيس هو الذى علَّق مسألة الانتخابات هذه. أثار المعلم سول Sule كاتاجوم Katagum أيضًا شيئًا من الاضطراب عن طريق تحريك مسألة التنفيذ الحالية برمتها. وجرى أيضًا التوصل من خلال هذا المؤتمر إلى اعتقاد قوى، لكنه كان يفتقر إلى الدليل المادى، ومفاد هذا الاعتقاد هو أنه كان هناك إجماع على أن ماضى أصحاب المناصب لن يُنْسى أو يُمحى طول خمس سنوات.

جرى فى المؤتمر تجنيب مسألة التزمت الإجرائى، وراح المؤتمر ينظر فى موضوع الحكم الذاتى، الذى كانت تؤيده أفرع الحزب فى كل من الهضبة، وبوتسكوم Potisk-um، وزاريا فضلاً عن بعض الأفرع الشرقية. حاول كل من المعلم أبى بكر تافاوا باليوا هو والمعلم إينو Inuwa وادا عدم إدراج هذه المسألة ضمن الاجتماع التنفيذى

التمهيدى، على الرغم من أنهما كانا يعرفان ويدركان أن من الصعب إبعاد هذا الأمر عن طائلة الخطب والمساهمات التى يجرى إلقاؤها فى المجلس، لكن المستشار السياسى الرئيسى أصَرَّ على ما مفاده أنه ما دام أن الحزب وافق على الحصول على الحكم الذاتى ولم يحدد تاريخًا لذلك، فالأفضل هو انتهاز الفرصة للتأكيد على أن هؤلاء الذين يودون الحصول على الحكم الذاتى قبل أن تكون البلاد مستعدة له، وفى ظل اتحاد فيدرالى قوى مع الوصول إلى البحر عن طريق النهر ومن خلال ليجوس، لن يلوموا سوى أنفسهم عندما يكتشفون خطأهم بعد ذلك. كان المستشار السياسى الرئيسى يحظى بتشجيع كل من عيسى كيتا وأبا حبيب له، كيما يصل إلى الوضع الذى يُمكِّن الشمال من الحصول على الحكم الذاتى فى العام ١٩٥٦ أولاً وقبل كل شىء، لكن الرجل لم يجد مؤيدين له من بين الراديكاليين(*) الآخرين. قال المعلم أبو بكر تافاوا باليوا إنه سوف يساهم ويشارك فى أى شكل من أشكال التقدم السياسى، شريطة اطلاعه على خطة مقنعة، لم يحدث أن واجه أحد من المؤيدين للتبكير بالحصول على الحكم الذاتى تحدياً من هذا القبيل، وعليه تقيَّد الرجل بما يقول:

"الحكم الذاتى يتطلب، على وجه السرعة، كثيرًا من الفكر، وبخاصة فيما يتعلق بوضع خطة لهيئات الحكم المحلى المستقرة والقوانين والنظم الموحَّدة. نحن نفتقر إلى الرجال المؤهلين القادرين على إدارة المنظومات الحكومية المحلية الحالية، ونحن إلى الآن لم نقطع نصف الطريق فى مسألة إنشاء هيئات الحكم المحلى. مسألة أن تكون لدينا ثلاثة منظومات من المحاكم فى سائر أنحاء الشمال ولها السلطات نفسها، أمر غير مناسب.

(*) الراديكالى: هو الشخص النَّزاع إلى إحداث تغييرات متطرفة فى الفكر والعادات السائدة. (المترجم)

ونحن إلى الآن، نجد أن الأقاليم التى تريد الحكم الذاتى لا تزال تواجه صعوبات فى هيئات مجلسها المحلى".

لم يعترض أحد على تقييم أبى بكر الدقيق، وسانده وأيده فى ذلك كل من على الحاكم، وشتيما كاشيم. وتحدث المعلم أبو بكر بعد ذلك وبعد أن نفد صبره، عن كبح جماح المعلم عيسى كيتا، الذى يمكن أن تُفضى حرية حركته، على حد قول أبى بكر، إلى تدمير عمل الآخرين الذين توحدوا فى محاولة منهم للمحافظة على العلاقات الطيبة بينهم خارج الحزب، ومع ذلك لم ينس أبو بكر تافاوا باليوا أن عيسى كيتا كان يسبقه فى الدراسة يوم أن كانا فى كلية كاتسنا: **"بوسعه دومًا الدخول دون الإعلان عن وجوده"** Ko da ni ina bayan gida.

فى الوقت نفسه كان المسئولون فى مقر الحكومة البريطانية يتطلعون إلى شمال المستقبل ويعيدون إحياء مسألة حقوق الإنسان التى كان شاندوس Chandos قد دفنها. كان هنالك خلاف من ناحية حول تشجيع العناد والمشاكسة، وخلاف من ناحية أخرى حول وضع بعض القيود على الحرية لأسباب تتعلق بالأخلاق، والنظام العام والصحة. كان هناك إجماع مؤقت مفاده أن الدستور الذى سيجرى وضعه فى العام التالى لابد أن يمنح المسيحيين قدرًا كبيرًا من الضمانات مساو للقدر الذى أعطاه لوجارد Lugard للمسلمين، وألا يسمح بالمطالب الجنوبية التى يمكن أن تشكل شيئًا بغيضًا أو لعينًا، والتى من قبيل المناداة بحق المرأة فى الانتخاب أو التحاق الجنوبيين بالخدمة العامة بلا ضوابط. يبدو أن مسألة الحاجة إلى الحقوق فى الجنوب لم يكن يدور حولها جدل كبير بين كبار الموظفين، الذين كانت لديهم بعض المشكلات فى السجلات وهم يبحثون فيها عن النصوص الدقيقة التى تضمنها وعد لوجارد فى سكتو فى العام ١٩٠٣ .

إذا ما عدنا إلى ليجوس نجد أن هناك مقابلة صحفية أجراها أحد الصحفيين المعاصرين مع أبى بكر تصف الرجل وهو فى مكتبه الوزارى الجميل مكيف الهواء، وهو يلبس على رأسه غطاء رأس أزرق اللون مصنوعًا من القطيفة ويرتدى ثوبًا أبيض

طويلاً، وهو متهلل الأسارير ولحيته غير الكثة وشاربه، وهما يتحركان وهو يفسر بذكائه الحاد تعقيدات السياسة الوطنية والسياسة الإقليمية، وكيف استطاعت ديبلوماسية ماكفرسن Macpherson المهمة إقناع الشماليين بالارتباط مع حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى ("الذى كانت تدور الشكوك حول سمعة بعض المشاهير فيه فى الماضى والذين لهم أيضًا بعض الصحائف الإجرامية"). عند هذا الحد قام أبو كر تافاوا باليوا بالتجهيز لموعد مع المعلم بوكار Bukar دبشاريما Dipcharima، الذى كان يعمل لحساب جون John هولت Holt فى بدا Bida، بصفته أول سكرتير برلمانى لهذا الرجل، وعلى أمل أن يكون ناظرًا أو وكيلاً لجون هولت أثناء قيامه برحلته فيما وراء البحار. هذا فى الوقت الذى كان فيه فيكتور Victor موكيت Mukete، ذلك الكاميرونى الجنوبى الذى كان غاضبًا لعدم حصوله على حقيبة من حقائب الوزراء ، قد تقرر أن يكون وكيلاً عن جون هولت، كان فيكتور موكيت يود استغلال وزارة النقل حتى يتمكن من لقاء الكاميرونيين الشماليين.

كان مستشار سكتو السياسى الرئيسى ومعه كل من المعلم محمد رباط، والمعلم إينوا Inuwa وادا Wada، والمعلم عيسى كيتا، وأمير كانو وآخرون قد سافروا إلى مكة لأداء فريضة الحج أول مرة، الأمر الذى أحدث تحولاً روحيًا حقيقيًا فى المستشار السياسى الرئيسى، وولَّد لديه إحساسًا جديدًا بمهمته وأسبغ عليه رداء التواضع. كان باباتوند Babatunde جوس Jos، وهو صحفى من ليجوس، من بين الحجاج أيضًا، وكان ذلك الصحفى على وشك أن يُنْقَل من إينوجو Enugu إلى كادونا Kaduna. فى الوقت نفسه جرى عقد أول مؤتمر لقانون الكمنولث فى وستمنستر Westminster، وحدثت بعض المظاهرات فى مراكش Morocoo، وقام الهنود بأول محاولة لهم للدخول إلى الأراضى البرتغالية فى جوا Goa. وتزعم المعلم أمين كانو دون طائل، وفدًا آخر من حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، سافر إلى لندن، وبصحبته كل من إبراهيم إمام (الذى كان يقف إلى جانب اليسار فى ميدوجورى Maiduguri)، وشخص آخر

يدعى السيد/ نواجى Nwajei (وهو محامٍ من الأجبو الذين يعيشون فى كانو، والذى ينعته خصومه بالشيوعية)، كما كان يصحبهم أيضًا شخصان آخران هما: يريما Yeri-ma بَلا Balla (الذى تبع بللو Bello إيجومو Ijumu وحذا حذوه عندما خرج من رواق الحزام الأوسط)، وأبو بكر Abu baker زوكوجى Zukogi فضلاً عن سيده من المندوبات.

فى اجتماع المجلس الفيدرالى أبدى المعلم أبو كر ملاحظة جافة مفادها أن الرئيس Chief تى.أو.أس.بنسون Benson، الذى أُعيد إلى مقعد غرب ليجوس بعد تقديم التماس انتخابى وجرى تعيينه عضوًا مسئولاً عن تواجد الأعضاء للتصويت فى البرلمان، تزعم ثلاثة تمردات على خطه الحزبى الوزارى. وقال أبو كر أيضًا فى مناظرة حول قانون المحاكم إن "محاميًا صديقًا أبلغه أن الكياسة والوعى هما أفضل القوانين، وعليه فأنا أرى أنى مؤهل الآن للحديث عن هذا الموضوع"، ومع ذلك كانت تدخلات الرجل تتعلق بجوانب الخدمة العامة، وكانت تعكس أسباب تخوفات الرجل من التعجيل بالحصول على الحكم الذاتى. كان السير هوجو Hugo مارشال آخر **كبار المسئولين الذين تقاعدوا عندما علموا أن "البلاد بحاجة ماسة إلى خدمات إداريين جادين ومتمرسين وأمناء من أمثال هذا الرجل .... [الذى] الذى مثل خير تمثيل خدمة يحق لأعضائها أن يتفاخروا بها وبنزاهتهم، وولائهم وإخلاصهم للواجب فى سائر أنحاء الدنيا. وأن الخدمة الاستعمارية البريطانية هى خدمة يحق لكل بلد من بلاد العالم التفاخر والتباهى بها."** وهنا بدأت وجوه المراقبين لمصطلح "الخدمة الوطنية فيما وراء البحار" تحمر خجلاً.

بعد أن أوضح أبو بكر وهو يستقبل السير جيمس روبرتسون ويرحب به أنه "سوف لا ينجح فى ظل غياب التعاون المخلص والأمين من جانب أعضاء المجلس التشريعى، ثم أضاف الرجل ما يلى عندما كان يتحدث عن لجنة جورستش Gorsuch:
"إن أردنا لهؤلاء الناس المجىء، فلابد أن نكون مستعدين لدفع أجورهم .... وإذا كانت

لديكم الشجاعة التى تجعلكم تقولون إنكم مؤمنون بذلك فى هذا المجلس، فلابد أن تكون لديكم الشجاعة التى تمكنكم من قول ذلك خارج المجلس. سيدى، علينا أن نواجه الحقائق .... نحن ننافس بقية العالم فى مسألة استقدام الموظفين من الخارج، ومن الطبيعى فى ظل تقدمنا صوب ما يسميه الناس الاستقلال، سوف يفكر موظفوا ما وراء البحار مرتين قبل أن يجيئوا للعمل فى هذا البلد". أوضح صحفى آخر أن أعضاء الشمال بدأوا يتمتعون بروح الدعابة التى تسود الحياة البرلمانية فى ظل الحكومة "الائتلافية"، حتى وإن كان ذلك فى مجلس تتسلم فيه قلة قليلة من الأعضاء أوراقهم لدراستها قبل مجيئهم إلى ليجوس، وأوضح الصحفى أيضًا أنه على الرغم من أن الحكومة الموقرة كانت تنصت أكثر مما تتكلم، فإن الأصوات الجهورية وبخاصة صوت أبى بكر، الحازم والقاطع، كان يحظى بالاحترام من كل الأطراف. وفى الوقت الذى كان الرجل يقف فيه كانت المعارضة تقف هى الأخرى من باب الاحترام والتقدير.

بعد انتهاء الاجتماع صدر الحكم على الرئيس Chief أدجوك Adegoke أدلابو Adelabu، وزير الموارد الطبيعية والخدمات الاجتماعية بالسجن والأعمال الشاقة لمدة شهرين، بلا خيار، لاتهامه بتهمة احتقار المحكمة، عندما توجه إلى محكمة محلية فى الإقليم الغربى ليحتج على القاضى ونعته بأنه "رجل مجنون"، وسمح له بدفع كفالة عندما استأنف الحكم. وتتمثل خلفية ذلك الحادث فى أن السيد/ د.د.لويد DLioyd كان قد ألقى تقريرًا عن المظاهرات التى حدثت فى أويو Oyo، وكان لويد قد نصح فى ذلك التقرير بعدم وقف التنفيذ أو عقاب أبا Oba أويو Oyo. كانت حكومة الغرب الإقليمية قد أمرت بوقف ذلك الرئيس البارز من رؤساء الطبقة الأولى، والذى كان يحظى بدعم من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى. يزاد على ذلك أن وزراء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى الفيدراليين كانوا قد أغضبوا الوزراء الإقليميين عن طريق إصدار بعض التعليقات العامة، وكان وزير الحكم المحلى الغربى قد حاول حرمان

الرئيس أدلابو من مقعده فى مجلس مدينة إيبادان عن طريق الكشف عن خرق الرجل فنيًا لقانون الحكم المحلى.

وسرعان ما أعيد انتخاب أدلابو بأغلبية كبيرة، ذا ع عن هذا الرجل أنه كانت لديه القدرة على مخالطة البشر غير المتعلمين أو المتميزين بدون تنازلات ويجعلهم يحسون أنهم متساوون معه. ومع ذلك، وفى محاولة مكشوفة لمنع هذا الرجل شخصيًا وإبعاده عن قوائم الاقترا ع فقد جرى استدعاءه يوم الانتخاب للمثول أمام المحكمة المدنية المحلية فى قضية من القضايا، وذلك على الرغم من عدم استدعاء المدعى أو المتهم له للإدلاء بشهادته. وقد أسفرت الملاسنات الشفاهية التى ترتبت على ذلك فى المحكمة، عن خلق هذه المشكلة وإثارتها، لكن الحكم كان صادرًا عن محكمة جزئية. كان هناك بعض آخر من الناس يرون أنه كانت هناك علاقة تفيد أن قاضى المحكمة المحلية كان هو والد كاتب المدينة فى ليجوس، وأن هذا الكاتب قد كُلّف من قبل حكومة الإقليم الغربى بتحرى شئون مجلس مدينة إيبادان التى تدور من حولها الشكوك ـ وكان مجلس الوزراء الفيدراليين، الذى تولى سلطات الإقليم الغربى السابقة على ليجوس، قد سحب موافقته على ذلك التكليف، مفضلاً تكليف كاتب مدينة آبنجدن Abingdon بهذه المهمة من منطلق أنه شخص غريب على الجماعة ولا ينتمى إليها.

لم يكن آكنتولا، فى وزارة العمل، من المعجبين بآدلابو Adelabu، الذى كانت معاملاته مع التجار السوريين واللبنانيين تثور من حولها الشكوك، ومع ذلك لم يستغل آكنتولا المأزق الذى كان الرجل واقعًا فيه، لم يكن العقاب الذى أنزل بآدلابو طويلاً على نحو يسمح بطرده من منصبه، لكن روبرتسون استدعى كلاً من كى أو مبادوى K O Mbadiwe وأبى بكر تافاوا باليوا لمناقشة استجواب يتعلق بالفساد المنسوب إلى هذا الرجل. (كانت مشكلة السير جيمس روبرتسون الشخصية تتمثل فى إحساسه بالعطف الشديد على ذلك الوزير المخطئ؛ كان آدلابو يتظاهر فى المجلس بأنه يسير على خط السير جيمس روبرتسون، وكان الحاكم العام يرد على ذلك ردًا سريعًا مفاده أن

روبرتسون ليس له "خط" - "لا، يا سيدى، ولكنك سوف ترسم له خطًا!") كان السير جيمس ينوى إبلاغ أدلابو أن يقوم بإجازة مفتوحة، لكنه اقتنع بحفظ ماء وجه الرجل عندما قال مبادوى إنه سيقنع أدلابو بطلب إجازة لمدة شهرين. وهنا أسندت الحقيبة إلى كولا Kola بالُوجن Balogun، على افتراض مفاده أن أدلابو عند عودته سوف يتولى بصفة دائمة حقيبة الأبحاث والمعلومات، والموضوع الأول يغطى مسئولية الوزير المفضوحة عن الموارد الطبيعية الفيدرالية، أما الموضوع الثانى فيتعلق بتولى منصب كبير سكرتيرى (أمناء) العلاقات العامة، لو تم ذلك لجعل أدلابو يقتصر على الخدمات الاجتماعية وحدها، لكن الرجل استقال بالفعل من كل من المجلس وحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى. كان أبو بكر راضيًا عندما ترك زملاءه الجنوبيين يتصرفون فى هذا الأمر. يزاد على ذلك أن معاقرة الرجل للخمور والمسكرات زادت وفاضت عن حدها وأصبحت لا تطاق. وراح الرجل يتطلع إلى الراحة النفسية الشخصية مع زوجته الرابعة، التى كانت تدعى زينب والتى كان الناس يخلطون بينها وبين زينب إنى Inni، لأنها كانت أيضًا تسمى أمًا Umma. لكن كما سبق أن قلنا، كان أبو بكر تافاوا باليوا مشغولاً أيضًا؛ فقد كان الرجل مرتبطًا ببلد معظمه من الشبان الصغار، وذلك امتحان من الله.

الفصل الحادى والعشرون

نقل جديد فى عالم جديد ورحيل صديق قديم

يجب أن تبحث عن الطالع الحسن فى الوجه الباسم(*)

كان تحمس أبى بكر تافاوا باليوا لقيامه برحلة إلى الأنهار الأمريكية قائمًا على أمرين مهمين: اهتمامه الذى بلغ ذروته، بإيجاد ممر آمن لصادرات الشمال، وذلك فى حال أن يصبح الجنوب أجنبيًا معاديًا، وافتتان الرجل بالقوة المحركة وبالهندسة والأسفار. وربما كان أبو بكر أكثر اهتمامًا من الآخرين باستمرار مغزى اتفاقية حوض الكنغو والتذكارات الأخرى المتبقية من معاهدة برلين التى أدت إلى تقسيم إفريقيا فى العام ١٨٨٤ - ٨٥، والتى بمقتضاها صدرت بعض "الضمانات" التى تؤكد أن نهرى النيجر والكنغو ممران ملاحيان دوليان لكل الدول وذلك بغض النظر عمن يتولى الحكم على ضفاف هذين النهرين، وعلى امتداد السبعين عامًا الماضية، وعلى الرغم من التأكيدات الواردة فى المعاهدة الفرنسية - الإنجليزية فى العام ١٨٩٨ الميلادى، لم يحدث تجلى التزام دولى يرمى إلى تفعيل هذا النص، ومع ذلك ظلت البلاغة اللغوية التقليدية تلعب دورها ولها سحرها وجاذبيتها. وهنا ينبغى القول، إن فكرة مماثلة هى التى كانت تؤثر فى مناصرة أبى بكر الشديدة للمؤسسات والسلطات التى يتعين أن تكون مستقلة عن الحكومة الفيدرالية وخدمتها المدنية، والتى ينبغى أن تكون فى زمن الطوارئ خاضعة لتوجيهات وزير من الوزراء لا يُعْرف من سيكون فى المستقبل. ويلتقى

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. (المترجم)

أبو بكر هو وفارفيل Varvill السكرتير الخاص المدعو جيم Jim هويلى Whalley، فى لندن ويقوم الجميع برحلة لمدة ثلاثة أسابيع يتفقدون خلالها مسألة النقل فى الأنهار الأمريكية. جرت ترتيبات تلك الرحلة تحت رعاية وزارة الخارجية الأمريكية، التى كان القنصل العام الأمريكى قد نقل إليها ذلك المفهوم بعد أن حصل المعنيون بالأمر كلهم على موافقة السير جيمس روبرتسون. كان أسطول نهر النيجر ينقل سنويًا حوالى ١٧٠٠٠٠ طن فى رحلات كانت تصل إلى شمالى الكاميرون الفرنسى. يزاد على ذلك أن المستشارين الهندسيين الهولنديين المستقلين كانوا يتطلعون إلى صلاحية هذين النهرين للملاحة، وأبلغوا الوزارة وأوضحوا لها كيف أن ظروف هذين النهرين كانت شبيهة بظروف نهر المسسبى Mississippi قبل استخدامه فى الملاحة. وهنا رغب الزائرون فى أن يروا بأنفسهم الأعمال التى تمت لتعديل اتجاه كل من نهر المسسبى ونهر أوهايو Ohio، والأعمال التى جرى تنفيذها للتحكم فى فيضان هذين النهرين، كما وقف الزائرون أيضًا على تصميم المركبات النهرية الحديثة وأساليب التحريك الحديثة وطرقها التى جعلت المركبات النهرية لا تعتمد على الدفع القادم من اتجاه مؤخرة المركبة، كما اطلع الزائرون أيضًا على العلاقة التى بين المسئولية وحقوق مؤسسة المياه الداخلية التابعة لحكومة الولايات المتحدة الفيدرالية وحقوق شركات خاصة أخرى كثيرة كانت تدير هذا النهر الوطنى بكامله، وكذلك الشحن البرى والشحن بالسكك الحديدية. كان رالف Ralph جرى، السكرتير الرئيسى، قد طلب من الملحق الاستعمارى البريطانى فى واشنطون بعض التأكيدات عن العنصرية فى الولايات الجنوبية، وعن تكاليف الرحلة التى سوف تتحملها نيجيريا.

أمضى الزائرون خمسة أيام فى واشنطون، أقام خلالها مساعد وزير الخارجية حفل غداء تكريمًا للوزير الذى ظنه فى أضعف الأحوال، على أنه رئيس محتمل للوزراء. وأعطى مساعد وزير الخارجية وعدًا مفاده أنه بعد حصول نيجيريا على الاستقلال فإن المساعدات الأمريكية والمساعدات الفنية الأمريكية أيضًا سوف تنهال على نيجيريا. وهنا استشعر أبو بكر شيئًا من العجلة فى التبكير بالحصول على الاستقلال، لكنه

استشعر أيضًا شيئًا من الرعاية (الوصاية) فى ظل غياب الحديث عن دور بريطانيا فى هذه العملية. ونظرًا لأن الرجل لم يجر تحذيره مسبقًا بشأن خطبه وأحاديثه، فقد رد الرجل ردًا مرتجلاً، فُهِم منه أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت صديقة لبريطانيا باعتبارها حليفًا أثناء الحرب، وعليه فإن أى صديق لبريطانيا سيكون صديقًا لنيجيريا. ثم يجلس الرجل بعد إلقاء خطابه السياسى الخارجى الأول. كانت واشنطون تعنى للزائرين أيضًا الآثار، والمتاحف، والفرجة قبل أن يبدأ تقصى مسألة استخدام الأنهار فى الملاحة، كان أبو بكر مفتونًا من مركز الشرح والتفسير فى ميدان القتال فى جتسبرج Gettysburg والذى اعتبره أبو بكر على غير العادة صنوًا أو مثيلاً لتسليته الخاصة مع مجموعة من الخاسرين السابقين غير المعروفين الذين أسسوا انفصالاً عن اتحاد الولايات الجنوبية الفيدرالى، كما جلب الرجل ثالوثًا من الإعلام والبيارق الكُنفدرالية بقى جذلاً على مكتبه إلى ما بعد إعلان الجمهورية (لم يقع أبو بكر مطلقًا فى الفخ الليبرالى الذى يُسَلِّم بأن الحرب الأهلية دارت وقامت بسبب مسألة الرق والعبودية وليس بسبب الانفصال)، يزاد على ذلك أن أبا بكر هرب من هيئة العاملين معه مثل هارون الرشيد بتستر من حارس باب الفندق الأسود الذى صحب أبا بكر ليرى المكان الذى يعيش فيه هذا الحارس ويقف على أسلوب حياته ومعيشة أهله، وفى ذلك المكان اندهش الجيران من هذه الملابس النيجيرية الشمالية. كما تحدث أبو بكر أيضًا فى رابطة السكة الحديدية عن المنافسة غير العادلة من كل من النقل النهرى والنقل البرى، كانت خطوط السكك الحديدية الأمريكية تتولى الإنفاق على صيانة قضبانها، لكن الشاحنات كانت تدفع فقط ضرائب المرور على الطرق الرئيسية، كما أن السفن النهرية لم تدفع حتى رسوم الأهوسة أو ضريبتها، كان ذلك، هو ما قاله مسئولو السكك الحديدية لأبى بكر تافاوا باليوا.

أصبح سلاح المهندسين فى الجيش الأمريكى هو ووكيل وزارة الخارجية الناصحين المخلصين للزائرين طوال المدة المتبقية من الرحلة التى استغرقت ثلاثة

أسابيع، كان مهندسوا سلاح المهندسين فى الجيش الأمريكى هم ووكيل وزارة الخارجية الأمريكية بمثابة المتخصصين الذين تولوا مسئولية السيطرة على المجارى المائية اعتباراً من العام ١٩٢٧ . أخذوا هذه المجموعة فى بداية الأمر إلى بتسبرج فى ولاية بنسلفانيا، إلى أعلى نهر أوهايو حيث توجد الصناعات الكيماوية وصناعة الحديد والصلب، ركز أبو بكر تافاوا باليوا فى هذه المنطقة على استعمال الخزانات التى كان البعض منها يتغذى من خلال أهوسة فى الجبال، حتى يمكن الاحتفاظ بمياه الفيضان لضخها فى المجارى الملاحية أيام التحاريق، ولاحظ أبو بكر أيضًا أن استغلال هذه الخزانات فى دعم احتياجات الصناعة وتوليد الكهرباء المائية كانت تجرى مقاومته من قبل شركات الفحم والاتحادات العمالية. ومن بتسبرج ينتقل الزائرون التى سينت لويس Louis، مقتربين بذلك من وصلة نهر المسسبى. وهنا نجد الوزير يلعب من جديد لعبة خليفة بغداد، ويصيب فيها نجاحًا قليلاً، حدث أن نسى أحد عمال المصاعد مصلحته تمامًا وهو يتعامل مع هذا المنظر الجديد عليه تمامًا، وقام بمرافقة أبى بكر عبر النهر إلى مؤسسة سافيك Sapphic المتخصصة فى الوعى القبلى. وعندما استطاع بشىء من الصعوبة الوقوف على ما يجرى، أُصيب بصدمة وعاد على وجه السرعة، وهو يقول: "**لن يحدث ذلك مطلقًا مرة ثانية!**".

فى اتجاه المصب، عند سينت لويس كان سلاح المهندسين فى الجيش الأمريكى يحافظ على الملاحة فى نهر المسسبى عن طريق سلسلة أخرى من السدود والأهوسة، وقد ترسخت هذه العملية فى ذهن أبى بكر، وفى المناطق الأكثر انخفاضًا من نهر المسسبى كان الشبه كبيراً بينه وبين نهرى النيجر وبنيو Benue، حيث توجد العوارض الرملية، والضفاف المنهارة والقنوات المتعرجة دائمة التغير. فى هذه المنطقة قام المهندسون برفع هذه العوارض الرملية وحفر قنوات مستقيمة عبر المنحنيات الحادة. أسفل سينت لويس. كان أبو بكر ينظر نظرة إعجاب إلى الطريقة التى جرى بها تثبيت ضفتى النهر الأمر الذى أدى إلى تثبيت مجرى النهر لمسافة تقدر بحوالى ثلاثمائة كيلو

متر عن طريق عملية من عمليات الخنق. فقد أقيمت سلسلة من المصدات الخشبية الممتدة داخل البحر للتقليل من سرعة انسياب الماء، الأمر الذى أدى إلى تكديس الطمى خلف هذه المصدات، وعندما تجمعت الضفاف قاموا بكسوتها بالحجارة، وبذلك أمكن المحافظة على نظافة القناة المتبقية، حاليًا يتطلب مثل هذا العمل قدراً كبيراً من الخرسانة والعمل الميكانيكى، لكن أبا بكر كان معجبًا أيضًا بالإفادة من استمرار الاستفادة من الوسائد المرنة المصنوعة من الصفصاف ومن فوقه أثقال الحجر، والتى جرى إغراقها عند سفح الضفتين قبل ذلك بحوالى جيلين من الزمان، وإذا كانت نيجيريا لا تزال تفتقر إلى الكثير من تقنيات الهندسة الثقيلة الحديثة، فإنها لا تعوزها القوة البشرية اللازمة لتنفيذ أسلوب هندسى قديم. ومع ذلك، ركز أبو بكر تركيزاً شديداً على اقتصاديات التسوية الهائلة من ناحية واقتصاديات "وحدات" الإغراق من الناحية الأخرى. كان جهاز التسوية يقطع ضفة النهر بزاوية مقدارها ١ : ٣، هذا يعنى أن الجهاز كان يقطع مسافة كيلين من الأمتار فى كل أسبوع مكون من ستة أيام بواقع ورديتين فى اليوم الواحد طول كل منهما عشر ساعات، وقد تواصل هذا العمل مدة أربعة عشر شهراً فى أيام التحاريق، وجرى بعد هذه المدة دفع أجور ثلاثة أرباع القوة البشرية والاستغناء عنها وجرى الاحتفاظ بالجزء الباقى لعملية الصيانة. كان الغطاس يحمى الضفة تحت الماء عن طريق وضع وسائد متواصلة من الخرسانة الجديدة يزيد عرضها عن أربعين متراً، بحيث تكون على عمق يصل إلى حوالى مائة وأربعين متراً أسفل متوسط خط الماء. وجرى من جديد، الاستغناء عن ثلاثة أرباع القوة البشرية بانتهاء موسم التحاريق. وجرى بعد ذلك طلاء الضفة الاصطناعية بالأسفلت من أعلاها إلى مستوى الماء المنخفض. وهنا ظهرت قيمة استخدام الأيدى العاملة المهاجرة الذين يحسون بالسعادة عندما يعودون إلى مواطنهم وجيوبهم عامرة بالنقود، يزاد على ذلك أن الإشراف عن طريق قوة منظمة أكد لأبى بكر أهمية أفكاره عن قيمة الجيش المدرب تدريبًا جيداً والمزود تزويداً جيداً بالمعدات، فى وقت السلم.

شاهد الزائرون فى مدينة فكسبرج Vicksburg مركز رئاسة لجنة نهر المسسبى، كما زاروا أيضًا مركز قيادة المفرزة التابعة لسلاح المهندسين الأمريكى والمسئولة عن هذا القسم من نهر المسسبى. هذا الموقع من الأرض يشغل ثلثى المسافة من الجزء السفلى من النهر الذى يمتد من باين Pine بلف Bluff على رافد أركنساس Arkansas إلى ناتشيز Natchez، وهذه المسافة تمثل حوالى سبعمائة وثلاثين كيلاً متريًا من سد مستمر لصد مياه الفيضان. هذا التألق الهندسى الفذ الذى عمره قرن من الزمان أمسك على أبى بكر أنفاسه، هذه استثمارات رأسمالية هائلة، ومع ذلك كانت العائدات الوطنية من توسع الصناعة والزراعة فى حوض النهر هائلة أيضًا وسخية. ولاحظ أبو بكر تافاوا باليوا أيضًا كيف أن محطة المجارى المائية التجريبية كان يجرى تمويلها من رصيد دوَّار، يرفع كل الأعباء الاقتصادية عن الأبحاث التى تقوم بها هذه المحطة، بما فى ذلك أيضًا الأبحاث التى تجرى لحساب الحكومة الفيدرالية. وأعمل أبو بكر خياله أيضًا أثناء قيامه بجولة إلى التحصينات المقامة فى مدينة فكسبرج Vicksburg، حيث توجد آثار البطولات التى قام بها المدافعون فى مقاومتهم للمتمردين وحيث أبلت التحصينات بلاء حسنًا: "**ما دمت أنا هنا، لن يستطيع أحد من اليانكى الدخول إلىَّ!**" ويصل الزائرون فى نهاية المطاف إلى نيو New أورليانز Orleans، وهى النقطة التى يجرى عندها نقل البضاعة والشحنات المنقولة بمركبات النقل النهرى إلى السفن عابرة المحيطات، وكانت هناك عجيبة هندسية أخرى هى قناة بونيت Bonnet كار Carre التى تستخدم فى تصريف الماء الزائد، والتى يزيد طولها على كيلين متريين، وتعمل على تحويل مياه الفيضان إلى بحيرة بونتشارترين Pontchartrain على بعد مسافة ثمانية كيلو مترات. العجيبة الأخيرة التى شاهدها أبو بكر كانت عبارة عن رحلة جوية قام بها الرجل لمشاهدة دلتا نهر المسسبى من الجو.

كان ذلك هو "الجنوب الجوَّانى"، الذى تحس فيه وزارة الخارجية بالقلق والعصبية إزاء المعاملة التى قد يلقاها الزائرون الذين ليسو من البيض، لم يكن قد مضى وقت

طويل على الإهانة التى لحقت بسفير الهند. كان حفل كوكتيل رسمى قد أقيم على شرف الوزير النيجيرى، فى الفندق الذى كان الزائرون ينزلون فيه، لكن على الرغم من الضيافة الدبلوماسية، راح مدير الفندق يفتش فى القوائم بحثًا عن السود. وهنا تساءل السكرتير الخاص "ماذا عن جنابه؟" قاصدًا بذلك المعلم أبا بكر: ويرد عليه مدير الفندق ردًا صارمًا "آه، إنه ليس من الزنوج". وهنا يتجلى الفارق الكبير فى ارتداء أبى بكر للثياب النيجيرية، لقد كان شخصية من شخصيات ألف ليلة وليلة، شخصية غير حقيقية. ودعى أبو بكر لإلقاء حديث من إذاعة صوت أمريكا، وقصد الرجل إلى تقليد شخصية تشرشل لمدة عشر دقائق تقريبًا، وقد فسر ذلك تفسيرًا شيطانيًا بعد ذلك بأن قال: **"لقد تعلمت إنجليزيتى فى مجلس العموم، وكنت أظن باستمرار أنهم ينصتون إليه فى هذا المكان"**. استعمل أبو بكر خفة الظل أيضًا فى ذلك الحفل عندما قدم له العمدة شهادة المواطنة ومفتاح المدينة، مصرًا على أن ذلك هو الامتياز نفسه الذى جرى منحه إلى السيد/ بوب Bob هوب Hope، وتأكد له أن المفتاح لم يكن مفتاحًا كبيرًا، ومن ثم سأل سكرتيره الخاص بصوت مهموس عن احتمال أن يكون ذلك هو مفتاح المبلغ الصغير(*).

وعندما نسترجع الهدف من الزيارة، نجد أن أبا بكر توصل إلى استنتاج مفاده أن تكاليف التشغيل كانت عالية وأن الشروط كانت صارمة، حتى قبل أن تجرى ترجمة ذلك كله إلى أطروسياقات نيجيرية. كان الأجر سخيًا، وكانت الإجازة السنوية التى تقدر بحوالى ١٢٢يومًا سخية أيضًا وقد تمتعت بها هيئة العاملين الدائمين، لكن الرجال كانوا يقومون بالخدمة ليلاً ونهارًا طوال سبعة أيام فى الأسبوع، هل يمكن لمثل

(*) المقصود بالمبلغ الصغير هنا، هو ذلك المبلغ النقدى الصغير الذى يحتفظ به للإنفاق على الأمور الثانوية. (المترجم)

هذه الشروط والظروف أن تسرى فى نيجيريا على من هم فوق مستوى العامل اليدوى الماهر؟ كان هناك فارق كبير آخر بين الطريقة الأمريكية والمجلس البلدى الظاهرى للتنمية الاستعمارية، وعلى الرغم من تخلى الحكومة الفيدرالية الأمريكية منذ العام ١٩٢٨ الميلادى، عن النص على حقوق الإبحار وصيانة السدود، بعد إنشائها، للشركات المحلية، لم تكن هناك سلطة عامة واحدة، وكانت الشركات الناقلة كلها ملتزمة بالقيام بكل هذه الأعمال.

قامت لجنة بيولاياتية(*) بالإشراف على تنفيذ سياسة الكونجرس الأمريكى الخاصة بتنظيم نولون النقل السطحى، مراعية فى ذلك التنافس الشريف بين شركات القطاع الخاص، لكن (على ما يبدو) لم يكن ذلك فى صالح السكك الحديدية. أو مصلحتها، قدمت اللجنة الخاصة بنهر المسسبى (شارك فيها مندوب عن سلاح المهندسين الأمريكى) بعض النصائح والإرشادات الخاصة بخطط الملاحة الموسمية المنخفضة. وتولى حرس السواحل مسألة التقويم والطفو، والإضاءة وإصدار بعض التراخيص. كان سلاح المهندسين نفسه يحصل من الكونجرس على نسبة سنوية من كل من رأس المال والإيرادات، وكانت هناك منظومة لموازنة، كانت تقوم على أمر المضى قدمًا فى تنفيذ الخطط الرئيسية، لكن هذه المنظومة لم تكن لها سيطرة على التلوث الصناعى المتعب والمزعج. كانت هنالك هيئات تطوعية وجماعات ضغط من رابطة وادى المسسبى، وهذه الهيئات وتلك الجماعات كانت تصادق المصالح الرسمية أحيانًا وتعاديها فى أحيان أُخر، وذلك فى ضوء الظروف السائدة والمتغيرة. لم تكن فى نيجيريا قواعد أو أسس مثل هذه الأسس حتى يمكن أن تبنى عليها شبكة من السيطرة والتنمية يمكن أن يقول عنها الأمريكيون إنها شبيهة بمنظومتهم، وهنا تبين أبو بكر أن

(*)متعلق بولايتين أو أكثر وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم).

البـدء فى رسم خطـة طويلة الأجل لإيجـاد حـل مـحلى ينبـغى أن تنتظر التـقـارير التى ستسفر عنها الدراسات التى تجريها شركة نيدكو الهولندية.

زد على ذلك أن أبا بكر كان لديه الإيمان والصـبر اللذان يجعـلانه يؤمن أن نـهر النيجر هو ونهر بنيو يمكن استئناسهما كيما يخدما ويلبيا احتياجات النقل الوطنى. هذا يعنى أن الإقليم الغربى فى نيـجيريا سـوف يظل يعـتمـد على السكك الحديدية فى النقل المبدئى لمحصول الكاكاو والقسم الأكبر من المواد الغذائية اللازمة للإقليم، وفى أقـصى الشـرق النيـجيـرى، كـان يجـرى نقل الفـحم كله وثلثى مـحـصول زيت النخـيل بواسطة السكك الحديدية، وكانت كل من بنين Benin وأونيتـشا Onitsha هما ومـوانئ دالات الأنهار تفيد من مناقشة النقل النهرى، فى حين لم تكن السكك الحديدية تفيد من السماح القانونى لها بنقل الفحم، فى الشمال كان الإقليم والسكك الحديدية يعتمدان على بعـضـهـمـا فى نقل المحاصـيل التصديرية وإخلائها، لكن الخط الحديدى الفرعى القـادم من بلدة منًا Minna يمكن أن يشـارك فى عـمليـة النقل الذى أنشئ من أجلهـا، وذلك فى حـال إذا مـا جـاءت الواردات عن طريق النهر إلى مـينـاء بارو Baro وبكمـيـات كـبـيـرة، وبذلك يمكن تخـفـيف الحـمل عن الخط الحـديدى الغـربـى. كـانت هنـاك بعض القـصـص التى ترددت عن أن الحكومــة السـودانيـة Sudanese الجـديدة يمكن أن تمد خطوطها الجديدة لتكون على بعد حوالى ١٣٠٠ كيلاً متريًا من نيجيريا. وعندما جرت مقارنة وصلة خط ميدوجورى Maiduguri الحديدية هى وحاجة فرنسا إلى التصدير من جاروا Garoua بتكلفة صيانة الشاحنات الثقيلة على طرق اللطريط المسامى أحمر اللون تجلت جدوى كل من النقل النهرى والنقل بالسكك الحديدية عوضًا عن عملية الخنق التى تفضى إلى الإفلاس المتبـادل. وقـد أسـفـرت المقـارنة الجـادة للنتـائج والملاحظات عن الإسراع فى تجميع ركائز تقرير جرى تقديمه فيما بعد باسم الوزير، الذى طلب بعد ذلك نسب الفضل فيه إلى سكرتيره الدائم ميخائيل Michael فارفيل Varvill .

بعد ذلك بسنوات اعترف أبو بكر في اجتماع الجمعية النيجيرية، الذي انعقد لمناقشة الوحدة الوطنية، أنه لم يكن يصدق قبل العام ١٩٥٥ الميلادي أن نيجيريا يمكن أن تتوحد في يوم من الأيام. ثم أردف قائلاً بعد ذلك ...

" لقد حظيت بلقاء جنسيات فرنسية، وألمانية، وإيطالية، وجنسيات أخرى من مختلف أنحاء العالم الذين استوطن أسلافهم [الولايات]. وهم يعملون مع بعضهم البعض مثل شعب واحد. وكانوا يتفاخرون بأنهم يسمون أنفسهم أمريكان. وهم يعتقدون أنهم كانوا أمة واحدة، الأمة الأمريكية العظيمة. كانوا يتحدثون عن أسلوب الحياة الأمريكية، على الرغم من تباين خلفياتهم الثقافية. وأنا عندما رأيت ذلك سألت نفسي: إذا كانت الولايات المتحدة التي يعيش فيها أكثر من ١٦٠ مليون نسمة تعد نفسها أمة واحدة على الرغم من تباين مكوناتها كلها، فلماذا لا تكون نيجيريا أمة واحدة؟"

كتب أبو بكر تافاوا باليوا رسالة أرسلها إلى المعلم جاربا Garba كافن Kafin ناداكي Nadaki، في نيجيريا يقول له فيها: **"منذ ذلك الحين أصبحت نيجيريا ولا شيء غير ذلك"**. ويتحول ذلك إلى قرار سياسي واع ولحظة من لحظات الصدق، هي أكثر إيجابية من أي التزام مصطنع بحركة الجامعة الإفريقية.

وفي طريق عودته عن طريق نيويورك، عرّج أبو بكر بطبيعة الحال على مبنى أمباير ستيت Empire State، ليشتري من هناك تذكاراً عبارة عن أقلام حبر جاف لزملائه الوزراء. كان هارولد ماكميلان، وزير الخارجية البريطاني، عائداً إلى لندن على الرحلة نفسها، وقد حيّا الرجل أبا بكر تحية حارة. سافر ميخائيل فارفل مباشرة إلى ليجوس وراح يعد اقتراحاً استعداداً لطرحه للمناقشة، في حين استرخى الوزير مدة أسبوع وراح يتسوق خلاله. وفي محلات ماركس وسبنسر في شارع أكسفورد نجح جيم Jim

هوالى Whalley فى العثور على ثلاثة مدراء كانوا يعملون ضمن قوات الحدود الملكية الإفريقية الغربية وتذكر شيئًا من لغتهم الهوساوية فى الثكنات فى زمن الحرب، وقد عاونه هؤلاء المدراء فى اختيار قمصان النوم وفى تسعيرها ومقاساتها التى كان الوزير يشتريها لزوجاته. وإذا كان جيم هوالى موثوقًا به فى مرافقه زوجات الوزير إلى عيادة النساء فى ليجوس، حيث يقوم لهن بدور المترجم، فذلك يعنى أن مسألة شراء الملابس الداخلية للنساء لم تكن مدعاة للحذر أو الحرص. انتقل المعلم أبو بكر إلى هيث Huthe فى كنت Kent لزيارة السير بريان Bryan شارود - سميث الذى كان فى إجازة فى ذلك الوقت، كما زار أيضًا توم Tom وليامسون Williamson فى وزارة المستعمرات ليتحدث معه فى الشئون النيجيرية. وهاتف أبو بكر شارود - سميث "لوداعه" وفى ليجوس كتب تقريراً عن مهمته للحاكم - العام، الذى سأله عما إذا كان قد لقى بعضًا من المصاعب الناتجة عن التحاملات الأمريكية التى عانى منها النيجيريون الآخرون. وتأكد السير جيمس شارود - سميث واطمأن عندما سمع أبا بكر يقول: "لقد حسبونى مهراجًا هندى، أو أميراً عربيًا، وعاملونى باحترام كبير". كانت هناك أيضًا أخبار من هولنده حول هذا الموضوع: كانت شركة نيدكو Nedeco قد أجرت اختباراً فى معاملها الهيدروليكية فى دلفت، على حاجز إسكرافوس Escravos الرملى كيما يكون امتداداً لدراستهم التى يقومون بها على الدلتا الغربية.

أقنعت الرحلة التى قام بها أبو بكر تافاوا باليوا من يولا Yola" إلى لوكوجا Lokoja فى كابينة خاصة، أقنعت الرجل بصفته وزيراً بأن الأفكار التى طرحها الهولنديون عن تحسين المواصلات بين الشمال والجنوب، كانت لها مبرراتها. هذا يعنى أن الجولة التى قام بها أبو بكر فى المجارى المائية الأمريكية أقنعت الرجل بالطابع العملى لتلك المجارى المائية، ومدى تطبيق هذا الطابع فى نيجيريا فى إطار الأبعاد المتوفرة فى الوقت الراهن، وبخاصة أن نيجيريا بلد بوسع اقتصاده تحمل أعداد محددة ويسهل حسابها - سواء أكان ذلك من سيارات النقل طراز بدفورد أودودج، أم

من الكيلو مترات من طرق اللطريط التى تجف تماماً طوال الموسم، أو من الناقلات من طراز هيرون Herons أو ويفرر Wayfarers، أو التحسينات التى طرأت على خط السكك الحديدية مقاس ١.٠٧ متر. والقراء الذين يشككون فى أهمية الأفراد، أو أولئك الذين يعزون تتبعهم للأسباب الإنشائية طويلة الأجل إلى ما يعدونه النتائج الحتمية للعمليات التاريخية، قد ينظرون أيضاً إلى هذا التمويل النهرى على أنه أمر عديم القيمة ولا صلة له بالموضوع. ومع ذلك، فإن سجل الأحداث لابد أن يظل حيًا أمام هذه التشكيكات والإمكانيات التى كانت بمثابة المستقبل الوحيد الذى يعرفه المعاصرون، يزاد على ذلك، أن شخصيات الحياة العامة، على الرغم من استلهامهم لتخيلاتهم وأيدولوجياتهم، يجدون أنفسهم دوماً مقيدين بالقيود الشعبية من ناحية وبالأدوات والآلات المحيطة بهم من الناحية الأخرى. لم يستطع أحد فى العام ١٩٥٥، بما فى ذلك مسئول وزارة المستعمرات الذى كان ملحقًا على باوتشى Bauci، والذى أدهش زملاءه فى موجة من موجات الفرح والسرور برؤية تخيلها لمصنع له مداخن يتصاعد منها الدخان فى السهل الموجود أسفل تلال تنجال - واجا Tangale - waja، لم يستطع أحد فى ذلك العام التنبؤ بالموارد المختلفة تماماً والإحباطات التى يمكن أن تصيب نيجيريا، بعد ذلك بجيل واحد من الزمان. وأيًا كانت قيمة الدراسات التى تجرى على نهر النيجر، فمن المهم فى هذه الظروف معرفة أن أبا بكر، كان قد اطلع، حتى ولو لفترة وجيزة، على القوة العظمى التى اكتسب منها بعض السياسيين الأفارقة من غرب إفريقيا، أفكارهم الجديدة، كان أبو بكر قد التقى كثيراً من البيض الواثقين بأنفسهم والذين كانت أفكارهم ومواقفهم تختلف اختلافًا جذريًا عن مواقف البريطانيين وأفكارهم الذين كان أبو بكر يعرفهم خير المعرفة، كما اطلع أبو بكر على نجاحات تقنية من درجة، لا يمكن أن يتطلع إليها البريطانيون، الذين اعترف بهم أبو بكر على أنهم جزيرة لها تاريخ طويل وعريق جرى توحيده بفضل الألم المزمن. كان أبو بكر سعيداً بعودته إلى وطنه (أقصد عودته إلى باوتشى وإلى مزرعته)، لكن الرجل أصبحت لديه الأدلة المبدئية التى تدعم وعيه المستقى من الكتب والذى مفاده أن كلا من باوتشى، وليجوس، ولندن يمكن أن تكون كلها أماكن

مهمة فى حد ذاتها، لكن هذه المدن كلها بعيدة وغير مهمة عند الملايين الملينة فى أماكن أخرى. ومع ذلك، وعلى الرغم من خلو تفكير الرجل من ضيق الأفق، فإن إحساس الرجل بالود والصداقة لم يتأثر بهذه الزيارة.

كانت الشبكة التى نصبت لاختيار الشماليين المناسبين للعمل فى الهيئة الحاكمة للبنك المركزى الجديد المقترح (الذى ظن الناس أنه سوف يحل محل مجلس عمله غرب إفريقيا، الذى يصدر العملة الورقية الاستعمارية البريطانية الموحدة فى منطقة الساحل الإفريقى) قد اصطادت المعلم يعقوب Yakubu وانكا Wanka، أمين خزينة باوتشى المحلية، الذى تعين عليه بناء على هذا التعيين، أن ينقل فى العام التالى وظيفة المسئول البرلمانى الرئيسى لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى(*) Whip فى المجلس الفيدرالى إلى المعلم ميتاما Maitama سول Sule. لم يكن المعلم أبو بكر تافاوا باليوا فى وضع يمكنه من تقديم المعلم يعقوب وانكا، على الجانب الآخر لم يكن أمام نفوذ أبى بكر السياسى سوى تقديم يد العون والمساعدة لذلك الرجل، وسرعان ما اعترف الناس باستعداد أبى بكر لتشجيع الشباب الواعد وأن يقبل على مخاطرة إعطائهم المسئولية فى مرحلة باكرة من حياتهم. جرى فى الوقت نفسه إنشاء المجلس الاقتصادى الوطنى المقترح، برئاسة الحاكم العام لنيجيريا، وكانت أغلبية الأعضاء من ليجوس ومن الشمال، وذلك من باب تنفيذ توصيات البنك الدولى للإنشاء والتعمير التى تحتم وجود آلية تشجع الاتحاد الفيدرالى على الازدهار والتناغم المالى.

عند هذا الحد يلتقى الرئيس أوبافيمى Obafemi أولوو، ولأول مرة، السير جيمس روبرتسون فى أول مناقشة مهمة لهما، والسبب فى ذلك أن الرؤساء كلهم كانوا يتطلعون إلى المؤتمر الذى سيعقد فى العام التالى. اتضح أن قدرًا كبيرًا من آراء هذا الرئيس، جرت مناقشتها فى السر، كانت قريبة جدًا من أفكار أبى بكر تافاوا باليوا.

(*) عضو فى حزب برلمانى مسئول عن تواجد الأعضاء للتصويت. (المترجم)

قال الرئيس أوبافيمى: إن أبا بكر تافاوا باليوا، فى ظل دستور معقول، كان ينبغى دعوته إلى تشكيل حكومة، نظراً لأن الوضع كان بحاجة إلى حكومة جديدة بالفعل. لم يكن الرئيس أوبافيمى راغباً فى تغيير التوازنات فى المؤتمر التالى، صحيح أن الرجل من الناحية النظرية، يرغب فى المزيد من الأقاليم، لكن ذلك يجب ألا يكون على حساب إبعاد الشمال. كان الرجل يرغب فى وجود دلتا - بنين Benin - delta (أو بالأحرى الغرب الأوسط)، نظراً لأن هذه الأقاليم ستكون من مسئولية حكومة حزب جماعة العمل الذى ينتمى هو إليه، لكن أوبافيمى لم تكن لديه أية فكرة عن تحقيق ذلك من الناحية المالية، وقد أقر الرجل واعترف بأنه لم يخطر على باله مسألة قيام غير المدربين قليلى الخبرة بإدارة ولايات الحكم الذاتى الجديدة. هذا يعنى أن مركزية أزكوى هو وحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى كانت خطأ فى بلد كبير من هذا القبيل، لكنه بصفته عضواً فى البرلمان يتعين عليه تقويم مسألة تسود الشماليين لمجلس الممثلين. يزاد على ذلك أن كود سلوك الوزراء يجب توسيعه على نحو يمنع الوزراء الفيدراليين من التدخل فى الشئون الإقليمية والعكس بالعكس. أكد أوبافيمى أنه مثل سكان شرق نيجيريا كان ينتظر ويتمنى الحصول على الحكم الذاتى فى العام ١٩٥٦ الميلادى، كما كان الرجل يُسَلِّم أيضاً بأن الحكم الذاتى لا يمكن سحبه أو التراجع فيه نظراً لقيام فريق من الوزراء بزعزعة الثقة الداخلية أو الخارجية - نظراً لأن بريطانيا على استعداد دوماً للتدخل لرأب الصدع وإصلاح التلفيات. لكن إذا ما أقدم المؤتمر على أقلمة re-gionalize الشرطة، فإن الحكام سوف يتعين عليهم الاحتفاظ بالقوات الاحتياطية، وبالقوات ذات العلاقة **بالأبوات** Obas والحكام الطبيعيين. لم يكن أوبافيمى يرغب فى رؤية مؤتمر ينعقد فى ليجوس سريعة التقلب اللهم إذا ما ارتكب ذنب نشر أى شىء عن وقائع مثل هذا المؤتمر غير المنشورات الرسمية. ونظراً لعدم وثوق الرجل من محصلة كلام هذا السياسى الذى يمتلك حزبه صحفاً خاصة، فقد اطمأن السير جيمس روبرتسون إلى ما استمع إليه على الرغم من اختلافه عن التصريحات الشعبية التى كان أولوو Awo يدلى بها، كان بعض أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لا

يزالون يشاكسونه بحديثهم عن الهيئة المركزية المصغَّرة التى تشبه اللجنة العليا فى شرق إفريقيا، يزاد على ذلك أن أبا بكر تافاوا باليوا نفسه لم يستبعد تمامًا من مفرداته فكرة "الوكالة المركزية" حتى وإن لم تظهر بعد ملامح هذه الوكالة فى خططه. وظهر أيضًا أن حكومة إيبادان لم تعد بعد معارضة لمنظومة التشريف مثل معارضتها السابقة للحكم الذاتى الداخلى. لم يقل أولوو إنه كان يتوقع أو ينتظر فصل إقليم كلبار - أوجوجا Calabar - Ogoja عن الشرق، ولم يكن الرجل يتوقع أو ينتظر أيضًا أن يؤدى ذلك إلى جعل الحزام الأوسط إقليمًا حتميًا ولابد منه.

فى شهر نوفمبر من العام ١٩٥٥ تقاعد روبرت Robert رايت Wright تقاعدًا مبكرًا من الخدمة، وقد سمحت زيارة العمل التى قام بها الرجال إلى كادونا، لأبى بكر تافوا باليوا بمقابلة أخيرة مع الرجل الذى سبق أن أسدى له النصيحة، وساعده فى تعلم اللغة، وآزره معنويًا فى ارتقاء أولى درجات سلم الحياة السياسية. لم تتغير آراء روبرت رايت - كان أبو بكر قد قبل تلك الآراء مثلما يقبل أى تلميذ آراء أستاذه، حتى بعد أن أصبح تحت تأثير الأفارقة الآخرين العقلاء والمجربين وأصحاب الخبرة من ناحية، وتحت تأثير الموظفين البريطانيين الأقوى منه لكنهم من أهل الثقة، الذين كانت تربطه بهم علاقة الند للند أو الرئيس بمرءوسيه المخلصين. كانت الشكوك تراود روبرت رايت فى الحكمة التى وراء استعمال الديمقراطية البريطانية فى إفريقيا الحكم الذاتى، لكن روبرت كان يقر ويعترف أن أية حكومة من الحكومات يتعين أن تكون لها معارضة متعلمة ومسئولة، كان ذلك هو السبب فى أن الرجل عندما كان عميدًا لمركز التدريب فى باليوا، حذر وأنذر (دون أن يسلم بذلك تسليمًا كاملاً) وشجع أمين كانو، الذى كان يحاضر فى المركز، والذى لم تكن له على العكس من أبى بكر المعين من قبل الأمراء، قاعدة قوية فى مؤسسة الحكم المحلى، أنه قد يخلق لنفسه فى يوم من الأيام أتباعًا ويستبدئ صراعًا على الأصوات. بدأ تبادل الزيارات يقل شيئًا فشيئًا بين روبرت رايت

وأبى بكر تافاوا باليوا بدءًا من العام ١٩٥١ الميلادى، لكن فى هذه الزيارة الأخيرة بالذات راح المدرس يوحى لتلميذه السابق بالفكرة التى مفادها أن السياسيين إذا ما أرادوا إقامة العمل الديمقراطى فى نيجيريا فإنهم يتعين عليهم التدليل على صفات الكرم الذى لم يحلموا به فى فلسفتهم. قال روبرت رايت: إن ذلك يعنى أن أبا بكر يتحتم عليه التخفيف من ذلك الذى بدأ الناس ينظرون إليه على أنه تجاوزات من قبل المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، والسبب فى ذلك أن الأقاليم الأخرى لا يمكن أن تتحمل ذلك إلى الأبد من المستشار السياسى الرئيسى. ذكّر روبرت رايت أبا بكر تافاوا باليوا أنه أعطى الجنوب فى العام ١٩٤٧ الميلادى مبرر الاحترام، إن لم يكن الخوف من الشمال، وفى العام ١٩٥٠ الميلادى وعندما هدد أبو بكر بترك السياسة، كان روبرت رايت قد أقنعه أنه كُتب عليه إثبات حُنكته السياسية، لأنها هى الشىء الوحيد الذى يمكن أن يحافظ على وحدة البلاد، وتلك مهمة لا يصلح لها أى أحد سوى أبى بكر.

عندما أجاب روبرت رايت عن السؤال الذى كان أبو بكر تافاوا باليوا يطرحه على كثير من المغتربين عندما كان يذهب لوداعهم، والذى يقول : "لماذا تتركونا فى الوقت الذى لا يزال هناك الكثير الذى ينبغى إنجازه؟" جاءت إجابة الرجل فى بعض أجزائها تفيد أنه أعيته رغبة بريطانيا الواضحة فى التخلى عن المسئولية، وبخاصة عندما فشلت فى ممارسة بعض الضغوط المعقولة على المستشار الرئيسى Sardauna؛ قال روبرت رايت: إنه عندما أسلم رأسه للمستشار السياسى الرئيسى، أدى ذلك إلى تصعيب مهمة المعلم أبى بكر فى قيادة الفريق الفيدرالى. لم يكن روبرت رايت مقتنعًا أيضًا بسياسة شارود - سميث التى تقوم على عدم "التدخل" أو ممارسة الضغوط فى معظم الأحيان، ما دام أن الوزراء أو الجمهور لا يقرون الحرص الشديد من جانب الحاكم العام، كما قلت أيضًا العقوبات الاحتمالية، ولم تعد لها جدوى، فضلاً عن قبول روبرت

رايت لرأى الحاكم الذى مفاده أن رئيس الوزراء قد "تغير تمامًا". يزاد على ذلك أن كليهما كان يعرف أن روبرت رايت لم يعد فى وسعه فعل أى شىء لمساعدة تلميذه وصديقه.

كانت الصحوة المباشرة التى حدثت فى كادونا هى الأخرى محط اهتمام الوزير باعتباره طالبًا دارسًا للآلات الحكومية. تعيين روبرت رايت سكرتيرًا دائمًا لم يكن مرضيًا لشخصه. كان السواد الأعظم من السكرتيرين الدائمين موظفين إداريين سابقين، والسبب فى ذلك أن شارود - سميث هو والمستشار السياسى الرئيسى كانا يريان، فى شىء من المنطق، أن رؤساء الأحياء السابقين أكثر تفهمًا وتسامحًا فيما يتعلق بالمسائل السياسية. كان رؤساء الإدارات المحترفين وبدرجات متفاوتة مستائين من وضع بلهاء الوزارة فى أعشاشهم المعروفة. لما كان روبرت رايت نفسه رئيس حى سابق، لكنه الآن يشغل منصب مدير إدارة، فقد وجد نفسه لا هذا ولا ذاك، فى الوقت الذى كان المتأثرون به ينظرون إليه بوصفه وسيطًا دبلوماسيًا يتعين عليه فعل الكثير من أجل أن يقلل رفاقه التربويون من نفش ريشهم. كان الدستور قد أقر أنه بناء على توجيهات الوزير وتحت إشرافه، يتعين أن تكون الإدارة تحت إشراف السكرتير الدائم، (**"ما الذى تقصده اللغة الإنجليزية هنا؟"** طرح أبو بكر هذا السؤال ذات مرة على هوالى Whalley، وأردف فى شىء من الشاعرية، **"لدى حتى الآن ثلاثة عشر سكرتيرًا دائمًا"**). كان روبرت رايت صاحب طابع مستقل، لكنه كانت معلوماته قليلة وسلطته أقل من هذه المعلومات فى وزارته، والسبب فى ذلك أن إدارة التعليم فى الشمال كان يجرى توجيهها والتحكم فيها تحكمًا شديدًا بواسطة مدير الإدارة تونى Tony شلنجفورد Shillingford، فى الوقت نفسه الذى كان روبرت رايت يعد نفسه مجرد منصب مؤقت ليس إلا فى لعبة الأرنب وكلاب الصيد، كان هذان الرجلان هما ووزيرهما اللطيف صادق العزم يكونون ثلاثيًا طيبًا من الأصدقاء، لكن رايت نفسه كان يحس أنه لا يعدو أن يكون مجرد ثقل التوازن بين الاثنين الآخرين. كان رايت حزينًا أيضًا جراء ما أسماه المعدل السريع فى

عملية تخويل السلطة لأولئك الوزراء المتيمين بالسيارات غالية الثمن من ناحية، والمنازل الرسمية الفاخرة من ناحية ثانية ومحاباة الأقارب فى الوظائف من ناحية ثالثة، واستشعر رايت أيضًا نقصًا فى التوجيه من جانب كل من الحاكم والسكرتير المدنى تطبيقًا لسياسة عدم التدخل Laisser Faire ("هم السادة الآن، دعهم يحصلون على كل ما يريدونه!"). وقد أوضحنا سياسة شارود - سميث تجاه رئاسة الوزراء. كان بعض أنداد السير روبرت رايت أكثر صفحًا ("الأمر لا يحتاج إلى إثارة الضجيج حول كل تجاوز من التجاوزات الصغيرة؛ ويستثنى من ذلك المكاشفة فى المعارك التى يتحتم خوضها")، لكن المتشككين كانوا يصدقون ويؤمنون أن تعطيل المقاومة وتأخيرها يعنى رفض المقاومة وإنكارها فى نهاية المطاف، يزاد على ذلك أن السكرتيرين الدائمين لم يكونوا يلتقون أو يرون الحاكم بصورة مستمرة، بل ووصل الأمر بهم إلى حد المبالغة فى مدى تأثير الحاكم على الوزراء الذين يركزون اهتماماتهم على ذواتهم أولا.

كان جليوم Gillum سكوت Scott السكرتير المالى قد أبعد السقاطة عن مكانها باتخاذ قرار من جانب واحد مفاده، أنه كما هو الحال فى الحكومة البريطانية، يجب أن تكون التمويلات الوزارية تحت سيطرة السكرتيرين الدائمين فى الوزارات. كان هذا الأمر عند المديرين الذين ينظرون إلى السياسة باعتبارها نزاعًا بين شخصيات متنافسة، بمثابة التجاهل الكامل لردود أفعال كبار الموظفين فى الوزارة من ناحية، ويتعارض من ناحية ثانية مع روح التفسير السابق للدستور، وذلك بغض النظر عما توحى به النسخة المعدلة من الدستور. وعلى حد فهم كبار الموظفين هؤلاء، فإن رئيس الإدارة يكون مشاركًا للسكرتير الدائم فى التنظيم وليس تابعًا أو مرءوسًا له، وذلك من منطلق أن كل واحد من كبار الموظفين له حق الاتصال بالوزير إذا ما أراد ذلك، يزاد على ذلك أن الوزير هو والسكرتير الدائم يتشاوران مع المدير طلبًا للموافقة الشعبية والحصول على موارد من الموازنة عن طريق المجلسين التنفيذى والتشريعى، لكنهما ليس من حقهما التدخل أو التورط فى الإدارة، أو تنظيمها أو تحسينها سواء أكانت

هذه الإدارة خاصة بالصحة أو التعليم أو الاشغال أو أى موضوع أخر. وعلى الرغم من انتشار هذا الجدل على نطاق واسع إلى أن حدثت عملية التكامل، بأن أصبحت الإدارات الاستعمارية القديمة فروعًا من الوزارات الجديدة، وإلى أن جرى إحلال المستشارين الفنيين محل المديرين القدامى، فإن روبرت رايت Wright ضاق ذرعًا بالمهمة التى تمثلت فى سكب المزيد من الزيت على المياه المضطربه (أو بالأحرى على النار كما يقولون)، ومن سوء الطالع أن يقر الرجل ويعترف أنه فقد اهتمامه بعمله. هذا يعنى، على حد قول الرجل، أن اهتمامه كان منصبًا على العمل المحلى المتعلق بالبشر، وأن أوان عودة هذا الرجل إلى ذلك العمل قدولىّ وفات لانشغاله بعالم الورق ومظاهر الغضب المختلفة. كان المعلم أبو بكر قد فهم المشكلات الفلسفية، وتحتم عليه الرضا بمستقبل قد لا يوجد فيه سوى قلة قليلة من الأوفياء الذين قد تفضى صفتهم الأجنبية إلى جعل آرائهم أكثر قيمة، لأنها تبدو نزيهة على المستوى المحلى. ويلتقى الرجلان مرة أخرى على الصعيد الاجتماعى فى بريطانيا، لكن الابتعاد النيجيرى كان محزنًا وصعيبًا. ولم يحظ روبرت رايت مطلقًا بأى شكل من أشكال التشريف أو التكريم عن خدمته المخلصة.

باتت اهتمامات أبى بكر الرسمية مركزة على المجلس الاستشارى للجيش، الذى اقتاده إلى كادونا لكى يترأس الاجتماع الثانى لذلك المجلس. أعلن أبو بكر فى الاجتماع أن **"قيادة غرب إفريقيا سوف يجرى حلها فى شهر يوليو القادم [1956] وسوف تنقسم قوة الحدود الملكية فى غرب إفريقيا إلى ثلاثة قيادات مستقلة، قيادة لنيجيريا، وأخرى لساحل العاج، وقيادة ثالثة لكل من سيراليون وجامبيا، وسيكون لكل قيادة من هذه القيادات قائدها المستقل وهيئة عاملين خاصة بها" (وسوف تكون تلك القيادات خاضعة لمجلس الجيش البريطانى فى لندن).**

> **"هذا التغيير فى بنية القيادة لا يهدف إلى العزل الكامل للقوات الأربعة فى غرب إفريقيا. هناك مشكلات مشتركة ومطالب**

واحتياجات مشتركة أيضًا. من صالح الجميع أن المسائل الخاصة بالتدريب ومعدات القوات يجب ألا تتنوع بلا داع، وأن تواصل حكومات غرب إفريقيا اتصالها بعضها ببعض فيما يتعلق بالمسائل الفنية والمسائل السياسية. ومن ثم فنحن نقترح، بقاء مجلس الجيش الاستشارى لغرب إفريقيا، الذى أنشئ فى العام ١٩٥٤ . يضاف إلى ذلك، أن حكومات غرب إفريقيا تدرس فى الوقت الحالى المقترحات التى ينبغى تقديمها لحكومة صاحبة الجلالة فى المملكة المتحدة لتعيين المستشارين العسكريين لكى يساعدوا فى تنسيق الدفاع فى غرب إفريقيا".

يبدو أن الارتياح المتبادل بين أفراد أسرة الساحل الغربى الإفريقى البريطانى، الذى كانت تترأسه نيجيريا، لكنه يخضع للمظلة الإمبريالية، لم يكن محطًا للشك والارتياب فيما يتعلق بهذا الكلام. بعض آخر فسر هذا الكلام على أنه نهاية قاطعة لأية مشاركة من جانب غرب إفريقيا فى أية حرب من حروب الكمنولث المستقبلية أو دفاعاته. ومع ذلك، فإن التعليقات المعاصرة على ذلك، تذهب إلى العكس تمامًا، والسبب فى ذلك: "أن جامبيا مستعمرة لا يفكر أى سياسى من سياسييها فى الاستقلال"، "وأن أكبر المستعمرات البريطانية والتى يبدو عليها فى الوقت الراهن أنها ليست غنية أو كبيرة على نحو يسمح لها بالاستقلال هى سيراليون"، وأن "قوة عملة ساحل الذهب، التى على وشك الصدور، مدعومة باحتياطيات كبيرة وفائض كبير من الدولارات، تعد سندًا قويًا لمطالبة ساحل العاج بالاستقلال (لكن التنافس الحربى، والمطالبة بالأيلولة الإقليمية قد يعيق حصول ساحل العاج على الحكم الذاتى فى العام ١٩٥٦).

إذا كانت ثروة ساحل الذهب ومستقبله المستقر قد أصبحا أمرين مؤكدين، ومعهما قدرة هذا البلد وكفايته فى الحصول على الاستقلال، وأمنه المتبادل مع أصدقائه، فإن سحابة التغيير التى كانت تلوح فى الأفق أصبحت واضحة الآن ومرئية من كل أولئك

الذين كانوا ينظرون إليها. كانت هناك إشارات بين الحين والآخر فى هذا الصدد إلى البترول. الواقع أن شركة من شركات البيتومين النيجيرية قامت ذات مرة ببعض الاستكشافات بالقرب من ليجوس، وعثرت الشركة فى العام ١٩٠٨ على مادة غليظة القوام لا تصلح للتسويق، لكنها أغلقت هذه البئر فى العام السابق لمولد أبى بكر تافاوا باليوا. كانت شركة شل دارسى D'Arcy، التى استدعيت مرتين بالفعل، تجرى مسوحاً سيزمية ومسوحاً عن الجاذبية فى منطقة امتياز تزيد مساحتها على ١٥٥٠٠٠ كيلو متر مربع بدءاً من العام ١٩٣٨ إلى أن أدت متاعب الحرب إلى تعليق الأعمال فى الفترة ما بين ١٩٤١ و ١٩٤٦ . وبعد أن أنفقت الشركة ستة ملايين جنيه إنجليزى، بدأت تعجل فى عملها فى العام ١٩٥١ عن طريق اللجوء إلى المسح الجوى لمنطقة تقدر بحوالى ٢٨ ألف كيلو متر مربع من الدلتا، الأمر الذى كان يمكن أن يستغرق عقوداً من الزمن بغير هذه الطريقة، وأن العمل بغير هذه الطريقة يكون بواقع أيام قلائل من الشهر وفى ظل سماء صافية وجو صحى، لكن المسح الجوى انتهى فى شهر أبريل من العام ١٩٥٢ . وخضعت أول بئر من أبيار التجارب للاختبار فى شهر سبتمبر من العام ١٩٥١ بالقرب من بلدة أويرى Owerri، وجرى التخلى عنها لجفافها، بعد أن وصل عمقها إلى ٢٣٥٠ متراً. وجرى بعد ذلك العثور على "دلائل" على الزيت والغاز فى بلدة أوليوبيرى Oloibiri، وبكميات أكبر من أية كمية من الكميات التى سبق العثور عليها. وبقى كثير من الناس يبدون إعجابهم بمثابرة المنقبين وصبرهم، لكن قلة قليلة هم الذين استطاعوا التوصل إلى نتائج محددة.

توقف العمل بعد عام من إعادة تعريف الخدمة الاستعمارية، طبقًا للأسباب التى وضعتها وزارة المستعمرات الجديدة فى مجلس الوزراء البريطانى. كان السيد/ يعقوب (جيمس) بام Pam بمثابة الطالب العسكرى الخامس من الشمال، الذى حصل على تصديق الملكة على عمله فى الجيش بعد التدريب الذى حصل عليه فى بريطانيا. حدثت أيضًا بعض التطورات الأخرى فيما وراء البحار مثل عودة حاكم بوجنده Buganda

وعودة سلطان مرّاكش Morocco محمد الخامس من منفاه فى بلدة تانجور بالقرب من مدراس فى الهند، بعد اندلاع العنف فى بلاده، كما أعلنت حالة الطوارئ فى قبرص بعد سلسلة من الانفجارات الإرهابية، كما انسحب أيضًا اتحاد جنوب إفريقيا من الجمعية العامة للأمم المتحدة، لأن المنظمة العالمية كانت لا تزال مصرة على مناقشة تقرير كيرز Curz فى العام ١٩٥٢ والأخذ به فيما يتعلق بالفصل العنصرى، يضاف إلى ذلك أن المظاهرات كانت متواصلة ومستمرة فى الكاميرون. فى الإقليم الشرقى، وعلى الرغم من أن مازى Mazi مبونو Mbonu أوجيك Ojike جرت تبرئته من الفساد بواسطة لجنة تحقيق "إيكبيزو" Ikpeazu التى ورد ذكرها فى الفصل التاسع، فقد قضت "بفساده" هو والسيد/ ميخائيل أوجو Awgu، لجنة الرشوة فى شرق نيجيريا، وطلب الدكتور أزكوى منهما تقديم استقالتيهما، دعت حكومة الغرب الإقليمية مجلس حى إيبادان لإبعاد وزيره السابق، لكن المجلس أعاد انتخاب السيد/ أدجوك Adegoke أدلابو Adelabu رئيسًا للمجلس. وقد أحدث التقرير الذى قدمته لجنة زائرة من اتحاد الصناعات البريطانية إلى إثارة القلق والاستياء بنسب متساوية؛ فقد أوضح هذا التقرير مخاوف رجال المال والأعمال الحقيقية من الشكوك السياسية، والفوضى الإدارية، ونقص الموارد الطبيعية، الأمر الذى جعلهم يوصون بوقف التمادى فى المخاطرات الاستثمارية فى نيجيريا إلى أن يتضح المستقبل بصورة أوضح بعد العام ١٩٥٦، أو عندما يتم الحصول على الحكم الذاتى. لاحظ نقاد المجلس الفيدرالى للتحقيقات، الشماليون أن شركة هوايتهيدز Whiteheads استثمرت على الرغم من ذلك كله، مبالغ كبيرة فى مشروع لصناعة المنسوجات فى كادونا، وذلك على الرغم من الإغراءات الكبيرة بالانتقال إلى إقليم آخر، نظرًا لقرب المصنع من مناطق زراعة القطن فضلاً عن قلة القيود المفروضة على العقود. وفى بلدة تلدن Tilden فيلانى Filani، على حدود باوتشى مع الهضبة العالية، جرى الحفاظ على أحد الفنارات باعتباره أثرًا قوميًا، يؤبن خمسين عامًا من تعدين القصدير.

أوفد حزب العناصر الشمالية التقدمي وفداً آخر إلى لندن ليصر على إلغاء المجمعات الانتخابية، واستقبل كرستيان Christian أكشن Action المُعَلِّم أمين كانو قبل مقابلته لوزير الخارجية فى اليوم الرابع من شهر يناير من العام ١٩٥٦ . كان حزب أمين كانو قد تحسن حاله المعنوى لأنه استطاع هزيمة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى الانتخابات فى مجلس مدينة زاريا الجديد (حيث عجز مرشحوا حزب المؤتمر الشعبى الشمالى "التقليديون" "والتقدميون" تقسيم أصواتهم). كان هؤلاء المرشحون يتطلعون إلى الاستحواذ على المؤتمر الدستورى التمهيدى الذى سينعقد فى اليوم السادس من شهر يناير ("يا الله، لقد مر علينا عدد كبير منهم!" كان كبير السكرتيرين قد ردد ذلك بعد المؤتمر سالف الذكر)، كان مقرراً لذلك الاجتماع التجهيز للمؤتمر العام الذى وعد ليتلتون Lyttelton بانعقاده فى شهر أغسطس. كان المعلم أبو بكر قد أكد للسير جيمس روبرتسون أن المستشار السياسى هو وحزبه لن يوافقا مطلقًا على أى تقسيم للشمال، أو على حكومة فيدرالية ذات سلطات أوسع. وعلى الرغم من مغالاته الوطنية، فقد بدَّد شكوك جيمس روبرتسون التى مفادها أن السواد الأعظم من السياسيين الشماليين والناخبين المتعلمين، لا يزالون يفضلون أن تكون الوكالة المركزية غير السياسية المرفوضة، بمثابة الأداة التى تحتوى ذلك الاتحاد الفيدرالى المفكك. وقد أعطى الرجل السير جيمس روبرتسون ملخصًا موجزاً لرغبات ومطالب حزب المؤتمر الشعبى الشمالى والتى تتلخص فيما يلى :

١ - مجلس أعلى، لكن مجلس أدنى مقسم تقسيماً صارماً على السكان،

٢ - قوة شرطة إقليمية،

٣ - يجب أن تكون للحاكم العام سلطات تحفظية خاصة فى وقت الطوارئ أو حالها،

٤ - يجب أن تكون ليجوس فيدرالية بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة،

٥ – يجب أن تكون "دعائم الشمال الاثنا عشر" (النظرية التى ابتكرها شارود – سميث، لنقل السلطة إلى الهيئات الإقليمية على أمل ربط السلطات المحلية بالحكومة السياسية الإقليمية ربطًا محكمًا، وهذا ما سنتطرق إليه فى الفصل الثالث والعشرين) فى انتظار اللجنة التى كانت تدرس هذه النظرية وبرئاسة وزير برنو Borno،

٦ – يتعين على زعيم الأغلبية تعيين مالا يقل عن عضوين مغتربين من بين إجمالى الأعضاء الثمانية،

٧ – متحدث شمالى من خارج المجلس الأدنى (إذا ما جرى انتخابه، على أن يستقيل من مقعده).

على الصعيد الشخصى كان أبو بكر قد أوشك على التفكير فى الإشارة بصورة أو بأخرى إلى حرية العبادة، وإلى شيء من تعريف "الحقوق"، ما دام أنه سبق له دراسة الدستور الهندى. وقد أطلعه روبرتسون على النصوص المماثلة فى لائحة الحكم الذاتى السكانى، التى شارك فى وضعها وصياغتها، وقد أعجب أبو بكر بهذا التصرف، وذلك على العكس من الزمن الذى قد لا تتاح للحكام فيه سلطة المحافظة على القوانين التى ترضى صاحبة الجلالة.

فيما يتعلق بدور الحاكم العام نجد أن الرجل كان متعبًا بالفعل بسبب التردد والفشل بين الحين الآخر فى التعاون من جانب الوزراء الذين كانوا خاضعين لإملاءات زعماء أحزابهم فى العواصم الإقليمية. تأثر السير جيمس روبرتسون أيضًا بالمعلومة التى مفادها أنه فى اليوم الأول من شهر يناير أصبح السودان المتخلف جمهورية ديمقراطية مستقلة. وبدأ احترام الرجل لأبى بكر يتزايد ويتعمق، لكن ذلك لم يقلل من شكوكه ومخاوفه على الشمال، لم يتأثر السير جيمس روبرتسون أيضًا عندما وجد أن المدارس الثانوية الإقليمية فى كل من كانو وسكتو (وهذا هو الاسم الجديد الذى أطلق على المدارس المتوسطة) بدأت تستوعب ضعف العدد المحدد لها تقريبًا من التلاميذ،

كما وقف الرجل أيضًا فى أشهره الأولى على الظلم الذى ينطوى عليه عداء الشمال للجنوبيين المتعلمين، لكن الرجل أدرك بسرعة بديهته أن ذلك يوحى بالاستعداد لفرص وظيفية جديدة. كان لدى روبرتسون القدرة التى تجعله يلاحظ التسامح بين أهل الكتاب، لم يصدق روبرتسون أو يؤمن مطلقًا بأن العداء القبلى الذى كان يحيط به من جميع الأنحاء فى نيجيريا، يقوم على أسباب دينية. ومع ذلك، كان الرجل يعرف الإمبراطورية الهندية، ويعرف أيضًا ماضى السودان ومستقبله المنتظر، وعليه فقد حذر الرجل لندن عندما قال: "إقامة اتحاد فيدرالى فى نيجيريا، يعنى أننا نحاول تحقيق شىء لم يحدث من قبل مطلقًا ـ نحن نجعل المسلم ضجيعًا(*) ودودًا وطيب الخاطر للكافر".

أوصى المؤتمر القصير الذى عقد فى شهر يناير، السير جيمس روبرتسون بأن تقوم الأقاليم النيجيرية الثلاثة بإيفاد عشرة مندوبين من كل منها إلى لندن، وأن يقوم جنوبا الكاميرون بإرسال خمسة مندوبين، وتقوم ليجوس بإرسال مندوبين اثنين، على أن يقوم كل هؤلاء فيما بينهم بتدارس الظلال العملية للرأى. هذا يعنى أن كل إقليم من الأقاليم الثلاثة سيكون له خمسة "مستشارين" وأن جنوب الكاميرون سيكون له ثلاثة مستشارين. وأن وفد الشمال يجب أن يضم ثلاثة رؤساء **Chiefs**، ليكونوا (على حد قول أبى بكر) بمثابة تأمين ضد القرارات المفزعة، يزاد على ذلك أن الحاكم العام هو والحكام الثلاثة وكذلك مفوض جنوبى الكاميرون ينبغى أن يكون لهم مستشاريهم أيضًا. وأوصى أيضًا أن يكون أبو بكر جزءًا من ذلك التمثيل الفيدرالى. وانتهى الاجتماع الذى رتب المستشار السياسى الرئيسى **Sardauna**، لانعقاده فى مكتب وزير النقل، إلى اتفاق رؤساء الوزراء الإقليميين الثلاثة، عن رضا وطيب خاطر، على عقد هدنة سياسية خلال الزيارة التى على وشك أن تقوم بها صاحبة الجلالة إلى نيجيريا.

(*) الضجيع: هو شريك الفراش. (المترجم)

الفصل الثانى والعشرون

عام الزيارة الملكية وفضيحة السويس

إلى يومنا هذا، الماء هو العلاج الوحيد للأقذار(*)

جاءت الزيارة الملكية التى حدثت فى شهرى يناير وفبراير من العام ١٩٥٦ الميلادى بمثابة حدث عظيم لأكثر من سبب، أقل هذه الأسباب هو أن الكمنولث البريطانى أثبت خلال فترة وجيزة أنه حقيقة واقعة، وأنه ناد يستحق أعضاؤه التفاخر بعضويته، وإذا ما استثنينا المقربين من الحاكم العام نجد أن الجميع لم يكن أمامهم سوى فترة ثلاثة أشهر فقط، وذلك على العكس مما يحدث فى المناطق الصغيرة تماماً، التى يتطلب الأمر فيها حوالى العام تقريباً لتوفير الإيرادات، وتصميم الديكورات، وطلب المواد اللازمة وعمل البروفات اللازمة لكل تفصيلة من التفاصيل. وتأسيساً على تركيز الجهود، المصحوب بعقد هدنة سياسية بين الأحزاب، جرى خلق نوع من وحدة المصلحة الوطنية، وخلق إحساس بروح معنوية عالية تخطت وتجاوزت حواجز العرق والوظيفة، وأن أفراد ذلك الجيل الذين لعبوا دوراً فاعلاً يمكن أن يمروا بتجربة ذلك الإحساس الجميل مرة أخرى فى نيجيريا. أقر المتهكمون بحقيقة هذه المشاعر والانفعالات، كما لعب كل مجلس من مجالس المدن فى نيجيريا دوراً مهماً فى التدليل على أن إفريقيا قادرة تماماً على إقامة الاحتفالات، وإيفاد الوفود اللازمة للترحيب بالزائر الذى يمكن أن يُرى فى قلة قليلة من الأماكن الرئيسية. قام بطرس Peter

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. (المترجم)

ستالارد Stallard بدور المنسق فى هذا البرنامج الفيدرالى، والمعروف أن بطرس ستالارد هذا كان فى يوم من الأيام كاتبًا فى المجلس التشريعى الشمالى، ثم جرى نقله إلى ليجوس اعتبارًا من العام ١٩٥٤، وكان رالف Ralph جرى Grey يقوم بالإشراف عليه. وفيما يتعلق بأولئك المقيمين المغتربين الذين أحبوا نيجيريا، كانت الإثارة والانفعالات التى تملكت الناس بدءًا من الرؤساء والسياسيين إلى العمال وأطفال المدارس، زائدة عن الحد فى أعينهم، وأنها كانت أكبر بكثير من مناسبة التتويج التى شاهدوها فى بريطانيا قبل ثلاث سنوات. من هنا يمكن القول: إن هذا الاحتفال يفسر حب الأفارقة لأناس كان الأفارقة لا يحبون بعضًا من ممارساتهم السياسية المستوردة.

لم يكن البريطانيون العاطفيون وحدهم هم الذين تعجبوا من الأسباب التى أضفت كل هذه البهجة والسرور والانشراح على هدف عام لا يدوم سوى ثمانية أيام. لو قدر - كما هو الحال فى المناسبات التى من هذا القبيل - أن يكون هناك أولئك الذين ندموا على أن إبرام العقود يحتم تدخل الملوك، وكذلك الحال فى إعادة الطلاء، وردم الحفر، فقد كان هناك أيضًا كثيرون يقرون عن طيب خاطر أن الزعامة الوطنية غير الوطنية بدت قادرة على تحقيق بعض الاحتياجات غير المحددة من جانب كل من الرجل الأبيض والرجل الأسود، وقد أفاد الصحافيون الإذاعيون من هذه المناسبة. فى كتاب "سيرتى الذاتية"(*) الذى ألفه أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، ذكر المؤلف أنه لم يجر الإبلاغ عن أية أعمال إجرامية أثناء زيارة الملكة لنيجيريا، (وجرى التعبير أيضًا عن فكرة إنجليزية بلسان هوسوى) "يبدو الأمر وكأن نوعًا من السلم، ليس من هذا العالم، قد حل على هذه البلاد - وهذا هو خير ما حدث. لكن هذا السلام لم يدم طويلاً بعد رحيل الملكة". الشىء الملحوظ بحق فى هذه المناسبة المهمة يتمثل فى البراءة التى

(*) هذا الكتاب، مترجم ضمن المشروع القومى للترجمة، يوم أن كان تابعًا للمجلس الأعلى للثقافة. (المترجم)

أحاطت هذه الزيارة: هذا يعنى أن أولئك الذين استطاعوا ملاحظة الأسرة المالكة عن قرب، أصيبوا بالدهشة عندما وقفوا على ذلك الفرح والانشراح والسرور الذى كان يبدو على أناس امتزجت حيواتهم كلها بذلك الاحتفال.

كان المعلم أبو بكر تافاوا باليوا أول وزير إفريقى يجرى تقديمه إلى الملكة إليزابث الثانية هى ودوق إدنبره Edinburgh. التقاهما أبو بكر بعد هبوط الطائرة فى مطار إيكيجا Ikeja. كانت الطائرة المقلة للملكة من طراز أجرونوت، وهى تابعة للخطوط الجوية البريطانية، وهى الطائرة المسماة أتلانتا، والخاصة بصاحبة الجلالة، هذه الطائرة نفسها هى التى نقلت صاحبة السمو الملكى إلى شرق إفريقيا قبل جلوس جلالتها على عرش إنجلترا. قال الصحفيون عن أبى بكر إنه رجل محترم، وهو كذلك بالفعل، ووصفوه بأنه فاتر الشعور، لكنه لم يكن كذلك مطلقًا: صحيح أنه كان متحفظًا فى المناسبات الرسمية، لكنه لم يستطع إخفاء تحركات العينين الصغيرة وحركات الشفتين التى كانت تترجم أحاسيس الرجل لكل من يعرفونه. كان مجلس الممثلين (المندوبين) قد وافق على أن يقوم وزير النقل (نيابة عن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى)، هو والسيد/ ك أو مبادوى Mbadiwe وزير المواصلات والطيران (نيابة عن حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى)، وزعيم المعارضة (الرئيس أكنتولا نيابة عن حزب جماعة العمل) بزيارة صاحبة الجلالة ويعبرون لها عن إخلاصهم وولائهم، وفى اليوم الحادى والثلاثين من شهر يناير تحدث هؤلاء الوزراء بعد رئيس مجلس العموم الذى رحب بصاحبة الجلالة. كانت كلمة أبى بكر أقصر الكلمات، لكنه (شأنه شأن أكنتولا) شكر صاحبة الجلالة، الجالسة على عرشها النيجيرى، لما أسمياه خدمة صاحبة الجلالة الاستعمارية، تحدث أبى بكر أيضًا عن قيمة الصلة والعلاقة البريطانية مع نيجيريا التى بدأت منذ أيام الملك دوسيمو [Docemo دوسونمو] Dosunmu ملك ليجوس فى العام ١٨٦١ الميلادى، وأشار أبو بكر أيضًا إلى الكمنولث باعتباره "عصبة

الأمم الوحيدة الفعالة ..... وأن حضور الملكة يعنى أن المشروع المشترك الذى بدأ فى ليجوس قبل أربعة وتسعين عامًا قد قارب على الانتهاء".

قام على خدمة صاحبة الجلالة طوال الزيارة خادم خاص، جرت ترقيته مؤخرًا إلى رتبة الرائد ويدعى جونسون أجوبى Aguiyi إيرونسى Ironsi، وهو من الكتيبة النيجيرية، كان الرجل قد أوفد إلى قصر بكنجهام ليتعلم مهام منصبه. كان أجويى قد التحق بالمدرسة فى كانو وتعلم لغة الهوسا. كان الرجل قد التحق بالجيش فى العام ١٩٤٢ الميلادى، ليصبح بعد ذلك رقيب أول سرية بعد الحرب مباشرة، ويحضر بعد ذلك تدريبًا فى كامبرلى Camberley، وينقل بعد ذلك إلى أكرا فى ساحل الذهب برتبة ملازم ثان فى العام ١٩٤٩ الميلادى. ويرقى إلى رتبة النقيب فى العام ١٩٥٣ وهو فى سن التاسعة والعشرين وكان وجوده خادمًا خاصًا لصاحبة الجلالة، أول ظهور له على الملأ، لكن ارتقاء الرجل فى السلم العسكرى سوف يحتاج إلى المزيد من الإيضاح فى الفصول التالية. وقد انتهزت الملكة هذه المناسبة لتهدى نوط كتيبة صاحبة الجلالة النيجيرية إلى جنود المشاة.

جرت العادة، عندما يقوم الملوك بزيارة مناطق الحكم الذاتى، أن يقوم وزير محلى بمرافقتهم طوال الزيارة. ولما كانت نيجيريا لا تزال مستعمرة من إنجلترا، وفيها قلة قليلة من كبار المسئولين البيض الذين كانت لهم، بحكم الدستور، أولوية على الوزراء، فقد استطاعت تحاشى الوقوع فى كثير من الأخطاء البرتكولية، كما تحاشت أيضًا الحساسية التى تولدت بفعل خمس حكومات استَبْعَدت بعضها بعضًا، وعليه لم تعين نيجيريا أى وزير من الوزراء للقيام على أمر خدمة صاحبة الجلالة، لكن عندما غادرت المجموعة الملكية إدُّو Iddo للقيام ببعض المهام فى إيبادان Ibadan، بعد افتتاح بعض من رموز التنمية المرئية المتمثلة فى توسعة رصيف ميناء أبابا Apapa، الذى اكتمل بعد أربع سنوات من العمل، وفى محطة قوى إيجورا IJora، كان وزير النقل مرافقًا للحاشية الملكية للرد على الأسئلة المتعلقة بخدمات السكك الحديدية. جرت بعض

البروفات الجادة التى صاح العقيد أميرسون Emerson خلالها فى مسئولين متأخرين كانا واقفين لخدمة كل من صاحبة الجلالة وصاحب السمو الملكى "بمواصلة التحرك" نزولاً من السيارة الملكية ودخولاً إلى قاعة الاستقبال، وهنا نظر أبو بكر إلى كبير موظفيه التنفيذيين ليتبين إن كان عليه فعل الشىء نفسه من باب اللياقة والأدب.

نظر أبو بكر أيضًا إلى السماء متحمسًا عندما قامت طائرة من طراز جلوستر Gloster متيورز Meteors، تابعة لسلاح الطيران الملكى، بالتحليق المنخفض الأمر الذى أشعر الناس بالهواء الذى كان ينساب من أطراف جناحيها. ولَّد هذا المشهد طموحًا جديدًا فى نفس أبى بكر. لكن الرجل عندما ذهب إلى المطار لوداع صاحبة الجلالة عند مغادرتها ليجوس، أخاف هيئة العاملين معه عندما أغمى عليه، وراح يلقى اللوم على "تعب قديم".

فى ضوء صدق تهكم المستشار السياسى الرئيسى، سارع الواقع بالعودة إلى البلاد بانتهاء أسابيع العظمة والأبهة الثلاثة، فقد قام السيد/ إس أو أوكويا S O Awo-koya، هو ووزير التربية والتعليم فى الإقليم الغربى أيضًا بتقديم استقالتيهما من منصبيهما، وقد ألقيا اللوم على الرئيس أولوو وتصرفاته المطلقة، وساهم الرجلان فى تأسيس ما يسمى بحزب الشعوب النيجيرية الذى لم يدم طويلاً، كما حوكم أيضًا الرئيس أدلابو Adelabu بتهمة الفساد أثناء ترؤسه مجلس الحى. وخطا الإقليم الشرقى بعض الخطوات فى اتجاه تجريم الأوسو Osu، تلك المجموعة الطبقية المغلقة التى لا تختلف عن مثيلها فى كل من الهند واليابان، كما جرم الإقليم الشرقى الزواج من البنات فى سن دون السادسة عشر، ولم الإقليم الشرقى أطراف شجاعته القديمة وأخضع كل الرجال الذين يزيد عمر الواحد منهم عن ستة عشر عامًا، وكذلك النساء اللاتى يزيد عمر الواحدة منهن عن ستة عشر عامًا، ويتحصل الواحد منهم أو الواحدة منهم على دخل يزيد على مائة جنيه إنجليزى كشكل من أشكال ضريبة الدخل، كما أخضع الإقليم الشرقى التاجرات فى المناطق الحضرية لهذه الضريبة أيضًا. على

العكس من الأوسو Osu (و"عادة التَّعرِّى")، كانت هناك فكرة مفادها أن عادة الذبح الطقوسى عن طريق ضرب الخيول، والذى يعد واحداً من التقاليد ذات الصلة بالحصول على لقب مازى Mazi الشرقى، تعد من الممارسات التى يحسن تركها للتعليم وزيادة التحديث والتقدم لأنهما كفيلان بإلغائها والقضاء عليها، من خلال التخلى عنها بدلاً من إصدار تشريع بإلغائها، كان رأى محبى الخيل فى كل من الشمال وبريطانيا يرون أن هذه الأولويات ليست فى محلها وقد أسىء الحكم عليها.

تعاصر ذلك مع قيام وزير التربية والتعليم فى الإقليم الشمالى، السيد/ على Aliyu، بتشجيع من الحاكم تنظيم إنشاء دار حضانة فى كادونا لأطفال كبار الأفارقة وكبار الأوروبيين، وعلى الرغم من أن الأطفال البيض كلهم على وجه التقريب، كانوا يعودون إلى بريطانيا للتعليم، ذلك الاتفاق الذى حاولت إصلاحات الخدمة التى أشار بها جورستش Gorsuch، التخفيف منه، فإن وزير التربية والتعليم فى الإقليم الشمالى اكتشف أن مسئوليه البريطانيين غير موافقين على الشقاق والخلاف الاجتماعيين الناجمين عن المشروع، وغير موافقين من ناحية أخرى على تحويل الموارد النيجيرية بطريقة بسيطة ليفيد منها الأطفال فيما وراء البحار. ويقف الوزير وقفة جدٍ ومثابرة فى وجه هذا الرفض من قبل المسئولين البريطانيين، ويبدأ بالفعل اثنا عشر طفلاً أسود ومعهم ستة أطفال من البيض (من بينهم أنجيلا Angela شارود - سميث) دراستهم وتعليمهم فى استراحة غير مستعملة من استراحات السكك الحديدية. وسرعان ما يقوم أبو بكر، الذى كان يبحث مسألة الحصول على دار لهذه الحضانة فى كادونا، وبعد التباحث فى هدوء مع شارود - سميث، بإلحاق اثنين من أبنائه بتلك الحضانة وهما: بالا Bala البالغ من العمر عشرة أعوام، وأخته الصغيرة بنتا Binta. ويصبح هذان الطفلان رفيقى لعب عصبيين لأنجيلا خلال عطلة نهاية الأسبوع فى حديقة المنزل الحكومى. تحولت هذه المدرسة فيما بعد إلى مدرسة داخلية وأطلق عليها اسم "مدرسة العاصمة".

جرى وضع كل من بالا Bala (ولد إنِّى Inni، واسمه الحقيقى أبو بكر، والذى وصل إلى الصف الثالث الابتدائى فى باوتشى) هو وبنتا، من قبل والدهما، وبناء على تحريض من المستشار السياسى الرئيسى، ليتربيا بالطريقة المعتادة مع أسرة رئيس الوزراء، والسبب فى ذلك أن الحاج أحمد بللو لم ينجب أولاداً ذكوراً. كانت أسرة أحمد بللو تعج بالأطفال، بعضهم أبناء لأمير كانو، وبعض آخر منهم أبناء لرئيس أدماوا المعزول، لكن من بين هؤلاء الأطفال لم يسمح أحمد بللو إلا لبالا وبنتا بأن يناديا بكلمة "بابا!" (هذه الكلمة عبارة عن مصطلح يطلق على واحد فى مقام الوالد، أو شخص أكبر أو أصغر من الطبقة الاجتماعية نفسها، لكن هذا المصطلح لا يتساوى مع مصطلح "دادى" الذى يدل على "الأب" أو "الوالد"!)؛ وقد أكد أحمد بللو لبالا، أنه هو أيضًا، مثل والده، يفضل النوم على حصير مفروش على الأرض أو على سجادة، على النوم فى فراش من الطراز الأوروبى. كان المستشار السياسى الرئيسى قد وضع قواعد صارمة وحازمة للعناية بهؤلاء الأطفال، لكن وقت الرجل لم يكن يسمح له بأن يولى هؤلاء الأطفال المزيد من الرعاية الشخصية، يزاد على ذلك أن التنشئة فى منزله كانت على الطراز القديم وتفتقر إلى الأخلاق. كان ولدا أبى بكر يزوران ليجوس فى بعض الأحيان أثناء الإجازات والعطلات، حيث كان والدهما يقوم بشحنهما بالمحاضرات الأخلاقية العامرة بالفكر، وذلك على شكل قصص من قصص الأطفال.

بصرف النظر عن توفير التعليم للصفوة، نجد أن الشمال كانت لديه مشاغل أكبر من ذلك لكن أبا بكر لم يكن يهتم بها فى الوضع الراهن: كانت هنالك على سبيل المثال نوبة العنف التى شارك فيها مشاركون من مشارب مختلفة من أمثال الرؤساء المعزولين، والمومسات، والأطفال غير المتعلمين، وكان هناك أيضًا التوتر الحادث بين الطريقتين الصوفيتين: الطريقة القادرية التقليدية والطريقة التيجانية التصحيحية، وقد استُغِلَّ ذلك التوتر (بل عزاه بعض الناس إلى المتطرفين فى حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى)، وكانت هناك أيضًا دمدمات الاضطراب الحادث فى الحزام

الأوسط؛ ذلك الاضطراب الذى انتشر من باى Bi دوم Rom ومن الأجزاء غير المسلمة فى كل من كبًا Kabba وبنيو Benue إلى التيف Tiv، والذى تفاقم بفعل مساندة حزب جماعة العمل لحركة بارابو الشعبية فى إيلورين وذلك من باب معارضة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الذى تولدت داخله رغبة قبلية تنزع إلى الانسحاب من الشمال إلى الغرب. كان من ضمن الأحداث العالمية فى ذلك الوقت طلب جنوب إفريقيا إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية سحب قنصلياته من جنوب إفريقيا؛ والاستفتاء الذى أجرى فى مالطة والذى أثبت أن غالبية السكان الذين يقدر عددهم بحوالى ٣٠٠٠٠٠ نسمة يحبذون التكامل والوحدة مع بريطانيا؛ وكان هناك أيضًا إعلان قيام باكستان جمهورية إسلامية، وانضمامها الفورى إلى الكمنولث، وقبولها رئاسة الملكة إليزابث للكمنولث، لكنها لم تكن ملكة على باكستان، ونُفِى الأسقف مكاريوس من قبرص إلى جزر سيشل (قال ليتلتون إن مكاريوس كان يفضل النفى إلى أثينا، حيث كان يمكن "إغراقه" مثلما حدث للأمير بونى شارلى فى روما، الأمر الذى أدى تقليل انتباه العالم له)، وتحديد المستعمرات الإفريقية الفرنسية؛ واستقلال كل من مراكش Morocco وتونس عن فرنسا، وحل الكمنفورم الشيوعى، على اعتبار أن تلك كانت إشارة من الكتلة الشرقية إلى الكتلة الغربية .

أصبحت وزارة النقل فى تلك الأثناء مكانًا يحلو فيه العمل تحت رئاسة وزير مؤدب صبور من ناحية وسكرتير دائم، ويغلب عليه التبسط صباح كل أحد عندما يروحان يتناولان القهوة بالتبادل فى منزليهما أو فى شرفة بيتهما. كان جو Joe ورمان Warmann أحد السكرتيرين المساعدين الثلاثة رجلاً حُبِّيا مسالما وودودًا وسواحليا، أما السكرتيرة الخاصة فكانت واحدة من الأسكتلنديات اللاتى كن فى حياة أبى بكر تافاوا باليوا. واقع الأمر أن حادث المطار كشف عن أن صحة أبى بكر كانت تمر بفترة من فترات الشكوك. ومع ذلك، استطاع الرجل إدارة مناقشتين مهمتين فى المجلس، ولاحظ رجال الصحافة فى مناقشة من هاتين المناقشتين التناقض بينه وبين المستشار

السياسى الرئيسى فى المظهر والمخبر الفكريين، وبخاصة أن المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) كان جالسًا فى غرفة كبار الزوار وهو يرتدى ملابسه الفضفاضة، ويلبس على رأسه عمامة عليها من الأعلى "أذنان" ears ملكيتان. كان غطاء رأس أبى بكر عبارة عن غطاء رأس متعدد الألوان، ومن ذلك النوع الذى يرتديه أهل برنو (وقد عُرف غطاء الرأس هذا فيما بعد باسم "زنًا" Zanna، تيمنًا بما فعله دبشاريما Dip-charima، وذاع صيت ذلك الغطاء أكثر بعد إطالته بعض الشيء وأصبح يسمى شاجارى Shagari) والذى بدأ يشيع بين الشماليين الذين ليسو من أصل كانورى Ka-nuri؛ لكن الصحفيين وصفوا الرجل باعتباره رئيسًا للوزراء بأنه كان "يقود رفاقه بحزم" على طريق التقاليد البرلمانية، الأمر الذى كان يخفف من توتر السلوك العصبى فى المناقشات العامة، كان المستشار السياسى الرئيسى يكشف فى مجلسه التشريعى الخاص عن عجزه عن التغلب على أية معارضة من المعارضات التى كان ينظر إليها وكأنها موجهة لشخصه، حتى وإن كانت تلك المناقشات الفعلية تدور حول الإضرابات وقُطّاع الطرق.

كانت أولى النقاط التى تناولها المعلم أبو بكر فى الاجتماع تخص القوة البحرية النيجيرية، التى لا يمكن أن تكون مكتملة التسليح فى عشية أو ضحاها مثل القوة الجوية أو القوة العسكرية، ولذلك يتحتم على مثل هذه القوة البحرية أن تبدأ بداية متواضعة ثم تبدأ فى الحشد فى ظل توسع الاقتصاد ونموه وزيادة الإيرادات: "**يتعين هنا أن أدق جرس الإنذار. سواء أكانت نيجيريا مستقلة، وبغض النظر عن معدل نمو هذا البلد، سيكون من الضرورى لنا هنا أن نكون ضمن منظومة دفاع الكمنولث، والسبب فى ذلك أننا يتضح لنا كل يوم أكثر وأكثر أن أى بلد من البلدان يستحيل عليه الدفاع عن نفسه بمفرده فى حال حدوث كارثة من الكوارث التى يعرفها الكثيرون من أعضاء المجلس**". كان أبو بكر يشير بذلك إلى حرب عالمية "تقليدية" ثالثة. أما الأمر الآخر فكان يتمثل فى التقسيم المدنى للبحرية، وهو إنشاء إدارة للطرق المائية الداخلية

– وتعيين مدير فى ذلك الوقت، ليقوم بتأسيس تلك الإدارة أو إنشاتها بحلول العام ١٩٥٨، وبذلك يمكن أن يتسلم التقارير الواردة من الشركة الهولندية الخاصة بنهرى النيجر والكنغو، وتجهيز القوة البشرية التقليدية التى لديها خبرة بمسائل المياه، واختيار البحرية وهيئة الموانئ لهؤلاء الموظفين، وذلك من منطلق أن هيئة الموانئ قد امتصت بالفعل القسم الأكبر من موظفى الإدارة البحرية القديمة، وأردف أبو بكر أيضاً أن الحاجة لا تزال قائمة إلى المزيد من العارفين بعلم المياه.

كانت وزارة أبى بكر تنظر فى تحديد سياستها الخاصة بالملاحة فى مرافئ الدلتا الغربية فى كل من بوروتو Burutu، وكوكو، ووارى Warri وسابيل Sapele، وفى أعالى الأنهار أيضا. كانت إحدى المشكلات تتمثل فى الطريقة التى يجب أن تتعامل بها هيئة الموانئ مع هذه المرافئ، التى فيها المنشآت الشاطئية مملوكة لشركات خاصة، أما المشكلة الثانية فكانت تتمثل فى كيفية الوفاء بالالتزامات فى ظل القانون الدولى فى حال نمو حركة النقل النهرى. كان الأسلوب المتبع، الذى وافق عليه أبو بكر، يقوم على تشجيع مستثمرى القطاع الخاص على تحسين منشآتهم عن طريق توفير المناخ الذى يجعل هؤلاء المستثمرين يقبلون على المخاطرة برأس المال لكن فى ظل تطمينات معقولة. وإذا ما قام المستثمرون بذلك فإن الحكومة لن يكون لها سيطرة على تلك المنشآت قبل العام ١٩٨٢ الميلادى، ولكن بشرطين: أولهما أن السفن البحرية كلها، بغض النظر عن ملكيتها أو العلم الذى تحمله، يجب أن تعامل طبقًا لمبدأ "من يصل أولاً يُخدم أولاً" (وأن يكون ذلك على أساس من كل الأعراف والقوانين الدولية الخاصة بتنظيم الموانئ البحرية والطرق المائية ذات الأهمية الدولية، وكذلك القوانين والأعراق الخاصة بحرية المرور)، وأن تحدد الوزارة سقفًا أعلى للتكاليف التجارية، بعد أن تقوم بدراسة تكاليف تشغيل الشركات، بما فى ذلك أيضًا الفائدة واستهلاك الاستثمارات. وأصر أبو بكر على تفهم المعاهدات الموقعة فى سانت جيرمين Germain فى العام ١٩١٩، وفى برشلونة فى العام ١٩٢١، وفى جنيف فى العام ١٩٢٣، كما رحب الرجل أيضًا بظهور

السفن الفرنسية فى الأنهار بغض النظر عن قلة عددها، ووافق الرجل أيضًا على أن تكون الرسوم الملاحية الرسمية مقصورة على الخدمات الإدارية المقدمة فعلاً للسفن، على أن لا تكون قائمة على التمييز. بعد ذلك بأيام قلائل أُدخل أبو بكر المستشفى اليونانى بسبب الألم الذى أُغمى عليه على أثره، حتى يمكن إجراء الفحوص الطبية. وأدت الرعاية التى حصل عليها فى المستشفى من الممرضة مارى أوهارا إلى قيام صداقة أخرى طويلة مع شخصية مقيمة، وقد امتدت هذه الصداقة إلى الأسرة كلها. وانهالت برقيات القلق والمواساة بين كل من أمير باوتشى هو والمستشار السياسى الرئيسى لسكتو Sokoto من ناحية ووزارة النقل من الناحية الأخرى.

فى شهر أبريل جرى نقل المعلم أبى بكر بطريق الجو إلى لندن ليدخل مستشفى تصحاح وأمراض المناطق الاستوائية فى سينت بانكراس Pancras. وعندما وجد كارليل، القائم بأعمال السكرتير المالى، بين المودِّعين له فى المطار، قرر التصالح، فى نهاية الأمر، فى مسألة المبالغ الخاصة بتنمية السكة الحديد. تقرر لأبى بكر البقاء فى المستشفى مدة أسابيع تحت الملاحظة، وقد تسبب مرض أبى بكر فى خلق موجة من الحزن والألم بين العناصر الأصولية "المسئولة" فى الشمال، التى كانت فى ذلك الوقت تعد أمير كانو الرجل الوحيد القوى بعد أبى أبكر. قام الطبيب ماجيكدونمى Majek-dunmi، طبيب النساء، بزيارة أبى بكر فى المستشفى، بعد أن عاد من إجازته التى أمضاها فى بريطانيا، أبلغ أبو بكر صديقه أنه يحس كما لو كان هناك دُمُلاً كبيرًا فى أمعائه، وأن الجراحين يودون إجراء عملية، وأن مثل هذه العملية تستغرق طويلاً فى الشفاء. وعلق الطبيب ماجيكدونمى بأن ذلك قد يتعارض مع موعد انعقاد المؤتمر التالى، وقال أيضًا: إن الدواء يمكن أن يشفى مثل هذا "الدُمُل". وتحدث الرجل إلى المسجل، عارضًا تحمل المسئولية، ووافق الجراح الاستشارى، على خروج أبى بكر ليكون تحت رحمة البنسلين. وفعلاً جرى خروج أبى بكر من المستشفى بناء على هذا التشجيع وبناء أيضًا على المشورة الطبية، وقد تحسن أبو بكر فعلاً عن طريق الراحة

الإجبارية من ناحية والتأكيد الذى أعطاه الطبيب. وينتهز أبو بكر تلك الفرصة ليقوم بعد ذلك بإجراء فحص دورى أثناء الزيارات التى كان يقوم بها إلى لندن، كان أبو بكر أيضًا يعانى من مشكلة فى عظام الجمجمة. وعلى الرغم من خيبة أمل الرجل أو تعاسته كما هو الحال فى علاقته بالمسائل السياسية، فإنه لم يعانِ مطلقًا من أى نوع من أنواع الاكتئاب السريرى.

علق أبو بكر، عندما ما كان يتطلع إلى انعقاد المؤتمر التالى، متسائلاً عما إذا كانت حكومة صاحبة الجلالة عازمة على إنشاء وزارة للشئون النيجيرية: "جرت العادة أن يكون هنالك مكتب لبورما Burma". كانت بريطانيا الرسمية تفكر فى الطرق والأساليب التى يمكن أن تقلل من تورطها بأقل قدر ممكن من الحرج، وذلك بدلاً من تعزيز مسئولياتها. كان لا يزال هناك واحد أو اثنان من المثاليين البريطانيين الرومانسيين، الذين أحزنتهم الحركات القومية الصريحة فى القرن العشرين فى أماكن أخرى من العالم، كما أحزنتهم أيضًا الأحداث المحلية التى وقعت فى كل من إيبادان وإينوجو، هذا الشخص أو الشخصان المثاليان كانت تراودهما أحلام ملنريه Milnerite تبتغى ربط الكمنولث إلى بعضه بعضًا عن طريق خدمة مدنية سياسية متعددة الأجناس وتقوم على التقاليد التى أرساها كل من نورث كوت - وتريفليان Trevelyan - Northcote، وقابلة للنقل أو التحويل حسب الرغبة من خلال لجنة الخدمات العامة فى الكمنولث، إلى كل من أستراليا، والهند، والمملكة المتحدة ونيوزلنده، وجنوب إفريقيا، وكندا فى الوقت الراهن؛ على أن يضاف إلى هذه اللجنة وزراء من كل من نيجيريا، وكينيا، والملايو، ومنطقة البحر الكاريبى، على اعتبار أن هذه البلاد، ستكون فى وضع قوى يمكنها من فرض سياساتها الداخلية مستقبلاً على المنتفعين المدنيين متعددى الأجناس. وقد أُعجب أبو بكر بذلك المفهوم أيضًا، فى لحظاته غير الواقعية.

أكد الإعلان المزمع عن "قائمة خاصة" لموظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية، أن الحكومة البريطانية كانت تنظر فى الاتجاه العكسى، على الرغم من

أن مقر الوزارة البريطانية ممثلاً فى شخص لينوكس بويد كان يتطلع إلى دعم كل من مصالح المستعمرات والموظفين البريطانيين على قدم المساواة، وذلك من باب اتباع سياسة الاستقرار من خلال الربط البريطانى التاريخى، كانت الخزانة البريطانية برئاسة السير إدوارد بردجز Bridges تعارض مسألة دعم أجور الموظفين البريطانيين العاملين فيما وراء البحار، وبخاصة على قاب قوسين أو أدنى من الحكم الذاتى، ذلك استناداً إلى الحقيقة التى مفادها أن حكومة صاحبة الجلالة يتعين عليها ممارسة "الضغط" على حكومات المستعمرات كيما تدفع أجوراً طيبة لموظفيها، وفى حال الفشل فى ذلك يتعين على حكومة صاحبة الجلالة أن توصى إلى الموظفين بالإعراب عن ذلك والإشارة إليه. كانت حكومة صاحبة الجلالة على استعداد للنظر فى مسألة استخدام المبالغ المخصصة للتنمية والرفاه الاستعماريين فى الوفاء بالمسائل التعليمية المتعلقة بأبناء موظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية، وذلك من باب استعداد حكومة صاحبة الجلالة للإغارة على المبالغ المخصصة للتنمية والرفاه الاستعماريين بغية المساعدة فى دعم الرواتب وتحسينها إذا ما كان مثل هذا العمل داخلاً فى إطار القانون، كان وزير الخارجية قد أبلغ زملاءه فى وزارة الخزانة أنه فى حال مغادرة البريطانيين فإن الوزراء الاستعماريين سوف يتعين عليهم استخدام "أجانب غير مرغوب فيهم". من هنا أصبحت النية المنعقدة فى ذلك الوقت تستهدف تشجيع الموظفين المقيمين على عدم التخلى عن وظائفهم عن طريق الحصول على مخصصات التعويض، عندما يطال التقدم الدستورى تخفيض شروط عملهم وآمالهم المرتقبة، وأنهم يتعين عليهم الاستمرار فى وظائفهم ما دامت المستعمرات السابقة بحاجة إلى خدماتهم، وهنا سيكون حافز هؤلاء الموظفين متمثلاً فى أنه إذا ما استغنى عنهم الدمينيون الجديد، أو غيَّر ظروفهم وأحوالهم تغييراً سيئًا، فإن الحكومة البريطانية سوف "تبذل أقصى محاولاتها" كيما تجد وظائف مثيلة لهؤلاء الموظفين داخل الوطن أو أية أماكن أخرى.

كانت النوايا خالصة وطيبة، لكن الشك كان يحوم حول عدم ضمان المستقبل، كما كانت الشكوك تدور أيضًا حول ذلك الذى تعده الحكومة البريطانية توظيفًا مماثلا فى المملكة المتحدة، كل هذه الأمور كانت غير جاذبة أو لا تسترعى اهتمام المعنيين بالأمر (كان السكرتيرون المساعدون فى الحكومة البريطانية يتشككون ويترددون فى مسألة المساواة بينهم وبين كبار ورؤساء الأحياء، فضلاً عن أن ضباط الأحياء أنفسهم لم يكونوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم موظفين تنفيذيين مهمين). يزاد على ذلك أن الحاكم العام لنيجيريا كان هو الآخر يواجه بعض المشكلات فى مسألة التعجيل بأفرقة الخدمة الفيدرالية، نظرًا لأن عددًا كبيرًا من النيجيريين الموالين له فى ليجوس كانوا مشتاقين ويتطلعون إلى الترقيات السريعة المزعومة فى مواطنهم فى مختلف الأقاليم النيجيرية، يضاف إلى ذلك أن حكام الأقاليم المختلفة كانوا انتقائيين فى إخلاء سبيل كبار الموظفين كيما يشغلوا المناصب الشاغرة فى ليجوس. فى تلك الأثناء لم يكن هناك عدد كاف من البريطانيين ضمن "قائمة" موظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية، فضلاً عن أن بعض هؤلاء الموظفين كانوا قليلى الخبرة، لكن ترقيتهم كانت قصيرة الأجل فى الخدمة الفدرالية. هذا هو السير جيمس، على سبيل المثال، الذى كان مظهره يوحى بالفرح لكنه كان حزينًا فى داخله لأنه توصل إلى نتيجة مفادها أن الوقت قد يصل إلى عشر سنوات قبل حصول نيجيريا على الاستقلال. يزاد على ذلك أن مفتش الشرطة العام كان يشعر باكتئاب كبير من منطلق إحساسه بأن ضباط الصف التابعين له كان مؤهلهم مقصوراً على الحاصلين على "شهادة الصف الخامس"، وأن كبار ضباطه فيما وراء البحار جاءوا مثله من الملايو، أو من فلسطين أو جزر الهند الغربية، وعليه فإنهم لابد وأن يكونوا مفتقرين إلى الولاء العاطفى للإدارة التى يكبروا معها (كان المعلم أبو بكر نفسه لا يزال يتخيل الخدمة المدنية بعد الحرب وهى مستمرة فى استخدام الكثيرين من المقيمين أصحاب الخبرات الطويلة).

كان المجلس المسيحى البروتستانتى النيجيرى هو والبعثة المتحدة للسودان قد عبرا عن قلقهما الرسمى لكبير الأمناء فى شهر مارس، عندما قالا إن وجود حكومة مسلمة مستقبلية رائعة فى الشمال، ومنظومة جيدة لخدمة اجتماعية رومانية كاثوليكية مستقلة، وكذلك وجود حكومة فى الشرق، قد يترتب على ذلك كله سياسات دينية أقل تسامحًا. وقد أسفر ذلك الحراك عن تفعيل ملفات الحكومة البريطانية الخاصة بحقوق الإنسان، والسبب فى ذلك أن الناس كانوا لا يزالون يتوقعون انعقاد مؤتمر دستورى فى شهر سبتمبر. كانت وجهة نظر وزارة المستعمرات الرسمية، التى بدأت تظهر من جديد، هى من عنديات السيد/ ليتلتون Lyttelton، كانت تلك الفكرة تعنى أنه ما دام بقى النيجيريون مسالمين، فلن يكون هناك داع لإعلان حقوق الإنسان، وأن التفكير فى مثل هذا الأمر يعد مضيعة للجهد. وجرى نبش المحفوظات القديمة بحثًا عن الأدلة الدقيقة المتبقية من الضمانات التى سبق أن أعطاها لوجارد فى العام ١٩٠٣، وكذلك البحث أيضًا فى الجدل فى مسألة ما إذا كان الوعد بعدم التدخل فى الشئون الإسلامية قد أعطى بعثات التبشير المسيحية الحرية التى تتمتع بها حاليًا فى مختلف الظروف الافتراضية. على الجانب الآخر ندد السير رالف جرى Grey (الذى مُنح لقب فارس خلال الزيارة الملكية) تعهدًا بتشجيع المعلم أبى بكر تافاوا باليوا على القيام ببعض المبادرات. وبعد عودة أبى بكر سالمًا غانمًا من رحلته الطبية، أثار الرجل هذا الموضوع داخل حزبه. وأبدى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى استعداده لقبول الكلمات التى من قبيل "**حرية الضمير، حُرِّية التدين، التى تخضع لاعتبارات الأخلاق، والنظام العام أو الصحة العامة، وذلك طبقًا لما هو منصوص عليه فى القانون، وحريات التعبير والتجمع والتجمهر، كما هو منصوص عليه أيضًا فى القانون**". يزاد على ذلك أن أعضاء الحزب لم يكونوا سعداء بالتعبيرات التى من قبيل "حرية التَّوالد، وحرية الممارسة، وحرية التغيير، والدين"، لكن الأعضاء كانوا يتشككون ويساومون فى مسألة وضع توضيح، للمقصود بكلمة "التَّوالد". تشاور شارود – سميث مع أبى بكر، ثم نصح إلى السيد/ جرى Grey بما مفاده أن الصيغة الحالية التى تحظى حاليًا بموافقة العالم كله،

هى الصياغة التى عليها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة، وأن هذه الصيغة يمكن أن تحظى بأكبر قدر من النجاح. وهدأت النيران بعد ذلك.

كان أبو بكر معنيًا أكثر بمسألة الأمر بإجراء دراسات الجدوى اللازمة للسدود متعددة الأغراض فى كل من جبًا Jebba وعلى مقربة من بوسًا Bussa، وكان الرجل أكثر اهتمامًا بتعزيز مساندته لخطط إميرسون Emerson المحددة الخاصة بتمديد الخط الحديدى، الذى أصبح واضحًا فى ذلك الوقت أنه لم يكن هناك خيار آخر عن مرور الخط الحديدى من كورو Kuru عبر تافاوا باليوا. سافر كارلايل إلى لندن للتشاور مع وزارة المستعمرات حول تمويل هذه الخطة، كان رأى الوزارة، كما سبق أن أوضحنا، هو رؤية إفريقيا وهى تفيد من قرض من قروض البنك الدولى، ولذلك اعتقدت الوزارة أن مشروع أبى بكر يمكن أن يستشير حسن النية والطوية إذا ما جرى عرضه على البنك الدولى بطريقة مناسبة ومعقولة. وبقى أبو بكر على قناعته أن النتيجة ستكون الدعم والتأييد، وليس الصراع والمعارضة، لسياسة إنتاج المزيد من الغذاء، والفول السودانى، والقطن فى كل من برنو Borno وباوتشى وأن ذلك سينتج عن تحسين الملاحة فى النهر. كانت الشركة الهولندية لتطوير نهرى النيجر والكنغو قد أصبح لها لنشان يتنقلان فى نهرى النيجر وبنيو Benue، وأسندت إلى هذه الشركة مهمة أخرى جديدة تتمثل فى تقديم المشورة فيما يتعلق ببناء جسر عبر نهر النيجر إلى أونيتشا Onitsha. صحيح أن المعدّية التى كانت موجودة، كانت بحالة طيبة ومتينة، لكنها كانت بمثابة عنق الزجاجة لأنها كانت تعرقل نقل المسافرين والبضائع بسهولة ويسر من إينوجو، أورى Owerri، بورت هاركورت، وكلبار، وجنوبى الكاميرون إلى كل من ليجوس والغرب. والذى يدعو إلى التهكم والسخرية فى هذا الصدد هو أن أزمة نيجيريا التالية نشبت بسبب هذه العقبة، فقد ثبت أن تلك الأزمة كانت عبارة عن فرقعة تخلف عنها شىء من رائحة الكبريت.

كان الدكتور أزكوى هو عائلته لا يزالون من كبار المساهمين وحملة الأسهم فى مصرف من المصارف الإفريقية القارية، وكان الدكتور آزكوى قد أنشأ هذا البنك من باب تيسير حصول رجال المال والأعمال على المزيد من الائتمان، وبخاصة أولئك الذين كانوا يرون أن الشروط التى يضعها بنك باركليز هو والبنك (البريطانى) لغرب إفريقيا تعد شروطًا مقيِّدة جداً. كان هناك بنك آخر مماثل يدعى البنك الأهلى النيجيرى الذى كان سياسيوا الإقليم الغربى مهتمين به اهتمامًا كبيراً (ولعل القارئ يتذكر المصالح التى جرى الكشف عنها فى مؤتمر لندن الأخير). واقع الأمر، كان من الشائع بين المواطنين، وصف أنفسهم "بالمواطنين" أو "القاريين"، وذلك اعتماداً على البنك الذى يمتلكه زعيمهم السياسى. كان مصرف الدكتور أزكوى يخسر بالفعل، ومع ذلك قام اتحاد التنمية الشرقية القانونى بإيداع مبلغ ٢ مليون جنيه إنجليزى فى ذلك المصرف. هذا المبلغ كان كبيراً بمقاييس العام ١٩٥٦، وكان يساوى حوالى ثلث الإيرادات التى تحصل عليها الإدارة المحلية كل عام فى الإقليم الشمالى. لم يكن دور الدكتور آزكوى على وفاق مع السيد/ إى أو إيو E O Eyo رئيس مجلس اتحاد التنمية سالف الذكر، والمسئول عن جمع أعضاء البرلمان للإدلاء بأصواتهم، نظراً لأن الدكتور آزكوى كان يقاضى ذلك الرجل بتهمة القذف والتشهير. وتقدم السيد إيو Eyo بمقترح بإجراء تحقيق فى الإساءة الواضحة إلى الوظيفة العامة، كان مضمون هذه الدعوى أن رئيس وزراء الإقليم الشرقى فى نيجيريا أصدر أمرًا باستثمار المال العام فى واحد من المشروعات المهتزة، والذى كان له مصالح كبيرة فى هذا المشروع، ومن ذا الذى يفهم المال العام بصورة أفضل غير رئيس مجلس الإدارة؟ كان برنامج الأمم المتحدة الاستثمارى قد أيد السيد/ إيو Eyo وسانده، وعندما هم الناطق باسم الجمعية العامة برفض مناقشة الموضوع من منطلق أنه دعوى أمام القضاء، هدد الدكتور آزكوى بتقديم استقالته لأن حاكمه العام السير كلمنت بليس Pleass أحس بعجزه أخلاقياً عن إسقاط هذا الموضوع.

بدءًا من العام ١٩٥٢ تحول الفساد إلى زعم عام وكاسح ضد الوزراء، وذلك مثلما حدث ضد بعض الرؤساء ومسئولى السلطة المدنية؛ كان الحاكم العام للبلاد، رئيس السير كليم، يرى أن مثل هذا الادعاء، الذى جرى توجيهه قبيل المؤتمر الذى يمكن أن يخرج منه أكثر قوة عن ذى قبل، لابد من إزالته والتخلص منه بأى شكل من الأشكال ومهما كانت التكاليف. كان ذلك المبدأ الشعبى أرجح بكثير من تحفظات روبرتسون الخاصة، كان بليس Pleass، من ناحية، يرى أن علاقته الخاصة بالدكتور أزكوى لابد أن تنتهى، وكان يقول لأزكوى أيضًا إن التحقيق لن يسفر عن شىء، ومن ناحية أخرى كانت التقارير الصحفية والتقارير الاستخباراتيه تثبت أنه حتى فى حال ثبوت تورط الدكتور أزكوى فى الفساد أو ما هو أسوأ، وحتى إن حقق كسبًا على المستوى الشخصى، فإن أتباعه من الأجبو وغيرهم سوف يستمرون فى تأييد بطلهم ودعمه. كان كثيرون من أعضاء الحزب النيجيريين يتوقعون قيام زعمائهم المختارين بإثراء أنفسهم، ما دام أنهم يستفيدون منه - وإلا فماذا تكون فائدة السلطة؟ يزاد على ذلك أن السير جيمس أجبر نفسه على التوصل إلى استنتاج مفاده أنه فى الوقت الذى كان يُعَدُّ فيه مسئولاً عن نيجيريا، فإن بريطانيا كان يتعين عليها أن تفعل كل ما هو صحيح وأن لا تجعل نفسها عرضة لاتهامها بالتستر على كل ما تعده الجماهير أمورًا مسلمًا بها، كان يتعين على الرجل إقناع وزارة المستعمرات، وإقناع لينوكس بويد Lennox - Boyd بتعيين لجنة من لندن، لكنه نجح فى نهاية المطاف، على الرغم من الاستدلال الحتمى الذى مفاده أن المؤتمر لابد أن يؤجل. حاول السيد/ إنيورين Aneurin بيفان Bevan إحراج وزير الخارجية فى مجلس الوزراء البريطانى، بأن سأله عما إذا كانت العلاقة بين السياسيين والمصرفيين سيئة السمعة فى كل من ليجوس ولندن أيضًا. كان أولوو يرى أن الدكتور أزكوى كان يحاول جاهدًا جعل المأساة الشخصية كارثة قومية.

انزعج السير جيمس عندما وجد نفسه يجرى الهجوم عليه "لأنه كان يحاول الإطاحة بالدكتور أزكوى وإطالة أمد الهيمنة المصرفية البريطانية" لم يكن السير جيمس

فى نيجيريا منذ فترة طويلة تكفى لتكوين موقف ثابت من الصَّنم الذى جرت إقامته على الضفة المقابلة من نهر النيجر، هذا بالإضافة إلى أن الرجل كانت خبرته قليلة فى مجال السياسة المصرفية الدولية. كان نوينز Newns قائمًا بإجازة فى ذلك الوقت؛ جاء بطرس Peter ستالارد Stallrd خلفًا لهذا الرجل فى منصب سكرتير الحاكم العام ومجلس الوزراء. وعندما أثير هذا الموضوع فى المجلس، أصبح واضحًا للجميع أن المعلم أبا بكر تافاوا باليوا، الذى أعياه أدلابو Adelabu، وبدأ يتشكك أيضًا فى واحد أو اثنين من زملائه، كان يعارض تمامًا جر مجلس الوزراء إلى التحقيقات التى أجريت بخصوص كل من البنك القارى الإفريقى والدكتور آزكوى - كان من رأى وزراء الشمال ككل أن هذا الموضوع ينبغى التعامل معه عن طريق المحامين، ما دام جرى إنشاء محكمة برئاسة قاضى القضاة الفيدرالى النيجيرى، السير ستافورد Stafford فوستر - ستون (Foster - Sutton).

من سوء الطالع أن الناس كانوا لا ينظرون إلى رئيس المجلس باعتباره "غريبًا على الجماعة" ما دام أن ذلك غشَّى الحقيقة التى مفادها أن ذلك كان من قبل الحكومة البريطانية وبرضاها. حدث أيضًا شىء من الجدل القانونى الأولى حول وضعية هذه المحكمة، نظرًا لأن السلطات المعطاة لوزير الخارجية بدت وكأنها توحَّلت بسبب التمسك بالقوانين التى جرى سنها فى ظل الدستور لتقسيم مختلف السلطات المطلقة والسلطات العادية المخولة للحاكم السابق، بين الحاكم العام الفيدرالى وحكام الأقاليم: وهنا نجد أنفسنا نتساءل هل ستجرى ممارسة السلطة طبقًا للتطبيق الفيدرالى أم التطبيق الإقليمى؟ ومع ذلك جرى تشكيل المحكمة، وانعقدت على الملأ، واتخذت لنفسها شكل محكمة لينسكى Lynskey فى المملكة المتحدة، والتى أسسها كل من السيد/ سى آر أتلى Attlee والسيد/ شوتر Chuter إيد Ede، وزير الداخلية فى العام ١٩٤٨ الميلادى للتحقيق فى تهم الفساد المنسوبة إلى الوزير والمسئولين: كان الهدف من هذه المحكمة يتمثل فى كشف الحقائق، وقيل الكثير فى الخطب المفرطة فى عدم قانونية الادعاء وعدم

ثبوت الاتهامات؛ وقيل الكثير أيضًا عن استعداد الجميع لتقديم يد العون والمساعدة فى تبرئة المتهمين. كان الأفراد الذين أحسوا بتورطهم فى هذه المسألة قد وكلوا عنهم محامين كثيرين، أما الدكتور أزكوى فقد اعتمد على كل من السير فرانك سوسكايس Soskice، والسيد/ تيودور Tudor دافيس Davies والسيد/ دانيل Daniel إيبكوى Ibekwe.

حدثت أيضًا بعض مظاهر العنف فى شرقى مدينة سكتو Sokoto خلال فترة الجفاف الحارة التى جاءت بعد شهر رمضان، وكان السبب وراء هذا العنف يتمثل فى النشاطات التى قام بها إبراهيم كاولاك Kaolack، زعيم الطريقة التيجانية فى السنغال. كان السلطان قد استدعى الرؤساء لمناقشة هذا العنف. حدث أيضًا مزيد من المتاعب بسبب الفساد فى برنو، وهنا نجد أن شتيما Shettima كاشيم الوزير السابق يتخلّى عن السياسة الإقليمية مثلما فعل بللو Bello كانو Kano من قبل، وبذلك يصبح شتيما من جديد حاملاً للقب الوزير تشريفًا له. بعد ذلك بوقت قصير قام شتيما كاشيم ومعه أبا Abba جدُّوم Jiddum جانا Gana أحد موظفى الحكومة بتأسيس هيئة كانورى الثقافية ، التى أسمياها اتحاد ولاية برونو، والذى يهدف على المدى الطويل إلى توحيد ولاية شمالية شرقية تضم كلاً من أدماوا، باوتشى، والهضبة، وعاصمة الولاية وإنشاء جامعة فى ميدوجورى Maiduguri. يزاد على ذلك أن إصلاحات الحكومة المركزية فى إيلورين Ilorin كانت هى الأخرى تعانى الكثير من بعض العواصف السياسية المفاجئة. ومن باب الحث من جانب الحكومة البريطانية على إظهار دلائل التصويت الديمقراطى وعلاماته، كان ماكفرسن، أثناء وجوده فى ليجوس، قد سأل الممثل المقيم شارلز Charles ميشاى Michie، عن مدى استعداده ورغبته فى تقويض منظومة الحكم المحلى "المنتمية إلى العصور الوسطى" فى الإقليم الشمالى. أفضى ذلك فى النهاية وبصورة غير مباشرة إلى شارود - سميث، الذى تقاسم بعض ظنون المستشار السياسى الرئيسى (الذى كان ملتزمًا بالمزيد من إصلاحات الحكم المحلى، لكنه كان يسلم بأن

هذه الإصلاحات سوف تقوى سيطرة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وبروزه)، وذلك يؤكد ما قاله شارلز ميشاى، جاء هذا التوجيه، فى ظل قيام هيدلى Hedley مارشال Marshall بالإشراف على الجانب القانونى فى ذلك التوجيه، هادفًا إلى الاستغناء عن الجدول الزمنى المحدد، الذى كان ينص على القيام بمرحلة بعد أخرى، وأن يتم فى وقت واحد إنشاء مجالس محلية فى سائر أنحاء الولاية، وأن تتمتع تلك المجالس بأغلبية من الأعضاء المنتخبين. كان واضحًا ومتوقعًا تمامًا أن يعطى حزب العامة الإيلورى Ilorin، قليل الخبرة، المسئولين والأثرياء الذى ساندوا حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، جائزة نظير نقودهم، والذى لم يكن فى الحسبان هو أن حزب العامة الإيلورى قد يعيد تجنيد، ويطلب العون والمساعدة من عناصر أويو فى حزب جماعة العمل، فضلاً عن استيراد العنف والتخويف لتشويه الشكل الديمقراطى الجديد فى إيلورن. كان حزب جماعة العمل قد فاز فى الانتخابات الفرعية فى العام ١٩٥٦ الميلادى، على حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، بفضل سياسة المشروع السياسى الذى يعود على الأنصار بمكاسب كثيرة من ناحية، وبفضل الانتهازية القبلية فى سائر المؤسسات من الناحية الأخرى. كان الجميع يتطلعون إلى تصدير هذه التجربة وهذه الدروس إلى المناطق الشمالية.

تمثلت النتائج الباكرة فى فوز حزب العامة الإيلورى الأسمى لا فى انتخابات مجلس الحى وحدها فى الجزء الجنوبى من إيلورن، الذى كان يرتبط ارتباطًا وثيقًا باليوروبا فى المنطقة المجاورة، وإنما كان يرتبط أيضًا بالمجالس الشمالية التى كان الناس يظنون أنها ليست متعاطفة مع إيبادان، بما فى ذلك كل من مجلس مدينة إيلورن نفسه، والمجلس الداخلى لأمير إيلورن. خلال الرحلة التى قام بها أبو بكر إلى الشمال، ومروره عبر إيلورن لاحظ الرجل باستياء شديد ذلك النوع الجديد من الفساد فى الإدارة المحلية والفساد الحزبى، وكان أبو بكر لا يزال يرفض بشدة ويستاء بشدة أيضًا من التدخل القادم من وراء الحدود فيما يعد شئونًا داخلية بحته. ويتوقف أبو بكر بعد ذلك فى بلدة مِنَّه Minna للتباحث مع ديسموند Desmond ماكبرايد Macbride،

الممثل المقيم، الذى أمضى من قبل سنوات كثيرة فى المناطق المتاخمة لنهرى بنيو والنيجر، فى مسألة الإمكانيات الملاحية لهذين النهرين، كان أبو بكر يطمح إلى سماع أدلة جديدة وأراء جديدة تقوى أو تضعف من القرار الذى كان على وشك إصداره. وعلم أبو بكر أيضًا أن المحاولة من جانب حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى لتكوين "جبهة شعبية" من الأحزاب المحلية فى منه Minna لم تحظ بنجاح كبير. كان الهدف الرئيسى من هذه الرحلة هو القيام بجولة على الخط الحديدى الواصل إلى كل من جوساو، وكاورا نامودا، وذلك من باب التفتيش أثناء النهار وحضور الاجتماعات السياسية فى المساء. وانشرح صدر أبى بكر أيضًا عندما قام سكرتيره الخاص الجديد رتشارد Richard كنسمان Kinsman (الذى جرى نقله من سكتو ليخلف هوالى Whalley)، باصطحاب أسرة أبى بكر الصغيرة مع الوفد الرسمى، ضمن الرحلة نفسها، فى القطار المكون من ثلاث عربات.

كان الهدف الثانى من الرحلة يتمثل فى حضور الاجتماع الطارئ الذى يعقده حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا: اختار المستشار السياسى الرئيسى فى ذلك الاجتماع "لجنة عمل مركزية" جديدة لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وجاء اختياره لهذه اللجنة على هدى من لجنة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى اللهم باستثناء أن لجنة العمل كانت بكاملها من أعضاء المجلس التنفيذى الإقليمى الشمالى. إلى الآن كانت شخصية أبى بكر وخبرته تعنيان عدم اتخاذ قرارات سياسية مهمة فى الشمال إلا بموافقة من الرجل، وحتى وإن كانت تلك القرارات صادرة من مسافة بعيدة أو عن بعد. كانت ذاكرة الرجل التوجيهية - الذكية أمرًا حيويًا طوال هذه الرحلة. ويبدو أن الرجل قبل الموقف فى هدوء، وعندما فعل ذلك خسر فرصة اختبار الموافقة الشعبية على السلطة الفوقية التى كان مؤيدوا المستشار السياسى الرئيسى يتمتعون بها ويمارسونها على الجيل الأصغر الذى كان أبو بكر متعاطفًا معه.

أعطى المستشار السياسى الرئيسى تأكيدات وتطمينات لأعضاء هيئة موظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية فى الشمال، كما أعلن أيضًا عن إجراء انتخابات إقليمية عامة فى الشمال فى فصل الجفاف، ثم قام المستشار السياسى الرئيسى بعد ذلك بزيارة خاصة إلى مصر قبل أداء فريضة الحج للمرة الثانية، وخلال هذه الزيارة، جرى وضع وزير برنو السابق الذى أفل نجمه فى الاضطرابات التى جرت مؤخرًا فى ميدوجورى، فى منصب مسئول الحج النيجيرى فى الخرطوم.

فى شهر أغسطس انشرح صدر وزير النقل عندما أبلغ كارلايل (الذى أصبح على وفاق وود تام معه) فى إحدى حفلات الاستقبال، أنه بعد أن أصبح مُلِمًا بالخلفية المالية، فإنه يتعين عليه الذهاب مع إميرسون إلى واشنطون لبدء المفاوضات مع البنك الدولى حول قرض السكك الحديدية. أوضح أبو بكر بعد ذلك بفترة قصيرة كيف يمكن أن يتحول الوزير الاستعمارى إلى دبلوماسى: وعلى الرغم من عدم وجود أى نقص من أى نوع كان من المجندين، فقد كانت هناك شكاوى دائمة من المعاملة غير الحسنة التى كان يلقاها العمال النيجيريون فى فرناندو بو Fernando poo الصغيرة البعيدة عن شاطئ البحر. وقد أتيحت الفرصة لجماعة من وزارة النقل، لزيارة فيكتوريا Victoria فى الكاميرون، ورأت تلك الجماعة أن من المناسب القيام بزيارة رسمية إلى العاصمة الأسبانية المحلية، سانتا Santa، أثناء عودة الجماعة إلى موطنها، كان وجود الوزير الكبير بمثابة مُذَكِّر صريح وإنذار صريح أيضًا للسلطات الأسبانية، يفيد أنه سيجيء اليوم الذى ستكون فيه سلطات جديدة تقوم على مراقبة مصالح الأيدى العاملة المهاجرة. أحس الأسبان بالقلق وأجروا مفاوضات مبدئية على الفور بشأن تغيير نصوص العقود المبرمة مع العمال النيجيريين ومراجعتها، لكن بينما كانت الجماعة هى ونائب القنصل البريطانى (الذى جرى إلحاقه على الجماعة من إدارة الإقليم الشرقى الإقليمية) يتجولون فى مزارع نخيل الزيت ومزارع الكاكاو، اختفى أبو بكر وبذلك أمكن

تحاشى الالتزامات كلها. وأثناء العودة فى نهاية المطاف مر اللنش على مجموعة من القوارب فى الظلام، وكان واضحًا أن تلك القوارب كانت مشتركة فى عملية من عمليات التهريب: "**هل هذه القوارب محملة بمشروب البراندى؟**" تساءل الوزير المعتدل اعتدالاً صارمًا؛ "**نتمنى لهم حظًا سعيدًا!**" كان ذلك جواب الرجل، وهل يحاول تناسى الموضوع.

تمثلت الأحداث المعاصرة فى الاستفتاء الذى أجرته الأمم المتحدة فى منطقة الوصاية التى كانت تابعة لألمانيا من قبل فى أرض توجو Togo land، الأمر الذى كشف عن رغبة سكان هذه المنطقة فى الانضمام إلى ساحل الذهب (غانا حاليًا)، وتخلى فرنسا للهند عن مستوطناتها هناك؛ والوعد بحل مستعمرة جزر ليوارد Leeward حتى تستطيع أنتجوا Antigua، وسينت كتس - نيفس St kitts - Nevis هى وأنجولا Anguilla، وموانتسرات Montserrat وجزر فيرجن Virginالبريطانية الدخول إلى اتحاد الكاريبى الفيدرالى بصورة واضحة ومباشرة؛ ظهور عبد الله خليل، ذلك المهدى المسن، والزعيم القروى لحزب الأمة، رئيسًا لوزارة ائتلافية فى السودان، وأخيرًا العرض الذى تقدم بها هاردنج Hardingعن شروط الاستسلام لإيوكا Eoka فى قبرص، ورفض هذه الشروط.

كانت هناك شئون خارجية أخرى بدأت على امتداد الشهور القليلة التى، تحدث أثرًا كبيرًا وتترك انطباعًا كبيرًا أيضًا لدى النيجيريين المتعلمين بشكل عام، باعتبارهم طبقة غير طبقة الصفوة الذين يشغلون مناصب الوزراء والمسئولين، أكثر من أى وقت آخر منذ اندلاع الحرب. هذا هو الدكتور نيكروما زاد أغلبية حزبه فى الانتخابات، وراح يطالب بالاستقلال الذى جرت الموافقة عليه فى اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر من العام ١٩٥٦، وعليه أُعيد تسمية ساحل الذهب باسم غانا، وهو الاسم الذى اختاره السيد/ جى ب دنكواه Danquah وذلك تيمنًا باسم مملكة العصور الوسيطة التى كانت قريبة من منبعى نهرى السنغال والنيجر، وكان بعض، آخر من الذين كانوا يفكرون

تفكيراً جدياً فى شمال نيجيرى، منفصل مثل الأردن، يفكرون فى اسم مملكة سونغاى القديمة وإطلاقه على الشمال. أكثر إزعاجًا، أن بريطانيا والولايات المتحدة، بعد أن أبلغتا الرئيس ناصر، بأنهما لا تستطيعان فى الوقت الراهن تمويل بناء السد العالى، الذى جمَّد إيدن تمويله منذ زمن بعيد، قام المقدم بتأميم قناة السويس فى شهر يوليو، وقد أثار ذلك التأميم حفيظة هاتين الدولتين ودفعهما إلى الانتقام الاقتصادى، الذى انضمت إليه فرنسا، أيدت ثمانية عشر دولة من الدول المستفيدة من القناة هذه الخطة، وذلك ابتغاء السيطرة مستقبلاً على القناة بناء على الخطة التى وضعها فوستر دالاس وزير الخارجية، الذى روعته علاقات عبد الناصر مع كل من موسكو وبكين، لكن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، هو وأندونيسيا وسيلان أيدو خطة بديلة ابتكرها باندبت نهرو. وهنا أحالت كل من بريطانيا وفرنسا الموضوع إلى مجلس الأمن فى الأمم المتحدة. فى ذلك الوقت لم يكن هناك إجماع نيجيرى: لأن نيجيريا ليست بحاجة إلى القناة، وهنا ترددت آراء السياسيين بين الاحترام القانونى لقداسة المعاهدات، وحرية المرور لجميع الدول فى الممرات المائية الدولية، وبين التعاطف مع القوميات الناهضة.

فى الوقت الذى وصلت فيه أزمة السويس درجة الغليان، انغمس المعلم أبو بكر، خلال اجتماع قصير لمجلس المندوبين (الممثلين) فى شىء من التنظير الذى لم يسارع إلى فهمه كل من كانوا يستمعون إلى الرجل وبخاصة عندما قال: **"الدين ليس هو المُمَثَّل فى هذا المجلس، وإنما المُمثَّل هو الأحزاب السياسية"**. كان السيد/ جاجا واشوكو قد تقدم باقتراح مفاده أن المجلس يتعين عليه إرسال مندوبين أو ممثلين عنه، ومستشارين منه إلى المؤتمر الدستورى المنتظر، الذى تأخر انعقاده، لكن أبا بكر قال: **"على الرغم من أننا هنا ننتمى إلى اتحاد فيدرالى، فإننا لا نزال نملك بل ونتبع أحزابنا ... الزعماء السياسيون للأحزاب كلها التى تمثل المجلس كلهم أعضاء فى المجالس التشريعية الإقليمية وليسو أعضاء فى المجلس التشريعى الفيدرالى. نحن ننظر إلى أنفسنا باعتبارنا أجزاء من هذه الأحزاب التى لها جذورها فى الأقاليم ... من هنا فإن اقتراح**

السيد/ جاجا واشوكو يمكن أن يعنى أن هذا المجلس لا يزال يشكل نفسه وكأنه حزب واحد لا أكثر ولا أقل .... لكن يتعين علينا ألا نستغفل أنفسنا ونظن أن بوسعنا الجلوس هنا ونشكل من أنفسنا حزبًا [فيدراليًا نيجيريًا]... إن مهمتنا تتمثل فى التأكد من بقاء هذا الاتحاد الفيدرالى واستمراره .... الاتحاد الفيدرالى ليس دائرة انتخابية (تصفيق)". تقدم أبو بكر بعد ذلك باقتراح زيادة مرتبات السكرتيرين البرلمانيين إلى ١٠٠٠ جنيه إنجليزى، وذلك من باب مساواتهم مع نظرائهم الإقليميين، وأيد الرجل مقترحات كبير السكرتيرين الخاصة بتدريب الديبلوماسيين المستقبليين على الرغم من انتقادات السيد/ جاجا واشوكو: **"أوضح كبير السكرتيرين، أن كندا، التى تعد أول بلد مستقل من بلدان الكمنولث، ليس لديها سوى نصف التمثيل البريطانى فى البلدان الأجنبية ... وأنا بصفتى مدرسًا فمن عاداتى أن أبدأ بالمعروف وأنتهى بالمجهول .... هذا عمل يتعين على المرء تعلمه من خلال الممارسة ... سوف يستقل ساحل الذهب (غانا حاليًا) فى العام القادم، لكنهم إلى الآن لم يدربوا سوى اثنى عشر فردًا فقط من أفراد وزارة الخارجية".**

بعد ذلك، وجد أبو بكر الوقت الذى هنأ فيه حارسه السابق آدم Adamu، الذى كان كاتبًا من الدرجة الأولى فى مكتب التعليم فى باوتشى، ثم جرى تعيينه رئيسًا لحى لير Lere المحلى فى بلدة تافاوا باليوا. كما هنأ الرجل أيضًا جيل Gill الممثل المقيم السابق الذى أصبح مفوضًا أولاً على المحاكم المحلية (لتسهيل إدخال المحاكم القانونية المحلية الجديدة وإدخال محكمة الاستئناف الإسلامية)، وترأس أبو بكر أيضًا المؤتمر الذى عقد للنظر فى مقترحات "القائمة الخاصة" المتعلق بموظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية. وقام أمبلر Ambler توماس Thomas بشرح هذه المقترحات شرحًا مفصلاً، وأمبلر هذا هو وكيل وزارة الخارجية المسئول فى لندن. كان أبو بكر يتحرق شوقًا إلى نجاح هذا المشروع، باعتباره جسرًا آخر يعبر فجوة المصدر السيكولوجى (النفسى) القائمة بين الحكم الذاتى الكامل واكتفاء الشمال ذاتيًا من

موظفيه المدنيين المناسبين من ناحية، وباعتبار هذا المشروع من ناحية أخرى (من منظور أمبلر توماس) ضمانًا يفيد أن التعجيل بمسألة الأفرقة Africanisation لن تؤدى إلى انخفاض مستويات الكفاية؛ قَبِل أبو بكر نظرية الخدمة المدنية البريطانية وسلم بها، فى الوقت الذى رفض فيه بعض رفاقه الشماليين والجنوبيين هذه النظرية، من منطلق أن الموظف السياسى الكبير يخدم الوزراء مختلفى الأطياف والمشارب خدمة محايدة، ويقوم بتنفيذ السياسة المتفق عليها أيًا كانت دون أن يسىء إلى مصالح الشعب. كان الفارق يتمثل فى أن أبا بكر، كان لا يزال يرى أن الأمر مفروغًا منه، إلى أن يثبت العكس، وأن كل موظف من الموظفين البريطانيين مؤمن بنظريته الوطنية، فى حين كان أبو بكر فى ذلك الوقت يتوقع من الموظفين النيجيريين الجنوبيين إثبات إيمانهم بهذه النظرية أيضًا عن طريق أعمالهم الفعلية. وانزعج أبو بكر نظرًا لأن الإقليم الشمالى وحده كان لا يزال بحاجة إلى تأهيل لغوى محلى قبل الموافقة على تولى الموظفين الأجانب وظائفهم - كان أبو بكر يسلم بأن الموظف الذى يجهل اللغة المحلية لا يمكن له مطلقًا أن يفهم الناس، وكان أبو بكر يسلم أيضًا بأن هؤلاء الذين لا يودون الكلام أو الاستماع ولو قليلاً لابد وأنهم لا يريدون لذلك الموظف أن يفهمهم مطلقًا. وجرت الموافقة على مشروع "القائمة الخاصة" على الرغم من بعض الشكوك التى راودت بعض السياسيين الحاضرين والتى مفادها أن السيد/ أمبلرتوماس كان حاملاً لهدايا غير مفهومة، لكن وكما سبق أن أوضحنا، فإن هذا المشروع أو ذلك المشروع أو تلك القائمة لم تلق نجاحًا كبيرًا فى شكلها الأول. قال الحاكم العام إن هذا المشروع جاء متأخرًا عامين.

أعقب ذلك وقوع بعض الأحداث الأجنبية بشكل مذهل واستمرت لأيام قلائل فقط، وكان من الصعب جدًا تفهم تلك الأحداث تفهمًا عقلانيًا أو تعتيمها تعتيما تضخميًا معاصرًا. ومن بين الأحداث الأخرى استعمال اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية حق الفيتو ضد قرار إنجليزى - فرنسى فى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ويخص

مسألة قناة السويس، وحدثت أيضًا إضرابات وانتفاضة فى المجر فى اليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر، وجرى أيضًا الإفراج عن رئيس أساقفة بولنده، الكاردينال وسيزنسكى Wyszynski، من معتقله، وقامت إسرائيل، التى تعد مصر نفسها فى حرب معها، بغزو سيناء، وأُفرج أيضًا عن الكاردنيال "مندسزنتى" Mindszenty المجرى، وقامت القوات الروسية بغزو الجزء الشمالى الشرقى من المجر فى اليوم الرابع من شهر نوفمبر؛ كانت كل من بريطانيا وفرنسا قلقتين تمامًا من التهديدات الاقتصادية للبترول، وبعد أن أصدرتا إنذارًا نهائيًا لجمال عبد الناصر، لكنهما كانتا على ما يبدو متناسيتين للأخطار السياسية لحرية الفكر فى أوروبا الشرقية، واستعملتا حق الفيتو ضد قرار يلزم إسرائيل بالانسحاب (كان ذلك أول مرة تستخدم فيها بريطانيا حق الفيتو)، وقامت إنجلترا وفرنسا فى ضوء المعاهدة المصرية الإنجليزية، بالتدخل عسكريًا بين إسرائيل ومصر، لكنهما قامتا أيضًا بضرب المطارات المصرية فى اليوم الخامس من شهر نوفمبر، وضعف الجنيه الإسترلينى، واستعمل اتحاد الجمهوريات السوفيتية حق الفيتو ضد طلب الغرب مناقشة مسألة المجر فى مجلس الأمن، وقبلت إنجلترا وفرنسا وقف إطلاق النار فى الشرق الأدنى تحت ضغط أمريكى بعدم الموافقة، شريطة إدخال قوات من الأمم المتحدة للمحافظة على السلم، وألح اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية إلى استخدام الصواريخ ضد لندن إذا لم يتم وقف إطلاق النار، وأعيد انتخاب الرئيس إيزنهاور، الذى أغفل أهمية القناة فى تزويد الغرب بالبترول، وأعلن وقف إطلاق النار فى السويس، على الرغم من عدم انسحاب كل من بريطانيا وفرنسا لحين وصول قوة الأمم المتحدة. **وعلق القائد البريطانى الجنرال السير هوج Hugh ستكويل Stockwell، الذى سبق له قيادة الفرقة الثانية والثمانين المشكلة فى غرب إفريقيا من النيجيريين وسكان ساحل الذهب (غانا حاليًا)، أنه لو كانت لديه فى ذلك الوقت وسائل الإشارة والاتصالات الحالية، مثلما حدث فى الغابة قبل اثنى عشر عامًا، لأكمل احتلاله لمنطقة القناة كلها قبل أن تصله الإشارة التى طلبت إليه التوقف**

ومنع إطلاق النار. وكانت النتيجة الاستراتيجية التى ترتبت على ذلك تتمثل فى عدم وجود منطقة حاجزة فى الصراع المستقبلى بين إسرائيل ومصر.

كانت الأفكار والآراء متضاربة تمامًا فى ذلك الوقت، على الرغم من الاختلاف بعد ذلك على الأعمال التى لم يتم إنجازها، وظهرت فى نهاية المطاف اتهامات مقنعة توحى بالصدام بين فرنسا وبريطانيا وإسرائيل، وبدأت تلك الاتهامات تظهر إلى العلن بصورة بطيئة ومتدرجة. وبدءا من اللحظة التى جرى فيها تجميع القوات البريطانية وتورطها فى العملية، كان مسئولون بريطانيون كثيرون فى نيجيريا مستاءين (أو بالأحرى خائفين، مثلما حدث لهم عند اندلاع الحرب الكورية)، وكانت قلة قليلة من هؤلاء المسئولين فرحين (على حد قول أحد المعلقين) لأن "الأسد Zaki القديم لم يعد لديه سوى زئير واحد". وجرى قطع العلاقات الدبلوماسية المصرية الإنجليزية بطبيعة الحال. واكتشف جون ماكفرسن، فى وزارة المستعمرات، أن رفاقه فى الوزارات البريطانية الأخرى كانوا يشعرون بإعياء نظرًا لأن التوجيهات السياسية كانت تأتى من الوزراء بلا دراسة أو تمحيص، بدلاً من أن تكون ردود فعل على تقديراتهم وتحرياتهم المتوازنة توازنًا جيدًا.

كانت البرقيات الواردة من لندن تطالب بتقييم الرأى العام. جاءت الردود الأولى مطمئنة على الأقل من الشمال، كانت هناك فرضية بين الأغلبية الساحقة من النيجيريين، الذين كانوا لا يزالون يعتمدون على الثرثرة أكثر من الصحف أو الإذاعة، مفادها أن ما تفعله بريطانيا التى قادت نيجيريا على الانتصار على قوات المحور، تدخل فى نزاع آخر فى أرض بعيدة، ومع أناس لا يعرف النيجيريون عنهم شيئًا، ربما يكون فى مصلحة هؤلاء النيجيريين. أما أولئك الذين كانوا يقرأون الصحف فكانوا منقسمين إلى القدامى الذى لا يثقون بالثوار أيًا كانت أوصافهم والطلائع الجديدة التى تحبذ وتفضل التغيير المضاد للإمبريالية، هذا يعنى أن السواد الأعظم من جماعات الإدارة المحلية كانوا يتشككون فى أغراض عبد الناصر، وأن السواد الأعظم من أولئك

الذين يتطلعون إلى الحصول على الحكم الذاتى المبكر كانوا متحفظين فى أقوالهم فى أضعف الأحوال. كانت فحوى الرسائل المرسلة إلى لندن تفيد أن هناك شيئًا من التعاطف القليل مع عبد الناصر لأسباب تتعلق بالدين، دونما اكتراث بالهجوم أو عدم الهجوم على مصر، وأنه ليس هناك تغيير ملحوظ فى مسألة "الموالاة"، تلك الكلمة التى سيندر استعمالها من الآن فصاعداً دون أن يكون هناك شىء من الارتباك. كان اهتمام الإمارات الرئيسى ينصب على مسألة إتمام الحج، لكن يجب ألا يغيب عنا أن الحج لم يتوقف بسبب الحرب العالمية الثانية.

لم تكن مواجيز وزارة المستعمرات الاستخباراتية أو توجيهاتها الإرشادية إلى كبار المسئولين الديبلوماسيين الاستعماريين، توزع بلا إذن فى كل الأحوال، ولذلك كانت تلك المواجيز والتوجيهات توزع على الوزراء الفاعلين والمؤثرين وأصحاب النفوذ، الموثوق بهم لأنهم لا يسمحون بتداول هذه الأوراق إلا فيما بينهم فقط، من هنا نجد السير جيمس روبرتسون يؤكد أن المعلم أبا بكر كان يعرف طبيعة المسألة البريطانية (أو على حد قول البعض: كان يعرف السير أنتونى إيدن) وكيف يمكن تقديمها وعرضها على أفضل نحو ممكن. كان الطابع القانونى يغلب على موقف أبى بكر، وكان الرجل يؤثر أيضًا وجهة نظر المحافظين، ولم يعترض بأى حال من الأحوال على استخدام القوة للمحافظة على الاستقرار. وكانت تعليقات المستشار السياسى الرئيسى العامة، فى تلك الأثناء مقصورة على مناجاة فظة للنفس حول مسألة استمرار إسرائيل فى احتلال العقبة وغزة. وكان المغزى الرئيسى من وراء ذلك كله يتمثل فى أنه على الرغم من أن الكثيرين يرون أن مسألة السويس تدمر زعامة بريطانيا الأخلاقية فى أجزاء كثيرة من العالم، بغض النظر عن النتائج المماثلة التى أصابت كلاً من فرنسا وإسرائيل، فإن مضاعفات أزمة السويس فى نيجيريا كانت فى أضيق الحدود. هذا يعنى أن مضاعفات هذه الأزمة لم تشكل أى دافع من الدوافع التكتيكية لفتح باب

الحكم الذاتى عنوة، نظرًا لأن ذلك الباب كان مفتوحًا وكانت مفصلاته مزيَّتة وجاهزة بالفعل.

أحدثت وفاة مازى Mazi مبونو Mbonu أوجيك Ojike فى عامه الرابع والأربعين انطباعًا كبيرًا تمامًا مثل ذلك الانطباع الذى أحدثه احتلال السويس، كان مازى مبونو مميزًا بين الإنجازات المهمة، ومازى هو الذى قاد مسألة الابتعاد عن الحلل وأربطة العنق الأوروبية، بين السياسيين الشرقيين الذين لم يرثوا تقاليد الملابس اليوروباوية والملابس الهوساوية باعتبارها "أفضل الألبسة". لاحظ المعلم أبو بكر فى شىء من السرور أن السير روى Roy ولينسكى Welensky قد خلف اللورد مالفرن Malvern (الذى كان يدعى من قبل جود فرى Godfrey هجنز) فى منصب رئيس الوزراء فى اتحاد روديسيا ونياسلند Nyasaland الفيدرالى، كما لاحظ أيضًا بقلب مكلوم تصاعد الإضرابات والمظاهرات فى الكاميرون وتحولها إلى حرب أهلية، على الرغم من أن هذه الحرب كانت على نطاق أصغر من نطاق الحرب الأهلية التى كانت دائرة فى الجزائر فى ذلك الوقت. كان هناك اهتمام كبير أيضًا بالتقارير الواردة من دورة ملبورن للألعاب الأوليمبية عن شجاعة المشاركين النيجيريين وبراعتهم فى تلك الدورة. فى الشمال حط الجراد بكميات كبيرة، لكنه لم يحط على باوتشى مطلقًا، الأمر الذى شتت اهتمام الناس وأبعدهم عن الانتخابات الإقليمية، كانت هناك دوائر انتخابية كثيرة، لا يمثل الواحدة منها سوى عضو واحد فقط، ولم يكن هناك سوى مرحلتين فقط من مراحل المجمعات الانتخابية، وكانت هاتان المرحلتان خاليتين من "ممثلى" injections الإدارة المحلية، على الرغم من الحاجة إلى إحداث تغيير دستورى كبير، كانت الظروف لا تزال تسمح بتسجيل حوالى نصف مليون ناخب وذلك من باب الاستفادة من صناديق الاقتراع الفعلية، فى المناطق التسعة عشر الحضرية الرئيسية. حصل حزب العناصر الشمالية التقدمى على أربعة مقاعد، مقابل عشرة مقاعد لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى تلك المناطق، لكن حزب العامة فى إيلورن بالاشتراك مع حزب جماعة

العمل حصلا على أربعة مقاعد من المقاعد الستة المخصصة لإيلورن. ومن بين الوزراء نجد أن شتيما Shettima كاشيم Kashim خسر مقعده أمام سائق شاحنة منتمٍ إلى حركة شباب برنو Borno، وخسر على التراكى فى زاريا بسبب تشتت الأصوات، كما ارتكب يحيى إيلورن خطأ تكتيكيًا عندما حاول رأب الصدع مع حزب العامة فى إيلورن، الأمر الذى أجبره على الانسحاب، ولم يصمد بطرس أشيموجو فى عملية الانتخاب.

على الجانب الآخر نجد أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى والمتعاطفين معه، يحصل على الأغلبية الكاسحة، مع توجيه اللوم من قبل بعض أفراد الحزب (كما هو الحال فى اقتراعات الرأى) إلى أولئك الذين عادوا من الأقسام الريفية فى ساعة مبكرة قبل انتهاء المدة المحددة للاقتراح، وخسر المعلم أمين كانو مقعده أمام تاجر من التجار الأثرياء. وترتب على ذلك أن أصبحت زعامة حزب اتحاد عناصر الشمال التقدمى للبرلمان غير فاعلة تمامًا، هذا فى الوقت الذى كان اليسارى موسى Moses روانج Rwang يتزعم حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد. فى برنو Borno نجد أن زنًّا Zanna بوكار Bukar دبشاريما Dipcharima، الذى لم تستطع قواته المجمعة هو ووزيره المعلم أبى بكر تافاوا باليوا، ورئيس وزراء الشمال المعلم أحمد بللو، والمعلم سول Sule كاتاجوم، التحكم فى موطنه؛ ولذلك راح زنا بوكار دبشاريما يقلل من شأن الوزير كاشيم، الذى استطاع فى نهاية المطاف طرده من منصبه. وجاءت السياسة الخارجية، هى والرفاه الناتج عن ارتفاع أسعار القصدير، والقطن، والفول السودانى بمثابة تشجيع ورفع للروح المعنوية لكل الأطراف، مثلما حدث عند اكتمال مصنع المنسوجات فى كادونا.

بدأ الاستياء يظهر فى غرب نيجيريا عندما بدأ العمل فى تأسيس إقليم الغرب الأوسط الذى كانت حكومة الغرب قد عقدت العزم عليه من حيث المبدأ، شريطة إضافة مناطق اليوروبا فى الشمال إلى ذلك الإقليم وذلك على سبيل التعويض، وكانت أغلبية مجلس الوزراء ترى أن قيام إقليم الغرب الأوسط يجب أن يسبق الحصول على الحكم

الذاتى. كان أبو بكر مناصراً لذلك المبدأ، لكنه كان يشارك حزبه الشك الذى مفاده أن إضعاف مركز قوة منافس من المنافسين قد يؤدى إلى تقوية المطالبة بانفصال إيلورن أو المطالبة بإقليم حزام أوسط. وفسر أبو بكر مسألة مساندة حزب جماعة العمل لإنشاء ولاية كور COR فى شرق نيجيريا على أنه تطويق متعمد لمجتمع الأجبو.

كان أبو بكر مسروراً بمرافقته للسير راف Ralph جرى Grey مرة أخرى عندما قام بزيارة المجلس الاستشارى لجيش غرب إفريقيا، الذى جرى افتتاحه رسمياً فى أكرا بواسطة الدكتور نيكروما الذى وصل مكان الاحتفال متأخراً ساعة من الزمن، وقد ترأس ذلك المجلس السيد/ كوجو Kojo بوتسيو Botsio، وزير التجارة والعمل فى ساحل الذهب. أما الوزراء النيجيريون الآخرون وكانوا من الشرق وهم الطبيب ميخائيل أوكبارا وزير الصحة، والسيد أنطونيو إيناهورو Anthony Enahoro من الغرب (واقع الأمر أنه من الأقلية التى فى منطقة إيشان من الحزام الأوسط محل الأخذ والرد). كان السيد/ ستانلى Stanley وى Wey، زميل عيسى كيتا منذ أيام الدراسة فى جامعة إكستر Exeter، يعمل فى قسم الدفاع التابع لفرع الأمن والدفاع فى مكتب الحاكم العام، وفى خدمته. لعب الفريق س دى باكارد Packard، المستشار العسكرى لحكومات غرب إفريقيا الأربعة، دوراً رئيسياً فى المجلس الذى أُصيب بالانزعاج عندما عرف أن نيكروما أعلن أن ساحل الذهب سوف ينسحب من المجلس بعد الحصول على الحكم الذاتى: "الآن وبعد حتمية حصول بلدى على الاستقلال، فإن موقفنا سيصبح متناقضاً مع الوضع الاستعمارى". كان الوزراء النيجيريون ومعهم الدكتور ملتون مارجارى Mar-gai من سيراليون، وشريكهم الجامبى Gambian قد أُصيبوا بالإحباط عندما فشلوا فى إقناع ساحل الذهب بعدم الانسحاب من مجلس دفاعى مشترك قوى، ومن هنا بدأ البعض يفقدون ثقتهم بالدكتور نيكروما. وهنا علق أبو بكر على الفور معبراً عن استيائه "**لو عرفت ذلك، لما تجشمت مشقة الحضور**". قام السيد/ ستانلى وى Wey بتمرير مذكرة إلى السير رالف جرى Grey يصر فيها على عدم إلغاء انعقاد المجلس

الاستشارى لجيوش غرب إفريقيا فى اليوم المحدد له وهو الأول من شهر سبتمبر من العام ١٩٥٨ . وبدأ ستانلى وى Wey يرى نفسه وسيطًا بين السكرتير العام الذى هو مسئول عن الشئون الدفاعية ووزير النقل الذى كان يجرى تعريفه بالموضوع، لكن الرجل استطاع أيضًا استشراف مظاهر الضعف طويلة الأجل المتعلقة بالمحافظة والإبقاء على مثل هذه المؤسسات والمؤسسات الداخلية الأخرى، بدون ربط الدول الناطقة بالفرنسية بهذه المؤسسات.

كانت الحجج التى أقنعت المرافقين الخارجيين الذين تصوروا أنفسهم بعيدى النظر تتمثل فى أن دول الساحل الغربى ذات الحكومات المستقرة يستحيل عليها أن تجلب على نفسها العدوان الخارجى، ذلك أن هذه الدول لم تكن تحتكر المنتجات الاستراتيجية المهمة. أما المراقبون الداخليون فلم تكن لديهم أية رؤية من أى نوع كان فى الاستقلال الحقيقى الذى يفتقر إلى الجيش أو الحلفاء. هذا يعنى أن المؤتمر ربما يكون تعليميًا لسكان ساحل الذهب: قبل الاستقلال بوقت قصير، حاول أحد المسئولين الذين لديهم خبرة واحد وعشرون عامًا فى السكك الحديدية النيجيرية، وأصبح مديرًا عامًا للخطوط الحديدية فى ساحل الذهب وسلطة الموانئ، حاول من خلال اتصالاته المنتظمه بكل من نيكروما، وبوتسيو، وفرانسس جبديما Gbedemah وكروبر إديوسى Edusei، حاول اكتشاف آراء هؤلاء الناس فى المعلم أبى بكر والزعماء النيجيريين الآخرين باستثناء الدكتور آزكوى. ويكتشف بلومردج Plumridge أن هؤلاء البشر ليست لديهم آراء فى أبى بكر - أو حتى لديهم الرغبة فى الاختلاف مع الرجل أو عدم الاهتمام به. كل ما فى الأمر أنهم عرفوا منذ البداية أن هناك زعماء نيجيريين وزعماء أفارقة عظام مثل أى زعيم من زعماء ساحل الذهب.

ينقضى العام ١٩٥٦ الميلادى دون حصول أى من دول غرب إفريقيا على الحكم الذاتى. وتحتم على لينوكس بويد شرح الأسباب التى أدت إلى ذلك لوزير الخارجية فى حكومة الظل "العمالية" فى مجلس العموم، وكان جيمس كالاغان Callaghan قد خلف

السيد/ أنيورن بيفان فى هذا المنصب. وكان السبب البسيط فى ذلك هو أن محكمة فوستر – ستون Foster - Sutton كان يتحتم عليها الانتهاء من تحرياتها وتقديم تقريرها. هذا يعنى أن المؤتمر سوف ينعقد فى شهر مايو، أو فى منتصف يونيو من العام ١٩٥٧ فى أغلب الأحوال، وأن ذلك سيكون فى حدود القانون بقدر المستطاع، وأن التنفيذ العملى سيكون بعد ذلك فى غضون شهر، حتى يمكن الاتفاق على معايير ذلك الحكم الذاتى، وذلك توقعًا لتجهيز الأدوات والآلات الرسمية. سافر الرئيس أولوو Awo-lowo لمقابلة الرئيس لينوكس بويد والسير جون ماكفرسن احتجاجًا على ما يجرى، لكن أولوو تحرك تحركًا معتدلاً على نحو جعل وكيل الوزارة الدائم (الذى كان يعالج الشئون النيجيرية على قيد باع) يحس بقدرته على ممازحة الرجل متهكمًا "آو Awo، الطريقة التى تتصرف بها حاليًا، تجعلنى أرغب فى حضور المؤتمر!" على الجانب الآخر، كان انطباع لينوكس بويد يوحى بأن أبا بكر لم يكن متوترًا، وأن خيبة أمل النيجيريين الآخرين لم تكن مريرة، فى إطار مشاغلهم الأخرى، وأن الإحباط الناجم عن المحكمة نفسها بلغ ذروته فى الشرق. كان شغل أبى بكر الشاغل فى ذلك الحين متمثلاً فى المزيد من السفر إلى الخارج .

الفصل الثالث والعشرون

الممرات المائية فى العالم القديم

مؤتمر آخر الشهر السابع هو نهاية موسم الجفاف، وفى حال عدم وجود موسم للمطر، فاحتمال سقوطه أمر وارد تماماً.(*)

جرت محادثات رسمية فى ليجوس فى مطلع العام ١٩٥٧ حول الدراسات الخاصة بنهرى النيجر وبنيو، مع خبراء فرنسيين ومع المغتربين الهولنديين أيضاً. كان مهندسوا المياه الفرنسيين، العاملين فى أعالى نهر البنيو فى المنطقة الواقعة خلف جاروا Garoua فى الكاميرون، يحظون دوماً بإجراء محادثات غير رسمية مع كل من نيجيريا والشركة الهولندية لنهرى النيجر والكنغو، كانت نماذج هؤلاء الخبراء الفرنسيين داخلة ضمن الطوافات التجريبية ومنظومات الملاحة النهرية التى سيجرى مدها لتشمل بقعتين صعبتين فى نهر بنيو Benue، إضافة إلى نهر النيجر وفى المنطقة ما بين بارو Baro ولوكوجا Lokoja. كانت الاتصالات اللاسلكية قائمة بين جاروا Ga-roua ولوكوجا، وكان الفرنسيون يساعدون أيضاً كلاً من فريجلنك Frijlink هو وبعض المستشارين الهولنديين الآخرين عن طريق تقديم المشورة الفنية من أعالى النهر فيما يتعلق بمقترحاتهم النهائية لجعل الملاحة أسهل وأسرع. كانت هناك أفكار طويلة الأجل

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب من المثل الذى يقول: مهما طال الليل فلابد من طلوع النهار. (المترجم)

عن بناء سد رئيسى فى لاجدو إن قدر لمصالح النولون التجارية أن تستغل وتستفيد من مزايا استثمار شعبى كبير من هذا القبيل، وكانت تلك الأفكار مصحوبة بمقترحات للتحكم فى تدفق مياه نهر فارو Faro الذى يصب فى نهر بنيو Benue فى الكاميرون. كان المعلم أبو بكر مشتاقًا إلى الاستماع إلى بعض الدلائل عن أى شكل من أشكال التقدم فى مشروع فرنسى آخر، يدعى هيروندیل Hirondelle، الذى كان يهدف إلى نقل إنتاج الفول السودانى من خلف بحيرة تشاد ومن حول فورت Fort لامى Lamy فى مستعمرة تشاد، إلى ما وراء الحدود الشمالية النيجيرية إلى داهومى Dahomey، ومنها إلى مسارات التصدير الساحلية، كان اهتمام أبى بكر منصبًا على إمكانية إقناع هذه المستعمرات إذا ما فشل مشروعها، ببناء خط حديدى يمتد من ميدوجورى Maiduguri إلى فورت لامى (التى يطلق عليها حاليًا اسم نجامينا)، وذلك ابتغاء أن يعود الشحن الفرنسى بالمزيد من الدخل على اتحاد السكك الحديدية النيجيرية. كان أبو بكر يعرف أن حماسه لكل من السكك الحديدية والأنهار، لم يحظ بعد باهتمام أروقة الطرق فى الوزارات الأخرى، وكان الرجل يتشكك فى أن من سيخلفه فى المنصب الحالى قد يكون مفتقرًا إلى حماسه وتصميمه ورؤيته للحوافز المستقبلية التى يجب أن تعطى للفلاحين فى سائر أنحاء الشمال الشرقى من نيجيريا.

ومن باب التطلع إلى مصادر أقوى للحماس بغية نقلها إلى الآخرين، عبر أبو بكر تافاوا باليوا فى ذلك الوقت لمستشاريه عن رغبته فى زيارة هولنده، كيما يرى بنفسه المعامل الهيدروليكيه، حتى يمكنه مناقشة تطبيق التجارب والاختبارات التى أجريت فى هولنده فى الموانئ المثيلة فى كل من ليجوس Lagos وإسكرافوس Escravos. كان أبو بكر مؤمنًا بأن أى بلد نام يكون بحاجة إلى المساعدات الفنية، إن قدر للاستغلال الاقتصادى أن يكون له معنى حقيقى متعارض مع معنى الحكم الذاتى. كان الهولنديون متأثرين تمامًا بأسئلة الرجل الدقيقة التى تصيب المحز، هذه الأسئلة كانت شخصية الطابع وواضحة ومحددة، بل إن هذه الأسئلة كانت على العكس من تلك الأسئلة الدقيقة

التى تَعود الهولنديون الاستماع إليها من السياسيين الحزبيين الذين سبق لهم قراءة قلة قليلة من المواجيز والمختصرات الخاصة بالخدمة المدنية. كان الهولنديون يرون أن أبا بكر شخص نادر الوجود، رجل غير متخصص يسلم ويقر بأن المعطيات يجب الحصول عليها عن طريق بذل الجهد، من المعايير والمقاييس الواعية والدقيقة والمستفيضة، إن قدر لتلك المعطيات أن تكون ذات فائدة أو جدوى، وكانت لدى الرجل أيضًا فكرة عن طريقة استعمال الملاحظات والاستفادة منها فى التطبيق. تبين أبو بكر المغزى المباشر لذلك فى كل من الزراعة والتعليم الخاص "بالبنية التحتية" (ذلك المصطلح أو تلك الكلمة التى بدأت تشق طريقها إلى حديث الناس). قد يكون أبو بكر مدرسًا يرتدى قفطانًا، لكن الرجل كان يعرف مشكلات بلاده لأنها كانت تشكل له نوعًا من التحدى، ولم تكن عذرًا يمكن أن ينتحله فى الفلسفة الشفاهية. أدرك الهولنديون أن أبا بكر كان مهتمًا شخصيًا بمسألة أخذ مستوى المياه الموسمى فى نهر النيجر بعين الاعتبار أولاً وقبل كل شىء. وبناء على المعلومات الاستخباراتية المفصلة الواردة من شركة نهرى النيجر والكنغو، وجدت الحكومة الهولندية أن من المناسب إقحام نفسها فى توجيه دعوة إلى أبى بكر لحضور الاجتماع القادم، ووجدت نفسها أيضًا معنية بعمل الترتيبات اللازمة لزيارة وزير إفريقى كان لا يزال غير معروف فى أوروبا والولايات المتحدة. وهنا نجد السير جيمس روبرتسون يعرف قيمة هذه التجربة القيمة، ويوافق الرجل على هذه الدعوة، على الرغم من معرفته أنه فى حال تغيب أى وزير من الوزراء (وهذا غالبًا ما يحدث) فإن رفاقه أو بدلاءه المؤقتين يلجأون إلى التعطيل أو التردد فى اتخاذ القرار بدلاً من إلزام أنفسهم أو زعماء أحزابهم بقرارات جديدة.

من سوء الطالع، أن ذهن أبى بكر عندما لا يكون منشغلاً بمسئوليات عملية من هذا القبيل، يكون منشغلاً بعدم الثقة بالذات واليأس والقنوط. أبو بكر شأنه شأن كل المدرسين الجيدين، كان يعرف حدود معرفته العلمية، وهو مثل سائر الزعماء الحقيقيين، كان يعرف أيضًا مدى احتياجه إلى أن يعرف أتباعه ومريدوه أنه سيكون

معهم إلى النهاية. كان أبو بكر قد تعلم الوثوق بالسير جيمس روبرتسون، لكنه كان لا يزال بحاجة إلى رأى آخر يثنى على خداع الحاكم العام، ذلك الأسلوب البسيط الذى يلاطف الناس كيما يمضوا قدمًا. كان أبو بكر يسلم بأن النظام الهرمى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لن يسمح له بمكان فى الإقليم الشمالى ما دام كان المستشار السياسى الرئيسى يتولى دور الزعامة هناك، لكن الرجل كان يسائل نفسه حول مقدرته الطبيعية على المضى قدمًا فى ليجوس التى ارتاب أبو بكر فى تنظيمها، الذى أقيم بناء على مشورة ونصيحة نيجيرية، وأن هذا التنظيم سيظل فترة طويلة بحاجة إلى الإدارة البريطانية كيما يظل باقيًا على قيد الحياة. قال أبو بكر ذات مرة لواحد من مسئولى الإدارة المحلية فى باوتشى عندما أوشك على التقاعد: إنه يود مثل أى مدرس من المدرسين كبار السن أن يأخذ حصتين أو ثلاث حصص كل أسبوع، وألا تكون هذه الحصص فى مدرسة الحكومة أو مدرسة من مدارس الإدارة المحلية، وأن تكون هذه الحصص خصوصية وبدون راتب، ويقوم خلالها بالزراعة والنوم. قال أبو بكر فى معرض حديثه مع ركس Rex نايفن Niven الناطق باسم جمعية الشمال التأسيسية: **"لقد تعبت من هؤلاء الجنوبيين الذين يتكلمون فى السياسة طول الوقت. إذا كانوا يودون المضى قدمًا فى تنمية البلاد، فأنا موافق على ذلك، لكنى لن أوافق على ذلك، إن كانوا يريدون تنمية أنفسهم. أنا لا أوافق على ذلك، وأريد أن أمضى لحال سبيلى"**. وعندئذ تحول أبو بكر إلى حاكم الشمال، ليسأله عن المهمة التى يمكن أن توكل إليه إن قدر له العودة إلى الوطن فى الحال، ولم يعط أبو بكر زملاءه أو مستشاريه فرصة القيام بالمزيد من النقاش والإقناع. وقد ضمّن شارود - سميث مذكراته الطلب الذى تقدم به أبو بكر، وكاتب الملحوظة التالية كان يعلم علم اليقين مدى الإقناع الذى كانت تحدثه الخطابات الخاصة المحررة، وأن تلك الرسائل كانت أكثر إقناعًا من الرسائل الموضوعية غير الذاتية:

"أنا مضطر إلى الكتابة إليك عن مشكلاتى الشخصية. ليس من طبعى أن أقلق الناس بمتاعبى، لكنى أثق بك ثقتى بوالدى ومن ثم فأنا أكتب إليك. أنا حاليًا أفكر مليا فى مستقبلى. المناخ فى ليجوس لا يناسب حالى الصحى وأنا لا أشعر هنا مطلقًا بالسعادة على الرغم من أن العمل مُسَلٍّ جدًا ومهم جدًا والناس يحترموننى بشكل عام. كنت أبذل قصارى جهدى كيما أساعد على نجاح الاتحاد، على الرغم من عدم إيمانى بالاتحاد الفيدرالى الحالى، وأنه لا يمكن أن يصمد فى غياب الإدارة البريطانية. هناك كلام كثير عن وزراء نيجيريا بعد انعقاد المؤتمر الدستورى، واسمى يتردد فى كثير من الأحيان من بين المرشحين لهذا المنصب. ومع ذلك، أنا لا أود أن أكون رئيسًا للوزراء فى ظل الترتيبات الحالية وأنا لا أود أيضًا أن أُطيل بقائى فى ليجوس. لقد سئمت السياسة وأنا أفكر جديًّا فى التقاعد فى هدوء مع انتهاء هذا العام. وأنا لا أعرف الطريقة التى يمكن أن أخدم بها الإقليم الشمالى وعليه فأنا أتطلع إلى العودة إلى عملى فى مجال التعليم المحلى من جديد. ولعلك تقدر الموقف الدقيق الذى أنا فيه حاليًا، وعليه فأنا أفكر فى اعتزال السياسة دون جلبة أو ضوضاء. وأنا أناقش هذا الأمر مع رفاقى منذ مدة لكن يبدو أن زملائى لا يقدرون مشكلاتى ومصاعبى. البعض منهم يقولون فى وجهى إن الموت وحده هو الذى يمكن أن يعزلنى عن ليجوس ويحررنى منها! وأنا إذا ما أقدمت على تصرف فلن يكون ذلك بعلم منهم ... ليس هناك أى بريطانى إدارى يعرف الكثير عن الشمال إلا أنت وعليه أنا أجىء إليك

طلبًا .... لتوجيهاتك فى مساعدتى على حل مصاعبى ومشكلاتى الشخصية. وأنا أتوسل إليك مثلما يتوسل الابن إلى أبيه".

إذا ما نحينا صحة أبى بكر جانبًا، نجد أن الرسالة صادرة عن إدارى جاد كان يكره التواء شئون الدولة وحماقتها كلها. هذه الرسالة لم تكن - على الرغم من إساءة تفسيرها حقداً وغلا من جانب الغرباء للرجلين - رسالة مذلّة وتحقير للنفس أمام راعٍ من الرُعاة، كانت الرسالة بيان من بيانات الثقة صادر من شخص أُحسنت تربيته وتنشئته إلى شخص آخر من القبيل نفسه، ومصاغه على نحو تسهل ترجمته إلى تعبيرات هوسوية مألوفة ومعروفة. لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يتقدم فيها أبو بكر بالتماس إلى السير بريان Bryan، إذا ما استطاع أن يُوجد له مكان. ومثلما فعل السير روبرت Robert رايت Wright قبل سبع سنوات، وجد شارود - سميث نفسه من جديد يجيب مستعملاً فى إجابته كلمات مقتبسة من كتابه: ومن باب إيجاز تلك الكلمات هنا، نجد شارود - سميث ينصح لأبى بكر وهو حزين أنه لم يكن هناك سوى أبى بكر واحد، صحيح أن أى بلد من البلاد يستطيع أن ينجب خطباء سياسيين يلعبون بعواطف الأمة، لكن أبا بكر صاحب خبرة (وربما أضاف أيضًا، نزاهة) لا مثيل لهما. وإذا ما حكمنا على هذه النصيحة من منظور الشمال، ومن منطلق الإيمان بأن بقاء نيجيريا لابد أن يعتمد على الواقعية، عند تقييم كلٍ من مصالح الشمال ومنافع الجنوب طويلة الأجل، نجد أنها كانت نصيحة غالية ومقنعة. بعد ذلك بتسع سنوات اكتشف روبرت رايت وشارود - سميث أن ضميريهما كانا يؤنباهما وأعلنا ذلك على الملأ، كان روبرتسون ممنونًا فى ذلك الوقت. لكن شارود - سميث اقترح أيضًا منوها أيضًا أن الرجل بحاجة إلى القيام بإجازة حقيقية بعد المؤتمر المؤجل، كما حذر شارود - سميث أبا بكر تافاوا باليوا من أن فوز حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى الانتخابات الإقليمية لا يعنى أن زعامة الحزب كانت تحظى بالحب خارج نطاق الأغلبيات الريفية فى الإمارات التقليدية، وأن هذا الحب كان قويًا فى صفوف الإدارات المحلية المُسْلمة.

لم يكن أبو بكر راضيًا تمامًا عندما طُلب من مجلس الوزراء فى ذلك الوقت المساهمة بشىء من الإيرادات الفيدرالية فى تكاليف محكمة التحقيق فى مسألة البنك القارى الإفريقى ووزير الخارجية. توصلت المحكمة فى تقريرها إلى أن تصرفات الدكتور أزكوى، المتعلقة بوضع هذا المبلغ الكبير من المال العام فى مصرفه، افتقرت إلى أمانة العقلاء، وعلى الرغم من أن أحدًا من أصحاب الثراء لم يجاهر بإلصاق التهمة بالرجل والاكتفاء بوصفه بالإهمال والافتقار إلى الحكمة، فإن التقرير أوضح أن المعايير البريطانية للنزاهة السياسية، بالشكل التى كانت عليه فى خمسينيات القرن العشرين، لم يجر تصديرها تصديرًا ناجمًا إلى هذه البلدان. جاء تلخيص الحاكم العام الماكر يفيد أن التقرير "كشف أن الدكتور أزكوى قد فعل شيئًا لا يفعله فى العادة أى شخص من الذين يثق الناس بهم، الشرفاء والمستقيمين". قام الدكتور أزكوى بتسليم أرباح مصرفه إلى حكومة الإقليم الشرقى، وذهب بعد ذلك إلى الريف محمولاً على رءوس "الجنوب الشجعان الذين كانوا يتحكمون فى مصير حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، وأعيد إلى السلطة بواسطة دائرته الانتخابية المخلصة وبأغلبية كاسحة جرى التنبؤ بها منذ البداية. ومع ذلك خسر الرجل بعض أصدقائه عن طريق التخلى عن بعض الوزراء الذين ظلوا مخلصين له طوال هذه الأزمة. وهذا هو السير كلم Clem بليس Pleass، الذى بذل قصارى جهده للمحافظة على صداقته مع حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، والذى اعترض على التحقيق كما سبق أن أوضحنا، يجد نفسه فى نهاية المطاف مضطرًا إلى الاستقالة من منصب الحاكم الشرقى. كما انتهى أيضًا مستقبل السيد/ أى أو إيو Eyo العملى. وأعرب أبو بكر عن استيائه من النفقات، التى قال إنها لم تكن قائمة على أى مبرر من المبررات، وأن الهدف منها كان إثبات ذلك الذى يعرفه الناس بالفعل، والأدهى من ذلك أن هذه النفقات لم تعالج شيئًا.

فى بريطانيا كان السيد/ هارولد ماكميلان قد خلف السير أنتونى إيدن، المريض الذى خسر ثقة الناس به، بوصفه رئيسًا للوزراء، كما قام ماكميلان أيضًا بإعادة تعيين السيد/ آلان لينوكس – بويد أو أجبر على إعادة تعيينه وزيرًا للمستعمرات. ويلتقى ماكميلان الرئيس إيزنهاور فى شهر مارس، وكان الرئيس ايزنهاور قد رفض مساندة السير أنتونى إيدن فى برمودا Bermuda. وقد غلب على كل جوانب الرأى السياسى البريطانى الخاص فى ذلك الوقت، سواء أكان ذلك فى الداخل أم فى خدمات ما وراء البحار، التطلع إلى فترة غير محددة إلى حد ما، من إعادة البناء للروح المعنوية فى الشئون الدولية، بدلاً من إعادة إشعال جمار السويس. كان هناك اعتراف قوى بأن بريطانيا خسرت قدرًا كبيرًا من سمعتها فى أعين أولئك الذين ضايقتهم عملية السويس، وأن هذه الخسارة كانت أكبر من خسارة كل من فرنسا وإسرائيل، الأمر الذى أحدث اقتناعًا معاكسًا مفاده أن بريطانيا كان يتعين لها أن تخسر أكثر من ذلك. ومع ذلك فإن الرأى النيجيرى المتعلم، وهو يراقب بريطانيا وهى تجمع بين الرأيين المتعارضين، كان لا يزال شديد الضيق والتزمت. يضاف إلى ذلك، أن اهتمامًا كبيرًا بدأ ينصب على السيد/ خورشوف Khruschev، الذى كان قد فضح ستالين وأدانه فى العام السابق، وراح يصفه أمام زائرة الصينى السيد/ شوئن لاى Chou En - Lai (الذى سرعان ما تحول هجاء اسمه إلى زوهن – لاى Zhou Enlai) بأنه "شيوعى نموذجى". ولم ينتبه الناس إلى وفاة الكاتب الروائى جويس Jouce كارى Cary، الذى ساعدت حكاياته الأربع، التى دارت أحداثها فى شمالى نيجيريا فى عشرينيات القرن العشرين، بعضًا من طلاب الأدب البريطانيين على تخيل تفاعلات الإنسانية البسيطة التى تبث الحيوية فى زمان ومكان كان التاريخ المتيسر عنهما غامضًا وغير واضح بل ومغالٍ فى العقيدة والرأى (كان رئيس حى باوتشى السابق قد أعار أبا بكر ذات مرة رواية جويس جرى التى عنوانها "السيد جونسون"، وعندما أعاد أبو بكر هذه الرواية قال لرئيس الحى: "لم أعرف أن رؤساء الأحياء القدامى كانوا يفهموننا على هذا النحو، ولكنى أعجب من قدرة رئيس الحى على ترجمة أغانى الكتبة الجنوبيين").

كان جل الاهتمام منصبًا على استقلال ساحل الذهب. كانت هناك فقرة فى لائحة استقلال غانا المعروضة على مجلس العموم، تستبعد البلد الجديد من المزايا المستقبلية التى توزعها هيئة تنمية المستعمرات (قال الإيرل Earl أتلى Attlee "هذه الفقرة تشكل نظرة شديدة البرود")، لكن عند فك الرهن، فإن "مساعدات" ما وراء البحار، ذلك المصطلح الذى يوحى بتقديم الصدقات من الطبقة الحاكمة إلى عملائهم المتذللين، سوف يجرى تحت اسم "المساعدة الفنية" أو "التعاون"، كانت المشورة الدستورية قد جرى طلبها لساحل الذهب، من موظف مدنى هندى سابق يدعى السير فردريك بورن Bourne، لكن جاءت تلك المشورة بعد فوات الأوان وكانت ترفض بصورة مقنعة وحاسمة مسألة السماح بقيام بنية فدرالية، والسبب فى ذلك أن أقدام الثقافات المتنافسة، كما هو الحال نظريًا فى نيجيريا، يمكن أن تدعم كرسيًا واحدًا مستقرًا. كانت غالبية الآراء التى جرى التعبير عنها فى البرلمان البريطانى قد أثرت رؤيتها وهى تبدى ثقتها العاجلة بالزعامة الإفريقية القائمة، على الرغم من سماع الملاحظات المتشككة التى تفيد أن حالة نفسية سياسية مماثلة سادت وانتشرت عندما جرى وضع حرية العقيدة بين الأفريكان Afrikaners فى اتحاد جنوب إفريقيا فى العام ١٩٠٩ الميلادى. قلة قليلة من الناس هم الذين يعرفون أن نيكروما قد اعترته فى اللحظة الأخيرة المخاوف من كل ما يمكن أن يترتب على الاستقلال، وأن اللورد شاندوس Chandos المتقاعد كان قد لعب دورًا فى الإبقاء على مسير نيكروما على الخط نفسه. وبدأت صورة رأس الدكتور نيكروما فى الظهور على العملة الغانية وطوابع البريد الغانية أيضًا على الرغم من أن رئيس الوزراء لم يكن رئيسًا للدولة، ومع ذلك فإن نيكروما، لم تكن له حتى اليوم السادس من شهر مارس من العام ١٩٥٧ الميلادى أية سيطرة شرعية على القضاء، أو القوات المسلحة، أو الخدمة المدنية أو حتى الحياة البرلمانية، ولم يكن له أيضًا حق الاعتراض على التشريع، وبدلاً من ذلك كله راح الرجل يتطلع إلى اتحادات فيدرالية أوسع، وليس إلى اتحاد فيدرالى داخلى: وقد تحدث نيكروما إلى الوفد النيجيرى الذى جاء لحضور احتفالات استقلال غانا، عن مقترح

بالوحدة مع غينيا، لكن المعلم أبا بكر الذى كانت تعتريه الشكوك بادر إلى التنبؤ بفشل اتحاد من هذا القبيل. لاحظ أبو بكر أيضًا أن الدكتور نيكروما كان يُبَوِّز كلما كانت دوقه كنت، الممثل الشخصى لصاحبة الجلالة فى هذه الاحتفالات، تحظى بالامتداح أو الثناء الشعبى. كان المشكلون والمتشككون لا يفتقرون إلى حسن النية تجاه الدولة الجديدة، التى كانت أغنى بلاد إفريقيا من حيث نصيب الفرد، وكانت تتساوى فى ذلك مع كل من المكسيك وكوريا الجنوبية. كان هناك قدر كبير من الحقد والحسد، وتعين على زعيم المعارضة النيجيرية أن يتأكد من أبى بكر تافاوا باليوا، أن الغانيين أنفسهم، وليست الحكومة الفيدرالية، هم الذين فشلوا فى تسمية الرئيس أولوو لإرسال دعوة إليه لحضور هذه الاحتفالات. كان المندوبون النيجيريون كلهم، وليس فقط أولئك الذين جاءوا من الشمال، مندهشين اندهاشًا كبيرًا للتبجيل الذى أبداه ريتشارد نيكسون نائب الرئيس الأمريكى هو والزائرون الآخرون للسياسيين الغانيين. ويعود الوفد النيجيرى وهم يتحرقون شوقًا إلى مثل هذا التبجيل والاحترام.

اجتمع مجلس الممثلين (المندوبين) عشية عيد استقلال غانا. وبينما كان المجلس منعقدًا وافق أحد المؤتمرات الدستورية فى لندن على إعطاء الحكم الذاتى الداخلى لسنغافورة فى العام ١٩٥٨، ووافقت منظمة إيوكا EOKA على تعليق حملتها الإرهابية شريطة إطلاق سراح الأسقف وكاريوس، وقبلت بريطانيا عرضًا من جانب حلف منظمة شمال الأطلنطى بالوساطة فى موضوع قبرص، لكن اليونان رفضت ذلك العرض. وفى ليجوس حدث اجتماع آخر بشأن الموازنة، ووقف وزير النقل فى جانب الحكومة فيما يتعلق بقائمة المخصصات المحددة لسككه الحديدية، وهيئة الموانئ، والوكالة الساحلية الحكومية، وكذلك التقارير الخاصة بشركة نهرى النيجر والكنغو: **"نهر النيجر هو وروافده عبارة عن ممرات مائية دولية، وفى ضوء سعينا لتشجيع حركة الملاحة فى هذه الأنهار، كانت الحكومة الفيدرالية معيبة تمامًا عندما أعادت التأكيد على التزامها بالقانون الدولى فيما يختص بعملية الملاحة فى هذه المجارى المائية. أما الهدف**

الثانى ... فكان يتمثل فى توفير الظروف الاقتصادية التى يمكن فى ظلها تطوير هذه الموانى بواسطة القطاع الخاص .... وأنا أرى أن وزارتى يمكن لها أيضًا أن تدعى لنفسها بعضًا من الحسنات لأنها حاولت منذ البداية التوفيق بين التقدم العلمى الهولندى والأدوات الإدارية المطلوبة لتحويل ذلك العلم إلى خدمة عامة - ولم ترجع الوزارة إلى الوراء فى هذا الأمر." وعندما تحول أبو بكر إلى المؤتمر النيجيرى المؤجل، أشار إلى أن الحاكم العام قد **"حذرنا أيضًا أن النظام الفيدرالى للحكم أمر يصعب تنفيذه أو تفعيله تمامًا ... وأنا أشك فى قدرة أية تشكيلة من هذه التشكيلات الشعوبية على تشكيل نفسها على هيئة اتحاد من قبل. ونحن حتى فى هذا المجلس ليست بيننا لغة مشتركة - ونحن نستعمل اللغة الإنجليزية وحدها ... هناك عامل واحد، إذا ما أتيحت له الفرصة، فسوف يعمل عمله فيما يتعلق بقضية الاتحاد .... وأنا أعنى بهذا العامل قوة المصلحة الاقتصادية، وهذا من منطلق أن نيجيريا تعد وحدة اقتصادية طبيعية، ويتعين على كل جزء منها المشاركة فى الصالح العام .**

"لكنى أكرر، أن الأمر يحتاج إلى المزيد من الوقت كيما تعمل قوة الاقتصاد عملها ... أنا لا أود رؤية زوجة فلاح من فلاحى الحكومة الفيدرالية وهى تبتر آثار ثلاث حكومات فيدرالية عمياء. يضاف إلى ذلك أن الحكومة الوحدوية شديدة المركزية يمكن أن تكون كارثة فى هذه المرحلة بالذات التى يتزايد فيه وعى الشعوب فى سائر أنحاء البلاد وخارج ليجوس أيضًا .... القائمة المتزامنة [قائمة الموضوعات التى يمكن أن تعتمد عليها تشريعات الاتحاد والأقاليم] وأنا أكرر هنا أن هذا هو رأيى الشخصى - يجب اختصارها إلى أبعد حد ممكن، إن لم يتم إلغاؤها تمامًا، وفى حال إثارة الشكوك فإن السلطات المتبقية يجب أن تعطى للأقاليم ... وعليه سوف أصدر تحذيرًا من عملية المراجعة المتعجلة لدستورنا ...... لقد نجح هذا الدستور بالفعل - وأنا هنا يجب أن أنسب الفضل إلى الخدمة المدنية التى استطاع ولاؤها ومثابرتها أن يحولا الدستور إلى واقع - يضاف إلى ذلك أن هذا الدستور، فى واقع الأمر، جعل للحكم الذاتى معنى

واسمًا فى شئوننا الخاصة". استقطع أبو بكر جزءًا من وقت المجلس ليقوم بافتتاح المعرض والورش الجديدة التابعة للهيئة البريطانية لغرب إفريقيا، فى أبابا Apapa، التى تحدث فيها نيابة عن الحكومة عندما أكد من جديد على المصالح التجارية، وأن هذه المصالح مطلوبة للتوسع، وأكد أيضًا أنه ما دام أن ذلك لا يؤدى إلى عرقلة الصناعات الوطنية أو إعاقتها، فإن الشركات الأخرى التى ليست مهتمة بنيجيريا فى الوقت الراهن، سوف يتعين عليها المجىء إلى نيجيريا وتقديم يد العون فى عملية التنمية. أبدى أبو بكر تافاوا باليوا ملاحظة مفادها أن الهيئة البريطانية لغرب إفريقيا كانت وكيلاً لشركة رولز رويس Rolls - Royce.

استمر أبو بكر فى تولى دور القيادة فى المناقشات الأخرى داخل المجلس. وتعين على الرجل أن يفصح أنه فى ظل المسئولية المشتركة فإن الوزراء الآخرين يمكن لهم أيضًا الرد على أسباب تغيب السيد/ مبادوى Mbadiwe، أوضح أبو بكر مرارًا أنه عندما يرفض المبالغ المخصصة للنائب المُقيم الذى هم بحاجة إلى إحلال نيجيرى محله، فإن ذلك يعد حرمانًا لنيجيرى من راتبه، حمى الرجل نفسه من مطالبات تنادى بتوسعة إضافية فى السكك الحديدية تقدر بحوالى ٥٠٠ كيلاً متريًا فى اتجاه الشرق، ورد الرجل هو والرئيس فستوس Festus أوكوتاى Okotie إيبوه Eboh ردًا غاضبًا على اتهام الرئيس أكنتولا Akintola الذى مفاده أن الوزراء كانوا "يرتعدون" أمام المسئولين أو أى موظف من الموظفين السابقين "المشرفين على الجماعات المدرسية"، مثل كبير الأمناء. لكن الرجل يكتشف فى ضوء تحذيره السابق، أنه دخل فى كارثة، عندما قام أكنتولا، بصفته زعيمًا للمعارضة فى حزب جماعة العمل بالاستحواذ على المطالبات الوطنية الأخرى كلها فى اقتراح مفاده أن أعضاء المؤتمر يجب أن يطالبوا بالاستقلال فى العام الحالى ١٩٥٧ الميلادى. لم يكن خطاب أكنتولا بحد ذاته مثيرًا للرعاع، واقع الأمر أن أكنتولا كان يتملق البريطانيين بأن راح يضفى الصفة والصبغة الإنسانية على الاستعمار الذى أدى إلى التحام عدد كبير من الناس الذين كان يمكن أن يصيروا بغير

هذا الطريق جماعات قبلية متحاربة. كان الرئيس سولارو Solaru قد أثار نقطة مهمة مفادها أن البريطانيين هم الذين سيجرى إطلاق سراحهم، ولن يتعين عليهم بعد لعب دور الحكام بدلاً من التدليل على كرمهم الطبيعى. لكن إذا ما رفض الشمال الاقتراح، فلن يعرف أحد مدى الشغب، وسفك الدماء، والقبلية التى استطلقها مقترح "الحكم الذاتى الذى تقدم به حزب جماعة العمل" فى العام ١٩٥٣ الميلادى.

كان وزراء الشمال يعرفون حق المعرفة أنه على الرغم من موقف المستشار السياسى الرئيسى، فإن رؤساءهم لم يكونوا جميعًا على استعداد للانحناء والركوع أمام الوزراء المنتخبين أو الممثلين الأفارقة المقيمين هم ورؤساء الأحياء، دون أن يكون هناك حاكم غير ملتزم سياسيًا، يمكن لهم أن يلجأوا إليه أو يستغيثوا به، وجه راديكاليوا الشمال اللوم للبريطانيين لتحاشيهم تقديم الحلول الراديكالية ورفضهم تحمل المسئولية فى تلك الأثناء، لكن هؤلاء الراديكاليين، فى ظل هذه الأسباب لم يتطلعوا إلى الحصول على الحكم الذاتى الإقليمى فى العام ١٩٥٩ من دون أن تساورهم الشكوك عن حقيقة وضعهم بعد ذلك، لكن شباب حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، شأنهم شأن أصحاب المطامح الكبيرة، وفى ضوء عدم تشككهم فى كفايتهم وقدرتهم على ممارسة الإدارة على نحو أفضل من رؤسائهم ومن يكبرنهم سنًا، مع عدم اكتراثهم بالأخطار التى بقيت مجهولة - هؤلاء الشباب كانوا متعطشين للترقى. تحاشى هؤلاء الشباب المهاترات، وأسفر ذلك عن فترة قصيرة لالتقاط الأنفاس، عندما اقترح السيد/ جاجا واشوكو، الذى لم يمض وقت طويل على التحاقه بحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، قادمًا إليه من برنامج الأمم المتحدة الاستثمارى، هو والسيد/ تى أو إس بنسون TOS Benson تأييد التعديل الذى ينص على أن يكون الحكم الذاتى الإقليمى فى العام "١٩٥٩" بدلاً من العام "١٩٥٧"، وعندما قبل الرئيس أكنتولا ذلك التعديل بحكم الواقع القائم. كان واضحًا أن الأمر يحتاج إلى المزيد من الوقت طلبًا للاستعداد، فى حال إذا لم يتراجع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى عن

حسن النية والطوية. وكان كل من يعقوب وانكا Wanka وميتاما سول Sule من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى مستعدين لتقديم العون والمساعدة والتأييد. ونقلاً عن تقرير أعده أحد الصحفيين. ويضفى أهميته على تلك المناقشة باعتبارها أهم الأحداث التى وقعت فى نيجيريا منذ العام ١٩٠٠ الميلادى، نجد أن أبا بكر صنع التاريخ، هذا يعنى أن أبا بكر **"لم يجد مبررًا لعدم موافقة [حزبه] على العام ١٩٥٩ موعدًا للحصول على الحكم الذاتى الإقليمى"، وأقر الرجل أن نيجيريا قد "بلغت سن الرشد"، وتلك هى العبارات التى أتذكرها عن هذه المناسبة.** ومن الخطأ أيضًا تجاهل كلام الأمراء الذين كانوا يعرفون أن حدوث المزيد من التعطيل، فى الوقت الذى كان البريطانيون فيه يتحسسون أطراف مريالهم، قد يؤدى إلى وصول اتجاهات المساواة والحرية عند الراديكاليين إلى شأو بعيد جدًا، أو إلى المستشار السياسى الرئيسى الذى كان ينظر إلى الشمال باعتباره جزيرة من الجزر التى تقودها السلطة الإسلامية، أو الضغوط التى تأتى من قبل شباب الشمال المتعلمين الذين تخيلوا الحكم الذاتى على أنه ليس سوى استبدال على وجه السرعة للمقيمين دون أن تكون هناك منافسة من الجنوبيين. والذى أراد أبو بكر قوله فى آخر يوم من أيام اجتماعات الميزانية، وطبقًا لما جرى اختيارنا له بعناية، كان كما يلى فى حقيقة الأمر:

> **"أعضاء الحزب فى هذا المجلس يشاركون إذًا فى مناقشة الموضوع بغية أن ينقلوا للحزب رغبات أعضاء مجلس المندوبين (الممثلين) والسعى إلى مساندتهم وتعاونهم فى المؤتمر الدستورى القادم. وما دام أن ذلك مفهوم، فنحن لا نرى أى سبب يجعل حزب المؤتمر يرفض السماح لمجلس المندوبين (الممثلين) بانتهاز الفرصة لتثقيف ممثليهم السياسيين كيما يمارسوا شيئًا من الضغط لتحديد موعد، بل وتاريخ، لاستقلال نيجيريا فى العام ١٩٥٩ . لم يحدث أن كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى**

معارضًا فى أى يوم من الأيام لفكرة الحكم الذاتى، الفارق الوحيد بيننا وبين الأحزاب الأخرى فى مسألة الحكم الذاتى هو فى مسألة تحديد التاريخ أو الموعد إن صح التعبير ... وأنا عندما أتكلم عن أحداث التاريخ أعنى بذلك الحقيقة التى مفادها أن البريطانيين دخلوا هذه البلاد قادمين من البحر، ..... يزاد على ذلك أن معدل التقدم والنمو فى الحضارة الأوروبية الغربية ليس متوازنًا أو متساويًا، فى حين أن الإقليم الشمالى الشاسع متخلف فى هذا الأمر ... هذا يعنى أننا سنكون بحاجة إلى بضع سنوات قبل أن نتطلع إلى التساوى مع الجنوب فى هذا المجال [أقصد التعليم الغربى] ... أعلموا أن أول مدرسة إلزامية فى شمال نيجيريا جرى افتتاحها فى كانو فى العام ١٩٠٨ الميلادى.

"نحن لا نزال نقدر الحجة التى مفادها أن إقامة أية منظومة حكومة فيدرالية أو تطويرها فى أى بلد من البلدان إنما تعتمد إلى حد كبير على التقدم المتساوى للوحدات المكونة لأية منظومة من هذا القبيل ..... من الطبيعى لشعب الشمال، على الرغم من كبره من الناحية العددية على شعب الجنوب، أن يخشى السيطرة والهيمنة ... هذه المخاوف لا تزال قائمة، ويمكن القضاء على هذه المخاوف عن طريق الإفصاح الأمين والعملى عن حسن النوايا من ناحية وعن طريق التعاون من جانب الجنوب من الناحية الأخرى.... هنالك حوالى ٤٦ ألف رجل وامرأة يعملون فى الخدمة العامة الفيدرالية .... وأنا أشك تمامًا أن يصل [عدد الشماليين] إلى واحد فى المئة من هذا العدد ... نحن أهل الشمال لم نرتبط [بالجمعية التشريعية] إلا فى العام ١٩٤٧ ..... وأنا أنظر إلى ذلك باعتباره إنجازًا كبيرًا، إذ استطاع ممثلوا (مندوبوا) الشمال خلال عشر سنوات فقط، الاعتماد على أنفسهم .... "لقد برهن الشعب البريطانى برهانًا عمليًا أن

البريطانيين دونًا عن سائر الدول الاستعمارية هم الأفضل من الناحية الإدارية ..... والمؤسف أن البريطانيين عندما أقدموا على سياسة [الحكم الذاتى فور استعداد الشعب لها]، لم تضع الحكومة البريطانية المعايير المحددة التى ينبغى أن تتقيد بها المناطق الاستعمارية قبل حصولها على الحكم الذاتى. أوجز واحد من المدرسين البريطانيين الذين كانوا يدرسون لنا التاريخ، ذلك الذى أحاول أنا هنا تفسيره فى المقدمة التى كتبها ذلك الرجل، لواحد من كتب التاريخ التى ألّفها: "نحن لا ننتظر من الطفل الرضيع أن يعرب عن امتنانه للجرّاح الذى أنقذ حياته. وما نتطلع إليه هو أن يقوم ذلك الرضيع بعد أن يصل إلى سن الإدراك والتمييز، أن يدرك أن الجرّاح حتى عندما يطلب أتعابًا كى يعيش، فإن خبرة هذا الجرّاح ومشورته هى التى جعلت المريض يمشى على رجليه من جديد، وإلى أن يتم الشفاء تمامًا يتحتم أن يظل الطبيب قريبًا من المريض". **لقد بلغ الطفل سن الرشد الآن، ويود أن يشكر الجرّاح ويطلب منه أن يخلى سبيله.**

"... السياسيون والصحف هم الذين يدعون أن التفكك خدمة لأغراضهم ومن ثم فهم يرعون المرارة ويتعهدونها. كانت القبائل النيجيرية، طوال سنوات كثيرة قبل العام ١٩٤٥، تحيا حياة سعيدة مع بعضها البعض، فى سلام فى الوقت الذى لم يجر فيه إنشاء الأحزاب السياسية ... ونحن يتعين علينا بذل كل ما فى وسعنا لحماية بلدنا من النزاع والصراعات الأهلية والمدنية التى وقعت فيها بعض الدول - وأنا هنا أقصد إندونيسيا على وجه التحديد - فى غضون سنوات قلائل من حصولها على الاستقلال".

نجح هذا الكلام فى إشعال روح المجلس، لكن هذا الكلام لم يكن ملزمًا لدائرته الأوسع على المستوى المحلى، ولم يكن هذا الكلام واثقًا تمامًا بالمستقبل، وذلك من منظور قراء العناوين الرئيسية المعاصرة فى ذلك الوقت. والإشارة إلى أن البريطانيين لهم معايير محددة ربما تكون إشارة عامرة باللهفة والحزن إلى ذكرى الحوار الذى دار مع أحد رؤساء الحى المساعدين فى باوتشى، والذى سبق له قبل خمس سنوات أن

اعترف وأقر بسذاجة تصوره، يوم أن كان يحضر الدورة التدريبية المنعقدة فى ديفونشاير Devonshire وقبل فترة البرامج الكبيرة الخاصة بمساعدات التنمية والتعاون الفنى من قبل الخزانات الأوروبية، تلك الإشارة التى مفادها أن الحكم الذاتى يصعب التفكير فيه أو الحصول عليه إلا بعد أن تكون المستعمرة قد بُنيت وأهلت بالسكان العدد الفلانى من الصيدليات، والعلانى من المدارس، والتركانى من العيادات البيطرية، وأن تكون هذه الأعداد منسوبة إلى عدد السكان بغض النظر عمن سيتولى أمر السياسة. هذا يعنى أن أعضاء المجلس اتفقوا على أن موظفى الحكومة فى بريطانيا نفسها (التى تقول البحوث الإحصائية إنه فى العام ١٩٥٢ أن سبعة فى المئة من حوالى مائة عائلة لم يكن لديهم مراحيض صحية، وأن واحداً من بين كل ثلاثة لم يكن لديه حمام، وأن سبعة أثمان هذه العائلات لم يكن لديها تليفون، وأن خمسة أسداس هذه العائلات لم يكن لديهم سيارة، وأن اثنين فى المئة فقط من خريجى المدرسة الثانوية هم الذين التحقوا بالجامعة) يتحتم عليهم الاعتراف أنه بغض النظر عن القيم التى تُعلَّق على هذه العوامل التأهيلية، ستكون هناك أسباب ومبررات داعية لإضافة المزيد إلى بنود هذه القائمة وتأجيل التغيير إلى موعد لاحق، هذا يعنى أنه لابد من رسم الخطوط وحل المشكلات العويصة باتخاذ إجراءات حاسمة.

لكن السبب المقنع كان يتمثل، فى ذلك الوقت، فى أن صنّاع السياسة البريطانية الداخلية كانوا يتطلعون (على حد قول سولارو) إلى "تحرير" أنفسهم، إضافة إلى أن مسألة الموافقة على إعطاء المزيد من الوقت لم تخطر على بال المسئولين أو المحافظين الأفارقة الذين كانوا يظنون أن العمل لم ينجز بعد. وعندما لم ينجح أبو بكر تافاوا باليوا فى إقناع زميل دراسته على Aliyu، دنكيارى Dankyari (بعد أن عمل بالتدريس، ثم رئيساً للكتبة فى ياورى Yawuri، ويشغل حالياً منصب مُسجلٍ قاضى قضاة زاريا) بقبول وظيفة فى الحزب، اضطر (أبو بكر) إلى الإقرار بأن **"الساسة يشبهون النحل الذى يطفو فوق بحر واسع، ثم يفرقون الواحد بعد الآخر!"**.

لم يفقد شارود – سميث الأمل فى أن يخلِّف وراءه فى الشمال استقرارًا هيكليًا قادرًا على امتصاص التوترات والضغوطات المتزايدة التى هددت الوحدة الإقليمية، واستمرار الشعب فى قبول الإدارات المحلية. بدأت المشكلات المحلية تظهر على السطح قادمة من وحدات الإدارة المحلية، بواسطة رؤساء الأحياء والممثلين المقيمين، كانت تلك المشكلات تخص وزارة الحكم المحلى، واتجهت المشكلات السياسية فى كادونا من الوزراء إلى الأمراء وكبار مسئولى الإدارة المحلية. كانت تلك القنوات كلها قنوات خاصة ومقتصرة على طرفيها. وبفشل التنسيق مع ظهور الأفكار المتضاربة. وبمساعدة من الحاكم العام تمكن الرجل من ابتكار مفهوم لنقل السلطة إلى الأقاليم الاثنى عشر، ذلك المفهوم الذى عُرف فى ذلك الوقت باسم "الركائز الاثنى عشر". كان السير روبرتسون فى ذلك الوقت قد اعتاد على معرفة أن المستشار السياسى الرئيسى قد تشاجر مع شخص ما وأن وزير نقله تعين عليه "الارتفاع إلى مستوى التقليل بعض الشىء من المتاعب"، هذا فى حال إذا ما توفرت الطائرة اللازمة لذلك. فى واحدة من الزيارات التى قام بها أبو بكر تافاوا باليوا إلى كادونا، جرى تقديم ورقتين إلى شارود – سيمث تحملان أفكار أبى بكر المعقدة وباهظة التكاليف حول بعض الخطوط المماثلة. كان أبو بكر يرى أيضًا أن المجالس المحلية يجب إعطاؤها سلطات تشريعية شبيهة بتشريعات الأقاليم لكن أكثر تحديدًا وضيقًا، وأن هذه المجالس المحلية يجب إنشاؤها لتقوية الروابط بين الوحدات المحلية والحكومة. وقد أنصت أبو بكر مرة أخرى وذلك من باب الموافقة على تحذير الحاكم بصورة متكررة من أن التجزؤ الانفصالى فى الشمال هو الذى سيُخْضع الشمال للجنوب الأمر الذى سيسفر فى نهاية المطاف عن تدمير نيجيريا.

فى الليلة التالية كان هناك حفل عشاء رسمى، وكان شارود – سميث يود أن يطلب من أبى بكر المشاركة فى هذا الحفل، لكن الرجل تردد فى التحدث بصورة مباشرة حول هذا العشاء إلى رجل هو يعرف أنه مرهق وتعبان بدنيًا، فى حال إذا ما

قبــل أبو بكر الدعوة باعتبارها دعوى ملكية. واستدعى شارود سميث سكرتير المجلس التنفيذى المناب ليقوم بدور الوسيط فى هذه الدعوة. وجاء رد أبى بكر الذى كان فى شاليه استراحة الطعام يفيد أن الرجل سعيد باهتمام الحاكم، وأنه يفضل تمضية مساء هادئ، هذا يعنى أن الرجل كان يتمتع بالمناسبات الاجتماعية مع أصدقائه، لكنه أتيحت له مثل هذه الفرص القليلة كى يطوى المهام الرسمية دون أن يمس شعور الآخرين بكلمة نابية. ويستطرد أبو بكر فى ذكر أفكاره عن تداول السلطة والمسئولية، ظن أبو بكر أن من الخطأ عندما يكون السواد الأعظم من المقاطعات كما لو كانت مجرد محافظات صغيرة أو حكومات محلية - "إذا كان فى الوسع أن يصبح كبار المفوضين حكامًا، فأنا ليس لدى مانع من جعل الممثلين المقيمين حكامًا أيضًا!" لم يكونوا يعلمون أن المستشار السياسى الرئيسى سوف يرفض رغبة شارود - سميث التى مفادها أن "رؤساء الأحياء" بعد أن خسروا ما تبقى لهم من سلطات تنفيذية فى "السلطات المحلية"، ينبغى أن يتحول لقب كل واحد منهم إلى "مساعد الممثل المقيم" بما ينطوى عليه ذلك اللقب من تشاور ونصح وإرشاد. وينتهى الحوار عندما يعتذر المبعوث وينصرف لحال سبيله من منطلق كونه سكرتيرًا فى الأبرشية، حتى يتمكن من وضع الشرائط فى المواضع المناسبة من درس الإنجيل الذى سيلقى فى كنيسة القديس كرستوفر: ويرر أبو بكر قائلاً: **"آه إنه لشىء عظيم أن يذهب الإنسان إلى الكنيسة".**

فى ذلك الوقت على وجه التقريب، كتب السير بريان Bryan إلى وزارة المستعمرات يفيد أنه علم من صديق حميم لأبى بكر تافاوا باليوا، أن الرجل إذا كان وهو فى الخامسة والأربعين يبدو معافًا ومرنًا، فإن ثيابه كانت تستر جسد رجل مسن ملىء بالتجاعيد. لم يورد بريان تفسيرًا طبيًا لذلك، لكن شارود - سميث اقتراح وأوحى بألا تسلم الحكومة البريطانية بأن صحة الرجل يمكن أن تتحمل أعباء رئيس الوزراء لوقت طويل. ولم يُسْمع شىء عن هذا الأمر بعد ذلك، واتضح أن ذلك "الصديق الحميم" كان يقول كلامًا فارغًا، لكن السير بريان تشجع بفعل أفكار أبى بكر القوية عن إنشاء

ولايات بصورة قاطعة. وجرى فى نهاية المطاف تحديد سياسة "الدعامات الاثنى عشر" وصياغتها مع الاتفاق مبدئيًا مع المستشار السياسى الرئيسى والوزراء الآخرين، وأخذ بمشورة السيد/ رولاند Rowland هدسون Hudson، رئيس فرع الدراسات الإفريقية فى وزارة المستعمرات، على النص على ذلك فى الدستور. واتُّفق أيضًا أن تعمل السلطات المحلية برئاسة الممثل المقيم، ومعها أقلية من الرؤساء وأغلبية من الأعضاء المنتخبين، عمل مجالس الوزراء، هذا يعنى أن هذه المجالس الوزارية المقترحة تكون مسئولة أمام المجالس المحلية، وأن تضم تلك المجالس رؤساء، وأعضاء معينين يمثلون المصالح الخاصة، وكذلك غالبية الأعضاء المنتخبين، وبذلك يمكن أن يكون ذلك كله بمثابة "برلمانات" محلية. وهنا تقوم المجالس المحلية بإقرار الموازنة الموضوعة من قبل الحكومة ومنحة الإدارة المحلية، كما تقدم تلك المجالس المحلية النصح والمشورة للحكومة الإقليمية فيما يتعلق بالأمور التى تخص المقاطعة، كما تصدر هذه المجالس أيضًا القوانين الفرعية أو المكملة (على أن تتحاشى الممارسة الحالية المتبعة التى ترمى إلى إقناع سلطات مدنية مستقلة كثيرة بإصدار قوانين فرعية هى فى حد ذاتها صورة طبق الأصل من القوانين ذاتها)، كما تقوم السلطات المحلية أيضًا بتنفيذ السياسات الإقليمية. ويستمر رؤساء الأحياء فى تقديم النصح والإرشاد إلى مختلف السلطات المحلية، التى ستقوم هى الأخرى بالاتصال المباشر بالحكومة، بدلاً من مكاتب الأقسام التى كانت تقوم بدور الوسيط. ومع ذلك، كان أبو بكر على قناعة أن الموظفين الإداريين كانوا بحاجة إلى دور يقينى شريف له قيمته فى البنية المحلية المعدَّلة، وبذلك يمكن منع هؤلاء الموظفين الإداريين من التفكير فى أن الترقية المستقبلية الوحيدة المستحقة هى أن يصبح الموظف سكرتيرًا دائمًا فى كادونا أو ليجوس.

عندما أصبح الأمر لا يحتمل اللف أو الدوران، انتبه أمير كانو وبعض آخر من الرؤساء الأقوياء إلى هذا الخرق والتعدى على حقوقهم الخاصة، دون أن يعوا أن هناك محاولة تجرى لإدراجهم ضمن نسيج حكومة وطنية ديموقراطية، وعلى نحو لم يتمتع به

إلى الآن أى من السلطات المحليـة وحـدها، أو الرؤسـاء الذين فى المجلس، أو حـتى مجلس الرؤساء نفسه. ولكن ما جرى تقديمه فى نهاية المطاف كان عبارة عن مجرد ظل غير ضارٍ من محاولة جريئة لإحداث تغييرات حكومية فاعلة تربط المسئولية المنتخبة بالأعراف والتقاليد وتجعلهما قريبين من أهل الريف. كان شارود ـ سميث فى ذلك الوقت قد ذهب لحال سبيله عندما انتهت خدمته وأصبحت مشاغل أبى بكر أثقل من ذى قبل، كانت المصاعب من ناحية تتمثل فى أن التقرير الذى وضعه هدسون توقع استمرار المواطنين المقيمين فى أعمالهم مدة تتراوح بين عشرة وخمسة عشر عامًا، ومن الناحية الأخرى كان شارود ـ سميث لا يزال مؤمنًا بالنظرية التى وضعها مارجرى Margery برهام قبل الحرب عن الإدارة المحلية، من منطلق أنها تلعب دور المستشارين، وأنها شبيهة بالمشنقة التى يمكن سحبها من تحت أقدام الحكومة المحلية فى أى وقت من الأوقات، ومن ناحية ثالثة، أن الأمراء وبخاصة الوزراء الذين تربطهم قرابة كانوا يؤثرون تصور المقيمين، الذين كانوا رمزًا للحكم البريطانى ورمزًا أيضًا للسلطة المركزية، على أنهم سيجرى استبدالهم بموظفين مسيسين من أبناء الشمال الأصليين الذين لهم أصول أرستقراطية موروثة. وقد وُصفت تجربة إيلورين Ilorin (التى جرى الحديث عنها فى الفصل السابق) من ناحية بالفشل لأنها لم يجر تقديمها على شكل مراحل تقدمية تبدأ فى البداية من أدنى المستويات، ومن ناحية أخرى لأن الناس لم يتوقعوا أن يكون السياسيون القادمون على هذا القدر من الفساد الشديد.

حدث بعد ذلك عدد من الأحداث العالمية التى تسترعى الانتباه – فى الخامس والعشرين من شهر مارس أسفرت معاهدة روما عن إنشاء الجماعة الاقتصادية الأوروبية، وجرى تشكيل شركة فرنسية لاستغلال مواد الصحراء الكبرى المعدنية، الأمر الذى أدى إلى زيادة قناعة سياسيى الشمال النيجيرى التى مفادها أن المسح الجيولوجى النيجيرى لم يبذل الجهد المطلوب، وفى قبرص أطلق سراح "العقيد" جريفاس فى اليونان، وأطلق سراح الأسقف مكاريوس بحيث يعيش فى أى مكان آخر

غير قبرص – وقد رُفِض هذان العرضان، وأُعلن رسميًا عن تطهير قناة السويس من حطام السفن والمخاطر الأخرى، وأُعلن عن تفجير بريطانيا لقنبلتها الهيدروجينية، وأثار السيناتور الأمريكى كيندى غضب فرنسا عندما أشار إلى "شخصية الجزائر المستقلة". وعلى الصعيد الداخلى تضارب القانون المالى فى الإقليم الشرقى من نيجيريا مع الجهود الفيدرالية الرامية إلى وضع قانون موحَّد لضريبة الدخل، هى وضريبة الشراء التى تقدر بجنيهين إنجليزيين عن كل طن من إنتاج مؤسسة الفحم الفيدرالية، والتى سميت باسم تَفَهُّم إينوجو للاحتياجات الوطنية والاقتصادية. وفاجأت حكومة الإقليم الغربى من نيجيريا الجميع بتخصيص مبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه إنجليزى لإجراء أبحاث عن أصول شعب اليوروبا. ونشر فولى Foley نيونز Newns دراسته التى أجراها عن العلاقات بين الوزارات، وبين الوزارات والإدارات، وقد رحَّب السياسيون والإداريون بهذه الدراسة باعتبارها دليلاً على مساندة التكامل النهائى ودعمه للخدمات التخصصية مع الآلة الحكومية السياسية، وكان ذلك التحرك لا يزال يلقى أو يواجه شيئًا من المقاومة الحرفية المتخصصة وبخاصة فى الإقليم الشمالى. وكان نيونز Newns قد أمضى، بناء على تعليمات من أبى بكر تافاوا باليوا، جزءًا من إجازته فى لندن لدراسة إجراءات الحكومة البريطانية وممارساتها، كما كتب نيونز مقدمة لتقرير اللجنة الذى حظى، مثل الطبعات المتوالية من تقرير نيونز المعنون **مكتب مجلس الوزراء – الممارسات والإجراءات**، بتوزيع واسع النطاق فى سائر أنحاء دول الكمنولث.

كان الحاج أحمد بللو، مستشار سكتو Sokoto السياسى الرئيسى، قد قام فى شهر فبراير بمبادأة قام خلالها بتمهيد الجو السياسى المطلوب لانعقاد المؤتمر الدستورى المؤجل، ومن باب الاستعداد لهذا المؤتمر قام الرجل بتشاور مبدئى موجز مع شارود – سميث، الذى أصبحت من جديد علاقته الطويلة معه تصطبغ بالصبغة المدنية وبالصراحة أيضًا.

جاء هذا التقارب بين الرجلين نتيجة لتدخلات أبى بكر من ناحية، ونتيجة أيضًا لذيوع خبر اقتراب تقاعد الحاكم، هذا يعنى أنه لم يعد هناك مجال للشك فى أن الحاكم قد يحاول لسبب أو آخر تثبيط همة رئيس الوزراء ومنعه من التصرف على النحو الذى يجب أن يكون عليه تصرف السياسى الوطنى. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى هو وحزب جماعة العمل لم يتحدثا رسميًا مع بعضهما منذ العام ١٩٥٣ الميلادى. فى بادئ الأمر اجتمع نائبا حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب جماعة العمل، أى المعلم أبو بكر تافاوا باليوا، وسام أكنتولا، اجتمعا فى السر، ثلاث مرات أسبوعيًا فى شهر مارس فى منزل إس أو جبادا موسى S O Gabada Mosi فى أكورودو Ikorodu، حيث وافقا على إلزام حزبيهما بمساندة اللجنة المستقلة التى ينبغى أن تستمع إلى مطالب أى مشروع من المشروعات التى تهدف إلى إنشاء ولاية جديدة، وإذا ما جرى الاتفاق على ذلك، يُجْرى استفتاء على أن يكون بأغلبية السكان، على إنشاء مثل هذه الولاية، شريطة أن يجرى استبعاد الجماعات العرقية التى تعارض مثل هذا الاستفتاء، اللهم إلا إذا كانت تلك الجماعة "تشكل جزيرة" مطوَّقة أو محاصرة. واتفق مندوبا الحزبين أيضًا، وفى شىء من الصعوبة، على أن الجماعات العرقية التى فى إقليم واحد يمكن لها، عن طريق تصويت الأغلبية، تعديل حدودها لتمتد إلى إقليم مجاور يرغب فى قبول هذه المجموعات الإثنية. ثم يقوم المستشار السياسى الرئيسى بعد ذلك وبصحبته محمد رباط بزيارة آولوو Awolowo فى إيبادان Ibadan ويحصل على موافقة الرجل على حضور اجتماع "قمة" مع الدكتور أزكوى ومستشاريه، بغية تقليل نقاط الخلاف الحزبى فى لندن. ويتوجه المستشار السياسى الرئيسى بعد ذلك لمقابلة الدكتور آزكوى فى إينوجو، ويطلب منه الانضمام إليه فى اجتماع مع الرئيس آولوو فى ليجوس.

كان هناك اجتماع مبدئى خاص ضم كلاً من المعلم أبى بكر، وعلى رئيس شرطة بدا (من كادونا)، والرئيس أكنتولا (حزب جماعة العمل الفيدرالى)، والسادة كى أو مبادوى K O Mbadiwe وكولا Kola بالوجين Balogun (حزب المجلس النيجيرى

الكاميرونى الفيدرالى)، وقد نصح كل هؤلاء بأن يتقيد رؤساء الوزارات بكل ما يوافقون عليه. وبعد يومين من المناقشات فى منتصف شهر أبريل وافق رؤساء الوزراء على نص مقترحات إيكورودو Ikorodu التى تنص على إنشاء الولايات، وأن يلتزم الرئيس أولوو (الذى لديه أفضل آلية سكرتارية حزبية) بإعداد مذكرة للاجتماع حتى يتم التوقيع عليها بالأحرف الأولى، وذلك فى محاولة لحمل أحزاب الأقلية على المضى قدمًا مع أحزاب الأغلبية عندما يصلون إلى لندن، التى سيجرى فيها الاجتماع للمرة الثانية. دار شىء من الحوار غير النهائى عن تخصيص الإيرادات.

بذلك يكون رؤساء الوزراء الثلاثة قد توصلوا إلى الحد الأدنى من التفاهم، قبل قيام مجلس المندوبين (الممثلين) بمناقشة الأمر، وما ينبغى على كل واحد منهم أن يتطلع إليه ويراعيه أثناء المؤتمر، ولم يجد الدكتور آزكوى بصفة خاصة أية صعوبة فى التوافق مع زعيم حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. هذا التقارب قل على المستوى الأدنى (فقد كانت لدى الدكتور آزكوى بعض المشكلات داخل الحزب، وسوف نتناول فى الفصل السادس والعشرين هذه المشكلات). وعقب هذه "القمة" جرى الاتفاق على ما يتعين على الساسة النيجيريين إدراجه ضمن جدول أعمال المؤتمر فى لندن، وقد جرى الاتفاق على ذلك فى اجتماع عمل حضره كل من أبى بكر تافاوا باليوا، وعلى Aliyu، وأكنتولا، مبادوى، وكولا بالوجون Balogun. يغلب على الباحثين الأوروبيين المتيمين بالتفتيش فى أوراق الساسة الأوروبيين الخاصة، الإعراب عن أسفهم لعدم تمكنهم من الوصول إلى سجلات الكثير من الاجتماعات السياسية ومحاضرها التى جرت خلال فترة إنهاء الاستعمار، هؤلاء الباحثون يتعين عليهم أن يتذكروا أنه لم تكن هناك أية سجلات سياسية من أى نوع فى ذلك الوقت مثلما كان الحال فى مجلس الوزراء الذى سبق عهد هانكى Hankey، وبخاصة ما يتعلق بالشئون التى جرى تنظيمها من قبل الشمال وفى الشمال نفسه، يزاد على ذلك أن الأسرار التى كان لا يجرى تسجيلها على الورق لا تتسرب مطلقًا، على الرغم من أن هذه الأسرار قد يجرى تداولها بعد ذلك أو

مراجعتها. واقع الأمر أن المؤسسة الشمالية الأوسع سارعت إلى أن تنأى بنفسها عن مساندة المقترحات الحزبية وتأييدها فى ليجوس فى استفتاء بأغلبية الثلثين لتحديد إنشاء ولايات جديدة، راحوا ينظرون إليها باعتبارها تهديداً لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ومع ذلك، يُنْسب الفضل إلى سام أكنتولا فى بناء الجسر الذى تمكن بفضله حزب جماعة العمل من التعاون مستقبلياً مع الطبقة الحاكمة فى الشمال.

على الجانب الآخر، كان الحاكم العام هو والمسئولون البريطانيون الآخرون غارقين تماماً فى مسألة تجهيز "أوراق موقف الحزب ومواجيزه"، التى لا يمكن لأى مسئول من مسئولى الحكومة البريطانية بغيرها الدخول فى أى شكل من أشكال المفاوضات. وفى زمن الفاكس، والتلكس، والزيروكس والإنتاج الإليكترونى للوثائق، يجب ألا يغيب عنا أن النسخ الكربونية، والتصوير الحرارى، وتصوير الفوتستات المكلف، والطباعة الشمعية كانت هى أقصى ما وصلت إليه التقنية فى خمسينيات القرن العشرين، وأن السواد الأعظم من المحاضر الرسمية كانت لا تزال بحاجة إلى جهد كبير، ولم تكن سهلة القراءة تماماً، فى المخطوطات. يزاد على ذلك أن نصوص البرقيات الكودية كانت فاسدة أيضاً، كما أن العمل الدقيق والسرى كان ينتظر فى معظم الأحيان النسخة التوكيدية التى يجرى إرسالها عن طريق "الحقيبة" الدبلوماسية. يضاف إلى ذلك أن وزارة المستعمرات نفسها كانت مهمومة هماً كبيراً بمسألة عدم جاهزية أوراق الاجتماع العاجلة حتى يمكن للسيد/ إيان Ian بانكروفت Bancroft الاطلاع عليها فى الوقت المناسب، وبخاصة أن هذا الرجل كان سكرتيراً عاماً جرى الاستعانة به من مجلس الوزراء، نظراً لأن ماكينة التصوير فى وزارة المستعمرات كانت عاجزة عن الوفاء بتصوير ذلك الكم الكبير من المستندات. على جانب أخر كان السير جيمس James، المتعود على المنظومة السودانية الأبسط، متذمراً، وراح مثل باقى إخوانه ينظر إلى هذا المؤتمر نظرة قلق وشك. أحس السير جيمس بالقلق بسبب استنتاجه الخاص الذى مفاده أن العوامل الوحيدة الثابتة فى الحياة

النيجيرية هى الأسرة والقبيلة، وأنه كان لا يزال يتعين عليه العمل كى يكون المسلم صديقًا حقيقيًا للكافر و "للعبد"، ومع ذلك لم يَخَفْ السير جيمس من الاحتقار الذى كان يوليه الأمراء للجنوبيين، الأخطر من ذلك هو انعدام الثقة الذى كشفت عنه الطبقة المتوسطة الشمالية. استاء السير جيمس أيضًا ميل من الوزراء الفيدراليين فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى إلى التدخل فى شئون الإقليم الغربى، ومن تدخل حزب جماعة العمل فى ليجوس، على الرغم من أن الرئيس أوو كان يدرك فى داخله أن الغرب لا يمكن له أن يحتفظ لنفسه بالعاصمة.

وهذا هو المعلم أبو بكر نفسه، وربما كان هو الأكثر تأثرًا بالممارسة البريطانية، يكتب للسير بريان بصفة خاصة ويطلب منه بصفته متخصصًا فى أمور الشمال، بموافاته بموجزين شخصيين: أحدهما عن المتطلبات الضرورية لدولة جديدة تتطلع إلى الاستقلال، وثانيهما عن الحد الأدنى من الضمانات التى يتعين على الشمال المطالبة بها قبل أن يلزم نفسه بالاستقلال فى نهاية المطاف؟ موعدًا نهائيًا للاستقلال، وكان الرجل لا يزال مهمومًا أيضًا من مسألة سيطرة بعض الوزراء غير الشماليين على مسألة الخزانة والجمارك، وبخاصة فى ظل وجود حفنة قليلة من الشماليين فى الخدمة الفيدرالية. كانت المطالب أبسط مما كانت تبدو عليه، كان الرجل يعرف مطالبه ومطالب الآخرين، كما كان يعرف أيضًا الإجابة عن التساؤلات، لكن الرجل كان يعرف أنه لا يقدر على المقارنة بين عدد كبير من الردود والإجابات إن هو أراد أن يصل إلى حكم أو تقييم على درجة عالية من الصواب. كان شارود سميث قد حذر أبا بكر أن أى ضمان دستورى مكتوب يمكن تحريره أو عدم تحريره، كما حذره أيضًا أن الجيش الملكى وقوة الشرطة النظاميان يمثلان الحماية النهائية للبلاد وحكوماتها. هذا يعنى أن الضباط والرجال، وكل جماعة من الجماعات المتخصصة، ينبغى أن تكون متوازنة توازنًا متساويًا بين مختلف التقسيمات الثقافية والقبلية فى البلاد، لكن الأمر لم يكن كذلك فى الوضع الحالى آنذاك. ولفت شارود ـ سميث انتباه أبى بكر إلى صغر عدد الشماليين

بين كوادر الضباط والكوادر الفنية الأخرى. وأصر الرجل أيضًا على أن تعدد الأقاليم سوف يؤخر الوصول إلى نيجيريا الموحدة، وهذا الأمر يمكن أن يضر بمصالح الشمال العاجلة والمباشرة.

بينما كان أبو بكر تافاوا باليوا يتمثل تلك النصيحة، جرت محاولة فاشلة فى ليجوس لاغتيال الدكتور آزكوى خارج المنزل الحكومى، الأمر الذى عطل وصول الرجل لحضور اجتماع يحضره الحكام، ورؤساء الوزارات والزعماء الفيدراليين، وقد اعتذر الدكتور آزكوى لذلك الاجتماع قائلاً: "أنا لم أخطئ، لقد حاولوا اغتيالى عند باب مكتبكم، (لكن التقرير لم يكن له أثر كبير على الرأى العام، واعتبر أبو بكر هذا العمل عملاً آخر من "أعمال الوقاحة"، على الرغم من أن ذلك لم يكن بالضرورة هو رأى الدكتور آزكوى). فى الوقت نفسه، كان يجرى إنشاء الاتحاد الفيدرالى المكون من ردويسيا ونياسلند Nyasaland بشكل رسمي، كما أعلن السيد/ جى جى ستريجدوم J G Strijdom، رئيس وزراء جنوب إفريقيا أن السلام الوطنى الذى يقول: **حفظ الله الملكة**، لن يعزف بعد اليوم.

سافر السواد الأعظم من مندوبى المؤتمر على ظهر سفينة العلم أوريول Aureol العاملة على خط إلدر Elder دمبستر Dempster الملاحى. على رصيف الميناء فى أبابا Apapa كان هناك جمهور غفير يرقص ويغنى مرحا وثناء على آزكوى. ويستدير أبو بكر إلى سكرتيره الخاص معلقًا "**هذا بطبيعة الحال، من أجل الحط من قيمة مبادوى** Maba-diwe!" عند هذا الحد أصبحت حساسية أبى بكر لسياسة الجنوب أمرًا شديد الوضوح مثلما هى عند الزعامة الزئبقية لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ثم تصل حمولة الباخرة القصوى المتجهة إلى بريطانيا، حيث قللت الصحافة البريطانية من شأنها (كان الكثيرون من أفراد هذه الحمولة من قبيل كثير من موظفى الخدمة المدنية فى الحكومة البريطانية، الموجودين حاليًا خارج وزارة المستعمرات)، فقد ظن كثير من الصحافيين أن آزكوى كان بمثابة النيجيرى الوحيد المهم، نظرًا لأن هؤلاء الصحافيين لم يسمعوا

بعد عن أحد غير هذا الرجل. لَمَح أيضًا تقرير من تقارير هيئة الإذاعة البريطانية إلى أن المعلم أبا بكر تافاوا باليوا كان يشغل منصب وزير النقل مع الدكتور آزكوى. كان أبو بكر قد استقل قطارًا باكرًا من ليفربول ووصل دون أن يلاحظه أحد، إلى فندق ريوبن Reuben الذى أقام فيه. كان إجمالى عدد النيجيريين الذين لهم حق المشاركة فى الاجتماعات يقدر بحوالى أربعين مندوبًا، وكان هناك عدد مماثل أيضًا ينتظر المشاركة (بعد أن أصبحت نيجيريا من جديد فى أيدى الحرّاس، وكان قاضى القضاة على رأس الحكومة بمساندة من السيد/ جاجا واشوكو ووزير آخر). وقد ركزت الصحف الرخيصة على ذلك الذى أطلقت عليه فى قلة حياء، اسم "الملابس الخيالية" للزائرين، كما جرى أيضًا وصف أزياء الدكتور آزكوى وصفًا حقيقيًا، كما "وصفت أيضًا ملابس ريموند Raymond نجوكو Njoku، وآدلابو Adelabu، وتى أو اس بنسون TOS Benson، كما جرى أيضًا وصف زى بالى Bali وآخرين، وجرى التركيز أيضًا على زى الرئيس فستوس Festus أوكوتاى Okotie إيبوه Eboh، الذى كان زيه الإتسكيرى Itsekiri، وهو زى أهل منطقة وارى Warri، وشبيه بزى جيرانهم الأُرهوب Urohobo، مختلفًا عن الأزياء الأخرى إذ كانت له ريشة طويلة فى القبعة المصنوعة من القش، كما كان الزى فضفاضًا من حيث الطول على نحو لم يسبق له مثيل، هذا الزى كان مُحَبَّبًا إلى الناس بصفة خاصة. لم يكن الأفارقة كلهم متتمين أو مسرورين بذلك الانبهار الصحفى، لكن المحصلة النهائية أسفرت عن إيجاد نوع من العلاقات العامة الجيدة، صحيح أن تلك الملابس والأزياء كانت جاذبة للانتباه ولم يطلها الانتقاد أو السخرية لألوانها المتوهجة. أدى ذلك أيضًا إلى تدعيم رصانة بريطانيا فى ظل الظروف المتأرجحة فى فترة الستينيات من القرن العشرين. يزاد على ذلك أن المعلم أمين كانو الذى لم يجر انتخابه كان هو الآخر فى بريطانيا، لكنه بقى على الهامش.

استطاع أبو بكر بردائه المحافظ، التغلب على تعبه الجسمانى والروحى، كما استطاع أيضًا التغلب على الضغط الناتج عن الصراع السياسى، الأمر الذى جعله

يشرع فى رحلته فيما وراء البحار لزيارة المؤتمر الدولى فى لاهاى، والذى كان يحظى باهتمام الرجل، وعليه طار أبو بكر إلى هولنده وبصحبته ميخائيل فارفيل Varvill سكرتيره الدائم وسكرتيره الخاص رتشارد Richard كنسمان. وعندما وصل أبو بكر ومن معه إلى مطار سيشفول Schiphol بالقرب من أمستردام فى اليوم السابق من شهر مايو، كان ممثلوا شركة نيدكو Nedeco قد بدأوا التباحث من جديد مع الخبراء الفرنسيين المعنيين بنهرى النيجر وبنيو Benue المنسابين خلال أراضى الاتحاد الفيدرالى الفرنسى لغرب إفريقيا، بما فى ذلك السودان، والنيجر والكاميرون. كان الهولنديون قد لاحظوا فى حزن وألم الانسياب الكبير الواضح للأموال الفرنسية فى اتجاه المرافق العامة وذلك على العكس من الأراضى البريطانية، لكنهم تأثروا مرة ثانية بإحساس الوزير النيجيرى الذى يبدو وكأنه نوع من التورط. كان وزير النقل والممرات المائية، الدكتور جى ألجيرا Algera، هو والمهندس إيه جى ماريس Maris، المدير العام للأشغال العامة، الضيفين الرئيسيين لأبى بكر تافاوا باليوا أثناء هذه الزيارة. فى خطبته الرسمية الأخيرة قال أبو بكر إنه لم يكن على استعداد للموافقة على أن تكون هذه الزيارة الأخيرة لمثل هذا المؤتمر، الذى كان يعقد بصورة دورية اعتباراً من المؤتمر الأول الذى عُقِد فى ياوندى فى العام ١٩٥٤، وكان أبو بكر يتطلع إلى قيام الفرنسيين بالبناء على أسس التعاون الوثيق هذه. وبالإضافة أيضًا إلى وجود حركة سفن نهرية فرنسية وإنجليزية، كانت هناك أيضًا أفكار حول مشروع نهرى آخر، نرويجى الأصل، وقد أدى ذلك إلى جعل أبى بكر يعرف أن الأعمال المائية يمكن أن يكون لها مبرراتها فى ضوء الحركة الملاحية المحتملة.

يستطرد أبو بكر فى الإشارة إلى القانون الدولى والأعراف الدولية، القوانين الحاكمة فى تشغيل الموانئ البحرية بواسطة السفن البحرية، كانت معاهدات نهر النيجر تشير فقط إلى حقوق المرور الخاصة بالدول الموقعة على هذه المعاهدات. ولما كان القانون لا يتناول مسألة السفن النهرية فى الموانئ البحرية، أو أساطيل المياه

العميقة فى موانئ أعالى الأنهار ناهيك عن الإجراءات الملاحية الأبسط من ذلك، فقد قدم أبو بكر تافاوا باليوا تأكيدات مفادها أن نيجيريا سوف تكفل معاملة متساوية للمركبات النهرية كلها، وذلك بغض النظر عن الجنسية، وفى الموانئ كلها. لم يفكر أبو بكر، على ما يبدو، فى مجىء الدول البحرية الشرقية الكبيرة. كان أبو بكر يتطلع إلى رؤية خدمات إدارة المجارى المائية الداخلية وقد امتدت إلى المزيد من الأماكن الواعرة فى دلتا نهر النيجر وأخاديده، لكن الرجل كان يقف مكتوف الأيدى أمام النقص فى الأموال والعاملين: ومن يدرى، لعل الهولنديين يساعدون نيجيريا فى عملية التدريب؟

> **"الأنهار لا تعرف احترام الحدود السياسية. وهى ملكية عامة لكثير من الشعوب، وإن قدر لهذه الأنهار أن تُستأنس لخدمة الجنس البشرى، فإن الأمر يحتم علينا مواصلة التشاور مع بعضنا بعضًا ..... ونحن بحكم وجود نهر النيجر ونهر بنيو عندنا يصبح لدينا اثنان من أكبر أنهار الدنيا. والأنهار والخلجان وكذلك دالات الأنهار تعد أشياءً متقلِّبة، ونزوية مثل الكائنات الحية، وعادات هذه الأنهار وشذوذها تحتم دراستها دراسة متأنية قبل إخضاعها للسيطرة الهندسية. هذا يعنى أننا يتحتم علينا تناول هذه المشكلات فى شىء من التواضع والشك. وقبل ذلك كله يتعين علينا تناول هذه الأشياء مع بعضها البعض".**

كان الهدف من هذه الخطب سابقة الأعداد إعطاء فارفيل Varvill (أو إن شئت فقل: كنسمان Kinsman) بعض الملاحظات العابرة، أو النقاط المترابطة التى يود الرجل (أبو بكر) طرحها، وربما كان الهدف من وراء ذلك هو إلقاء بعض العبارات الشخصية المُحَفِّزة، على أن يقوم الرجل بعد ذلك بتغطية هذه النقاط أو التعبيرات بشكل منطقى ومترابط، وعادة ما كان الرجل يحدث بعض التعديلات المادية الطفيفة فى النص الرئيسى نظرًا لأن مسئوليه كانوا معتادين على طريقته فى الكلام. يزاد على

ذلك أن نغمة هذا الشكل من أشكال تغطية الموضوعات كان يناسب تمامًا المؤتمر الدستورى.

كان اليوم التالى مشحونًا بالأعمال، على الرغم من أن هولنده تعد بلدًا صغيرًا مسطحًا عامرًا بالاتصالات السريعة، وهذا على النقيض من نيجيريا، أو بريطانيا أو الولايات المتحدة. قام أبو بكر بزيارة معمل المياه (الهاديدروليكا) فى دلفت Delft، كما زار أيضًا مركزًا من مراكز التدريب على المسح الجوى تابعًا للخطوط الجوية الملكية الهولندية، ثم سارع الرجل بالذهاب إلى "زالت بومل" Zaltbommel عن طريق روتردام للقيام برحلة باللنش إلى فلاردنجن Vlaardingen، وصولاً إلى مصب نهر ليك Lek فى اتجاه هوك Hook الهولندية، ثم العودة ثانية إلى لاهاى. كشف اليوم العاشر من شهر مايو عن شكل مختلف تمامًا من أشكال السيطرة على المياه والتحكم فيها، وهذا الشكل مختلف تمامًا عما شاهده أبو بكر من أعمال فى نهر المسسبى Mississippi التى تخيل أبو بكر نقلها إلى أنهاره، تجول أبو بكر خلال جودا Gouda وأوترشت Utrecht إلى أن وصل إلى حافة زويدرزى Zuiderzee فى منطقة "هاردرويجك" -Harder wijk، وبعد أن ألقى أبو بكر نظرة على اثنين من محطات الضخ كانتا على الطريق، زار أعمال "زويدرزى" المعروضة فى ليستاد Leystad فى شرقى فليفولاند Flevoland، ومن هناك استقل أبو بكر لنشا عبر زى Zee ووصولاً إلى يورك Urk على المنخفض الشمالى الشرقى (إحدى مناطق الأراضى الرئيسية المستصلحة تحت مستوى سطح البحر)، وبذلك تمكن الرجل من مشاهدة التنمية التى حول منخفض "إيميلورد" Emmeloored الكبير. وبعد قضاء الليل فى ليوفينون Leuvenum، قامت المجموعة بالتفتيش على النماذج النيجيرية فى معمل "دى فورست" Devoorst المقام على الهواء الطلق، وناقشت مع المدير الإدارى لشركة نيديكو Nedeco، المهندس إى دبليو اتش جلاسون E W H Glasonوكود Coode وشركاه، ومهندسيهم الاستشاريين حاجز الأمواج المقترح فى إسكرافوس Escravos، ويعود أبو بكر ثانية إلى طريق ليمر Lemmer للقيام برحلة

سياحية على لنش من طراز فرايسيان Friesian، فى بلدة ترهورن Terhorne، ويعبر سداً طوله اثنين وثلاثين كيلاً مترياً يحيط بمنطقة "زودرزى" Zuiderzee كلها، ومروراً بالكمار Alkmaar، وهارلام Haarlam وبلومندال Bloemendaal ووصولاً إلى زاند فورت Zandvoort على بحر الشمال لتناول الغداء، ثم عاد أبو بكر بعد ذلك إلى لاهاى لينام نوماً عميقا.

كان اليوم التالى مصادفًا ليوم الأحد، لكن عندما وصلت الجماعة إلى لندن كان هناك أيضًا متسع من الوقت لشرح منظومة وردية النهر المقامة على نهر الراين، وكذلك شرح منظومة القنوات وتوضيحها فضلاً عن خطة دلتا نهر الراين الجديدة، وتوضيح الأدوار التى لعبتها الحكومتان المركزية والمحلية الهولنديتين فى التحكم فى الممرات المائية الداخلية، وذلك من باب مقارنة هذه المنظومة بالمنظومة الأمريكية الأكثر تحرراً. وهنا يبدو أن أبا بكر بدأ يتسود مسألة الخطابات التى يتراوح طولها بين خمسة وعشر دقائق بعد تناول الغداء، دون أن يحتاج الأمر منه إلى تفكير عميق. تهيأت أيضًا الفرصة لأبى بكر للقيام، فى وقت فراغه، بجولة بين زهور التيوليب وأنواع الزهور الأخرى، وفى الوقت الذى قام فيه فارفيل بزيارة سريعة إلى متحف ريجيك فى أمستردام، آثر أبو بكر الاسترخاء فى السيارة فى الخارج. وعندما خرج فارفيل من المتحف وجد تلميذا أشقر صغيراً وأبا بكر فى ردائه الوطنى وينظران إلى بعضهما نظرة إعجاب متبادل دون أن يفهم كل منهما الآخر: "**لقد كنت أتكلم مع الهولندى الوحيد الذى لا يعرف اللغة الإنجليزية!**" كانت البنيتان متباعدتان تماماً، كما أن عشرة أيام فى لندن، تعنى أن الجسم بحاجة إلى الراحة، لولا الاستعدادات المطلوبة للمؤتمر والزيارة المزمع القيام بها إلى معمل الهايدروليكا البريطانى فى والنجفورد Walling-ford فى جنوب أكسفورد، حيث يوجد نموذج عملى لميناء ليجوس، يوضح التوسعات المحددة لرصيف الميناء فى أبابا Apapa، والتقى أبو بكر أيضًا لينوكس بويد، ولم ينكر

الرجل أنه كان يتفاوض ويتباحث بشأن مزايا القنوات للشمال فى ظل نيجيريا المستقلة.

كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى قد بدأ يعيد تنظيم نفسه، وجرى تقسيم سكرتارية الحزب إلى ثلاثة إدارات، إدارة تحت رئاسة دى إيه رافى D A Rafi خاصة بالمسائل الإدارية فى الحزب، ومعروف أن رافى هو المدير والمؤسس، وإدارة خاصة بالتنظيم برئاسة محمد كنج، كبير سكرتيرى التنظيم الذى كان يقوم على أمر تنسيق نشاطات الحزب، ثم إدارة الإعلان برئاسة يوسف دانتسوهو Dantsoho الذى انفصل عن حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى. كان الرجلان الأخيران هما وبعض المسئولين الآخرين، قد قاموا ببعض المشاغبات الطارئة، مستهدفين بها إعادة تشكيل الحزب على النحو الذى يسمح لهم وللعضوية بزيادة سلطتهم فى مواجهة لجنة العمل المركزية (أى المستشار السياسى الرئيسى المدعوم من المجلس التنفيذى الشمالى)، لم يكن هؤلاء الرجال يحسون بالقلق إزاء نفوذهم فى تعيين الوزراء، الذين اتسمت فيهم آراء شارود - سميث غير الشعبية عن الحاجة إلى إدراج الحزام الأوسط ضمن هذه التعيينات، بالغرابة والحرج. وليس من الغرابة فى شىء ألا تكون هذه التحركات غير فاعلة أو جلبت عليهم شيئًا من العقاب، هذا يعنى أن المستشار السياسى الرئيسى كان يعرف جيداً أولئك الذين يتعين عليه الإصغاء لنصحهم وأولئك الذين يتعين إخْضَاعهم. لم يقدم مسئولوا الحزب أية مساهمة فى دور حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أثناء المؤتمر، وكانوا يعرفون، فى حال أبى بكر تافاوا باليوا، أقل الأضرار التى يمكن أن تضر بالاتحاد الفيدرالى، إن قدر لذلك الاتحاد أن يبقى على قيد الحياة.

كان الوزراء الإقليميون الشماليون الذين سافروا إلى لندن بصفتهم مندوبين هم: المستشار السياسى الرئيسى الحاج أحمد بللو، والمعلم محمد رباط، والحاج عيسى كيتا ورئيس شرطة بطا Bida، وكان مستشاروهم الرسميون: أبو حبيب من ديكوا Dik-wa، جورج أوهيكرى Ohikere، الوزير الجديد من بلدة أوكينى Okene (الذى كان

جناحه فى حزب اتحاد أجبيرا القبلى مكونًا من عدد كبير من الروم الكاثوليك وفى صراع مع الأجنحة الأخرى وبخاصة الجناح الإسلامى، ذلك الجناح الذى كانت له روابط وثيقة من النواة الصلبة التقليدية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وكان يكن شيئًا من التعاطف مع طاهر Atta الأجبيرى هو وأسرته)، كما احتفظ ذلك الجناح أيضًا بعلاقات وثيقة مع الوزير البرنى Borno المميز شتيما Shettima كاشيم. كان هناك أيضًا مستشارون "إضافيون" جاءوا على سبيل الاسترضاء، وبخاصة أولئك الذين جاءوا من الحزام الأوسط ومن إيلورن Ilorin. يزاد على ذلك أن رئيس وزراء الشمال كان مصرًا على حضور رفاق وزير الخدمة المدنية الأجانب، والذين هم أعضاء فى المجلس التنفيذى، بصفتهم مندوبين كاملين، الجلسات الكاملة كما لو كانوا من صناديد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وذلك على الرغم من الضغوط التى مارسها الجنوب للإبقاء على هؤلاء الرفاق خارج قاعة المؤتمر، لاستدعائهم فى حال الضرورة بصفتهم شهودًا خبيرين. كان مكان أبى بكر تافاوا باليوا ضمن الوفد الفيدرالى، ومعه المعلم بللو Bello داناجو Dandago نائب المتحدث الرسمى، وبوكارد دبشاريما Dip-charima سكرتيره البرلمانى بوصفهما مستشارين. كانت الطوائف الشمالية كلها واثقة بقدرتها على تحقيق أهدافها عن طريق العناد فى تكرار استعمال الحقائق حسب تعريفهم لتلك الحقائق، هذه الحقائق، المدعومة من الجغرافيا ومن السكان، كانت تتناقض مع موقف حزب جماعة العمل الذى كان شبيهًا إلى حد بعيد جدًا بموقف الحكومة البريطانية، الذى كان يقوم على الجدل العقيم، كان الرئيس أولوو هو وزميله القانونى روتيمى Rotimi وليامز (أحد أعضاء مجلس الرؤساء الغربى، الذى لم يتعين عليه مواجهة الانتخابات مطلقًا) قد أعدًا كثيرًا من الأوراق التى جرت مناقشتها مناقشة جيدة ومتقنة، والتى احتقر غرماؤهما قراءتها قبل تكذيبها تكذيبًا حشويًا. كانت المذكرات التى تقدم بها حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى قد خيبت آمال الخبراء فى شئون المؤتمرات، لكن أعضاء هذه الأحزاب كانت على استعداد دومًا للاعتماد على العفوية والتلقائية عندما يقفون على أقدامهم وفاء لروح المناسبة.

كان المستشار السياسى الرئيسى قد دعا عندما وصل إلى لندن إلى عقد "قمة" جديدة لرؤساء الوزارات، وقد ضمت هذه القمة أيضًا الدكتور إنديلى Endeley، وقد ضايق المستشار السياسى الرئيسى الرئيس آولوو مضايقة شديدة عندما رفض إدراج الأوراق (ليست محاضر القمة) التى أعدها هذا الرجل لطرحها على المؤتمر طبقًا للنوايا المشتركة لرؤساء الوزارات والتى جرى الاتفاق عليها من قبل، وقد حدث هذا الرفض نظرًا لأن حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى كان قد أعد هو الآخر مذكرات، تتعارض تعارضًا واضحًا مع روح القمة، كما جاء هذا الرفض أيضًا بناء على أفكار ثانوية جدَّت على حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ولو فعل الرجل ذلك فهو يعنى مصادقته على الحزمة التى تقول إن العام ١٩٥٩ هو عام الحصول على الاستقلال. وهنا نجد أن التظاهر بالوحدة الذى حدث فى شهر أبريل قد تبخر.

يزاد على ذلك أن التقييم الخاص الذى قدمه لينوكس - بويد، عندما بدأت مدة الأسابيع الخمسة فى مجلس لانكستر Lancaster House، كان تقييمًا حازمًا وحاسمًا، نظرًا لأن الرجل شرح هذا التقييم لزملائه فى مجلس الوزراء البريطانى قائلاً: كان زعيما الإقليمين على وشك أن يبدءا حكمًا ذاتيًا داخليًا، أما زعيم الإقليم الثالث، الذى هو أكبر هذا الأقاليم، فلم يكن راغبًا فى تقبل كأس العشاء الربانى تلك إلا بعد فترة محددة، هذا يعنى أن مستقبل البلاد لا يمكن التعامل معه فى ضوء وحدة ما دام أن الأجزاء المكونة لذلك البلد، تضم ما هو أكثر من ثلاثة تراكيب اجتماعية، وأن هذه الأجزاء غير متجانسة أيضًا، من هنا يمكن القول: إن نيجيريا لم تبدأ بعد فى توترات الحكم الذاتى، كما أن حكومة صاحبة الجلالة يتعين أن تكون لديها فكرة ما عن الطريقة التى يمكن بها احتواء ذلك التوتر قبل البت فى مسألة الاستقلال بشكل نهائى. لكن مجلس الوزراء البريطانى كان قد وافق مع وزير الخارجية على ما مفاده أن الدستور يمكن تعديله بما يسمح بتعيين رئيس للوزراء على المستوى المركزى، وعلى الرغم من المخاطرة بسيطرة الشمال على الجنوب، فإن نيجيريا لابد أن تكون

متماسكة. لم يكن كل السياسيين البريطانيين مقتنعين أو راضين عن التعجيل بمبدأ الحكم الذاتى الذى سبق الاتفاق عليه، كان كثيرون من أعضاء مجلس الوزراء (وقد تجاوزت هذه التحفظات الخطوط الحزبية) يرون أن الاستقلال الكامل يمكن المحافظة عليه فى العالم الحديث عن طريق المستعمرات الكبيرة، كما كانت هناك أيضًا شكوك مستمرة، لا يجرى الإعراب عنها بصورة واضحة، وتدور حول مسألة توسيع الكمنولث ليتسع لكل المناطق الاستعمارية الكبيرة السابقة، حتى وإن أدى ذلك إلى تجميع تلك المناطق على شكل اتحادات فيدرالية اقتصادية أو دفاعية قوية. كانت كلمة السر عند غالبية المسئولين البريطانيين توصى "بالتمهل والتدرُّج"، حتى لا يؤدى ذلك إلى الخسارة الفعلية للنوايا الحسنة. هذا يعنى أن الخطباء الذين يلهبون مشاعر الناس، وكذلك المتطرفين وأصحاب النوايا السيئة (وكل ما هو من هذا القبيل) يجب أن يشكلوا أى ضغط على وزير الخارجية، للقيام بتحركات يمكن أن تضعف المسئولية التى تعيها بريطانيا وتفهما، وذلك من باب مراعاتها لمصالحها ومصالح العالم، وبذلك يمكن ضمان بقاء الحكومات المستقرة فى المناطق التى يجرى سحب نفوذها منها. وقد أسفر ذلك كله عن أمل فى الاحتفاظ بقوات مركزية وفاعلة تكون فى متناول الحاكم العام فى نيجيريا، الأمر الذى يعنى ضمنًا عدم التعجيل بالاستقلال. واقع الأمر أن السير جيمس James افتتح أعمال المؤتمر بدون بروفة لأنه (مثلما حدث لأبى بكر من قبله ذات مرة) لم يجر تحذيره قبل تذكيره بطريقة دمثة وقاطعة أن التقسيم النهائى للخدمات العامة الذى لم يمض عليه سوى أربعة أشهر، يعنى أنه قد تم الانتهاء من إدخال الدستور الجديد.

على الجانب النيجيرى نجد أن البار المفتوح التابع لوزارة المستعمرات فى مجلس لانكستر ساعد على المضى قدمًا فى المفاوضات، وفاجأ الكثيرون من المرتدين عن الدين الحاضرين باحتساء الكونياك والويسكى، بأن راحوا يخفون هذه المشاريب بخلطها بمشروب الكولا (فى كادونا، كان الناس يطلقون على الخليط الذى من هذا القبيل اسم "الكرولا المعاصرة" Krolan Zamani)، وكان أبو بكر يصر عندما يكون بين هؤلاء

البشر، على احتساء عصير البرتقال. وفى مقابل الوميض الغريب لساحة العمل والسأم والملل المترتبين على الارتباطات الاجتماعية المسائية، بدأت تظهر، حتى بين المندوبين المعترضين، نزعة طارئة إلى تناسى الخلافات حتى يمكن التوصل إلى صياغات تسمح بالخطوة قبل الأخيرة فى اتجاه إقامة الدولة. وقبل انتهاء المؤتمر جرى تذكير أحد المسئولين كبار السن بحكاية اعتراف الخادم المارق فى فترة ما قبل الحرب، أمام كاهنه عندما قال: "من فضلك، يا سيدى، اطردنى، غرِّمنى، اضربنى، افعل بى ما تشاء، لكن أرجوك يا سيدى ألا تسألنى!" وقد جرى إعلاء هذا الأثر على نحو أدى إلى انتصار التسامح الذى يعزى فضله إلى كل من لينوكس - بويد وأبى بكر، لكن الواقع لم يكن بعيداً جداً عن السطح، ومفاد هذا الواقع هو أن السياسة كانت لا تزال صراعاً قبلياً تقوده ثلاثة شخصيات كبيرة متنافسة. وهنا نجد وللمرة الأولى، أن فريق مسئولى الحكومة البريطانية القادم من مجلس الوزراء ووزارة المستعمرات، يدخل فى اعتباره الشخصية الرابعة، ألا وهى وزير النقل الفيدرالى، وبخاصة علاقة هذا الوزير بالمستشار السياسى الرئيسى (لم يكن هؤلاء المسئولون قد تمعنوا فى مؤتمرات ليتلتون Lyttelton فى الأمة النيجيرية المستقبلية). وهنا راح أولئك المسئولون يؤكدون رأيهم المبنى على تقارير الاستخبارات البريطانية، والذى مفاده أن أبا بكر تافاوا باليوا يعد صفقة أكبر بكثير من كونه "رجلا من رجال المستشار السياسى الرئيسى فى ليجوس". لم يكن هؤلاء المسئولون يعرفون من أبى بكر سوى صوته، وتؤدته، واعتداده بذاته، لكنهم يعترفون الآن بذكاء الرجل، كما أن سلوكيات الرجل الموضوعية المتأنية وضعته على قدم المساواة مع الآخرين جميعهم، وفى تقييم بال Pall مال Mall كان أبو بكر الشخص الوحيد الذى استطاع الموازنة بين اهتمامه بوحدة الشمال والقدرة على كسب الثقة والولاء على نطاق واسع. والذى لا شك فيه، هو أن هؤلاء المسئولين حسبوا ذلك تجسيداً لحل مشكلة المصالحة الشمالى التقليدى والإسلامى مع الجنوب الديمقراطى. أو شبه الديموقراطى فى أضعف الأحوال، الجنوب الشجاع، الحساس، الخالى من التباهى، وغير المتعصب.

استطاع هؤلاء المسئولون اكتشاف شيء من الحقد والاستياء والغيرة عند كل من أولوو والدكتور أزكوى، اللذين كانا ينتظران أن يصبحا رؤساء وزارات فى يوم من الأيام وعن حق، كان أولوو أول من ارتكب هفوة فى الإتيكيت عندما أشار إلى أبى بكر باسم "باليوا" فقط، الذى كانت له ظلال تحقيرية وازدرائية فى ذلك الوقت فى آذان الشماليين (وقد أدى انتشار هذه الكنية بعد ذلك إلى وضع اسم الرجل بواسطة جريدة التايمز، بين اسمى كل من ستانلى Stanley بولدوين Baldwin وإيه جى بالفور Balfour وهذا تعويض عجيب عن الجمع بين الضدين). هناك بعض آخر من خُدَّام الحكومة البريطانية المطيعين، اكتشفوا موازيًا معاصرًا فى السياسة البريطانية، لمكانة أبى بكر تافاوا باليوا فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ومثلما تردد كل من ماركيز سالبيرى والنظام الهرمى عند التورى Tory (العمال) فى قبول وزير العمل والخدمة الوطنية السيد/ إين Iain ماكلويد Macleod لقدراته راحا أيضًا يتصنعان مراقبة الماجد مستشار سكتو السياسى الرئيسى ، الحاج أحمد بللو، هو ووضعه، فيما يتعلق بالمُعَلِّم والقارئ الماهر أبى بكر تافاوا باليوا. لكن أحد الأفارقة طرح رأيًا مفاده أن التغيير المطلوب سيكون صعبًا للغاية على رؤساء الوزراء الثلاثة، الذين بلغ ولاؤهم الخاص لأنفسهم حدًا يصعب معه عليهم وضع أى شخص آخر على رأس الدولة السياسى. كان هؤلاء الثلاثة، يعلمون حق العلم أنه بغض النظر عما يوحى به الفصل الفيدرالى بين القوى، فإن الرأى العام العالمى يضع رئيس الوزراء فى المقدمة. وعليه وفى إحدى المقابلات التليفزيونية وافق المستشار السياسى الرئيسى مع أولوو أنه فى نيجيريا المستقلة سيشق الزعماء كلهم طريقهم إلى المركز، وأكد أولوو أن من الخطأ رؤية الأقاليم قوية فى حين يكون المركز ضعيفًا، وأعلن الرجل بعد ذلك، وبناء أيضًا على موافقة حزبه أنه كان ينوى الذهاب إلى المجلس الفيدرالى، وذلك مثلما حدث للدكتور أزكوى عندما سمح له حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى بفعل الشىء نفسه.

جـــرى دعم سكرتارية المؤتمر، برئاســة إيان Ian بانكرفت Bancroft، وكــذلك الموظفـين المدنيـين المحليـين الوطنيين بإضـافـة المعلـم إينوا Inuwa وادا، الذى أصبح يشغل منصب السكرتير الدائم الجديد، كما جرى تعزيز هذه السكرتارية أيضًا بكل من بطرس ستالارد، الذى يستطيع تحديد هوية كل المتحدثين وغمهم. وفى لجنة القيادة التى كانت تتولى جدول الأعمال كان المعلم أبو بكر هو ومحمد رباط يحظيان بدعم ناجح من الرؤساء أولوو وروتيمى وليامز، فى تحاورهما مع الدكتور أزكوى والرئيس أديلابو Adelabu والمعلم أمين كانو حول مسألة تسوية قضية الحكم الذاتى للأقاليم قبل مناقشة مسألة الاستقلال الفيدرالى مناقشة ناجحة. وقد أفسح مندوبوا حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى ومندوبوا حزب العناصر الشمالية التقدمى، المجال رغمًا عنهم أمام إصرار وزير الخارجية على حتمية أن تكون هناك إجراءات مرنة، ما دام أن هناك لجنة قيادة تستطيع تحديد السياسة المطلوبة.

وأعقب ذلك فى الجلسة الكاملة، وفى اللجنة وكذلك الجلسات غير الرسمية نقاش مستفيض حول تقسيم الأقاليم إلى "ولايات" منفصلة. وقدم المستشار السياسى الرئيسى هو والمعلم أبو بكر تافاوا باليوا بوصفهما ممثلين لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى مشروعًا بديلاً يقوم على السلطات المحلية ومبنيًا على أساس من نموذج هدسون Hudson الذى جرت الموافقة عليه بصفة نهائية (كما سبق أن أوضحنا) والذى جرى الاحتفاظ به فى الذاكرة بوصفه قوة آمرة فى الدستور الجديد، كان المستشار السياسى الرئيسى هو وأبو بكر تافاوا باليوا معارضين لأى نص من النصوص التى تتعلق بإنشاء المزيد من الأقاليم، كان أمين كانو هو وحزب العناصر الشمالية التقدمى يفضلان تقسيم الأقاليم إلى ولايات. كان الانفصاليون الآلوريون Ilorin وحدهم يصرون على ضم منطقتهم أو بالأحرى الجزء الجنوبى من قسم كبا Kabba إلى الإقليم الغربى. وراح حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد (الذى كان التافى Tiv يوسف تاركا رئيسًا له، من منطلق أن قبيلته هى أكبر قبائل هذا الحزام الأوسط فضلاً عن كونه المتعلم الوحيد

بين أفراد هذه القبيلة) يطالب بإقليم مركزى - على أن يضم هذا الإقليم كلاً من إيلورين Ilorin، والنيجر، وجنوبى زاريا، والهضبة، وجنوبى باوتشى (التى تقع فيها تافاوا باليوا) كبا Kabba وبنيو Benue وجزءًا من أدماوا - لكنهم ظلوا مختلفين ومرتبكين حول المكان الذى يجب أن تكون فيه عاصمة هذا الإقليم، كما ظلوا مختلفين أيضًا حول مسألة المواصلات الجديدة من الغرب إلى الشرق والتى يتحتم أن تمر خلال منطقة زراعة الحبوب فى البلاد، كما اختلفوا أيضًا حول مسألة تمويل هذه البنية الأساسية وبنائها. كان حزب جماعة العمل يرغب فى إعادة ليجوس إلى الغرب، لكن بشروط كثيرة وبمساندة من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى راح حزب جماعة العمل ينادى بإنشاء ولاية الغرب الأوسط التى يمكن أن تتكون من بنين Benin ودلتا (وارى Warri سابقًا)، التى كان اليوروبا يشعرون فيها بالغيرة نظرًا لأن الناس كانوا يشاركونهم مداخيلهم، لكن الإيجو IJo والإتسكيرى فى هذه المنطقة كانوا يتشككون فى سيطرة الناطقين بلغة الإيدو Edo عليهم (فى حين كان الرئيس أولوو شخصيًا يرغب فى إنشاء ثلاث ولايات جديدة والنص على إنشاء المزيد من الولايات فى المستقبل عندما يصبح ذلك أمرًا قابلاً للتحقيق). كانت هناك مجموعة أخرى أقل تجانسًا وانسجامًا، راحت تتطلع إلى جعل ليجوس ولاية قائمة بذاتها، بحيث تضم الأجزاء المجاورة لها من الإقليم الغربى، كان المتحدثون بلغة الإيجو من الغرب ومن الشرق يرغبون فى أن تكون لهم ولاية يسمونها ولاية الأنهار، وكان زعماء أوجوجا Ogoja يرغبون أيضًا فى أن تكون لهم ولاية خاصة بهم. وساند حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى مسألة إقامة ولاية الأنهار وولاية كلبار Calabar، فى حين كانت المعارضة المحلية تؤيد وتساند مفهومًا عقيمًا ذائع الصيت على المستوى الشعبى، وينادى بإنشاء ولاية واحدة يسمونها Cor بمعنى الولاية المكونة (كلبار - أوجوجا - والأنهار)، (وكانت تلك المعارضة تخطط أيضًا لإنشاء سبعة عشر ولاية أخرى، وقد ازدرت الأحزاب الأخرى تلك الخطة من منطلق أنها تقلل من السلطات العملية ومن وضع الأقاليم بحيث تصبح "حكومات محلية مُفَخَّمة"). كان الكاميرونيون الجنوبيون

راضين وقانعين بالبعد عن هذه الفوضى. أخيراً أبلغ لينوكس - بويد المؤتمر أن إنشاء أية أقاليم جديدة سوف يستغرق وقتًا إداريًا وتنظيميًا طويلاً، وإذا لم يوافق المندوبون على تأجيل محدد وغير مؤكد للاستقلال، فإن الاستقلال فى العام ١٩٦٠ الميلادى سيكون على أساس من الأقاليم القائمة بالفعل. وبعد ترك الخيار للنيجيريين أنفسهم، آثر حزب جماعة العمل الحصول على الاستقلال المبكر على التغيير الإقليمى، ووافق الجميع على ذلك بالإجماع على الفور. والمؤسف أن وزارة المستعمرات رأت أن الأوان قد فات ولم يعد يسمح بضم قسم إكيجا Ikeja ضمن الأراضى الفيدرالية.

فى مثل هذا الحال يتعين استبعاد أعضاء المجلس التنفيذى السابقين فى الشمال إذا ما جرى منح الحكم الذاتى الداخلى الشرقى والغربى بشكل مباشر وسريع. هذا يعنى أيضًا إجراء الانتخابات المستقبلية لثلاثمائة وعشرين عضواً للمجلس الفيدرالى الأكبر والموسع، عن طريق حق الانتخاب العام المباشر، فيما عدا أنه من باب تبجيل الإسلام، فإن المرأة لن تدلى بصوتها فى الشمال. لم تكن الشروط أو النصوص الشّرطيَّه أمرًا تسهل الموافقة عليه، ذلك أن الإقليم الشرقى لم تكن لديه قوات شرطية محلية غير المحضرين وسعاة المحاكم، ويبدو أن الشرق لم يكن بحاجة أيضًا إلى أولئك وهؤلاء، لكن الغرب شأنه شأن الشمال كانت لديه قوات شرطية محلية. وقد حدا الرئيس آوو Awo حذو وزير الداخلية البريطانى بأن كانت له السيطرة المباشرة على شرطة العاصمة، لكن الرجل كان مجرد مشرف على قوات الشرطة فى المدن والبلدان الصغيرة، وكان الهدف من ذلك الادعاء بأن قوات الشرطة يتعين أن تكون إقليمية تمامًا. كان المستشار السياسى الرئيسى ميالا إلى المساندة أو المساندة الكاملة، فى حين كان أبو بكر ينادى بذلك الذى يمكن اتخاذه ضد الشعارات الجوفاء، واستطاع إقناع المستشار السياسى أولاً ومن بعده المؤتمر، بحتمية الإبقاء على قوة شرطية فيدرالية، على الرغم من إدخال الرجل لمسألة العلاقة الوثيقة بين مفوضى الشرطة الإقليميين ورؤساء الوزارات، كان صوت السير جيمس الذى يوحى بالارتياح

والاستقرار يتردد فى أروقة المؤتمر، على الورق، كان السير جيمس لا يزال مسئولاً مسئولية شخصية من خلال وزير الخارجية، أمام التاج والبرلمان البريطانيين، عن النظام والقانون فى نيجيريا كلها، ولم يستسلم الرجل لمسألة تجزئة القوة أو تقسيمها. على المستوى المركزى كانت هناك لجنة شرطية تقدم النصح والمشورة للحاكم العام فيما يتصل بالأجور والترقيات، والتعيينات والنظام، وكان صاحب السعادة الحاكم العام يرأس أيضًا مجلسًا شرطيًا يضم الوزير الأول ورؤساء الوزارات، وكان المفتش العام هو والمفوضون الإقليميون يشاركون فى هذه اللجنة. وفى ضوء نصائح شارود - سميث لأبى بكر عن احتياج المؤسسات الديمقراطية من قبل قوة موالية وخالية من النزعة القبلية لكن متوازنة عرقيًا ويتشكل منها الجيش والشرطة، نجد أن تعليق المستشار السياسى الرئيسى وحده، فى نهاية المطاف ينادى بالتقليل من شأن الجيش وتشكيل قوة شرطية - قوة يجرى نشرها فى أنحاء البلاد على شكل مراكز صغيرة يستحيل عليها القيام بانقلاب. ومع ذلك، جاء قرار المؤتمر الوحيد فى هذا الشأن يفيد نقل السيطرة على القوة العسكرية النيجيرية من مجلس الجيش فى الحكومة البريطانية إلى الحاكم العام، الذى يحصل على المشورة من مجلس الدفاع.

كانت هناك أمور أخرى لم يجر تسويتها على وجه السرعة، حتى على امتداد خمسة أسابيع مضيئة، أو حتى تركها تتقيح فى المضابط والسجلات. كان لابد من تلطيف الشوفانيات التى بدأت تظهر على السطح، هى والمخاوف الأكيدة من القوة الإثنيه الجامحة التى كشف عنها الحوار الذى دار حول مسألة إنشاء الولايات، هذه الشوفانيات كان لابد أيضًا من تلطيفها فى الجنوب وبالقدر نفسه بين الشمال والجنوب. وتقرر إنشاء لجنة أقليات أو بالأحرى تشكيلها تكون مهمتها تقصى "الحقائق" وإعداد تقرير لعرضه على المؤتمر المزمع عقده فى العام ١٩٥٨ الميلادى. وفى ظل عدم سحب إنذار وزير الخارجية الذى مفاده أن إنشاء أقاليم جديدة قد ينطوى على تأخير الاستقلال، جاءت المهام المكلفة بها اللجنة والتى جرت صياغتها وإعادة صياغتها مرات

ومرات، فضفاضة بما فيه الكفاية للمتحمسين إذ جعلتهم يتصورون إنشاء "ولاية" جديدة واحدة فقط يجرى اقتطاعها من كل إقليم من الأقاليم الحالية. فى اتجاه الجنوب كانت الآمال المرتقبة المعلقة على إقليم للحزام الأوسط فاتحة للشهية أكثر من الحزام الأوسط أو إن شئت فقل: الولاية المكونة من كلبار وأوجوجا والأنهار. لم توافق القيادة السياسية الإفريقية المشتركة للمؤتمر على حتمية وجود مثل هذه اللجنة، لكن المستشار السياسى الرئيسى هو والدكتور أزكوى ومعهما أبو بكر تافاوا باليوا أصروا جميعًا على عدم ذكر مناطق بعينها فى المهام المحددة للجنة الهيئة المهمة الأخرى التى أنيط بها القيام بالمسائل الثانوية الحيوية كانت تتمثل فى اللجنة المالية، هذا يعنى أن توزيع السلطات بين الاتحاد الفيدرالى والأقاليم القوية يحتاج إلى التمويل دون أن يؤثر ذلك على الاستقرار، القدرة على وفاء الديون كاملة وأهمية الائتمان فى البلاد ككل.

استقر المؤتمر فى الوقت نفسه على حتمية إدخال مجلس شيوخ فيدرالى ليكون بمثابة غرفة من غرف المراجعة والتنقيح، مع السماح بمُسْتَحدث الرؤساء ومجلس أعلى فى الإقليم الشرقى، وآثر المستشار السياسى الرئيسى خيار حصول الشمال على الحكم الذاتى الداخلى فى العام ١٩٥٩ الميلادى (والذى يحتمل فى ظل اقتراب موعد تقاعد شارود – سميث أن يصبح تعطيلاً اسميًا لأن كلا من كبير السكرتيرين هو والسكرتير المالى سيكونان مختفيين فى ذلك الوقت مخلفين وراءهما حزب جماعة العمل باعتباره الوزير البريطانى الشمالى الوحيد الذى يجالس الحاكم الجديد فى المجلس التنفيذى). أنشئت لجنة ثالثة تقوم على إعادة تحديد الدوائر الانتخابية. ولم يجر تناول وضع ليجوس ومستقبل مجلس التسويق المركزى أو مناقشة ذلك.

وفى هذا الصدد نجد السير جيمس روبرتسون يعلق على ذلك بقوله: "لقد طوّفنا حول المشكلات، أو بالأحرى قمنا بوضعها على الرف". كان لابد من وجود رئيس للوزراء، يقدم النصح والمشورة للحاكم العام (الذى كان لا يزال رئيسًا لمجلس الوزراء) فيما يتعلق بتعيين الوزراء، وتقرر عدم وجود كبير سكرتيرين أو سكرتير مالى. وقد

أسفر التاريخ الفعلى للاستقلال عن بعض المبادلات. كان رؤساء الوزارات الثلاثة هم والدكتور إندلى Endeley ممثل الكاميرون، قد حددوا اليوم الثانى من شهر أبريل من العام ١٩٦٠ موعداً للحصول على الاستقلال، لكن فى اللحظة الحرجة كان الملاكم والرياضى الدكتور أزكوى قد سافر إلى باريس مع الرئيس أولوو لمشاهدة الشرقى هوجان Hogan كد Kid باسى Bassey وهو يهزم شريف Cherif حاميه Hamia فى بطولة العالم لوزن الريشة، وهنا انتهز المستشار السياسى الرئيسى غياب الرجلين وتكلم نيابة عنهما . أثر لينوكس - بويد الاطلاع والوقوف على توصيات المفوضين ومعرفة ما إذا كان الشرق والغرب قادرين على حكم نفسيهما بطريقة كفؤة، ولم يذهب الرجل إلى أبعد من توقيع شيك على بياض وافق فيه على "العام ١٩٦٠ الميلادى" موعداً للاستقلال. وهنا أعرب المستشار السياسى الرئيسى عن خيبة أمل صامتة من جانب الغائبين الرئيس أوو والدكتور أزكوى، وسار الحاضرون على الحظ نفسه - وأبدى الاقتصاديون أيضاً ملاحظة مفادها أن نيجيريا ستقوم فى غضون وقت قريب بتمويل حوالى ألف من المشروعين المنتخبين وما يزيد على خمسين وزيراً . وعلق الدكتور أزكوى على ذلك فيما بعد تعليقاً يعبر عن الاستياء وعدم الرضا عندما قال: لم يكن هناك تاريخ محدد للحرية، لكن الحكم الذاتى الداخلى الذى جرى الحصول عليه من قبل الحكومة الفيدرالية كان حكماً شديد القيود، وكذلك كان الحكم الذاتى الداخلى فى كل من الإقليم الشرقى والإقليم الغربى، هذا يعنى أن هذا الحكم كان هو الآخر محدداً ومقيداً - هذا يعنى أيضاً أن الاحتفالات ستكون ممنوعة فى الإقليم الشرقى، هذا يعنى أن الرجل كان عائداً إلى موطنه وهو يحمل معه ذلك الذى سبق أن أخذه شعبه قاعدة مُسلَّمًا بها . وسرعان ما أدت المرارة إلى إدراك أن ظهور حل وسط والوحدة الوطنية أصبحا أمرين ضروريين فى الداخل والخارج، وهنا وافق زعماء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى وهم فى طريق العودة إلى الوطن، على "مؤاخاة" البريطانيين من جديد.

كانت هناك فى المؤتمر فواصل اجتماعية أخرى غير المنعشات والمرطبات الرسمية والضيافة التجارية. كانت الملكة قد استقبلت المندوبين بما فيهم المعلم أبو بكر فى السكن الحكومى فى قصر بكنجهام، كان الدكتور نيكروما قد أرسل رسالة إلى رؤساء الوزارات الثلاثة - وقد فسر الرئيس أوو هو والمستشار السياسى الرئيسى هذه الرسالة على أنها شكل من أشكال الإهانة - لم يعطهم الرجل سوى خمسة عشر دقيقة، وكان ينتظر قدومهم على وجه السرعة، وعليه رفض رؤساء الوزارات الثلاثة هذه الرسالة (كان الدكتور أزكوى يرى أن سوء الأدب هذا غير مقصود، الأمر الذى جعله يقبل الرسالة، وبالتالى أجرى محادثات "مثمرة" على وجبة الغداء، وقام المعلم أبو بكر، هو ورؤساء الوزارات ومعهم الدكتور إنديلى Endeley بزيارة رئيس الوزراء السيد/ ماكميلان، فى قصر رئيس الوزراء فى ١٠ داونج ستريت. كان أبو بكر قد تحدث إلى المؤتمر الذى استمر مدة يومين برئاسة اللورد ألترنشام Altrincham، عن "الكمنولث متعدد الأجناس" فى أشبى دى - لا - زوش Ashby - de - la - zouche، وقد عقد هذا المؤتمر مشاركة بين مجلس الكمنولث والمركز السياسى للمحافظين، كان رئيس مجلس إدارة ذلك المركز طالبًا نيجيريًا من كلية ليسستر Leicester. كرر أبو بكر إيمانه بأن الكمنولث، الذى يضم حوالى ربع الجنس البشرى، هو بمثابة عصبة الأمم الوحيدة التى نجحت بحق وحقيقة، وأشار الرجل أيضًا إلى "عبقرية **الشعب البريطانى العجيبة .... [الذى] لم يرغب مطلقًا على العكس من** [روما الإمبريالية و] **الفرنسيين فى تحويل الكنديين أو الهنود أو الأفارقة إلى إنجليز لهم مقاعد فى مجلس العموم**". ويواصل الرجل كلامه على الرغم من "القوائم الخاصة" ليقول ذلك الذى كان جديدًا تمامًا فى العام ١٩٥٦:

> **"واقع الأمر أنه ليس هناك أى سبب منطقى يحول بين الموظفين المحترفين وبين عملهم تحت قيادة حكومة إفريقية بعد الاستقلال، وبعد سحب القوات البريطانية، وأن يكون ذلك العمل مشروطًا،**

بطبيعة الحال، بتأمين الآمال المرتقبة لهؤلاء العاملين تأمينًا مناسبًا. فى الماضى كان يجرى التسليم تمامًا بأن منح الاستقلال يتضمن تلقائيًا السحب الفورى والكامل للخدمة المدنية البريطانية فيما وراء البحار. وهذا ليس من المنطق أو الحكمة فى شىء .... وإذا كانت نيجيريا تستطيع توفير العناصر البشرية اللازمة لقلة قليلة من المناصب الرئيسية مثل لندن أو واشنطون، فإنها سوف يتعين عليها الاعتماد على البريطانيين أو على عضو آخر من أعضاء مجلس الكمنولث فى تمثيل مصالحها فى أجزاء كثيرة من العالم .... [وسوف يكون ذلك] متفقًا بصورة أكبر من الزمن الحالى بدلاً من القومية المتطرفة التى سادت القرن التاسع عشر .... وما نفعله نحن الآن لمصلحتنا، ربما سيكون نموذجًا جديداً لتطور الكمنولث فى القارة الإفريقية."

كان الرجل يتطلع من وراء ربط المساعدة فى الدفاع بالمظلات الدبلوماسية إلى إرساء مبدأ الخدمة المدنية متعددة الأعراق فى مكتب علاقات الكمنولث، وذلك عن طريق إلحاق الموظفين وتبادلهم بين المناطق الإفريقية والمناطق الأخرى البيضاء، والسمراء، والسوداء وجزر الكمنولث وأن يكون ذلك الإلحاق والتبادل بين إدارة وأخرى. وقد لقى هذا الخطاب اهتمامًا كبيرًا بين البريطانيين الملتزمين بتطور الكمنولث، لكن هذا الخطاب لم يحظ بالاهتمام نفسه بين الأغلبيات السياسية والبيروقراطية والصحفية. وبعد فترة قصيرة من إلقاء هذا الخطاب، قال السيد/ ماكميلان فى واحدة من خطبه، التى لا يجرى الاقتباس عنها، كثيراً منذ ذلك التاريخ، ما مفاده أن "السواد الأعظم من شعبنا لم يستحسن ذلك مطلقًا ..... ونحن إذا لم نتمكن من وقف التضخم والسيطرة عليه، فإن الرواج والازدهار الذى حققته بريطانيا بعد الحرب قد يصبح هشًا على النحو الذى لا يكفل له الدوام والاستمرار. وإذا ما حدث ذلك، سنعود من جديد إلى كابوس

البطالة المؤرق .... إن الغالبية العظمى من أهل بلادنا استطاعوا التخلص من الآثار المترتبة على ارتفاع الأسعار. لكنهم لن يستطيعوا التخلص من ذلك إلى الأبد".

فى رد أبى بكر تافاوا باليوا من غرفة نومه فى سينت جيمس كورت، على الرسالة الافتراضية الخاصة التى وصلته من مكتب المجلس التنفيذى فى كادونا عن استقطاب الراديكاليين فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ومعهم الموظفون المدنيون المحايدون من مختلف المستويات نجده يقول: **"لقد انتهى المؤتمر الآن. أولاً، أنت صديق شخصى لى وأنا آخذ ما تقدمه لى من نصائح على أنها أمر شخصى صرف، وأنا لا أعلن مطلقًا عن نصائح أصدقائى. وسواء أصبنا أم أخطأنا فقد اتخذنا ما اتخذناه من قرارات، لكنى أود أن أقول لك شيئًا واحدًا. أهلك (الأسكتلنديون) بصفة خاصة عملوا كل ما فى وسعهم وعانوا الكثير من أجل تأسيس الإمبراطورية وأنا أتوقع منك بصفتك أسكتلنديًا وشابًا أيضًا النظر إلى الموقف الجديد من منطلق أنه تحدٍّ لك. لقد أثرت نقاطًا كثيرة فى رسالتك وأنا آمل الرد عليها عندما ألقاك فى كادونا ... لك منى أطيب تمنياتى. صديقك [إلخ] ملاحظة مهمة: "أرجو أن تسامحنى لرداءة الخط فأنا مشغول بشكل فظيع"**. بعد ذلك بشهر واحد جاءت أزمة الجنيه الإنجليزى بمثابة إنذار ببداية فترة الركود الاقتصادى البريطانى التى دامت ثلاثة عقود من ناحية، وضيا ع نفوذ بريطانيا العالمى من ناحية أخرى، لكن أصدقاء بريطانيا (هم وأولئك الذين أساءوا تمثيل ماكميلان) لم يدركوا أو يفهموا أن الفقّاعة قد انفجرت بالفعل. وفى اليوم السابع والعشرين من شهر يونيو طار أبو بكر عائدًا إلى بلاده على الطائرة نفسها التى عاد شارود - سميث على متنها، وبدأ الرجل يستعد لأداء فريضة الحج.

الفصل الرابع والعشرون

أبو بكر يؤدى فريضة الحج: إعادة تقييم مقارنة

ينبغى علينا تمرير هذا الشىء - بواسطة ابن أمير فوق ظهر حمار(*)

أداء فريضة الحج السنوية، طبقًا لما قام به مستشار سكتو السياسى، ثم دعم هذه الفريضة بالقيام بما يسمى العمرة خلال وقت آخر من العام، جرى تناوله فى الفصل الثانى والعشرين طبقًا للرواية الواردة عنه على لسان أحد المسئولين البريطانيين. وهنا يتعين الامتناع عن أى تفسير مسيحى لمعتقدات المسلم المتدين ومواقفه، ولكن ليس هناك شك فى أن أبا بكر كان له رأى العالم فى هذه الفريضة وليس رأس المتزمت أو المتحمس. ومع ذلك كان رأى أبى بكر قائمًا على الإيمان الراسخ بالعقيدة، ويبدو أن معرفة الرجل بالكتاب المقدس (القرآن الكريم) كانت أكبر بكثير من معرفة كثيرين من المتعلمين فى الشمال، لكن الرجل لم يبادر تحت أى ظرف بتحدى تعاليم القاضى أو الإمام. كان كل من شاهد أو صادف أبا بكر أثناء صمته، أو حين يكون منكبًا على كتبه، يحدث لديه انطباع عن شخص قد يتحول إلى واحد من المتصوفة، ومع ذلك لم يحدث مطلقًا أن خسر الرجل جانبه العملى. كان أبو بكر يعرف

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا ومعناه الدلالى هو: أن العظيم بحق يمكن أن يستغنى عن العظمة والأبهة. (المترجم)

أن من الواجب عليه القيام بفريضة الحج إلى مكة مرة واحد فى العمر - وأن يكون ذلك الحج بالبحر أو بالبر، لأن التعاليم الدينية لا خلاف فيها حول هذا الأمر.

وأصبحت الطائرة بديلاً لم يكن موجوداً قبل خمسينيات القرن العشرين. أصحاب العقول الساذجة يرون أن أداء فريضة الحج يستلزم الاختبار البدنى القاسى. يضاف إلى ذلك أن وعى الأعداد الكبيرة من أهل الشمال فى الماضى الذين وجدوا أنفسهم، مثل الشيخ عمر، محاصرين ومحجوزين فى السودان وفى المناطق الأخرى، وهم فى طريق ذهابهم إلى الجزيرة العربية أو عند عودتهم منها، كان لا يزال مذكراً لهؤلاء الناس بتلك المصاعب وهذا الذهن البسيط، مثل ذهن موسى Musa بن ماطورى Mato-ri، ذلك التاجر الباوتشى البارز الأمى ومالك سيارات النقل فى منتصف خمسينيات القرن العشرين، جعل الرجل يظن فى ذلك الوقت أن الصراع على جمع الثروة اللازمة للسفر بطريق الجو فضلاً عن أتعاب الوكلاء يعد بديلاً مقبولاً، ولم يكن هناك من يعترض أو يختلف مع ذلك. كان أبو بكر يعلم أنه ليس من الشرع الاقتراض، أو قبول الهدايا، أو الشحاتة، من أجل أداء الفريضة – وبعد ست سنوات من الادخار الواعى، استطاع وزير النقل تمويل رحلة الحج، لكن على الرغم من أن هذه الفريضة مفروضة أيضاً على النساء مثل الرجل تماماً، فإن الرجل لم يصحب معه زوجته عند قيامه بأداء هذه الفريضة. كان ذلك الحج، وليست الإجازة الحقيقية، التى أوصى بها شارود - سميث هو كل ما يحتاج إليه بدن هذا الرجل وروحه.

كانت حكومة الشمال الإقليمية فى ذلك الوقت قد أنشأت مكاتب اتصال لها على طريق الحج، وكانت الأحوال قد بدأت تتحسن بالنسبة لجماهير الحجاج. يزاد على ذلك، وهو الأهم أن الحجاج كانوا يتمتعون ببعض المزايا من قبل السلطات السعودية. كان هناك على سبيل المثال وفد يضم أدجوك Adegoke أديولا Oduola أكاندى Akande أديلابو Adelabu وهو من إيبادان وقد استنكر منذ زمن طويل مسألة تسميته باسم جوزيف. كان أمين الحج فى الحزب الشمالى هو الحاج أبو بكر محمود جومى. سافر

المعلم أبو بكر بصحبة الحاج عيسى كيتا شخصيًا، الذى كان رئيسًا لبعثة الحج فى العام ١٩٥٥ الميلادى، وهى المرة الأولى التى سافر فيها المستشار السياسى الرئيسى أحمد بللو لأداء فريضة الحج، وبقى عيسى كيتا إلى جوار الرجل طوال أداء أركان الحج عندما وصلا إلى الحرم المكى الشريف. وارتديا سويًا الرداءين الأبيضين البسيطين (أو إن شئت فقل ملابس الإحرام)، بعد أن حلقا رأسيهما وكشفاهما، وبعد أن تخلصا من كل مظاهر الزينة والعطور، وطاف الرجلان حول الكعبة سبعة أشواط، وهرولا بين الصفا والمروة، وكانا فى خيمة واحدة فى عرفات. البعض، من أمثال المستشار السياسى الرئيسى، صعدوا الجبل لأداء الصلاة، أما الآخرون الذين لا يقلون عنهم تقوى، بما فيهم الحاج عيسى والمعلم أبو بكر، الذى كانت كتبه التى أخذها معه لأداء الفريضة مكتوبة كلها باللغة العربية، فقد أدوا الصلاة فى الخيمة التى وصلت درجة الحرارة فيها إلى تسع وثلاثين درجة مئوية. كانت الكتب التى اصطحبها أبو بكر معه، مكتوبة باللغة العربية وتحتوى على دعاء بأن يميته الله (سبحانه وتعالى) وحواسه كلها سلمية. ونحروا الخراف أو الإبل فى منى عند عودتهم إلى مكة، وقبّلوا أيضًا الحجر الأسود فى جدار الكعبة، ورموا الجمار فى منى، مثلما فعل النبى (ﷺ). وأصبحوا أحرارًا بعد زيارة المدينة فى العودة إلى عاداتهم الطبيعية، وطبقًا للشرع القديم أصبح يجوز لهم الصيد، وممارسة العلاقات الجنسية مع زوجاتهم.

عندئذ يصبح المعلم أبو بكر حاجًا. لم يؤد أبو بكر فريضة الحج بعد ذلك مطلقًا، ولم يبد أن الحاج أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، حاول إقناع الرجل بالانضمام إلى ما أصبح يعرف باسم مظاهر التقدم الحقيقية فى ولايته، وذلك عندما وافق الأمراء والوزراء والأعيان على اختلاف أنواعهم، على مرافقة الحاج أحمد بللو فى أداء فريضة الحج. وكتاب "سيرتى الذاتية"، الذى هو من تأليف أحمد بللو، يشير إلى أن الحاج يجنى المزيد من الحسنات والثواب فى الحياة الآخرة عندما يقوم بأداء فريضة الحج أكثر من مرة. وهناك إجماع عام مفاده أن التأثير العاطفى والروحى

والطقوس لقيام أبى بكر بأداء فريضة الحج للمرة الأولى غيرت شخصية المستشار السياسى الرئيسى تغيراً كاملاً، وأن العاقبة هى التى جعلته يحس المزيد من احتياجه نفسيًا إلى تجديد ذلك الوحى والإلهام، إن لم يكن هذا الإدمان، كل عام فى إطار بيئة ملكية فاخرة، وربما كانت تلك الحاجة نابعة من التوكيد الدينى من ناحية وتأكيد مكانته كرجل متدين على المستوى العالمى من الناحية الثانية. يزاد على ذلك أن الرجل كانت فيه أيضًا نقاط ضعفه الإنسانية التى يجب التغلب عليها بالإيمان بصورة مستمرة. كان الحاج أبو بكر أيضًا بهذه التجربة الروحية وذلك التسامى، لكنه رأى أن حجة واحدة كافية لتحقيق مهمته وتقويتها فى هذه الحياة. كان الرجل قانعًا برؤية الناس له على أنه مسلم حقيقى، ولم يهتم مطلقًا بإظهار نفسه بأنه أفضل من أى مؤمن آخر، سواء أكان ذلك المؤمن متواضعًا أم متباهيًا. لم تكن اللحية المخفيَّة بالحناء من نصيب أبى بكر، على الرغم من أن الرجل كان يضع على رأسه، فى المناسبات شديدة الأهمية، غترة غربية جىء له بها من مدينة جدة (كان الرجل أكثر حساسية من الكثيرين لمشاعر الجمع بين الضدين عند أصدقائه البريطانيين وذلك فيما يتعلق بأزيائهم المدنية وأزيائهم المسائية الرسمية).

عندما عاد أبو بكر إلى نيجيريا أتيحت له فرصة إعادة حساباته مرة أخرى. كان منزل الرجل فى باوتشى لا يزال مبنيًا من اللَّبن، ومن ضمنه أيضًا ذلك الكوخ الريفى الصغير الذى كان يلجأ إليه عندما يكون فى مزرعته. وقام المعاونون عن طيب خاطر، من إدارة الأشغال الفيدرالية بعمل بعض الرسوم، فى وقت فراغهم، المنزل له واجهة من الأسمنت خالية من الأُبهة والعظمة، على قطعة من الأرض قدمها أمير البلدة هو ورئيس الحى، قدرت التكاليف بحوالى ٦٠٠٠ جنيه إنجليزى. وهنا طلب أبو بكر من ميخائيل فارفل Varvill أن يرشده إلى الطريقة التى يمكنه بها حساب كل ممتلكاته وديونه إذا ما مات فى تلك الليلة، لم يكن على الرجل ديون غير مقدم ثمن السيارة. وجاءت النتيجة النهائية أن الرجل يساوى ٢٠٠٠ جنيه إنجليزى، وكان ذلك هو المبلغ الذى حدده هو

ويرخص به لأعمال البناء. وهنا جرى تشجيع الرجل على الذهاب إلى بنك باركليز ليطلب منه قرضًا، وعلى الرغم من أن قلة قليلة من الوزراء لم تكن، فى ذلك الوقت، مثقلة بمقدمات وقروض تزيد على ٦٠٠٠ جنيه إنجليزى، وعلى الرغم من أن البنك لم يكن ليرفض إعطاءه مبلغًا أكبر، فإن أبا بكر لم يطلب سوى ٢٠٠٠ جنيه ولم يستلم إلا هذا المبلغ. وبقى منزله القديم فى باوتشى بمثابة مقر لأمه الحبيبة. فى ذلك الوقت، كان السواد الأعظم من الوزراء، وبعض السياسيين الآخرين من أعالى البلاد، قد بدأوا الاستثمار فى قطع الأراضى والمنازل الخاصة فى ليجوس، أما الحاج أبو بكر فلم يكن لديه شىء أخر غير مسكنه الرسمى فى العاصمة.

كانت المسألة لا تعدو أن تكون مجرد خيبة أمل اسمية أو بالأحرى شكلية، عندما وافق على إغلاق وصلة سكك جديد "باوتشى الخفيفة" الواصلة بين زاريا وجوس Jos، التى توقفت عن سداد ديونها وخدمة أغراضها، وبخاصة عندما بدأ استخدام الخط الرئيسى والطرق البرية فى نقل البضائع بكل أنواعها. وكان قد جرت أيضًا الموافقة بصفة نهائية على امتداد الخط الجديد الرئيسى من جنوب جوس إلى تافاوا باليوا، ومنها إلى باوتشى، جومب، وميدوجورى، وجرى أيضًا تعيين جيرالد سميرهيز Summerhayes، الضابط الإدارى فى باوتشى، والذى كان ذائع الصيت فى محل ميلاد الحاج أبى بكر، جرى تعيينه للإشراف على الحصول على الأرض المطلوبة وتسويتها طوال فترة مد الخط الحديدى، وقد جرى وضع التخطيط كله، والإنشاء كله أيضًا، بين يدى المهندس هيج Hugh ألكسندر Alexander نائب رئيس الهيئة. وفى بعض الأماكن الأخرى وتحت قيادة الوزارة، كان ريتشارد كينسمان Kinsman، سكرتير أبى بكر الخاص، قد تولى منذ زيارة هولنده جدول الموانئ والمرافئ من السكرتيرة المساعدة التى قامت بإجازة (كانت النساء العاملات فى الإدارة قليلات إلى سنوات قليلة ماضية، لكنهن كان يندر وضعهن فى مناصب فى الأحياء أو المحليات). كان ذلك العمل ينطوى على مفاوضات مع السيد/ باتريك أوسوبا Osoba الذى كان مهتمًا بإنشاء خط ملاحى

نيجيرى يربط بين موانئ البلاد الساحلية. ويوافق الوزير فى نهاية المطاف، ودون اقتناع على الضغوط الجنوبية حول دراسة للجدوى، وعليه سمح الوزير لكنسمان Kinsman بالقيام بتقديم النصح والإرشاد لبرسفال Percival مستشار الشركة الملاحية لشمال إنجلترا، حول إنشاء خط ملاحى يمتد من سابيل Sapele إلى بوروتو Burutu، ورى Warri، أونيتشا Onitsha، بورت هاركورت، كلبار، فيكتوريا، وتيكو، كان الحاج أبو بكر تافاوا باليوا أكثر حزمًا فى مساندته المطلقة للمدعو جى إى بى هول J E B Hall، الذى كان يحل فى ذلك الوقت محل دوف Dove المريض، فى كرسى رئاسة هيئة الموانئ؛ لم تكن هناك سيطرة مالية كافية، وكان هناك أيضًا إسراف فى الإنشاء فى بعض الوحدات، وكان العلاج الذى أقره أبو بكر لتلك النقائص بدأ يخيب آمال بعضًا من كبار الموظفين الأوروبيين. كان أبو بكر سعيدًا بالنجاح الذى حققته وكالة السواحل الحكومية، التى أنشأتها وزارته على أنقاض السكرتارية القديمة، مستهدفة بذلك إدارة تحركات الأفراد والمعدات الداخلة والخارجة من موانئ البلاد.

فى شهر يوليو عُقد اجتماعٌ استمر يومًا واحدًا كاملاً لمناقشة التهديد القادم من جانب فرع الرابطة الطبية البريطانية فى نيجيريا، والذى ينذر بسحب الخدمات كلها فيما عدا الخدمات الخيرية، إذا لم يتم إنشاء مجلس مؤقت وفى غضون أسبوع للنظر فى مسألة إدخال هيكل وظيفى صحى. تحدث كل من جرى Grey، وأبى بكر، ومبادوى، واشوكو، السير كوفو أبيومى Abayomi ومعهم ممثلوا الرابطة الطبية البريطانية (الدكتور ماجيكودونمى Majekodunmi بوصفه سكرتيرًا للرابطة) تحدثوا عن مساهمات الحكومة والمستخدمين والمستفيدين، وتحدثوا أيضًا عن منع الممارسات الخاصة فى مؤسسات الخدمة، كما تحدثوا أيضًا عن السماح للمستشارين أن يكسبوا أتعابًا فى وقت فراغهم فقط. واتفق المجتمعون من حيث المبدأ على مجلس مرتبط بإدارة المؤسسات الصحية فى ليجوس فى المقام الأول، وتركوا للحكومة مسألة تحديد التفاصيل. وبذلك جرى إلغاء إضراب الأطباء.

فيما عدا ذلك، كانت تلك الفترة تعد استعداداً للتقدم الدستورى. ووقعت الملكة أمر منح الحكم الذاتى الداخلى للإقليمين الشرقى والغربى فى جلسة خاصة عقدت بطريقة استثنائية فى جودود Goodwood ريسز Races وذلك من باب الوفاء بالتعهد بعد التأخر إلى ما بعد الوقت الذى يحتاجه المخططون للانتهاء من الأدوات النهائية. وهنا قام السيد/ كنجسلى Kingsley مبادوى Mbadiwe بإبلاغ سكرتير حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، كولا Kola بالوجُن Balogun، هو والحاج أبى بكر تافاوا باليوا أنه لمصلحة القوة والوحدة فى سبيل الاستقلال فإنه يتعين على واحد من الاثنين فى ليجوس، أن يخفّض من أنانيته، وأن كنجسلى مبادوى، هو الذى بيده المفتاح لكنه سلم القيادة الفيدرالية للشمالى.

توقف لارى Larry أرمسترونج Armstrong، سكرتير الحاج أبى بكر الأول، عن عمله فيدراليًا للأشغال العامة بعد ترقيته مديراً لسيراليون Sierra Leone، فقدان الأصدقاء بهذه الطريقة جاء محبطًا أكثر للرجل من الرحيل بسبب التقاعد. كان هناك تقاعد آخر على وشك الحدوث، ولعل القارئ يتذكر من الفصل العشرين ذلك المشروع السياسى قصير النظر الذى كان يهدف إلى إعادة أبى بكر إلى الشمال بغية "التعامل" مع شارود – سميث، فى ذلك الوقت قام المعلم بللو Bello كانو Kano، أمير زاريا هو وواحد آخر من الرؤساء برجاء زوجة الحاكم كى تقنع شارود ـ سميث بالبقاء فى منصبه، من منطلق أنه هو الموظف البريطانى الوحيد القادر على "التعامل" مع المستشار السياسى الرئيسى: "ما الذى يعنيه هذا الحكم الذاتى؟ نحن لا نريد هذا الحكم الذاتى .... ويجب عليك أن تبلغى زوجك بأننا نريده أن يبقى معنا، وسوف يطيع ما تقولينه له. نحن لا نعرف ذلك الذى يمكن أن يحدث بعد أن يتركنا". كان أبو بكر نفسه قد ألمح فى أدب أن بقاء شارود ـ سميث أمر مفضل على وجود شخص آخر غريب، خصوصاً فى فترة معالجة الاستقلال التى لم تنته بعد. والحقيقة الغريبة عن هذه الصور المتناقضة من المناورين المحتملين هى أنه بحلول العام ١٩٥٧ أصبح شارود –

سميث يعتمد بصورة أكبر على فطنة أبى بكر، عن المبادلات الخاصة التى كان المستشار السياسى الرئيسى يستبعد منها عن قصد، أكثر من اعتماد وزير النقل على المشورة التى كان أبو بكر يسعى إليها من حاكم الشمال. كان شارود ـ سميث يلزم الصمت فى حرج إزاء هذا الموضوع (الاستقلال). هذا يعنى أن الساعات لا يمكن إعادتها إلى الوراء، فى جيانا البريطانية على سبيل المثال، كان حزب الدكتور شدى Cheddi جاجان Jagan قد فاز فى الانتخابات وقام بتشكيل الحكومة، وفى شبة جزيرة الملايو كان الاستقلال على وشك الإعلان وأن يحل محله اتحاد فيدرالى بريطانى التصميم والصناعة، ولم يكن الشمال النيجيرى جزيرة فى وسط هذه التطورات.

فى الاتحاد الفيدرالى النيجيرى تعين على الحاكم العام فى ذلك الوقت تعيين عضو مجلس المندوبين (الممثلين) الذى يحتمل أن يكون قادراً على الحصول على الأغلبية فى المجلس، رئيساً للوزراء، على أن يقوم هو بدوره باختيار الوزراء، القادرين على شغل مناصبهم حسب تقديره وتمييزه هو. وهنا بدأ الخيار أمراً أقل وضوحاً عن ذى قبل منذ أشهر عدة. كان الحاج أبو بكر يتزعم أكبر الأحزاب فى المجلس، وكان الرجل يحظى باحترام كبير، ولم يكن أحد يكرهه، كان الوزراء الجنوبيون فى المجلس ينظرون إلى الرجل نظرة واضحة ويفهمونه تماما. ودون مفاجأة لأحد، قام السير جيمس روبرتسون بتعيين الحاج أبى بكر تافاوا باليوا رئيساً لوزراء الاتحاد النيجيرى الفيدرالى، وقبلت البلاد هذا التعين قبولاً حسناً حتى فى تلك المناطق التى كانت تظن إن إقليمها أهم من الحكومة المرتكزة على ليجوس، التى كانت تفتقر إلى بعض القوى المهمة. تردد أبو بكر فى تسليم وزارة النقل، لكنه اتفق مع ميخائيل فارفيل Varvill على أن الاحتفاظ بوزارة النقل ضمن حقيبة رئيس الوزراء سيكون مسألة مضنية، يترتب عليها تحديات كثيرة، مثل الخطأ غير المقصود عن الخدمة الخارجية الوليدة.

كان قد تقرر أن يكون يوم الثالث من سبتمبر من العام ١٩٥٧ يوم عطلة، وذلك بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لإعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا، حتى يصفق الشعب

لزعيم الأمة الجديد. بعد ذلك بأربعة أيام وقَّع السير جيمس شخصيًا على دعوى مطبوعة طباعة أنيقة وموجهة لكل موظف فيدرالى رسمى، كما ينضم إلى "القائمة الخاصة" بموظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية وأن يلزموا أنفسهم فى ظل ضمان عام، بخدمة نيجيريا المستقلة ما دامت الحاجة إليهم قائمة. يبدو أن الوطنيين الجنوبيين كانوا لا يزالون يستهزئون بالفكرة التى مفادها أن النيجيريين الذين لا يميلون إلى حث عملاء الدولة الاستعمارية على الانسحاب قد يكونون ورثة لهذه الدولة. وقد لاحظ المتشككون من بين هؤلاء الناس أنه على الرغم من أن مسئول النَّجرنة، ومستشار التدريب، وكذلك اللجنة الدائمة الخاصة بالتدريب حاولت كلها "تنسيق" مسألة المنح الدراسية عن طريق وزارات الخدمات الاجتماعية، وعن طريق قسم المنشآت الخاصة بالسكرتير العام، وعن طريق لجنة تعيينات السكرتيرين الخصوصيين، فإن أحدًا من أولئك المتشككين لم تكن له فى حقيقة الأمر سلطة فعلية أو حقيقية على هذه الهيئات.

انتهى القسم الأول من الكتاب برسم شخصية أبى بكر وهو على وشك البدء فى حياته العملية العامة. وقد يكون مفيدًا هنا أن نقارن شخصية الرجل بعد عشر سنوات، أى عندما كان عمره خمسة وأربعين عامًا، أى فى سن النضج، بشخصيات قلة قليلة من أنداده الكبار الذين قلنا الكثير عنهم فى الفصلين الثانى والثالث، والذين سيكونون من بين الشخصيات الكبيرة فى الجزء المتبقى من هذه الحكاية. ليس هناك ما يغير فى الفكرة التى مفادها أن النيجيريين فى أنحاء البلاد كلها أرادوا دومًا أن يكونوا فى الجانب الرابح، ولم تخطر ببالهم مناقشة أو التفكر فى نزعة البقاء طول الوقت على حال واحدة والتغاضى عن أخطاء الناجحين سواء أكانوا أُمراء، أم رؤساء، أم أساقفة، أو سائقى شاحنات، أو حتى من الملاكمين المحترفين. هذا الكتاب لا يهدف إلى تبيان الأسباب التى حالت بين أولئك الذين كانوا يتوقعون ويتطلعون إلى الأخذ بيد نيجيريا وإخراجها من الاستعمار، وبين أن يصبحوا رؤساء وزارات، لكننا قلنا الكثير الذى

يجعلنا نستنتج أسباب قوة كل من الدكتور آزكوى هو والرئيس أوو Awo فى إقليميهما فى ذلك الوقت، وذلك على العكس من منافسيهم الذين كانوا يتفاوضون على سلطة أقل أمنًا فى الآلة الفيدرالية.

كان الدكتور آزكوى البالغ من العمر ثلاثة وخمسين عامًا فى ذلك الوقت، قد وُلد فى الشمال وتعلم فى ليجوس وفى الولايات المتحدة الأمريكية. كان أزكوى أول خريج جامعى من الأجبو، الأمر الذى كفل له منصبًا لا يمكن أن يتحداه أى أحد آخر من الأجبو، كما أعطى ذلك أهله وناسه اعتدادًا بالنفس بين الشعوب الأخرى فى نيجيريا وبخاصة فى فترة ما قبل التنمية المتعلمة، وقد أدى ذلك إلى عدم إقبال الأجبو على التنازلات بأى حال من الأحوال. كان أزكوى منطلقًا فى العالم الغربى الخارجى الذى اشتهر فيه، فضلاً عن كونه مشاغبًا ومن رجال المصارف، وكان لا يزال يكتب فى الصحف، كما امتلك صحيفة أيضًا. وقد ترك أزكوى انطباعًا عميقًا وكبيرًا لدى نيكروما فى العام ١٩٣٩ الميلادى. وعلى امتداد ثلاثة عشر عامًا تزعم الرجل الحزب الوحيد الذى ادعى أنه صاحب الصولجان فى سائر أنحاء نيجيريا كلها، ذلك الحزب الذى أسسه هو بنفسه. يزاد على ذلك أن آزكوى كان أيضًا عضوًا فعالاً فى اتحاد كرة القدم الأمريكية، كما كان ملاكمًا أيضًا، ولاعبًا من ألعاب القوى، فضلاً عن كونه لاعبًا من لاعبى التنس، وكان من المشجعين المولعين بالرياضة. ولما كان آزكوى كريمًا ورجلاً اجتماعيًا متحمسًا، فقد كان ذلك يعينه على بث الحيوية فى أى اجتماع أو تجمع من التجمعات التى يحضرها. كان الرجل حريصًا ومؤدبًا فى المناقشات الخاصة. وبصفته رئيسًا لتحرير جريدة "بايلوت" Pilot فقد راح ينتقد ويلوم الهنات التى يقع فيها كبار المحررين وصغارهم. وتمنى أحد القراء الإنجليز لو أن شارلز ديكنز استطاع أن يجعل الرجل شخصية من شخصيات رواياته.

كانت فى شخصية آزكوى نقاط ضعف سياسية، وأهم نقاط الضعف هذه تمثلت فى نقطتين لم تكونا فى شخصية أبى بكر تافاوا باليوا، أولى هاتين النقطتين هى أنه

على الرغم من الذى كان يلقاه حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى فى بعض أجزاء الإقليم الغربى ومن حلفاء الحزب فى الشمال، فإن كل من هم ليسو من الأجبو كانوا ينظرون إلى ذلك الحزب باعتباره أجباويًا دمًا ولحمًا، وبحكم كونه هو نفسه من الأجبو وعلى الرغم من كفاحه لتقديم نفسه على أنه شخصية نيجيرية عامة (ناهيك عن الشخصية الإفريقية التى انتحلها نيكروما) فإن الناس كانوا ينظرون إليه باعتباره زعيمًا للأجبو. وقد تغلب الرجل على هذه العقبة فقط، على خلفية ليجوس المحدودة والمبهرجة، التى اعتبرها غربيون كثيرون جزءًا من إقليمهم ومصدرًا لزعامتهم السياسية الخاصة، وهنا نجد أزكوى يساند زعماءهم فى فترات سابقة من أمثال ماكولى Ma-caulay، آديمى Adeyemi ألاكيجا Alakija وجونز Jones ومؤسسى حركة الشباب النيجيرى، وصمويل آكنسانيا Akinsanya، هـ أو ديفيز Davies، وإيرنست Ernest إيكولى Ikoli والدكتور جى سى فون .Vaughnوالأجبو عندما يكونون خارج نطاق تجمعاتهم الأسرية الممتدة يكونون عبارة عن أناس ينحازون إلى الجانب الناجح، انتظارًا لأن يقوم الفائزون بتقسيم الثمار التى جنوها مع أهلهم وأقاربهم، وهم يتحزبون مع بعضهم البعض للحط من شأن أولئك المكروهين بسبب نجاحهم الكبير، أو الذين يُقَتِّرون فى الثمار التى جنوها من نجاحهم. هؤلاء الأجبو لا يهتمون بالحكومات مهما كان نوعها، وكان الدكتور أزكوى يُقيم موقفه على أساس معارضة السلطة الخارجية، وليس على برامج دقيقة ومحددة للتنفيذ. ومع ذلك تشاجر الرجل مرارًا مع حلفائه الأقوياء. وقد يكون من المهم تقييم أهمية الانقسام السياسى بين الرجال الذين اكتسبوا تعليمهم المتقدم على الطريقة الأمريكية – مثل الدكتور أزكوى، مبادوى، وأوجيكى Ojike – وأندادهم بل وربما منافسيهم الذين صقلوا أذهانهم فى الجامعات البريطانية – من أمثال إيو Eyo إيتا Ita، نجوكو Njoku، آركبو Arikpo ونوابا Nwapa. وقد انعكس ذلك الانقسام الثقافى على الأسماء والألقاب الطائشة التى أطلقها هؤلاء البشر على أنفسم مثل لقب "الماء الفضى" Silverwater الذى أطلقه على نفسه الدكتور

أزكوى المتيم بشرب الجن gin، ولقب "الماء الذهبى" Goldwater الذى أطلقه على نفسه نوابا Nwapa المتيم بشرب الويسكى.

نقطة الضعف الثانية، وليس من السهل تحديد أسبابها وما ترتب عليها، تتمثل فى أن أزكوى لم يثق بالبريطانيين بشكل عام، وهم أيضًا كانوا لا يثقون به تمامًا. كان أزكوى ديمقراطيًا عجولاً، أغمض عينيه عن أى تبصر من تبصرات الفوضى الحقيقية، على الرغم من أن خبرته وتعليمه جعلاه يتوقع، أو بالأحرى يرحب، بالصراع الشفاهى، هذا الرجل كان كلما حاول توقع ذلك الصراع أو بالأحرى تحاشيه فإن المظهر يتحول فى سهولة ويسر إلى شكل من أشكال الروغان الضار الذى لا ينفع. لم يكن أزكوى يرى أن التعاون الصبور المتأنى يمكن أن يكون بمثابة الطريق إلى الحرية، أو الوحدة الوطنية. يزاد على ذلك، أن قوة شخصية الرجل، التى جعلته يسترخى ويضحك، لم تكن سببًا كافيًا تمامًا حتى يجعل الشمال يتبعه ويمشى وراءه. لقد أحس الشمال أن مصلحته فى الوحدة الوطنية سوف تعتمد دومًا على كونه هو الزعيم الوطنى (وهو بذلك يكون قد أعاد إلى ذاكرة الشماليين رؤية نيكروما الشخصية لحركة الجامعة الإفريقية). كان أزكوى هو والحاج أبو بكر تافاوا باليوا لا يحبان بعضهما فى واقع الأمر، وعليه لم يكونا يثقان ببعضهما البعض، كانت كلمة أبى بكر "الصَّقيل" المبهمة بمثابة الكنية التى أُطلقت عليه، وتشكك أبو بكر أيضًا فى دخول الرجل فى سباق وهمى مع كل من نيكروما وسيكو تورى حول من سيكون منهم أول رئيس لدولة وحدوية سوداء، ذلك الطموح الذى بدا غير لائق.

وإذا ما نظرنا إلى الدكتور أزكوى من الناحية الإدارية نجد أنه كان ضعيفًا، وبطيئًا فى اتخاذ القرار، وعلى استعداد دومًا لتغيير رأيه، ونقض ما استقر عليه الرأى الأخير، كان موظفوه المدنيون على استعداد دومًا بل ويتوقعون أوامر عكسية حتى وإن كانت هناك تعليمات محددة وأوامر محددة فى اللحظة الأخيرة. يزاد على ذلك أن أفكار هذا الرجل كانت فخمة، كما كانت خططه المتعلقة بالحملات غامضة. كان الصحفيون

البريطانيون ينظرون إلى الرجل، على الرغم من ذلك، باعتباره ذكيًا ومتيمًا باللف والدوران فى الحياة العامة، وباعتباره أيضًا من أولئك الذين يرون النجاح فى السياسة هو بمثابة قمة النجاحات الدنيوية، وأنه ربما يكون يحذو حذو هارولد ويلسون. ومع ذلك، ومن منطلق أن آزكوى كان أول زعيم من زعماء البلاد المحدثين، الذين تعين على الآخرين ربط أنفسهم بهم، ومن منطلق ذيوع شهرة هذا الرجل يوم أن كان أولئك الزعماء المحدثين لا يزالون تلاميذ فى المدارس، فقد أصبح الرجل فى نهاية المطاف شخصية رمزية تحظى بالقبول فى الغرب وفى الشمال. لو كان هذا الرجل واثقًا بنفسه بصفته نيجيريًا وليس بطلاً للأجباويين Igbos، لراجت وتحققت أفضل سماته على نحو يفيد مصالح بلاده.

كان الرئيس أوبافيمى Obafemi آولوو Awolowo، زعيم اليوروبا فى الجنوب، وهو فى سن الثامنة والأربعين على درجة عالية من المرونة وصاحب هالة توحى بالقوة، على الرغم من رأى أرستقراطين الغرب الذى مفاده أن الرجل ينحدر من وثنيين لا قيمة لهم. وأوبا فيمى شأنه شأن الدكتور آزكوى كان قادرًا عن طريق الحضور من ناحية والخطط من ناحية أخرى، على التحديات الحزبية الداخلية التى كانت تطرأ بين الحين والآخر وتهدف إلى تحدى سلطة هذا الرجل، لكن مظهر الرجل كان يبدو أكثر رزانة ووقارًا. كان أوبافيمى، على العكس من الدكتور آزكوى متيمًا بالخطط المفضلة، وصادق العزم، ولا يعرف الانحراف. كان جاذبًا للمفكرين، الذين كان البعض منهم، لديهم القدرة على مخاطبة قطاع عريض من البشر، والذين يستطيعون عن طريق تفسير ما يقوله أولوو وشرحه، أن يضعوا له الصفات والسمات الشعبية التى يفتقر إليها. لم يجد أوبافيمى الصحبة الخيِّرة إلا عند أصدقاء شبابه، فى حين لم يجد الرجل عطية مطلقًا فى رفاق السياسة الذين التقاهم هذا الرجل فيما بعد. واقع الأمر أن تقلب هذا الرجل هو الذى أخر نضجه المنطقى فترة أكثر من اللازم. يزاد على ذلك أن أوبافيمى كان من

المنهجيين(*) الذين لا يشربون أو يدخنون، وكان يتوه بين الانبساطيين أو بالأحرى فى الاحتفالات الاجتماعية الصاخبة، تطهرية Puritanism هذا الرجل هى التى جعلته يرفض تقديم مُراقصة أحد وزرائه، وهى متدينة جادة تحمل شهادة دولية فى التعليم الابتدائى، إلى الملكة نظراً لأن هذه السيدة لم تكن متزوجة من جنتلمان. هذا يعنى أن هذا الرجل كان بحاجة إلى روائى مثل هنرى جيمس كى يقوم بتصوير تعقيدات شخصية هذا الرجل فى رواية من رواياته المقنعة.

كان الرئيس أوبافيمى قد أسس أيضاً الحزب السياسى الذى يتزعمه، لكن الخلافات كانت تتمثل فى أن الرجل إلى ما بعد تدعيم الأساس اليوروباوى للحزب كان على استعداد من ناحية إلى التخلى عن التوسع النيجيرى للحزب إلى فترة لاحقة، وأنه من الناحية الأخرى بنى حزبه من قِمته إلى قاعدته على استغلال مخاوف الرؤساء اليوروباويين من الدكتور أزكوى. ولما كان الرئيس أوبافيمى يعلم أن تشرشل Obas استمر فى الفشل إلى أن بلغ السادسة والستين من عمره، فلم يكن على استعداد مطلقًا للتخلى عن مطامحه فى الظهور بمظهر زعيم بلاده الوطنى بلا منازع. يزاد على ذلك أن أوبافيمى بصفته مخططاً إدارياً ومنظِّراً فضلاً عن كونه دهماوياً انتهازياً، كان أيضاً محامياً من محاميى المحاكم العليا، وكان ينظر إلى المجتمع فى إطار الدولة، كما كان يرى المشروع الفردى من خلال ارتباطه بالمجموعة الحاكمة. لم يكن الحاج أبو بكر مقيداً مطلقًا بالفكرة التى مفادها أن الحكومة بوسعها، أو ينبغى عليها السيطرة على الحياة والسيطرة أيضاً على الإنتاج فضلاً عن قيامها بتوفير التسهيلات والموارد غير المتوفرة طبيعياً لعامة الناس. كان أبو بكر قد تعرف على الرئيس أوبافيمى أولوو منذ أيام الدراسة فى لندن (التى نمت وتطورت فيها كراهية ذلك الرجل لعدد كبير من

(*) المنهجى: أحد أتباع الحركة الدينية الإصلاحية التى قادها فى أكسفورد (عام ١٩٢٧) تشارلز وجون ويزلى محاولين فيها إحياء كنيسة إنجلترا. (المترجم)

الأوروبيين)، وأصبح يضيق به ذرعًا على المستوى الشخصى. لم يسع أبو بكر مطلقًا إلى إيجاد علاقة متبادلة مع ذلك الرجل، مثل العلاقة (الحذرة جدًا) التى سبق أن أقامها أبو بكر مع أكنتولا Akintola، نظرًا لأنهما لم يسبق لهما الخدمة سويًا فى مكاتب هذه الوزارة، كانت قدرات أبى بكر، التى كان الرجل يوظفها على مر السنين، من أجل تحقيق التقارب مع أولوو تصاب بالإحباط والفشل بسبب علم أبى بكر المسبق بأن أى حوار جاد سيجرى بينهما سوف يتسرب إلى جريدة الديلى Daily سرفيس Service أو جرائد حزب جماعة العمل الأخرى.

وأبو بكر يوافق ويقر بأن أوبافيمى لم يكن متسرعًا مثل الدكتور أزكوى، هذا يعنى أن كل عام يمر كان يزيد من ثروة البلاد، ويؤدى أيضًا إلى نضج التمر على النخيل ليكون فى انتظار القطف والجنى. لم يحدث أن كره أولوو أبا بكر مطلقًا، على الرغم من نظرته إليه باعتباره شخصية "ضعيفة"، هذا يعنى أن رئيس الوزراء المنتظر كان يعد واحدة من العقبات التى تقف فى طريق توليه لهذا المنصب، وذلك على الرغم من وجود ما يسمى بفكرة الصفوة التى ينبغى أخذها بعين الاعتبار، فكرة المحامى خريج الجامعة والصحفى أيضًا على جانب والمدرس المؤهل على الجانب الآخر، كان أبو بكر تافاوا باليوا يعرف أن أوو يود تقسيم الشمال وأنه يفضل اللجوء إلى القانون لتحقيق هذا الهدف، كلما أمكن ذلك، وفى الأماكن التى كانت بحاجة إلى التسلل، كان أبو بكر على قناعة بأن مساعدة أولوو لحركات الحزام الأوسط، المؤسَّسة على نوايا حزب جماعة العمل الهادفة إلى افتراس بلدة إيلورن Ilorin، ستكون هى الإدارة التى سوف يستعملها أوو لتحقيق هذا الهدف. لم يكن الرجل يتوقع مطلقًا قيام الثورة.

لم يحدث مطلقًا أن خلَّص حزب جماعة العمل نفسه من شبهة الجمعية السرية، والسبب فى ذلك أن المراقبين السطحيين للأساليب التقليدية كان يغلب عليهم إساءة الظن باليوروبا بأنهم يديرون المؤامرات المبهمة، وأن هذا الظن كان يلقى بظلاله على أراء زعيم اليوروبا. يزاد على ذلك أن أوو لم يكن ذائع الصيت فى الشمال المسلم،

فضلاً عن أن هذا الرجل كان شهيراً فى المناطق المعروف فيها بأنه زعيم اليوروبا، الأمر الذى كان يشكل له عقبة من عقبات الدكتور أزكوى، وذلك على الرغم من أن السواد الأعظم من اليوروبا لم يكونوا ميالين إلى النظام الهرمى والرؤساء الأقوياء. يزاد على ذلك أن المساوى أو المعادل البريطانى يمكن أن يكون مفكراً بريطانياً متزمتاً أودى فشله إلى حب الاستحواذ والتملك والاستبطان(*) وعدم التسامح؛ أى أنه تحول إلى كرمويل Cromwell محتمل، وربما كان ذلك من باب تحاشى أن يصبح قدوة للآخرين. كان الرئيس أوو يعرف كيف يخطب ود زملائه فى الجماعة، الذين كان لهم تأثير كبير على الطلبة. لم يحدث مطلقاً أن كان أوو مقبولاً من الشرق أو الغرب النيجيريين باعتباره شخصية رئيسة، ولم يوافق الرجل مطلقاً على أن يكون ضيعة من الضِّياع. لم يكن معروفاً إلا من قلة قليلة، نظراً لأن أغلبية الناس لم يصدقوا ذلك، أن الرئيس أوو كان يكن احتقاراً خبيئاً لرئيس وزراء الشمال. يزاد على ذلك أن كثيراً من الشماليين لم يستسيغوا سلالة الإيجبوس Ijebus الذين ينحدر منهم هذا الرئيس أولوو، وكان الناس ينظرون إلى هذه السلالة على أنها شكلت فى القرن التاسع عشر حاجزاً أمام استيراد الأسلحة الحديثة التى كان يمكن أن تساعد أقاربهم اليوروباويين فى الشمال على استعادة إيلورن Ilorin هى والأراضى الأخرى من إمبراطورية الأويو Oyo القديمة. أضف إلى ذلك أن المساعدات التى كانت تنهال على أولوو من المناطق الغربية لم تكن أمراً مضموناً فى كل الأوقات.

كان الدكتور أزكوى كارهاً للرئيس أولوو ولم يكن يمانع فى فعل أى شىء يمكن أن يحرمه من السلطة. لم يكن أوو بدوره يثق بأبى بكر، لا بصفته رجلاً وإنما لكونه سياسياً، وكان ينظر إلى الرجل من منطلق أنه مخادعٌ غير المعى لحساب حزبه، كما كان يعده حجر عثرة على طريق وصوله إلى السلطة. كان الدكتور أزكوى ديبلوماسياً

(*) الاستبطان: هو فحص المرء أفكاره ودوافعه ومشاعره. (المترجم)

مرنًا، من النوع الذى يتراجع فى ظل حسابات معينة، حتى لا يضحى أو يخاطر بهدف استراتيجى غامض وغير واضح. كان الرئيس أوو من النوع الذى يأخذ كل شيء أو يترك كل شيء، يضاف إلى ذلك أن الرجل بلغ من التفاخر والتباهى حدًا يتعذر معه الوصول إلى حلول وسط، وكانت حسابات الرجل تفيد أن الاستسلام عن ضعف يؤدى إلى ضياع الأمل وفقدان السلطة فى نهاية المطاف. أما أبو بكر تافاوا باليوا، فكان على العكس من هذين الرجلين، فيلسوفًا إنسانيًا أكثر منه رجل حزب، وكان أيضًا إداريًا جيدًا ورئيسًا جيدًا أيضًا، وكان يتولى دور القيادة الهادئة من خلال قوة الشخصية، زد على ذلك أن الرجل لم تكن فى شخصيته عيوب أو مساوئ كثيرة حتى يخفيها. كان أبو بكر، شأنه شأن الشيخ شاجارى، الذى كان يحظى برعايته، وعلى العكس من السواد الأعظم من السياسيين الجنوبيين والمسيحيين الشماليين، غير نادم مطلقًا على افتقاره أو عدم حصوله على درجة جامعية؛ ذلك أن "جامعة الحياة" علمت هذا الرجل ذلك الذى كان يودُّ معرفته، كما علمته أيضًا كيف يسد ثغرات معرفته. هذا يعنى أن أبا بكر لم يصدر مطلقًا أمرًا لم تكن لديه القوة على فرض تنفيذه. والواضح هو أن أولئك الذين يؤمنون بالمواجهة والسلطة المطلقة هم الذين كانوا يتحدثون عن نقائص أبى بكر، لم يقبل أبو بكر مطلقًا على تأسيس حزب سياسى يمكن أن يزعزع الاستقرار، والسبب فى ذلك يتمثل بمنتهى البساطة فى أن كلاً من الرئيس آوو هو والدكتور أزكوى كانا مهتمين بالأفكار الاجتماعية وليس بالأفراد أنفسهم، وذلك بغض النظر عن كون هؤلاء الأفراد شهيرين أو ممثلين للجماهير، كان أبو بكر هو والمستشار السياسى الرئيسى ينظران إلى السواد الأعظم من الأمور فى ضوء تأثيرها على البشر الأحياء فعلاً وليس من خلال تأثيرهما على الأيدولوجية الدنيوية، وذلك على الرغم من اقتصار منظور أبى بكر على هؤلاء الناس فى نطاق مفهومه عن المجتمع الشمالى المستقر.

كان الرئيس أوو هو الوحيد من بين هؤلاء الأربعة هو الذى يفتقر إلى الكرم، وبعد صدور هذا الكتاب حاول أوو عن قصد مصالحة نفسه مع واقع الشمال، لكن الأوان

كان قد فات. لم يلاحظ أوو مطلقًا، سواء أكانت العلاقة الشمالية - الجنوبية منطوية على التقارب أم العداء، أن السواد الأعظم من الشماليين كانوا يحسون سعادة غامرة مع الشرقيين ومع أعضاء حزب المجلس الوطنى النيجيرى النيجيرى الكاميرونى أكثر من سكان الغرب النيجيرى وأعضاء حزب جماعة العمل، وذلك على الرغم من المظاهر الثقافية الدينية والتشابه فى المؤسسات. وهنا يتعين علينا ألا نغفل مطلقًا الحقيقة التى مفادها أن أبا بكر تلقى فى نهاية المطاف دروس سياسته العملية عندما كان عضوًا فى مجلس وزراء مكون من اليوروبا، والأجباويين، والإتسكيرين Itsekiris والكاميرونيين، والهوساويين، والفولانيين، والكانوريين، والأسكتلنديين والإنجليز وآخرين غيرهم. ولم يحدث أن بقى أحد من الثلاثة الآخرين فى مجلس الوزراء بصفة دائمة مع مثل هذه التوليفة الكبيرة من الغرباء مختلفى المشارب الثقافية .

الأهم من ذلك، هو سهولة تخيل عَبَدة الأبطال الرومانسيين الحاج أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى باعتباره مرشحًا فى مجلس الوزراء الفيدرالى، وأنه "ينفخ فى هؤلاء الوزراء انتظامًا لا يعرف الهوادة أوالحلول الوسط"، من خلال عطره ذكى الرائحة ومظهره الذى يوضح أنه أرستقراطى معمم من سكتو، وثيابه الحريرية الموشّاة بالقصب والحاشية التى تحيط به، هذه الصورة مقارنة بصورة الرجل الباوتشى العادى الوحيد، الذى يضع على رأسه غطاء الرأس المعتاد، الذى يلف حوله شالاً متواضعًا أبيض اللون (كان أبو بكر فى هذا الصدد بالذات يقلد السلطان وأمير كاتسنا عن غير قصد، وهذان هما الرئيسان الوحيدان الكبيران اللذان آثرا ارتداء الملابس العادية بيضاء اللون). كان اثنان من حكام أكسونيا Oxonia ينظران إلى هذين الرجلين كما لو كانا منتجين من منتجات "هارو" Harrow و"المنزل" the house ومدرسة جرامر مانسشتر وباليول" - كان واحد منهما أوتوقراطيًا يتمتع بمنزلته ويعلن عن إرادته أمام الجميع، أما الثانى فكان رجلاً عاديًا من أولئك الذين لم يسعوا إلى الشهرة الشعبية وكان يضطر دومًا إلى الوصول إلى الحلول الوسط. عاش كل من الدكتور أزكوى

والرئيس أوو اللذين كانا يكبرانهما فترة تزيد على عقدين من الزمان، وسوف يذكرهما الناس فى تاريخ نيجيريا الناهضة، على أنهما كانا سياسيين وليس شخصيتين - وسيذكرانهما أيضًا باعتبار أنهما زعيمان تنسج من حولهما الأساطير. سوف يذكر الناس أيضًا كلا من أبى بكر تافاوا باليوا وأحمد بللو، ولن يتحدثوا عنهما كسياسيين؛ ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى كان بالفعل أكثر من أسطورة، لقد كان أسطورة فى حقيقة الأمر، يضاف إلى ذلك أن إخوانه المواطنين كانوا لا يحسون بأى نوع من الخجل وهم يزينون تلك الأسطورة، لكن رئيس الوزراء يظل إنسانًا الأمر الذى يجعل ذكراه قابلة للحياة والموت. لقد برز أحمد بللو مباشرة من بين الصفحات الملونة لروايات ويفرلى "التاريخية" التى كتبها والتر سكوت، مثيل أبى بكر نجده على الصفحات الواقعية الهادئة فى الروايات التى كتبها ترولوب Trollope. كان الجميع ينتظرون من حفيد السلطان أن يكون رجلاً عظيمًا، لم يكن هناك أحد فى نيجيريا يختلف عالى أن ناظر مدرسة باوتشى كان من سلالة متدينة.

والمرء إذا ما أراد إحداث نوع من التوازن بين هاتين الشخصيتين، فإنه يتعين عليه تدبر لحم هاتين الشخصيتين العادى الذى تحول إلى - رماد ورفات - الناس يذكرون كليهما على أنهما كانا من المؤمنين بالاستقرار والطاعة، والنظام والانتظام. ونحن، إن أردنا توكيد الفارق بين هذين الرجلين من ناحية وبين الزعيمين الجنوبيين، تعين علينا منذ البداية الإمساك بأطراف الأزمة، وعلاقة الأفارقة بالأفراد البريطانيين فى فترة الاستعمار. كانت هناك تعاملات متينة بين كل من الدكتور أزكوى والرئيس أولوو من ناحية وكثير من المسئولين والمواطنين البريطانيين من ناحية أخرى، هؤلاء المسئولون والمواطنون والبريطانيون كان من بينهم الأصدقاء، والمحايدون، والأعداء، والحكماء، والبين بين، الحمقى، والمتعاطفون واللامبالين، قلة قليلة من المزاعم هى التى تقول إن أيًا من هؤلاء المقيمين أو إن شئت فقل: المقيمين البريطانيين لم يكن له تأثير كبير على هذين الإفريقيين الكبيرين، أو إن هذين الزعيمين النيجيريين استفادا أو

استغلا معارفهم البريطانيين فى تحقيق مستقبليهما العمليين. هذا الأمر كان شيئًا مستحيلاً نظرًا لأن كليهما دخل السياسة عن طريق الصحافة أو القانون، وقد دخلا مباشرة إلى الاجتماعات الشعبية والمجلس التشريعى. هذا يعنى أن اتصالات هذين الرجلين مع كل من رؤساء الأحياء العاملين من ناحية ومع السكرتاريات كانت اتصالات متفرقة أو مشتتة فى أحسن الأحوال، فضلاً عن كون هذه الاتصالات غير مباشرة إلى أن أصبح الرجلان فى موقع الصدارة، ثم تدمير هذه الاتصالات بعد ذلك إما عن طريق المتاعب والعقبات البيروقراطية أو الدوافع المنطوية على الشك والريبة.

المعروف أن سياسيى الشمال، باستثناء قلة قليلة منهم، دخلوا الحياة السياسية من خلال مدارس السلطة المحلية، ومن خلال مكاتب الإدارة المحلية أيضًا، التى كان الموظفون البريطانيون فيها، وبغض النظر عن ميولهم، مألوفين للناس الذين كانوا يستشيرونهم ويطلبون منهم الضغط على كبار أعضاء البرلمان. على الجانب الآخر نجد أن تلاميذ الجنوب تلقوا تعليمهم على أيدى مدرسى بعثات التبشير، والمرجح أنهم لم يتعلموا مقابلة رؤساء الأحياء ويتعاملون معهم بوصفهم أصدقاء وليسو فى موقع السلطة، ونحن نعرف أننا عندما نعيد تفسير الأيام الأخيرة من حيوات المستعمرات البريطانية، يتعين علينا أن نسقط من حسابنا الدور الذى لعبه المندوبون "الإمبرياليون"، كثير من رجال الدولة والسياسة البريطانيين تنسب إليهم سياسات وتشريعات لم يشاركوا فيها إلا بوضع الأحرف الأولى من أسمائهم على المسودة التى وضعها الخبير أو المستشار. إذا كنا هنا قد قلنا الكثير عن كل من رايت Wright، وفارفيل Varvill واستلارد Stallard، وشارود - سميث، وروبرتسون، وعن جاك ديفيز وبعض من سكرتيرى أبى بكر تافاوا باليوا، فإن السبب فى ذلك قد يرجع إلى أن كلاً من القائد كارو Carrow، وشارود - سميث أيضًا وتيرى هوبكنز، وديك جريسول Greswell، تيم Tim جونستون Johnston، وبروس Bruce جريتباتش Greatbatch، وهكتور رنش Wrench، وموفيت أو بالأحرى نايفن، باعتبارهم أمثلة لذلك، كانوا قد تحولوا إلى مجرد

شخصيات ظليَّة فى كل الأماكن التى جرى فيها تسجيل الأعمال الاسمية التى قام بها المستشار السياسى الرئيسى فى السنوات الأخيرة. ولا ينبغى علينا فى ضوء هذا الكلام أن نتعجل الوصول إلى استنتاج مفاده أن الزعماء الجنوبيين كانوا شواذًا أو غريبى الأطوار فى مجال السياسة والإدارة، لكن الذى يمكن استنتاجه هو أن الشماليين لم يكونوا سوى صنائع أو إن شئت فقل مقيئين للأفكار الأوروبية المهضومة. الكل كانوا يعرفون كيف ينتقون ويختارون مكونات أعمالهم.

على الرغم من ذلك، كانت هناك بعض الاختلافات. لم يتردد الحاج أبو بكر تافاوا باليوا مطلقًا، بل إنه كان يتفاخر دومًا، بالاعتراف بالمساعدات والإسهامات المحددة التى كان يلقاها من هيئة العاملين معه، ومن أصدقائه المسئولين فى كل عمل كان يقوم به، وكان الرجل لا ينسب الفضل لنفسه فى الأعمال التى كان يقوم بها رفاقه وزملاؤه، كانت مظاهر نسب الفضل لأهله عامة عند المستشار السياسى الرئيسى، على الرغم من أن هذه المظاهر كانت مفعمة بالدفء وعامرة بالصدق. كان الحاج أحمد بللو راضيًا عن عزو تحمل المسئولية إليه فيما يتعلق بالتغييرات والإصلاحات التى حدثت فى المؤسسات الشمالية، حتى عندما فشل فى الحصول على البراءة العاجلة من تهمة الاختلاس التى لُفِّقت له فى العام ١٩٤٣ الميلادى، وعندما أصبح مستقبله الأكثر غموضًا مقصورًا على سكتو Sokoto، كان الرجل يجرى تلقيه كما كان يقوم بالتنفيذ عن طريق الآخرين وبطريقة غير منظورة. كان كلاهما كريمًا وسخيًّا، لكن عظمة أبى بكر المادية كانت فى نطاق حدود راتبه أو كان يجرى إخفاؤها من باب التواضع. ويمكن التعبير عن هذا الكرم على الطريقة الأوروبية من خلال رسالة شخصية، أو دعوة لزيارته (هذا يعنى أن خطَّاب بناته المحليين ربما كانوا يتطلعون إلى شىء من قليل من التفضيل الشخصى، لكن هذا التفضيل لم يكن يظهر بصورة واضحة فى أعراف العرس والزواج)، كان المستشار السياسى الرئيسى يلجأ إلى الحب على المكشوف والعطايا باعتبار ذلك حقًّا من حقوقه، ولذلك كان الرجل حرًّا فى مسألة تقديم الهدايا

الغالية ـ مثل الحشيات المصنوعة من الجلد الطبيعى للأوروبيين والملابس للأفارقة (كان الكثير من ملابس أبى بكر المطرزه تطريزًا جميلاً، على الرغم من أن ذلك التطريز كان أقل فخامة من تطريز ملابس المُهْدى، عبارة عن هدايا مقدمة من رئيس وزراء الشمال، وكان أبو بكر يرتدى هذه الملابس من باب الأدب فقط فى حضرة المستشار السياسى الرئيسى) كان المستشار السياسى الرئيسى نفسه يقبل الهدايا على اختلاف أنواعها، لكنه لم يكن يحتفظ بتلك الهدايا فترة طويلة، كان الرجل يرتدى عددًا قليلاً من ثيابه المنسوجة فترة تكون بعدها بحاجة إلى الغسل قبل توزيعها على شكل هدايا.

كانت علاقة أبى بكر تافاوا باليوا بالسير بريان Bryan شارود ـ سميث، بصفته شماليًا هو الآخر قد تحولت إلى علاقة قوية تقوم على الثقة المتبادلة (وهذا هو ما حدث للعلاقة مع السير جيمس روبرتسون ـ الذى كان يعى تمامًا أن أصوله السودانية تجعله يبدو كما لو كان ميالاً ومواليًا للإسلام ومن ثم مواليًا أيضًا للشمال، وكانت لدى الرجل أيضًا شكوك كثيرة هى التى منعته من المخاطرة بأى مظهر من مظاهر الألفة)، على الجانب الآخر نجد أن علاقة المستشار السياسى الرئيسى بشارود – سميث كانت علاقة كلاسيكية تقوم على الحب والكراهية، والتى قام أبو بكر بتهدئة النموذج الذى أوردناه عن هذه العلاقة فى الفصل العشرين، عن طريق المصالحة. (أسس شارود ـ سميث علاقته بالمستشار السياسى الرئيسى على الإعجاب الخالى من الحقد والكراهية، والمصحوب بيقين مفاده أن رئيس الوزراء يتعين التحكم فيه فى بعض الأحيان، وذلك خدمة لمصلحته الخاصة ومصلحة البلاد)، يزاد على ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى كانت له ثورات غضب لا مبرر لها، لم تقتصر على أمير كانوا وحده، وأن تلك الثورات كانت تتطلب تدخلاً من جانب رئيس الوزراء، لكن ثورات هذا الرجل كانت استوائية الطابع، إذ سرعان ما كانت تنقشع وتشرق الشمس بعدها. يضاف إلى ذلك أن المقيمين الذين كانوا يعرفون أبا بكر معرفة لصيقة كانوا يهتمون به اهتمامًا كبيرًا، فى حين أن أولئك الذين كانوا يعرفونه عن بعد كانوا يرون فيه رجلاً صارمًا جافًا ولغزًا

فى معارضته للخلفيات النيجيرية شديدة الوضوح: هذا يعنى أن كثيراً من الموظفين البريطانيين الذين عملوا فى سكتو كانوا معجبين بالمستشار السياسى الرئيسى إعجاباً شديداً، لكن ذلك الإعجاب لم يتجاوز حد الزمالة، لكن بعضاً آخر من المقيمين اكتشفوا فى الرجل عدوانية العرق الملكى وتخوفوا من تفاقم إطلاق هذه الشخصية لأهوائها. على الرغم من أن أبا بكر تافاوا باليوا يبدو أكثر سعادة عندما يكون مسترخيًا فى صمت مع أقرانه من مجموعته السِّنِّيَّة، فإن الرجل كان يدعو، بدون موعد، إلى جلسة من جلسات التحاور والدردشة الاجتماعية فى منزل موظف من الموظفين الذين يعرفهم هو، هذا بالإضافة إلى أن سكرتيرى الرجل الدائمين أو الخصوصيين كانوا على علم ودراية بجلسات العمل التى تكون مصحوبة بشرب القهوة، كما كان أولئك السكرتيرون على دراية أيضًا بحفلات الغداء الاجتماعية الخالصة ولعب الشخابيط التى كان يلعبها أبو بكر مع أبنائهم، فى حين كان أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى يحتفظ بصمته لعزلته، وكان يؤثر استدعاء مساعديه لكى يكونوا إلى جانبه، عندما لا يكونون مسترخين تماماً، أو قد يقيم وليمة كبيرة.

ربما كان التفسير المقنع لتلك الاختلافات، هو والأسباب التى جعلت الكثيرين من المقيمين ينظرون إلى أبى بكر باعتباره أكثر تعاطفًا من رؤساء الوزراء الثلاثة يتمثل فى ذلك التفسير البسيط الذى مفاده: أن طبع أبى بكر تافاوا باليوا وتنشئته جعلاه أهلاً للثقة وموظفًا مواظبًا واسع الأفق أو مديرًا متأملاً، لكن كلا من الدكتور أزكوى والرئيس أوو وكذلك المستشار السياسى الرئيسى كانوا سياسيين شعبيين. التفسير الثانى الأكثر وضوحًا يتمثل فى أن السواد الأعظم من السياسيين، وهؤلاء الثلاثة على وجه اليقين، كانوا دائمًا أحرارًا مع مؤيديهم ومع الجمهور الذى كانوا يطوفون عليه حاملين له الوعود التى لم تكن فى أيديهم سلطة تنفيذها. كان أبو بكر يشرك كل من يستمع إليه فى آماله وتطلعاته، ولذلك كان الرجل يحظى بمساندة الناس واحترامهم، ولم يحدث مطلقًا أن تاجر أبو بكر بأعمال لا قبل له بها، الأمر الذى جعله لا يفقد مصداقيته. كان

أبو بكر يتمتع بذاكرة قوية، وإن كانت غير دقيقة فى بعض الأحيان، كانت تلك الذاكرة أقوى من ذهنه بطبيعة الحال، وعليه كان الرجل نادرًا ما يخسر الرد الواثق ـ يزاد على ذلك أن أبا بكر كان يتكلم كلامًا محسوبًا ولم يتسرع مطلقًا بالتعليق أو التعقيب.

كانت علاقة أبى بكر بالنيجيريين واضحة وبيِّنه بالقدر نفسه. وكان النقد المدمر الوحيد لأبى بكر يأتى من بين أفراد الجناح الرجعى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ومفاد هذا النقد أن الرجل أصبح مبالغًا فى نيجيريته ورضى بجلوسه ضمن مجالس الوزراء عريضة القاعدة. كان الحاج أبو بكر تافاوا باليوا يرى فى الناس كلهم شيئًا من الخير، بل إنه قال إن ألد خصومة يحتمل أيضًا أن يكون فيه جانب طيب، وقال أيضًا: إنه على استعداد للصفح عمن أساءوا إليه، كان أبو بكر يدرك أيضًا مدى صعوبة أن يصبح الإنسان قويًا إذا ما كان الآخرون يقفون على الجانب الآخر، وقال أيضًا إنه يتحتم عليه التنازل إلى حد ما إذا ما أراد مواصلة العمل مع بعض من يعارضونه، وكان الرجل فى ذلك الوقت، وعلى العكس من طبيعته وتنشئته يحاول أن يكون نيجيريًا بحق وحقيقة، فى الوقت الذى كان الآخرون فيه يدعون أنهم نيجيريون. لم يكن المستشار السياسى الرئيسى ميالاً إلى تحمل المعارضة التى لا تقر وتعترف بسموه، وكان الرجل يستر أو يخفى القليل، إن لم يكن الكثير من الاستياء، كان الرجل انتقاميًا، وجد من الصعب عليه التحكم فى ذلك القدر من المرارة والعداء الذى كان يكنه لأمين Aminu كانو Kano، الذى أحبه أبو بكر وكان معجبًا به دونًا عن الآخرين، وإذا كان الحاج أحمد بللو يتخيل نفسه نيجيريا خالصًا، فلربما كان ذلك من منطلق أن يكون خليفة أو إمبراطورًا فى المستقبل، تحيط به جماعة من الذين يتغنون بمناقبه. أحمد بللو، شأنه شأن اللورد ملفرتون Milverton، لم يحدث أن عارضه أحد معارضة وقحة يوم أن كان فى السلطة. والمستشار السياسى الرئيسى، الذى هو دائمًا الشخصية البارزة والمهمة فى أى تجمع من التجمعات، وُلد ليحكم، وأن يطيع قلة قليلة من الحكام العظام فى شبابه، لكن مسألة قبول الأوامر أصبحت شيئًا غريبًا عليه

ومكروهاً منه بعد أن شب عن الطوق، كان أبو بكر زعيمًا فريداً بطبيعة الحال، وُلد ليطيع، ومع ذلك قبل الرجل السلطة عندما أعطاه الآخرون إياها. كان نقاد أبى بكر مُشككين لكنه لم يكن له أعداء، كانت قدرة المستشار السياسى الرئيسى على الاحتمال أكبر من قدرة أبى بكر، وكان أحمد بللو مثل الدكتور أزكوى لديه القدرة على البقاء مستيقظًا حتى الساعات الأولى من الصباح. كانت روح الدعابة عند أبى بكر تمتاز بالهدوء لكنها كانت واقعية وحقيقية، وكان يعبر عن فرحه ومرحه تعبيرًا معتدلاً وهادئًا، كما كان الرجل يضحك من نفسه عندما يخلو إلى نفسه أو عندما يكون بصحبة عدد محدود من رفاقه، كان ضحك المستشار السياسى مجلجلاً، وكانت ابتسامته أعرض سواء فى المزاح أو المناسبات، لكن إحساس الرجل باحترامه وكرامته كان يسود فى كل الأحوال، ومن الصعب القول بأن الحاج أحمد بللو كان ينسلُ فى هدوء بصحبة نادل من الفندق كى يحظى بشىء من الفرجة.

كان كلاهما وزيراً للأشغال، لكن أبا بكر كان يتمتع بذهن شاب فى جسم واهن. لم يكن لفضول أبى بكر أو تشوقه لمحاولة فهم الجوانب الفنية، حتى عندما تكون خارج نطاق معرفته، مثيلاً عند المستشار السياسى الرئيسى فى سكتو، كان المستشار السياسى الرئيسى ينظر إلى المنتجات الهندسية على أنها مصادر لشعبه وأدوات للسلطة السياسية ـ وهذا أيضًا شبيه بمن يجد متعة فى قيادة سيارته بنفسه، فى حين يجد آخر متعته فى أن يكون له سائق يأتمر بأمره ويقود سيارته التى من طراز بكار Packard، أو أى بديل لها من السيارات غالية الثمن مثل الكاديلاك، نظراً لأن قطع غيار هذين النوعين من السيارات مكلفة وصيانتهما مكلفة أيضًا كما أن صيانة هذين النوعين من السيارات تكاد تكون نادرة أو مستحيلة. قال وزير النقل مؤخراً ومحتداً على سكرتيره الخاص الذى كان يجلس فى الكرسى الخلفى من السيارة طراز شيفروليت: "أنت تعرف بطبيعة الحال، إنى لا أطيق الانتظار إلى أن يتجمع هؤلاء الأجباويين حولى" وهنا نجد أن ماثيو Matthew الأجباوى، الذى كان يقود له سيارته

منذ اختياره من قبل اتحاد تنمية ما بعد الحرب. فى العام ١٩٥٢، يتبادل الابتسام مع الرجل من خلال المرآة: يزاد على ذلك أن رئيس الشرطة كان جنوبيًا أيضًا. وفوق ذلك كله كان لدى رئيس وزراء الشمال شاب أنيق من كاتسنا يعمل رئيسًا للشرطة. حدث ذات يوم أن قرر مفوض الشمال إحداث تغيير معين مخافة أن تؤدى الخدمة الداخلية الطويلة إلى إتلاف رجل الشرطة وتجعله غير صالح للترقى، يضاف إلى ذلك أن هذا المفوض نفسه كان يتحرّقُ شوقًا إلى إبراز الطابع الفيدرالى للقوة، ولذلك قام بتعيين أحد الجنوبيين فى المجلس التشريعى، الأمر الذى أدى إلى نوبة غضب عارمة ترتب عليها إلغاء ذلك التعيين.

بحلول العام ١٩٥٧ الميلادى، كان خلط كبير قد جرى فى مسألة رعاية المستشار السياسى الرئيسى، وإشاراته المستمرة إلى "مساعدة فى ليجوس"، هذا الخلط الواضح الذى ظل وتحتم على أبى بكر أن يعانى منه دون تظلم أو تَشكٍ واضح. لم تكن هناك مساعدة سياسية ثانوية على المستوى الفردى، وكان الوزير الفيدرالى أو بالأحرى رئيس الوزراء يتكلم دومًا على الملأ كلامًا طيبًا فى حق رئيس وزراء الشمال، فى الوقت الذى كان يعرب فيه بطريقة شجاعة عن آرائه، ويصر إصرارًا شديدًا على أن الأقاليم يتعين عدم السماح لها بالوساطة فى المسائل الفيدرالية. كان الرجل، مثل من يقود سيارة، يود للدستور أن يعمل طبقًا للقواعد الواردة فى الكتيب التفسيرى. وعقب سفر الرجل إلى أمريكا توقف عن تلقى التوجيهات الحزبية أو قبولها التى كانت تأتيه من كادونا وتتعلق بالمسئوليات المنوطة بحقيبته الوزارية. لم يتشاجر أبو بكر تافاوا باليوا مع المستشار السياسى الرئيسى، لكن كانت هناك خلافات كثيرة فى الرأى، ذلك أن رئيس وزراء الشمال لم يكن يخلو من الأحقاد والحسد، وكان ينتظر من الشماليين الكثيرين الذين فضّلوه أن يعملوا على تنفيذ رغباته دون أن يُملى ذلك عليهم.

عندما يصل الأمر إلى حد إقناع المستشار السياسى الرئيسى بالتريث أو التعقل، كان أبوبكر تافاوا باليوا يفضل استعمال كلمة Kofa (وهى كلمة هوساوية معناها "باب"

أو "وسيط") في بداية الأمر، كان أبو بكر تافاوا باليوا يعرف أن محمد رباط من النوع الصخَّاب فضلاً عن كونه رئيس حي سابق، لكنه كان من عامة الشعب، وكان يعرف أيضًا أن إينوا Inuwa وادا Wada شخصية مؤسسية حذرة، وأنهما كانت لهما محادثات ومحاورات مع المستشار السياسي الرئيسي وأن هذه المحادثات وتلك المحاورات كانت أقل من نظيراتها التى كانت تدور بين أبى بكر والمستشار السياسى الرئيسى. كان أبو بكر يستفيد من محمد رباط من منطلق أنه أفضل من يسعى بينه وبين المستشار السياسى الرئيسى، فى الوقت الذى كان أبو بكر يرتاب فيهما وأنهما كانا مصدرى معلومات للحزب فى كادونا وأنهما كانا ينقلان كل ما يقوله وما يفعله. وكان أبو بكر يتعجب مما لو كان إينوا وادا يوشِّى كلامه فى الاتجاهين. كان صدر الرجل ينشرح فى صمت عندما كان يجد كلاً من المعلم أمين كانو ومؤيديه يقفون فى صفه فى حال "الخلاف فى الرأى" مع المستشار السياسى الرئيسى. لم يحدث مطلقًا أن نظر الوزراء الفيدراليون الجنوبيون إلى الحاج أبى بكر باعتباره "الصبى صاحب العينين الزرقاوين" فى كادونا، فى حين كانوا ينظرون إلى محمد رباط باعتباره رجل النزال. من هنا كان المستشار السياسى الرئيسى يسعى دومًا إلى الحصول على موافقة مسبقة من أبى بكر تافاوا باليوا، على بعض المبادآت التى تخص الشمال، وكان الرجل يفضل استخدام إينوا وادا ليكون هو الساعى بينهما فى مثل هذه الظروف، لكن فى نهاية الأمر كان كل منهما يعرف المدى الذى لا تصل سلطة أى منهما عنده إلى شكل من أشكال التحدى، وكانا يحترمان فى بعضهما الأمور والأشياء التى لا يمكن أن ينافسا بعضهما فيها. صحيح أنهما كانا يترددان فى استعمال الهاتف استعمالاً مباشرًا، لكنهما كان يندر أن يتبادلا الرسائل المطولة. لم يكن ذلك داخلاً فى قضية "الحب - الكراهية"، لكنه كان اعترافًا متبادلاً بالواقع الذى قضى على حكاية "الأمير - الخفير" المُضَلِّلة. صحيح أن الاثنين كانا فلاحين، أو بالأحرى مزارعين، لكن أبا بكر كان يقود جرار الحراثة كلما سمحت له الظروف بالهرب إلى موطنه. كان كلاهما يتمتع بالرياضة التى تعلمها فى المدرسة، إذ كان المستشار السياسى الرئيسى، فى معظم

الأحيان، يمارس لعبة الخماسيات مع بعض العاملين فى وزارته والعاملين فى مكتبه الذين لم يكونوا راغبين دومًا فى ممارسة هذه اللعبة، وكان أبو بكر يمارس من حين لآخر، لعبة مساوية للعبة الكريكت القروية.

كان أبو بكر رب أسرة، بمعنى أنه عندما كان يستشعر هذا الدور، كان يبادر إلى طلب أهليه الذين خلَّفهم وراءه، على الهاتف، فى باوتشى، وكان ذلك يجرى كل مساء وبخاصة عندما يكون الرجل بعيدًا عن أهله، ويذكر كثير من الزائرين أنهم شاهدوه وهو جالس على الأرض يلعب بالقطار اللعبة مع أبنائه. كان حب الرجل لزوجاته واضحًا، على الرغم من أنه كان يتمنى لو كانت واحدة منهن لديها التعليم الكافى الذى يمكنها من تقدير الأهمية الحقيقية لبعض زواره من ناحية والحكايات التى يرويها هو عن أسفاره فى أنحاء العالم. بعض الأصدقاء يتفكرون مسألة ما إذا كان الصبيان اليافعان قد جرى الإبقاء عليهما فى موطنهما فى إيكوى Ikoyi (التى تقرر إرسالهما منها للالتحاق بواحدة من المدارس الإنجليزية الداخلية، وهما غير مستعدين تمامًا لذلك)، فى الوقت الذى ربما كان من الأفضل فيه إلحاقهما (مثلما حدث للصبيين فى كادونا) بحضانة من الحضانات التى توسع المدارك، ثم بعد ذلك إلحاقهما بإحدى المدارس الابتدائية التى من قبيل مدرسة كورونا Corona الدولية، ويجدون الرجل مشغولاً بالأمور العامة الأمر الذى يجعله بعيدًا عنهم إلى حد ما. لكن حياة الرجل العائلية، على الرغم من كونه مسلمًا حقيقيًا، لم تكن سرًا، كانت حياة المستشار السياسى الرئيسى العائلية خاصة جدًا على العكس من حيوات زملائه والعاملين معه، ولم يكن أحد يعرف شيئًا عن زوجاته وبناته أو حتى الذين تحت وصايته ورعايته، سوى أقرب أقاربه. كان الرجلان (أحمد بللو - وأبو بكر) ينشرح صدريهما عندما كانا يريان الأسكتلنديين (من أمثال جوك Jock ماكفرسن) وهم يرتدون زيهم القومى فى المناسبات والأعياد، لكن حدث ذات مرة أن احتد المستشار السياسى على عامل من بلدة باوتشى متحرر ثقافيًا، ومن

العاملين على الكاتبة الفوتوغرامية(*)، وراح يؤنبه وينتقده بقسوة لأنه كان يرتدى بنطالاً "خارجًا" من البناطيل التى يرتديها الكفرة، عندما كان يزحف تحت سيارته فى التراب لتغيير الزيت، فى حين نجد الحاج أبا بكر (الذى لم يرتد مطلقًا زى الكشافة) يزعم أن الشرطة كانوا "سعداء ببناطيلهم القصيرة"، عندما رفض الرجل رغبة أحد السياسيين الجنوبيين فى محاكاة زى الكونستبلات الفابيين المتأمرك وتقليده.

لم يكن أى منهما يعرف الكثير عن فنون العمارة والديكور فى الإسلام أو فى العالم الغربى، كان المستشار السياسى الرئيسى أكثر تذوقًا لموسيقى البلاط، لكن لم يتجاوب أى منهما مع الموسيقى الغربية، يزاد على ذلك أن علماء الشرق الأدنى لم يكونوا راضين عن عربية المستشار السياسى الرئيسى المنطوقة، فى حين لم تكن لأبى بكر مزاعم فى هذا الاتجاه. كلاهما كان يعرف القرآن الكريم حق المعرفة، لكن فى الوقت الذى كان رئيس وزراء الشمال يعجز فيه عن التحدث بطريقة حميمة وغير متكلفة عن الإسلام مع زعماء دول مثل مصر، والسعودية، وباكستان، نجد أن قراءات أبى بكر أتاحت له فرصة إجراء حوارات قصيرة عامة مع الجنود السابقين، والشخصيات الأدبية، والمؤرخين الهواة، ومع أولئك الذين يؤمنون بالمخترعات والتقدم التقنى، فى أى بلد من البلدان الناطقة بالإنجليزية. كان ضابط حى باوتشى السابق (الذى سبق أن فشل فى استثارة أى رد فعل من جانب أبى بكر على تسجيل من تسجيلات أجمل ألحان أوبرا ويبر Weber) قد أعار أبا بكر الكتاب الذى ألفه ولتر Walter باجهوت Bagehot بعنوان "الدستور الإنجليزى" والذى كتب له مقدمة إيرل Earl بالفور Balfour، وأعيد الكتاب وليس عليه من تعليق سوى "مهم جداً"، وكان الرجل قد قرأه بالفعل. وهنا يتعين علينا من تعليق سوى "مهم جداً"، وكان الرجل قد قرأه بالفعل. وهنا يتعين علينا تفكر مدى تأثير قراءة أبى بكر لهذا الكتاب على تقوية إيمان أبى بكر تافاوا باليوا

(*) آلة صغيرة شبيهه بالآلة الكاتبة لتسجيل الكلام بواسطة الفونوغرامات. (المترجم)

بمعتقدات باجهوت فى مسألة التغيير المتدرج، بعد الحصول فى أول الأمر، على موافقة شعبية واسعة على الحاجة إلى التغيير، وبعد الوقوف على تشكك الأناس العاديين فى النظرية العقدية، والحصول أيضًا على أقلية حكمية تصبر على تعليم الجاهل المتهور وتشجع على توقير الجزء المحترم من الدستور. ونحن نشك أن المستشار السياسى الرئيسى سمع شيئًا عن باجهوت، أو أنه كان يرغب فى إحداث أى نوع من الفصل بين القسم "المحترم" والقسم "الفعَّال" من الدستور الذى يحكم بمقتضاه. ومع ذلك وفى المواضع التى يُلمِّح المستشار السياسى الرئيسى فيها إلى أن الأمراء يجب أن يصبحوا ملوكًا دستوريين فى يوم من الأيام، نجد أن أبا بكر تافاوا باليوا يعلن صراحة استحالة تحقيق ذلك.

وهنا يجد المؤرخ البريطانى فى ذلك انعكاسًا لإيمان جون ستيورات Stuart بحق الملوك المقدس، فى شخصية المستشار السياسى الرئيسى، فى حين نجد أننا أبا بكر تافاوا باليوا يمثل طبقة بولدون Baldwinالمتوسطة غير العادية والمكونة من الأناس العاديين. أما فيما يتعلق بكل من الدكتور أزكوى والرئيس أولوو، فإن أنشطتهما السياسية هى التى جعلتهما محطًا لدراسات من جانب الغرباء.

هذه السلسلة من المقاربات، شأنها شأن كثير من الطرق فى سائر أنحاء هذه القصة، يمكن وبمنتهى السهولة وصفها بأنها من قبيل التوافه والثرثرة. وهى تساعد على تبين أن هذين النيجيريين الشماليين العظيمين لا يمكن أن يتبادلا دوريهما بأى حال من الأحوال. أبو بكر الدخيل Karda شأنه شأن المستشار السياسى الرئيسى، وهما يتعاملان مع مهامهما باعتبارها هواية لهما، يرثان وضعيهما وإذا ما حدث خطأ، فإن الناس يغفران لهما مثل هذا الخطأ الإنسانى، لكن المتطفلين Shigegge الذين يصلون إلى مناصبهم من خلال طلب المساعدة أو الانتخاب، هم الأكثر خطورة، وتعزى أخطاؤهم إلى نقص الخبرة والمعرفة. استطاع أبو بكر، هذا الدخيل المعتدل، بشىء من

الدبلوماسية وشيء من المجهود، وعندما يكون مدعوماً من الحاكم ويلقى تشجيعاً من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الغنى، استطاع إقناع الأمراء والتصالح معهم على أن يلعبوا دوراً خلاقًا فى ديمقراطية يحترم فيها عامة الناس الموروثات والتقاليد، وممارسة السلطة لدورها علانية وباعتدال، والتقدم الجدير بالاحترام، لكن السيِّد المتعجل أحمد بللو، مستشار سكتو السياسى الرئيسى، لم يؤقلم نفسه على ليجوس متعددة الأعراق، أو على الشئون الدولية الحقيقية، كان احتمال تأليفه لوزارة نيجيرية خالصة، أمراً بعيداً وذلك بغض النظر عن بقية الفريق الفيدرالى الشمالى الذى كان يحيط بذلك الرجل. كان المستشار السياسى الرئيسى يسلم بفكرة "الرجل الواحد، له صوت واحد"، لكنه مثل السواد الأعظم من وزرائه الإقليميين لم يكن يعترف على رجل تحداهم وقضى شيئًا من الوقت فى السجن كيما يصلح سلوكياته، وكان ذلك أبعد مما يمكن أن يصل إليه الكثيرون من وزراء ليجوس.

وبغض النظر عن المعاملة الطيبة التى كان وزراء الحزام الأوسط يلقونها فى وزارة المستشار السياسى الرئيسى، فإنهم لم يستشعروا مطلقًا أواصر تلك القرابة العائلية الحميمة التى كان يحسها أولئك الذين عينهم المستشار السياسى من بين إمارات الدرجة الأولى والدرجة الثانية فى "الشمال المقدس"، واقع الأمر أن رئيس شرطة بدا Bida من بين كل هؤلاء كان هو الشخص الوحيد الجدير بالاسترخاء والراحة عندما يكون فى صحبة المستشار السياسى الرئيسى، وكان البعض يتخوفون منه ويخشونه بصورة دائمة. كان أحمد بللو (المستشار السياسى الرئيسى) يفتقر إلى هدوء أبى بكر، ولم يحدث مطلقًا أن حل زى تشريفات أحمد بللو أو مظهره البدنى محل تلك النزاهة النقية التى كانت تتسود احترام المجلس الفيدرالى، الذى كان هو الآخر بهيج الألوان لكن بطرق مختلفة. ومن الأهمية بمكان هنا أن لا نستخلص من أى تعليق من هذه التعليقات أن ذلك الأرستقراطى كان تافهًا أو غير ذى بال. صحيح أن الرجل مزاجه

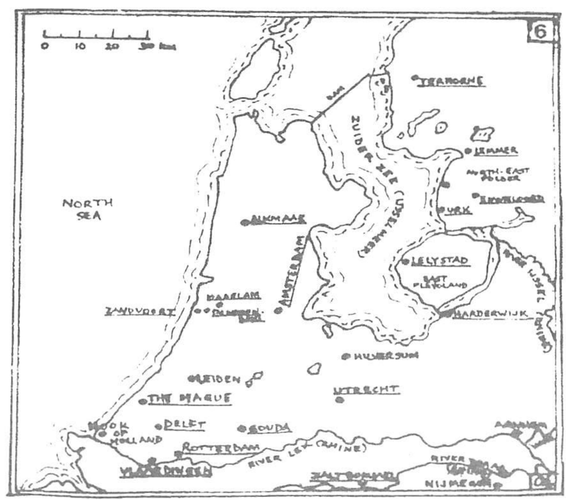
وميوله ينطويان على شىء من نقاط الضعف، لكن الرجل كانت لديه قدرة على التحمل، كان يمارسها بطريقة فخمة، فضلاً عن أن الرجل كان يستثير الحماس والخوف أيضًا. يزاد على ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى لم "يرغب فى مجىء رجال من كادونا إلى ليجوس، ويبنون بيوتًا ويصبحون أغنياء". الشىء المشترك بين الحاجين، والذى يفتقر إليه كثير من الآخرين، هو إيمان الرجلين بقدرة الخالق وإرادته ؟؟؟ ، لم يكن تعبُّد هذين الرجلين شفاهيًا وقوليًا، كما أن عطف الله ؟؟؟ ورحمته كانت حقيقة عندهما أكثر من عفوه ورحمته عند الملتزمين المسيحيين المداومين على التردد على الكنيسة. كان المستشار السياسى الرئيسى يستخدم الدين ليكون شاهدًا على قوة دينه، لكن أبا بكر كان إيمانه للتخفيف من نقائص الحكم الدنيوى وعيوبه. فيما يتعلق أيضًا بالأحوال الدنيوية كان الرجلان لديهما ميزة مفادها أن أتباعهما، بعد أن تعرفا زعيميهما، يستحيل عليهم التخلى عنهما إلا بعد أن يصاب الجميع بالإحباط وخيبة الأمل.

هذا ربما يعنى أن العامى أصبح نبيلاً. ونحن نشك فى أن ذلك أدى إلى أى نوع من الفروق فى تقدير الرجل لأولئك النيجيريين الذين يعتدون بأهمية هذه الفروق الاجتماعية، وهناك على الجانب الآخر، أولئك الذين ينكرون إنكارًا تامًا أن زعيمهم يصل من الوضاعة حدًا يجعله يطالب بوظيفة تقليدية. يزاد على ذلك أن اللقب التشريفى الذى أقره واعترف به المتشككون كان هو الآخر مطروحًا على بساط البحث نظرًا لأن كلمة "شتيما" Shettima لم تكن فى الأصل استعمالا باويتشيًا Bauci وهى فى الأصل كلمة من لغة الكانورى، من بين استخداماتها أنها تدل على شيخ Shehu من شيوخ أعضاء مجلس برنو Borno، كما أن هذه الكلمة مألوفة ومعروفة أيضًا فى اسم شتيما كاشيم من أكثر زملاء أبى بكر الوزاريين تشريفًا وتكريمًا. وربما يكون ذلك المفهوم قد جرى إشعاله بالفكرة التى مفادها أن يعقوب ولد زاله، سلف باوتشى أوجده يعرف باسم المعلم شتيما Shettima. ظل الأمير آدم جومبا الذى كان يتعين عليه منحه هذا

اللقب، واضحًا أمام تساؤلات الغرباء حول هذا الموضوع، لكن المعلم أمين كانو، ذلك الأرستقراطى الذى جعله حبه الشديد للديموقراطية ورغبته فى قلب الموائد على مؤسسات الحظر القديمة، ينفر وينأى بنفسه عن كثير من الشخصيات التقليدية، هذه الشخصية حاولت بالفعل إقناع الأمير بستر أصول الوزير الرِّقِّية. كان من عادة المستشار السياسى الرئيسى، بصفته رئيسًا للوزراء، الاستخفاف بعض الشىء بأبى بكر لأنه كان الوزير الوحيد الذى لا يحمل لقبًا وبخاصة بعد أن شاع وذاع صيت الرؤساء Chiefs فى الجنوب مثل ذيوع صيت أنصار حركة عدالة السلام فى إنجلترا. يقال إن رئيس الوزراء تطرق إلى هذا الموضوع مع الأمير يعقوب الثالث قبل إعفائه من منصبه. ويعترف واحد من أصدقاء أبى بكر الحميمين أن الرجل فى أوائل أيام حياته الوزارية كان يتطلع إلى الحصول على لقب، كان مفيداً أن يتذكر الحائر الارتباك الذى يحدث فى ذهن طفل نشأ وتربى فى بيت الطاهر وعلى قدم المساواة مع أى من أبناء رئيس الحى، ووسط بريق القرابات الملحوظة ووهجها فى مجتمع تتعدد فيه الزوجات، وتشيع فيه أيضًا مسألة التبنى. عهد الصبا، وهى المرحلة التى لا يمكن فيها تجاهل المسائل الوراثية الدقيقة، لابد أن يكون له رد فعل على نفسية هذا الصبى. وجرت إثارة هذا الموضوع نفسه فى شىء من التحفظ بعد تعيين أبى بكر رئيسًا للوزراء. ومن باب التردد عند الأمير، حتى لا يثير عش زنابير البرتكول المحلى، آثر الرجل الإبقاء على تردده إلى أن جرى إسقاط الموضوع فى نهاية المطاف. ومن ذلك الحين فصاعداً بدأ "السيد باليوا" على حد تسمية المراسلين البريطانيين الجهلة لذلك الرجل، يشق طريقه إلى المسرح العالمى الأوسع بعد أن أصبحت أصوله تكتسى السابقة الاستعمارية البريطانية "الماجد" والحائز على أفخم وسام من الإمبراطورية البريطانية. لم يشعر أبو بكر بالخجل من هذه الألقاب والكنى، يزاد على ذلك أن الكثيرين من الذين يقفون على هذا المسرح التقدمى كان لابد لهم أن يتوقعوا ما هو أقل من ذلك من ند فى الحياة يحمل لقبًا شرفيا، وأن ذلك الذى يتوقعونه أو ينتظرونه لابد أن يكون أقل مما يتوقعونه

من رجل عـام جـرى انتـخـابه ليكون فى مـوقـع السلطة. لقـد كـانت فى أبى بكر بعض فضـائل الأمـراء، التى يفتقر إليها الأمـراء الحقيقيون، ومنها فضـيلة المواظبـة والوفاء بالوعود التى كان الرجل يقطعها على نفسه، ومع ذلك كان الرجل يظل يقول لوزير أو وزيرين إقليميين فى كادونا: "نحن مع بعضنا من عامة الناس، وهيا بنا نخرج سوياً!" والشىء الوحيد الذى لم يغفره له بعض الجالسين فى المقاعد المحلية المواجهة للمسرح هو أن أبا بكر على الرغم من النقد الشديد الموجه للتفاصيل، آثر الوثوق ببريطانيا وبالشعب البريطاني – اللهم إلا إذا خانوا هم هذه الثقة.





Map 5:

Eastern United States, where Abubakar visited the Great Rivers & Waterways.

Map 6:

Part of the Netherlands, where Abubakar studied the Engineering Control of Sea & Rivers.

القسم الرابع

رئيس وزراء تابع فى إفريقيا

١٩٥٧ - ١٩٦٠

قال وهو يتسلق النخلة

" نقصد الذهاب إلى السماء"(*)

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا . (المترجم)

طوال هذه الفترة بدأ النيجيريون بما فيهم غير المتحضرين منهم يحددون وينتقون الموعد الذى يمكنهم أن يصفوا أنفسهم فيه بأنهم "نيجيريون"، وذلك على الرغم من الضرورات العاجلة التى أفضت إلى تفتيت الطوائف بشكل أدق وأوضح. هذا يعنى أن طبقة الموظفين البريطانيين راحت تتملق نفسها مؤكدة أنها كانت متداخلة فى صميم عملية "بناء الأمة"، هذا يعنى أيضًا أن المتمردين من المقيمين، وكذلك المترددين والعنيدين منهم كانوا قد انسحبوا من المشهد إلى حد بعيد، على الرغم من أن هذا الانسحاب جعل البقية الباقية من هؤلاء الموظفين أكثر وضوحًا وتعرضًا وانكشافًا للقدح السياسى أو القذف الصحافى. كانت خدمة ما وراء البحر فى ظل هذا التطور البهيج تعكس بصورة غير واضحة توقع بلادها (الحماسى بطبيعة الحال) الرسمى على اتساع رقعة ذلك الكمنولث المتنامى من الدول الدخيلة، التى وهبتها خدمة ما وراء البحار اللغة الإنجليزية، وأهدتها أساليب قضائية، ومؤسسات مدنية حق الاستيطان من جانب واحد والمثير للجدل والأخذ والرد. كان هناك شكل من أشكال التباهى الإنجازى الاستعمارى الذى لم يكن كاذبًا أو مزيفًا فى مجمله، والذى راح يتزايد متجهًا صوب قمة الفرح والابتهاج وذروتهما، الأمر الذى جعل الكثيرين فى بريطانيا يرحبون به باعتباره شحنة من شحنات التفريغ والارتياح.

كان هناك عدد كبير من النقاد الرسميين فى العالم الخارجى، الذين لم يكونوا مهتمين أو منشغلين بالأحاسيس والرفاه والانفعالات الإفريقية، لكنهم كانوا مستعدين للانقضاض على أية إشارة أو تلميح يوحى بتردد بريطانيا فى عملية الانسحاب، لكن

السواد الأعظم من المصالح الأجنبية كان ميالا إلى ترك الأمور تسير على ما أجمع عليه الجميع، بأنه المسار الطبيعى للأمور، باعتبار ذلك جزء من شكل من أشكال التطور السلمى. وهنا بدأت تلك القلة القليلة من أصحاب الرؤى الذين كانوا يتطلعون إلى حدوث المزيد من الاضطراب وعدم الاستقرار فى المجتمعات الرأسمالية وكذلك المجتمعات الشمولية، ومعهم أولئك الأفارقة الذين أصبحت مكافحة الحكم الأجنبى عندهم بمثابة المبدأ المرشد الوحيد فى الحياة، بدأوا يعملون تفكيرهم فى المزيد من الخطوات المنطقية اللاحقة التى تهدف إلى استمرار الثورة. وهنا بدأت تلك القلة القليلة المتبقية من المقيمين المغتربين، وفى تجاهل منهم لأفكار الآخرين، يخططون عن وعى لمهن جديدة ومشاهد جديدة فى أماكن أخرى.

عند هذا الحد، يجد أبو بكر نفسه الرمز الوحيد "للنيجيرى" الحقيقى، من ناحية، ومثل أولئك الذين هبطت عليهم العظمة وأصبحوا يعيشون الدور إلى أن أصبح مناسباً لهم. لم يكن الكثيرون من منافسيه أو ناصحيه يشاركونه قلقة واهتمامه الزائد الذى مفاده أن تولى مسئولية سلطة من السلطات يحتم استئناف هذه السلطة على الفور وبلا توقف أو انتظار لسلطة أخرى، وهذا يعنى أن الأحمال التى سيجرى نقلها عن طيب خاطر سوف تكبر، وتزداد ثقلاً على ثقلها السابق.

كان يجرى فى ذلك الوقت تشجيع أبى بكر على المضى قدمًا فى تفكيره الاستباقى، انتظاراً للوقت التى تُثبت فيه القارة الإفريقية كلها أنها بحاجة إلى مواهب هذا الرجل غير العادية. هذا يعنى أن الرجل كان يجرى "تجميله" بواسطة البقية الباقية من البريطانيين المحيطين به، ولم يزد الأمر عن القول بأن الرجل جرى اختياره من قبل روادهم السابقين للقيام بدور المراقبة فى السنوات الماضية. ويتواصل بزوغ الرجل وظهوره كما لو كان حكمًا مقضيًا، وذلك لأسباب تتعلق بالتاريخ، والجغرافيا والطبيعة البشرية. عند هذا الحد كان الزعماء الوطنيون الأفارقة سعداء بالترحيب ببزوغ بلد

أبى بكر تافاوا باليوا، مثل "مارد تحت الشمس"، ومع ذلك فإن قلة قليلة من النيجيريين الذين كانوا يناصرون ويساندون الانتقادات المجتمعية المطروحة من قبل بعض الأفارقة، وينتقدون فيها الحدود الاستعمارية المصطنعة على الخرائط، لم يلوموا بريطانيا أو ينتقدوها مطلقًا على إنشاء نيجيريا بهذا الكبر وذلك الاتساع.

الفصل الخامس والعشرون

الحاج أبو بكر رئيس الوزراء

رحيل آخر وعهد جديد

الحياة ترى الحياة، رأى النوبى ثريداً(*)

جاء الافتقار إلى رئيس الوزراء (رفض الجميع بما فيهم أبو بكر نفسه، تحديد هوية رئيس المجلس السير جيمس روبرتسون، شأنه فى ذلك شأن جورج الثانى قبل والبول Walpole، الذى كان لا يزال سكرتيراً عاماً، مثل تلك الشخصية) بمثابة أبرز العيوب فى الدستور الأخير. هذا ما قاله أولئك الذين ينظرون للتاريخ على أنه متعلق بالرجال، والذين ينظرون إلى معدل التحرك صوب الاستقلال باعتباره المسألة الوحيدة المهمة. هذا الإحساس بالنشاط والخفة الذى أرغم ليجوس على التعيين الجديد وإعلان قيام أول "مجلس للوزراء"، لم يسفر عن، وربما كان ذلك مدهشاً، إحباط شعبى مبكر، وذلك على الرغم من الخلافات الحزبية الداخلية. هذا يعنى أن السنوات الثلاثة الماضية لم تكن طويلة على النحو الذى يمكن معه السماح بذيوع الشكوك الرئيسية وانتشارها التى دارت حول اتجاهات الأحداث، الواقع أن تأمل فترات السنوات الثلاثة التى تخللت التغيرات المبارزة، والنظر إلى هذه الفترات كما لو كانت ساعة بطيئة الدقات، يجعلنا نقرأ تلك الفترات وكأنها وصفة للتقدم الحثيث صوب الهدف المجازى - (سلام) العام

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا . (المترجم)

١٩٤٥ ـ (الحاكم الجديد) فى العام ١٩٤٨ - (الدستور غير الاتحادى) فى العام ١٩٥١ - (الإقليمية الكاملة) فى العام ١٩٥٤ - (الحكم الذاتى الحقيقى الداخلى) فى العام ١٩٥٧ ـ (الاستقلال) فى العام ١٩٦٠ - (الجمهورية) فى العام ١٩٦٣: لو أن كل فترة من هذه الفترات طالت عن السنوات الثلاثة لسمح ذلك لكل من البيروقراطيين اللاهثين والسياسيين المنشغلين بالوقت الذى يُمَكِّنهم من وضع العظام والغضاريف بدلاً من اللحم فى ماكينة الفرم التى كان إنتاجها يبدو مفيداً للصحة هذا الإدراك المؤخر يكون خادعًا تمامًا. لم يكن أى رئيس من الرؤساء يتبع وصفة من الوصفات التى جرى تجريبها وثبتت صلاحيتها ـ بدلاً من قيام سلسلة من الطباخين ومساعديهم باستطعام مذاق الإناء الذى يغلى، ويروحون يضيفون بعض العناصر بصورة مستمرة وهم يتبادلون مهامهم داخل المطبخ.

كانت ترتيبات المسئولية فى ذلك الوقت بين يدى بطرس ستالارد Stallard، الذى كان لا يزال يشغل منصب سكرتير رئيس الوزراء المؤقت. جعل يوم العطلة الرسمية هو وإذاعة الحدث على الهواء لكل أولئك الذين لديهم أجهزة لاسلكية أو أجهزة راديو، فضلاً عن ظهور الرجل على الملأ وبجانبه كل من أكنتولا وروسيجى Rosiji، كل ذلك جعل من الحاج أبى بكر بطلاً محليًا فى تلك الساعة، كل ذلك مضاف إليه برقيات التهنئة والتبريك المرسلة من قبل وزير الخارجية وإلى الدكتور نيكروما. كان زهو الرجل وفرحه الخاص يزعزع ثقته بنفسه بعض الشىء، لكنه كان دليلاً واضحًا على أن أحد النيجيريين قد وصل إلى القمة، وقد تجلى ذلك أيضًا فى سيارة رئيس الوزراء الجديدة رمادية اللون من طراز رولزو رويس Rolls - Royce. كان المسئولون البريطانيون هم الذين اقترحوا توفير هذه السيارة، الأمر الذى جعل أبا بكر يعود إلى بواك Bewac ومعه سكرتيره الخاص قبل أيام قلائل من يوم التولية. وقام الحكام الأصاغر هم والسفراء بوضع أعلامهم على أفخم السيارات من طراز الخمسينيات فى بلدانهم - وذلك من باب رواج التجارة الوطنية وليس من باب الكرامة الذاتية، وذلك بغض النظر

عن الحسد والحقد. وسرعان ما تعلم الوزراء الآخرون أن مقعد الراكب المهم يكون خلف السائق طبقًا لقواعد البرتكول البريطانى. لكن الحاج أبا بكر أصر على الجلوس فى المقعد القريب من الجنب، وعندما اعترض ستالارد الذى كان يجلس بجوار أبى بكر أثناء الجولة جاء رد الرجل "آه! **أنا أعرف أن هذه هى عادتكم - قد يكون ذلك هو مقعد الشرف، لكنه أيضًا مقعد الخطر!**" كان أبو بكر لا يزال ينظر نظرة حياء لكن باهتمام بالغ إلى الأسرار التى تحت القبعة، وقد كانت هذه عادة الرجل منذ استلامه سيارته الأوستن Austin 16، عندما راح يسأل عما إذا كان معدن السيارة ودهانها قد جرى تنظيفهما من تراب الطرق النيجيرية الأحمر وغباره. وسرعان ما أصبحت السيارة وعلم مجلس الوزراء الذى تحمله، مألوفين لدى جماهير ليجوس، التى كانت تحيى هذه السيارة بلا حقد أو حسد. ولما كانت تلك السيارة مصنوعة طبقًا لمواصفات الطرق السريعة الأوروبية، فقد كانت معرَّضة للمتاعب والأعطال.

لم يكن تشكيل مجلس الوزراء شيئًا رسميًا. وسبق أن قال الحاج أبو بكر فى المناظرة التى دارت حول خطاب الحاكم العام الذى ألقاه من فوق العرش بمناسبة إعادة اجتماع مجلس الممثلين (المندوبين):

> **" لقد قررت بسبب إيمانى الراسخ بالوحدة الوطنية، أن تكون لهذا البلد حُكومة وطنية، حتى يحدث ارتباط وثيق بين الأحزاب السياسية الرئيسية - حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، وحزب جماعة العمل، وحزب المؤتمر الوطنى الكاميرونى - فى وضع السياسة وفى التخطيط استعدادًا للعام ١٩٦٠ .... وعليه فأنا أعتبر الفترة من الآن والعام ١٩٦٠ فترة طوارئ، إنها فترة يتعين علينا خلالها دفن خلافاتنا السياسية والعمل سويًا كفريق واحد .... الهدف الرئيسى من الحكم سواء**

أكان لأنفسنا وبأنفسنا أم حكم لأنفسنا بواسطة الآخرين، هو تحقيق الرفاه والازدهار لكل قطاعات السكان ....."

لم يتبين معارضوا المقاعد الخلفية فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى وجود أى دليل على وجود "طارئ وطنى" (من قبيل تلك الطوارئ التى أدت إلى إنشاء "حكومات وطنية" فى التاريخ السياسى لبريطانيا فى القرن العشرين) عندما كان الدكتور أزكوى هو وزعماء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ذلك المفهوم فى الاجتماعات الهامشية فى لندن، لكن الحاج أبا بكر تافاوا باليوا اكتشف أن السيد/ مبادوى هو وزملاءه كانوا متقبلين لتلك الفكرة طوال متابعتهم لها منذ ذلك الحين.

سارع الماحكون من خارج الحكومة إلى ادعاء مفاده أن ذلك المظهر الذى قُدِّمت به الوحدة كان مصطنعًا. وواصل أمين كانو تأكيده أن "وحدة" المجالس السابقة كانت نتيجة لوجود كبار الضابط البريطانيين، وليس بسبب المثل الذى ضربه أبو بكر، وراح الرجل يتطلع إلى خناقات حزب جماعة العمل طلبًا للدليل والبرهان؛ إذ يعد أبو بكر تافاوا باليوا أول إفريقى يقود مجلس وزراء إفريقى (برئاسة السير جيمس روبرتسون)، وهذا بحد ذاته جعل الرجل يبدو وكأنه الشخص الوحيد الذى وحدً السياسات النيجيرية. لكن واقع الأمر، أن الحاج أبا بكر ظل طوال بضعة أسابيع يضغط على الرئيس روتيمى Rotimi ليامز (وزير العدل والحكم المحلى فى الإقليم الغربى، وهو أصلاً من حزب جماعة العمل) ليعرب عن استعداد حزبه للتمثيل فى مجلس الوزراء الجديد، وإلى أن تم حل المجلس فى العام ١٩٥٩، لكن روتيمى ليامز تراجع عن ذلك، لأنه لو قدر للمعارضة الرئيسية الذوبان فى الحكومة، فإن المجلس قد يخسر الشعبية الحالية التى يتمتع بها - ومعروف أن المعارضة الجديدة والفاعلة تكون فى صالح المصلحة العامة (وهذا هو حال المفكرين المؤيدين لأمين كانو عندما كانوا لا تلين لهم قناة مطلقًا فى الإقليم الشمالى)، وتقدم روتيمى ليامز بمقترح استكشافى مضاد يطالب بتشكيل "لجنة استقلال وطنية"، ومع ذلك، وعلى الرغم من معارضة الرئيس آولوو

الشخصية والقوية، فإن الجناح التنفيذى فى حزب جماعة العمل استطاع التغلب على هذه المقاومة، وبعد مناقشات كثيرة جرى قبول الدعوى فى اللحظات الأخيرة، أو بالأحرى فى اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس. لم تكن مسألة كسب هذه الموافقة أمرًا هينًا، لكن جرى أيضًا كسب موافقة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى على قبول هذه الدعوى. وفيما يتعلق بحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، لم يكن هناك بد من موافقة الحاج أبى بكر تافاوا باليوا مع المعلم أمين كانو على أن ممثلى الحزب الفيدراليين كان يغلب عليهم الكسل، إذ كانوا يرون البرلمان على أنه نوع من الامتياز وليس تحديًا للعمل الجاد والشاق: كان الاثنان الوحيدان علاوة على أبى بكر، والقادران على إيقاف الأشياء وتنفيذها هما: محمد رباط وبوكار Bukar دبشاريما Dipcharima. ومن الأهمية بمكان هنا القول بأن أعضاء الحزب الذين انجذبوا ناحية أبى بكر بدلاً من المستشار السياسى الرئيسى كانوا هم أولئك الذين كانوا يكنُّون الاحترام لأمين كانوا فى الوقت الذى يمقتون فيه حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى.

جرت مناقشة ذلك كله مناقشة مستفيضة مع روبرتسون Robertson الذى أصغى لذلك كله ولم يتردد فى التعليم بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب. وهنا يجدر بنا الاستطراد بعض الشىء فى أول وزارة يشكلها أبو بكر تافاوا باليوا.

كانت القطعة المهمة على رقعة الشطرنج تتمثل فى عضو حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى كنجلسى Kingsley أوزومبا Ouzomba مبادوى Mbadwi الذى يدعى لنفسه حقًا ليس له عندما يقول: "أنا" الدكتور ثم يكمل بقية اسمه، هذا الرجل كان يبلغ من العمر اثنين وأربعين عامًا، وكان يحمل حقيبة وزارة التجارة والصناعة، وكان صاحب حقيبة وزارية اعتبارًا من العام ١٩٥٥ الميلادى، حصل هذا الرجل على درجة البكالوريوس، ثم درجة الماجستير، ثم درجة الدكتوراه فى القانون من جامعتى لينكولن Lincoln وكولومبيا فى الولايات المتحدة الأمريكية، تلقى هذا الرجل تعليمه السابق للتعليم الجامعى فى كل من كلبار، وأروشوكو Arochuku وليجوس. كان الرجل

ينظر إلى نفسه بصفته نائبًا لرئيس الوزراء، وكانت لديه قناعة وآمال بأن رئيس الوزراء، فى ظل الصراعات الحزبية الدقيقة، لن يستطيع ممارسة سلطاته فى غياب موافقة نائبه غير المعترف بها. كان كل من آزكوى وآخرين يعارضون هذه القناعة وتلك الآمال معارضة شديدة قائمة على الحقد والحسد، وفى نهاية المطاف اضطر الرجل إلى الاعتماد على جاهزية أبى بكر الدائمة وحرصه على إبلاغ فريق العاملين معه بكل ما يدور بشأن العمل. وعندما تذكر الرجل معنى كلمة "تافاوا" Tafawa خاطبه فرحًا وهو يقول "أيها الصخرة!" ثم جرى بعد ذلك مخاطبته على أثر ذلك، ومن باب التهكم باسم "السرعة Speed والسحر! Magic" (وهذه إضافة جانبية إلى هذا التلاعب بالكلمات تفيد أن قريبًا من أقرباء أبى بكر المسلمين المستقيمين، أجرى وهو يفكر فى نظرية الوحدة الوطنية مقارنة بين أبى بكر تافاوا باليوا والقديس بطرس الذى قيل له ذات مرة "سوف أقيم كنيستى على هذه الصخرة"). كان الرجل قد سبق له الحديث مرارًا ويحب عن صداقته مع أبى بكر إلى حد أن أولئك الذين قد يسخرون من "أن مبادوى صديق للجميع" قد يصدقون ويوافقون على ذلك الحب والإخلاص. ورد رئيس الوزراء على ذلك الحب بلا تحفظات كثيرة، وكان يزور مبادوى فى منزله بصفة منتظمة، وذلك المنزل الذى كان يعرف باسم "جمهورية الشعب". وعلى الرغم من وجود عدد كبير من المحامين فى مجلس الوزراء، فقد كان مبادوى يلعب لعبة يوحى بها أنه هو المستشار القانونى للرئيس، وأن المحامى العام لم يعد وزيرًا بعد، وكان السير جيمس روبرتسون يبادله هذه الطُّرفة.

كان الرئيس فستوس Festus صمويل Samuel أوكوتاى – إيبوه Okotie ـ Eboh، ذلك الرأسمالى المفعم بالحيوية والنشاط، والبالغ من العمر خمسة وأربعين عامًا، هو أوفر صناديد حزب المجلس الوطنى النيجيرى الأربعة حيوية ونشاطًا، ويشغل منصب وزير العمل والرفاه فى إتسكيرى Itsekiri، تلقى هذا الرئيس تعليمه فى سابيلى Sa-pele، وعمل ذات مرة كاتبًا فى طور شبابه، لكن الرجل ذائع الصيت حاليًا فى عالم

تجارة الأحذية من طراز باتا، وكذلك تجارة الخشب والمطاط، هذا يعنى أن الرجل كان كبيرًا بمعنى الكلمة قبل أن يدخل عالم السياسة. وأوفدته شركة باتا إلى تشيكو سلوفاكيا، حيث تعلم اللغة التشيكية وحصل على ديبلومتين فى إدارة الأعمال والأقْدَامِيَّة(*) كان الرجل زعيمًا فى كل من مجتمعى وارى Warri وإتسكيرى Itsekiri الثقافيين، كما كان يشغل أيضًا منصب أمين الصندوق الوطنى فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، كانت للرجل أيضًا استثمارات تجارية قوية واستثمارات تعليمية ثانوية. وجمع الرجل ثروة كبيرة لحزبه، ولنفسه، وعليه كان الموظفون المدنيون ينظرون إليه فى هذه المرحلة على أنه "محتال، لكنه محتال مقبول ما دامت جرت مراقبته والحذر منه"، أدت السنوات التى أمضاها أبو بكر فى ليجوس إلى جعل أبى بكر هو ومحمد رباط يشاركا ذلك التشكك. كان السيد/ جاجا واشوكو وزير التربية والتعليم الماهر البالغ من العمر تسعة وثلاثين عامًا، وناظرًا لمدرسة إحدى بعثات التبشير الأسكتلندية بالقرب من إفيكبو Afikpo، وسبق أن تناولنا الدور الذى قام به فى حوارات "الحكم الذاتى" وانسلاخ حزب الاستقلال الوطنى عن حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى. وبحكم أن الرجل نفسه كان ناظر مدرسة فقد اكتشف أن رئيس الوزراء كان هو الآخر يقر ويعترف بأن الكبار كلهم لديهم دومًا الكثير الذى يمكن أن يتعلموه ("لا، لا، يا جاجا، أنا لست مدرسًا بصورة دائمة")، كان السيد/ ريموند أمانزى Amanze نجوكو Njoku، البالغ من العمر اثنين وأربعين عامًا، وزيرًا للنقل. كان الرجل ينحدر من أويرى Owerri، وتخرج من كلية الملك فى لندن، وأصبح محاميًا فى ميدل Middle تمبل .Temple. وبحكم أن الرجل كان عضوًا فى الجناح التنفيذى فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، فقد قال عنه موظفوه المدنيون إنه كان لطيفًا وليس ملحاحًا. كان الرجل مسرفًا ومبذرًا فى مسألة اللباس والملبوسات، لكن

(*) الأقدامية: بفتح الهمزة وتسكين القاف وفتح الدال، هى: العناية بالقدم البشرية ومعالجتها. (المترجم)

ذلك كله كان يخفى وراءه طبيعة جسورة لم تظهر بشكل واضح إلا فى نهاية الجمهورية الأولى. كان هؤلاء من الشرقيين ومن "الغرب الأوسط".

كان وزير البحث والإعلام رجلا يورباويًا من أُشوجبو Oshogbo فى غرب إفريقيا، ويدعى الرئيس Chief كولاول Kolawole بالوجُن Balogun، أصغر الوزراء سنًا إذ كان فى الخامسة والثلاثين من العمر، وكان سكرتيرًا وطنيًا لحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، هذا الرجل عمل صحفيًا قبل ذلك مع الدكتور آزكوى، وتلقى تعليمه فى إيبادان وكلية الجامعة، فى لندن، حيث حصل على درجة الليسانس فى القانون. عمل الرجل بالمحاماة أيضًا، وكلِّف فى العام ١٩٥١ بإعادة تنظيم حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى ابتغاء المزيد من الكفاية. أما وزير الداخلية فكان رجلاً يورباويا من ليجوس، ويدعى السيد/ جى.م. جونسون Johnson، وكان يبلغ من العمر خمسة وأربعين عامًا، وهو واحد من السياسيين القلائل الناجحين، الذين خدموا فى قوات الحدود الملكية الإفريقية الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية التى حصل فيها على شهادة جدارة من نائب القائد العام لقوات الحدود، تفيد أن الرجل كان ضابط صف مُعَلِّم. كان ذلك الرجل يجد متعة فى العمل مع أبى بكر: "هو رجل يحترم آراء الآخرين – وأنت عندما تكون على وشك القتال معه، يظل موافقًا على أن من حقك أن تختلف معه". كان المنضمون الجدد إلى حزب جماعة العمل (بعد قيام مسئول الحزب التنفيذى بالتغلب فى نهاية الأمر على اعتراضات الرئيس أولوو بعد الزيارة التى قام بها السيد/ إس أو جبادا موسى S O Gbadamosi إلى الرجل فى لندن) يتمثلون فى نائب زعيم الحزب والسكرتير الفيدرالى، هذان الرجلان على وجه التحديد كانا الرئيس صمويل لادوك Ladoke أكنتولا Akintola، البالغ من العمر سبعة وأربعين عامًا، وهو واعظ معمدانى يورباوى صاحب صوت جهورى، وهو من أهل أجبو موشو Ogomo-sho، وقد عمل بالتدريس كما عمل صحافيًا، ومحاميًا، وشغل منصب وزير العمل والصحة، وقد ذاع صيته فى إضرابات العام ١٩٥٣ التى قامت فى كانو، وهو زعيم

المعارضة فى الفترة الأخيرة، وهو فى الوقت الحالى وزير للمواصلات والطيران، كان الرئيس إيوتوندى Ayotunde ورسيجى Rosiji البالغ من العمر أربعين عاماً، مساعداً لهذا الرجل، وهو أيضاً من أهل أشوجبو مثل كولا بالوجون Balogun، وقد تلقى أيو توندى روسيجى تعليمه فى إيبادان، ثم فى كلية يابا العالية ثم فى كلية الجامعة فى لندن، ليحصل بعد ذلك على درجة الليسانس فى القانون، وهو حالياً يتخلى عن ممارسة القانون ليصبح وزيراً للصحة. وقد قامت زوجة روسيجى بمصادقة واحدة من زوجات رئيس الوزراء، التى اعتادت أن تصحبها معها فى السيارة ليحضرا سوياً اجتماعاً نسائياً، فى الوقت الذى كان يقوم فيه روسيجى بنفسه بجمع المعلومات السياسية من خلال الدردشة عن طريق مصدر من مصادر حزب جماعة العمل. أما البديل الجنوبى الكاميرونى فكان السيد/ فيكتور Victor إيسمنسوجو Eseminsogo ميوكيت Mukete البالغ من العمر تسعة وثلاثين عاماً، وكان من قبل سكرتيراً عاماً لحزب المؤتمر الوطنى الكاميرونى، كان إيسمنسوجو قد درس قبل سفره إلى الخارج فى كلية "يوميا هيا" Umuahia ويابا العالية. وقد تقلد الرجل منصب وزير خارجية لكن بدون وزارة، أى أنه كان وزير دولة.

تبقت بعد ذلك ثلاثة أماكن لكل من الشمال وحزب المؤتمر الشعبى. أعطيت للحاج محمد رباط البالغ من العمر سبعة وأربعين عاماً، وبصفته محايداً فى مشاجرات الجنوب، حقيبة شئون ليجوس ومعها أيضاً حقيبة الأراضى، والمناجم والطاقة كانت مسألة "الطاقة" هذه أمراً غير مفهوم فى الغاية اللهم باستثناء هذا المصطلح فى التورية فى حالة النتيجة المترتبة على تناول شراب الجن، وقد بدا ذلك المصطلح مناسباً للرجل الذى يعرفه الجميع باسم "هاردو" Hardo، واللقب "هاردو" هذا يمكن أن يطلق على أى رئيس من الرؤساء الفولانيين (واقع الأمر أن الرجل أطلق عليه لقب "قوَّة القوى")، محمد رباط هذا لم يتجاوز مدرسة يولا Yola" المتوسطة، لكن مسئولاً كبيراً فى أدماوا وجد فى هذا الرجل رئيس حى قوى وأمين صندوق صادق العزم. كان محمد رباط

حصيفًا، وصريحًا على نحو لا يمكن أن يتحول معه إلى طاعن من الخلف أو متآمر، ولم يكن يخشى المستشار السياسى الرئيسى أو يخاف منه (وبخاصة أن المستشار السياسى الرئيسى أحس بأنه مدين لمحمد رباط فى مسألة إفشال حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى فى أدماوا)، فضلاً عن كون الرجل أصدق أصدقاء أبى بكر تافاوا باليوا، الشماليين الباقين فى ليجوس. هذا الرجل، محمد رباط دفع لواء المفاهيم التى تبناها الحاج أبو بكر هو ومسئوليه، ومحمد رباط هو أيضًا الذى راقب وأشرف على تنفيذ هذه المفاهيم، والتى تبلورت فى نهاية المطاف على شكل مشروع طاقة سد "كا إنجى" Ka'inji، وتطوير مؤسسة كهرباء الشمال وتحويلها فيما بعد إلى هيئة الطاقة الكهربية النيجيرية (لقد نشأت هذه الفكرة الأخيرة عن وعى مفاده أن هضبة جوس، بحكم اعتمادها على القصدير والكولومبيت(*)، كانت تتمتع باستقرارها اقتصاديًا فى أيام ما قبل اكتشاف البترول نظرًا لأن طاقتها كانت مستقلة عن طاقة مؤسسة كهرباء الشمال).

الحاج إينوا Inuwa وادا البالغ من العمر أربعين عامًا، الذى أعيد تعيينه وزيرًا للمسح والأشغال، كان قد انتقل من مدرسة كانو المتوسطة إلى كلية كاتسنا، وكان كشافًا جائلاً بصورة دائمة، ثم أصبح رئيسًا للكتبة فى هيئة الإمداد بالكهرباء المحلية فى كانو، ثم عين بعد ذلك مسئولاً عن تعليم الكبار والأعلام على المستوى المحلى، ثم أصبح بعد ذلك رئيسًا للكتبة، ومسئولا عن هيئة العاملين، وأخيرًا وصل إلى منصب السكرتير المالى للمستشار السياسى. وقد جرى العفو والصفح عن الدور المشين الذى قام به فى مظاهرات كانو، يضاف إلى ذلك أن الرجل واحد من "صنَّاع الملك" الأربعة فى إمارة كانو أو بالأحرى كان واحدًا من بين الذين درجوا على القيام بعملية الاختيار والانتقاء. كل من هذين الوزيرين صحب المستشار السياسى الرئيسى أثناء قيامه

(*) معدن من حديد وكولمبيوم. (المترجم)

بحجته الأولى. كان الأخير من بين أفراد هذا الفريق التنفيذى الجديد هو السكرتير البرلمانى السابق للحاج أبى بكر، والمدعو زنَّا Zanna بوكار Bukar دبشاريما Dipchri-ma واسع الأسفار والبالغ من العمر أربعين عامًا، تخرج الرجل من كلية المعلمين فى برنو، وعلى الرغم من أن الرجل كان من الكانورى Kanuri فقد كان رمزًا هوساويًا، عندما شارك فى وفد حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى الذى سافر إلى بريطانيا فى العام ١٩٤٧، لكن الرجل تحول إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى العام ١٩٥٤ . وبحكم أن الرجل كان مولعًا بالقتال والمقاومة، فقد سارع وتخلى عن مهنته ودخل مجال التجارة فى خدمة جون هولت Holt، وعلى الرغم من سوء الفهم السابق، أصبح الرجل يحمل فى الوقت الحالى ختم موافقة شتيما كاشيم المشروطة. وقد جرى تعيين الرجل مؤقتًا وزيرًا للدولة.

يندر أن تكون تشكيلة مجلس الوزراء على هذا النحو فى صالح الشمال أو لمصلحته. كان رئيس الوزراء يتولى بصورة مؤقتة حقيبة المالية، وهنا نجد الحاكم العام يشير بتدبر عواقب الأمور، هذه الحكومة المتوازنة توازنًا مدروسًا، وتقيم العدل بين الأقاليم والأحزاب وبين أولئك الذين كانوا يخشون رد فعل الشمال، كان يرجع لها الاحتفاظ بإدارتها للبرامج القائمة وتمضى فى طريقها قدمًا للقضاء على فورات الحماس المدمرة والمخربة. وراح الناس فى الخارج يتكلمون عن رئيس هذه الوزارة على أنه من قبيل تنجيكو Tengku الأرستقراطى وهاروفيان Harrovian نهرو الشرس صعب الإرضاء، هذه المقارنات لم تكن ذات مغزى كبير فى السياسة النيجيرية اليومية. حمل الحاج أبو بكر قائمة الأسماء والحقائب النهائية إلى الحاكم العام عند الساعة التاسعة من صباح اليوم الثلاثين من شهر أغسطس فور توليه مهام منصبه فى مكتب السكرتير العام السابق الذى أُعيد تأثيثه، بعد عودة أبى بكر إلى مكتبه سلم خطابات الترشيح الرسمية إلى سكرتيره الرئيسى الخاص: ريتشارد كنسمان، الذى رقى من مسئول شركة نهرى النيجر والكنغو التى تحظى برضا أبى بكر من ناحية ومسئول المجارى

المائية الداخلية من ناحية أخرى، وقام ريتشارد كنسمان بتوصيل تلك الرسائل إلى أصحابها والعودة ومعه الموافقات. وجرى إسناد منصب كبير السكرتيرين التنفيذيين فى مكتب رئيس الوزراء إلى السكرتير الرئيسى المساعد السابق المدعو بطرس Peter ستالارد، كان الحاكم العام قد سبق له الموافقة على كبير السكرتيرين (نائب الحاكم العام حاليًا) وعلى المناصب الإدارية الخاصة بالسكرتيرين الدائمين، كما اطلع الحاكم العام الشخص المحدد من قبل رئيس الوزراء، على هذه المناصب، ووافق مندوب رئيس الوزراء دون اعتراض على هذه التعيينات. بقى نوينز Newins فى مكانه سكرتيرا للحاكم العام ومجلس الوزراء (وبموافقة سابقة من أبى بكر تافاوا باليوا، استمر نوينز فى إرسال نسخ مما توصل إليه مجلس الوزراء إلى وزارة المستعمرات، لا للتعليق عليها وإنما من باب ترك انطباع طيب لدى لندن عما يجرى تحقيقه وإنجازه، كان نيوينز يرسل إلى رئيس الوزراء أيضًا محاضر الاجتماعات الدورية التى يعقدها السكرتيرون الدائمون، الذين كان يترأس اجتماعاتهم، وذلك من باب تحاشى فكرة وجود حكومة ظل). كان الحاج أبو بكر قد وافق مع الأسف، على ما مفاده أن احتفاظه بحقيبة وزارة النقل يعد أمرًا غير عملى، بعد أن أصبح مرتبطًا بها ارتباطًا وثيقًا، كان أبو بكر على قناعة بأن فارفيل Varvill، بحكم حضريته ونزاهته، ووزنه لجوانب النقاش وزنًا أخلاقيًا ومتوازنًا، يمكن أن يبقى فى وزارة النقل للإشراف على مشاريعه المفضلة. (والذى حدث هو، أنه بعد تعيين فارفيل بوقت قصير، تعين على نجوكو Njoku السفر بالطائرة إلى بريطانيا لإجراء جراحة كبرى، واستغرقت فترة النقاهة أشهرًا عدة، وقد أدى ذلك إلى قيام الحاج أبى بكر بتسيير شئون حقيبة النقل التى كان كارها للتخلى عنها، وراح فارفيل يرسل إليه التقارير مباشرة، وكان يتسلم تلك التقارير وهو فى طريقه إلى آرشى Archie موير Muir، وذلك عندما قام فارفيل بعمل بطرس ستالارد Stallard).

حاز عمل ستالارد سكرتيرًا مساعدًا فى مؤتمر لندن الأخير على إعجاب أبى بكر إذ تولد عنده إحساس بأن هذا الرجل يتمتع بذهن صاف غير معقد، وأن هذا الذهن

يسارع إلى الوقوف على الضروريات ويختصر ذلك الذى كان يمكن أن يقال أو يكتب عن تلك الضروريات دون أن يسىء ذلك إلى التفاصيل. وبذلك تكون آخر المشاركات البريطانية القيمة على النحو التالى: كان السير جيمس لا يزال يحوم وكأنه مصدر ظاهرى لا يحظى من مظاهر الحكمة، وكان الرجل مستعداً دومًا لتلبية الدعوى كلما كان رئيس الوزراء يدعو إلى حفل سمر مسائى، فى مثل هذا الظرف يصبح بطرس ستالارد بصفة دائمة هو كاتب السر والشريك الأصغر، إذ يروح يسهِّل من العقبات التى تلوح فى الأفق ويبعدها عن الطريق الإجرائى، وينصح بطريقة الهرب من الهفوات الديبلوماسية أو الإدارية التى تتنافى مع الذوق السليم، لكنه كان يتطلع من وراء ذلك إلى مساعدة السيد وفريقه على التوجه نحو أفضل الحلول المناسبة لمشكلاتهم. كان من الصعوبة بمكان فعلاً استباق الاتهامات الشوفانية التى مفادها أن ستالارد كان يحاول استمالة المكتب عن طريق المكر والدهاء، لكن المطلعين من أهل البيت الذين كانوا يعرفون الشركاء خير المعرفة كانوا يرون أن مهامهم إنما هى صحيحة من الناحية الدستورية وأنها تكمل بعضها بعضًا، وعلى الرغم من أن سكرتير رئيس الوزراء استطاع المحافظة تمامًا على سجل ارتباطات سيده، فإنه لم يشجع على الإكثار من المقابلات الخاصة مع المسئولين الآخرين. فى وزارة المالية، على سبيل المثال، أصبح فرانك دى سى وليامز، السكرتير المالى السابق، مستشاراً اقتصادياً للحاج أبى بكر على امتداد أشهر عدة قبل أن يُوفر إلى اتحاد جزر الهند الغربية الفيدرالى، كما أصبح النائب السابق جورج هى كارلايل Carlyle سكرتيراً دائمًا لأبى بكر تافاوا باليوا، الذى أصبح الآن مشرفًا على المؤسسات الخاصة بالعاملين.

بدأ رئيس الوزراء يُوجد شكلاً من أشكال التسامح وابتسامة ثابتة للدوامة الاجتماعية المتزايدة التى لم تجذبه مطلقًا وإنما كانت تحيط به رغمًا عنه علمًا بأن الرجل قام بتطوير النقاط الضعيفة الخاصة بالجنوبيين الذين يعملون معه، ظن الرجل أن من الواجب عليه إقامة حفل كوكتيل لكبار شخصيات ليجوس البالغ عددهم أربعمائة

شخصية، قرر ستمائة منهم الحضور أثناء الليل، وكانت لدى الحاج أبى بكر رغبة شديدة فى إقامة حفل الكوكتيل هذا فى الغرف العامة وحديقة منزله الرسمى الجديد الواقع على طريق الملك جورج الخامس فى مارينا Marina، والذى كان العمل قد انتهى فيه منذ فترة قصيرة، وكان لابد أن يسعى كل من ستالارد وكنسمان Kinsman إلى إقناع الحاج أبى بكر بإقامة الحفل فى صالة عامة، ولم يكن ذلك مطلقًا بسبب توقف الأمطار، وراح الحاج أبو بكر وهو يرتدى رداء يميل لونه إلى الزرقة، يشق طريقه مبتسمًا ومصافحًا ومرددًا بعض الكلمات التقليدية خلال الجمهور المتصايح فى حين كانت فرقة الشرطة الموسيقية تطغى على أصوات المتحاورين. ولما كان أبو بكر لا يعرف الرقص، ولما كان أيضًا من غير الشاربين للمسكرات (ولما كان أيضًا من غير المدخنين فى الأماكن العامة)، فقد ترك حفل الكوكتيل وقصد إلى الرقصة التى يقيمها العاملون فى مجلس المندوبين، حيث وجد الخطوات مختلفة اختلافًا كبيرًا عن خطوات الرقصة التى يرقصها السياوا Seyawa فى بلدة لير Lere أو المياوا Miyawa فى بلدة جانجوا Ganjuwa، وسرعان ما غادر أبو بكر المكان عندما اقترح عليه أحد الحاضرين إلقاء خطبة ثانية. وحضر أبو بكر عن قناعة كاملة، حفل الباليه الذى أقامه مجلس الوزراء على شرفه فى فندق ميلند Mainland وأمضى الرجل ساعتين إلى منتصف الليل وهو يساعد مائة وخمسين زوجًا وهم يرقصون فى سعادة رقص البذخ والترف. أقيمت أيضًا مأدبة رسمية بعد اجتماع المجلس مرة ثانية، وتحدث السير جيمس روبرتسون فى ذلك الحفل فقال: "فى العام ١٩٥٠ الميلادى زعم الحاج أبو بكر أنه لولا وجود البريطانيين لقام الشمال بغزو نيجيريا كلها إلى البحر، والآن، تصوروا أيها الضيوف الكرام، أن الرجل حقق ذلك الطموح فى الوقت الراهن - على الرغم من وجود البريطانيين!" وفقد أبو بكر هو الآخر صوابه وتحدث لمدة خمسة وأربعين دقيقة. وكانت هنا أيضًا حوالى ثمانمائة يد تعين عليه مصافحتها أثناء حفل الاستقبال الذى أقيم فى دار الضيافة التقليدية. وبذلك يتعلم الرجل ويعى مدى تقلص حياة الشخصيات العامة الخاصة عندما يصلون القمة، وقد وافق الرجل على ذلك كان لدى أبى بكر وسيلة

يستطيع بها صرف الضيوف الذين يرفضون مغادرة المكان بعد انتهاء حفل الغداء "الرسمى"، وبخاصة إذا ما كان هناك مسلمون من بين هؤلاء الضيوف، كان الرجل يردد بل ويقتبس عن القرآن الكريم ما مفاده أن الإنسان يجب ألا يضيع وقته سدى، حتى وإن كان يتناول غداءه مع النبى (ﷺ) .

كان مستشار سكتو السياسى الرئيسى هو وأمير باوتشى من بين كبار الضيوف الأربعين الذين جاءوا من الشمال (كما كان هناك عدد كبير آخر جاءوا من سائر أنحاء نيجيريا) الذين جرت استضافتهم أثناء الافتتاح الرسمى لمجلس المندوبين. وأشار الحاكم العام إلى عدم ظهور الأعضاء السابقين، وأعلن الرجل عن تعيين بريطانيا لرؤساء اللجان الدستورية الثلاثة، كما أعلن أيضًا عن التقدم المحلى الذى تحقق فى مجال القواعد والقوانين الانتخابية، وبعد أن أعرب الحاكم العام عن ثقته بالحاج أبى بكر قال: إن الشعوب والزعماء أصبحت الكرة بين أقدامهم وأن مسألة التسديد على المرمى متروكة لهم، وينسحب الرجل بعد ذلك ليتمعن تلك الاستعارة، كم عدد الأقدام التى ستركل هذه الكرة على مرمى واحد؟ كان رئيس الوزراء يشعر بالسعادة لأن الجميع اتفقوا على أن النظام الفيدرالى "فى ظل الظروف الحالية هو الأساس الوحيد الذى يمكن أن تظل نيجيريا موحدة بناء عليه". وبعد أن أعاد الحجج التى استعملها ليبرر لورتيمى Rotimi وليامز مسألة الحكومة الوطنية، لفت انتباه المجلس إلى نسيانه للسلف الذين جلسوا فى المجلس النيجيرى الأساسى والمجالس التى تلته اعتبارًا من العام ١٩١٣ . وشكر الرجل كلاً من الدكتور آزكوى، والرئيس أولوو، وأنديلى، والمستشار السياسى الرئيسى على تعاونهم ومساندتهم لقراره الشخصى بتشكيل حكومة وطنية، وذلك مثلما فعلت بريطانيا وهى تواجه الطوارئ فى العام ١٩٤٠ .

يضع رئيس الوزراء نفسه بعد ذلك تحت رحمة الأقدار التاريخية، أو بالأحرى تحت رحمة الشيطان الذى يعرفه: **"لقد أصبح أهل منظومة الحكم الديمقراطى فى**

المملكة المتحدة جزءًا من تراثنا الخاص بنا، ونحن يتعين علينا المحافظة على مؤسساتنا طبقًا للنموذج البريطانى السائد المعمول به، على أنى لا أقصد من وراء ذلك القول أننا ينبغى أن لا نقوم بعمل بعض التعديلات هنا أو هناك حتى يناسب ذلك النموذج ظروف بلادنا. الاقتصاد النيجيرى يرتبط ارتباطًا وثيقًا باقتصاد المملكة المتحدة، ونحن ننوى تقويه ذلك الارتباط لصالح البلدين. سوف نواصل، بعد الاستقلال، تطلعنا فى المقام الأول إلى بريطانيا كيما تمدنا بالموظفين الفنيين الذين نحن بحاجة ماسة إلى خدماتهم". وبعد أن شكر الرجل الموظفين المدنيين الماضين والحاضرين، وبعد أن شكر المبشرين والشركات التجارية (وتلك فكرة جديدة ربما يكون الرجل قد استوحاها من أعمال الغانى جو Joe ورمان Warmann فى وزارة النقل) وبعد أن شكر الأفارقة غير النيجيريين اختتم حديثة قائلاً: **"لو أن أعضاء المجلس يمتنعون قدر المستطاع عن انتقاد نشاطات الحكومات الإقليمية داخل المجلس، فإن ذلك يمكن أن يساعد على زيادة الوحدة ...... سيفرح أعداؤنا لفشلنا ..... وبوسع نيجيريا أن يكون لها نفوذ كبير فى الشئون الدولية إذا ما كانت موحدة، ولن يكون لها مثل هذا النفوذ إذا ما كانت مفككة".**

تلت ذلك سلسلة من المساهمات البهيجة والسارة إلى حد بعيد، وكان يمكن لتلك المساهمات أن تلعب برءوس البعض وتجعلهم يزهون بأنفسهم، وكبرت الغيرة والحسد فى نفوس أولئك الذين يستمعون إليهم. وهذا هو مبادوى يكرر عبادته للبطل عندما يستعمل تعبير "الصخرة السوداء"(*)، وهو يعبر أيضًا عن رغبته فى استعمال اللقب النيجيرى الدال على الأنانة I A M، وقال محمد رباط إنهم نجحوا فى إرباك المتهكمين بالحقيقة التى مفادها أن حزبين لهما إيدولوجتين مختلفتين اختلافًا كبيرًا أدارا الحكومة إدارة هينة وناجحة، وقال أكنتولا إن الفيل عندما ينتصر على نملة يفعل ذلك

(*) الإشارة هنا إلى أبى بكر تافاوا باليوا. (المترجم)

بلا فخر أو تباه، لكنك إذا ما دخلت فى معركة أو سجال مع أبى بكر وأعملت معيار النصر يصبح بوسعك التأكد من أنك نجحت فى مبارزة البطل ومواجهته.

وبذلك تكون المسألة قد تحولت إلى ما يطلق عليه متعهد حفلات الفنانين اسم "استعراض أبى بكر"، تناول كل من رئيس الوزراء ووزير المالية فى سهولة ويسر، ودون أن تلاحظ ذلك العين العابرة (الادعاءات الكاذبة التى ساقها رجل حزبه الجديد طلق اللسان وقليل الخبرة) خليطًا حقيقيًا من الموضوعات - التى من قبيل المجالس الاستشارية الشرطية غير المرغوب فيها، الإحصاء السابق لأوانه، هيئة العاملين فى مسألة النجِّرنة، الموافقات المنتظرة على الموازنات اللازمة لاستكمال برامج المرافق العامة المتسارعة بشكل غير عادى، تأجيل دفع ديون الفائدة المستحقة على جنوبى الكاميرون، ربط معاش لحملة الألقاب، السلطات والامتيازات التشريعية، إنشاء صندوق للسكك الحديدية، تعديل ضريبة الدخل، عضوية لجنة المال والأعمال، تحاشى التسابق على الرواتب بين الموظفين المدنيين والأعضاء المنتخبين، الأزياء الشرطية، الإحصائيات، تأميم البنك القارى الإفريقى، الحصانات الدبلوماسية، ومتدربى وزارة الخارجية. يزاد على ذلك أن شاغلى الكابينة الرسمية فشلوا فى التعبير عن حزنهم لغياب كل من السكرتير العام والسكرتير المالى.

فى معرض تعليقه على الجيش قال: **"قواتنا العسكرية ليست هنا للحرب فى المقام الأول. وأنا أرى أن الحرب عندما تصبح أمرًا محتومًا، وأنا لا أرى أى مبرر لقيام حرب بيننا بهذه السرعة. قواتنا العسكرية هنا من أجل الأمن الداخلى"**، وفيما يتعلق بالاقتراح الفاشل الخاص بالخدمة العسكرية الإجبارية كان الرجل سعيداً عندما سمع السيد/ كايود Kayode **"يوضح أن هذا البلد ينبغى أن يكون مستعداً للمشاركة فى الدفاع عن الكمنولث، وأن الجيوش فى أية حرب مستقبلية، لن تكون على الشكل التى هى عليه اليوم ولن تكون لها الأهمية التى كانت لها من قبل نظرًا لاختراعات الأسلحة الحديثة الجديدة .... ونحن ينبغى أن لا نقع فى الخطأ الذى يجعل الجيش النيجيرى**

يدخل معركة وهو صفر اليدين، وكل ما نرجوه فى حال وقوع الحرب، هو أن يكون هذا البلد قادرًا على المشاركة فى الدفاع عن الكمنولث الذى نتطلع أن نكون جزءًا منه .... الحكومة تستشعر نوعًا من التعاطف ... فى مسألة إعطاء هذا البلد نوعًا من النظام ونوعًا من التدريب الذى يمكن أن يؤهل الناس لتحمل مسئوليات محددة".

واجه أبو بكر فى مقترح التأجيل الأخير، اقتراح حزب الاستقلال الوطنى المتحد، الذى يعترف رسميًا بوجود المعارضة الرسمية، وذلك من باب منع التشابه مع الحكم الشمولى، يقول الرجل **"لا يتعين على الحكومة توفير معارضة للمعارضة، ..... لكنه إذا ما استطاع أن يعطينا أسماء أعضاء معارضته، فلن يكون هناك ما يمنعنا من أخذ المعارضة بعين الاعتبار .... لقد شرحت فعلاً للبلد الأسباب التى جعلتنى أصف هذه الحكومة بأنها "حكومة وطنية". نحن لدينا هدف مشترك. أذكر أنى عندما كنت فى المؤتمر الذى عقد فى لندن، طلب منا وزير الخارجية الذهاب إليه لنؤكد له أن بوسعنا العمل سويًا. وأنا كنت فى هولنده منذ زمن غير بعيد ـ والشعب الهولندى شعب راشد ومدرك تمامًا، ..... الأحزاب السياسية كلها هناك تتوحد فى مواجهتها للبحر .... قلت "حسن، انتبهوا أتمنى أن يكون ذلك فى بلدى، لكن كل ما تقولونه هنا فى المجلس التشريعى، هو من قبيل الديمقراطية، ما تقولونه هنا سوف يشارك الشعب فيه" ..... فى العام ١٩٥٣ على وجه التقريب** قال اللورد شاندوس Chandos: "حسن، إذا ما قال سياسى، "دون أن يخشى الاعتراض"، أعتقد أن من الأفضل له أن يعرض نفسه الآن على الطبيب" ..... **فإن مثل هذه المسألة لا تعنى حرمان البلد من المعارضة، وأنا يؤسفنى أننا لم نستطع الحصول فى مجلس الوزراء على عضو واحد من حزب الاستقلال الوطنى المتحد"**. ولكن فى معرض رد أبى بكر بعد ذلك على سؤال وجهه أحد الصحفيين عن مستقبل الاتحاد الفيدرالى قال: **"أنا لا أعتقد أن الأمر سيكون بهذه السهولة لأن عملنا يتمثل فى بناء أمة، وهذا أمر يتطلب وقتًا طويلاً. والمرء يكتفى بإحساسه بالسعادة الجمة عندما يرى أن الأمور تسير على النحو الطيب التى هى**

عليه". وبعد أن وقف المجلس تحية للرجل، انصرف لينام للمرة الأولى فى مسكنه الرسمى الجديد، الذى كان قد اكتمل فى ذلك الوقت.

فى شهر سبتمبر من العام ١٩٥٧ الميلادى صارت العبارة "نهاية مرحلة من المراحل" مبتذلة ابتذالاً كبيراً، وبخاصة فيما يتعلق بتقاعد السير بريان شيرود - سميث، التى جاءت هذه العبارة منطقية ومناسبة لها تماماً. لم تكن نهاية مهمة حاكم الشمال سعيدة تماماً بأى حال من الأحوال. استطاع حاكم الشمال أن يدرك ويعى أن آماله التى يعلقها على سلطات هدسون Hudson المحلية، التى كان يمكن أن تستوعب طاقات موظفى الشمال الجدد وولاءاتهم الذين سيحلون فى الوقت المناسب، مكان ضباط الأحياء المقيمين التابعين للإدارة المحلية، كما أن هذه الطاقات والولاءات كان الهدف منها هو ربط السلطات المحلية والسلطات الإقليمية ببعضها برباط التعاون والمساندة المتبادلة، استطاع الرجل أن يعى ويدرك أن ذلك كله لم يكن ليشجع كل أولئك الذين يتعين عليهم تحقيق تلك الآمال. لقد أفلح حاكم الشمال فى أن يخلّف وراءه بنية محسنة للترقى والترفيع (ذلك الذى أطلق عليه اسم "منحة شيرود") فى مجال الإدارة المحلية التى حققت الترقيات المستحقة لموظفى الغابات الذين كانوا ينظرون بعين الشك إلى التقدم السريع لكثير من زملائهم التهكميين أو المنصرفين إلى قراءة الكتب فى كل من ليجوس والوزارات الإقليمية، لكن لم يكن السياسيون كلهم أو الموظفون المحترفون يشاركون الرجل القناعة التى مفادها أن الأعمال المحلية بين جماهير السلطات المحلية والجماهير الريفية تعد هى الأهم.

تأكد الرجل من أنه فى ضوء موافقته وموافقة آخرين كثيرين، فإن الأفضل له أن يخلف وراءه أقوى فريق ممكن من كبار الموظفين المدنيين فى المناصب الرئيسية فى الوزارة وفى المناصب المحلية. وركز الرجل بصفة خاصة على أكثر الناس احتراماً وتبجيلاً وأرقاهم فكراً من بين كبار الممثلين المقيمين، فقد حل تم Tim جونستون -John ston محل ديك Dick جرسويل Greswell فى منصب سكرتير رئيس الوزراء. كان هناك

أيضًا احتجاج مكتوب مفاده أن الحاكم العام على العكس من ذلك سبق له قبول القائمة المقترحة من جانب رئيس الوزراء وتحتوى على أسماء الموظفين الفيدراليين، هذا الزعم (باستثناء المشاورات الرسمية التى دارت بشأن ستالارد) كان على العكس من الحقيقة تمامًا. وقد أدت هذه الظروف إلى شىء من الضجر والقلق من تكرار قيام شارود - سميث بإجازات لحضور الاحتفالات وإجازات خاصة.

استفحل الأمر عند كل هؤلاء نتيجة ثورة اللحظة الأخيرة حول مستقبل بطرس جيليوم Guillum سكوت Scott، السكرتير المالى. أما مادوكس Maddocks، شأنه شأن جرى Grey نظيره الفيدرالى فقد أصبح نائبًا للحاكم (وسوف يترأس المجلس التنفيذى فى حال غياب الحاكم)، وتقرر أن يصبح جيليوم سكوت، مثل وليامز "مستشارًا اقتصاديًا" غير رسمى. ومن سوء الطالع أن تسربت النتائج غير المعلنة، التى مفادها أن سكوت Scott باعتباره الرجل الثانى بين كبار الموظفين، كان يتعين عليه التصرف من منطلق نائب الحاكم مثلما كان "يفعل" الحاكم، وقد وقع سكوت فى الخطأ عندما أعد لافتة جرى وضعها على مدخل حديقته، من باب أن الرجل كان يتوقع بل ويتنظر رحيل شارود - سميث، وقد كُتب على تلك اللافتة "القائم بعمل الحاكم"، وجرى تركيب تلك اللافتة قبل الموعد المحدد بواسطة هيئة تنمية ما بعد الحرب. (وعلى حد قول المستشار السياسى الرئيسى)، كان من الصعب جدًا المخاطرة بالاستغناء عن رجل بمثل هذا الجد والاجتهاد وهذه المهارة، المصحوبة بلسان تهكمى وحب الدس والتآمر، ويبرر من خلال عمل اسمى كان من السهولة بمكان تجاهله فيه، وجعله يترأس مجالسهم عندما يمرض الحاكم أو عندما يقوم بجولة من الجولات. وهنا جرى الاعتراض على المنصب الاستشارى وتحتم على جيليوم سكوت أن يرحل.

كانت تلك هى البيئة المتعبة التى أحاطت بزيارة الوداع التى قام بها شارود - سميث إلى ليجوس كان شارود - سميث ضيف شرف على دار الضيافة الحكومية قبل الحفل الذى أقامه مجلس الوزراء، وقد شوهد وهو ينظر ويحملق عندما كان رئيس

الوزراء يتحدث بانفعال شديد عن شكره وامتنانه للمساندة والنصائح التى حصل عليها طوال حياته السياسية. كان أفراد عائلة شارود، قد تأثروا كثيراً بإشارة رئيس الوزراء عندما جعل منهم أول ضيوف له على العشاء بعد توليه منصبه فى منزله الجديد، الذى يطل على بحيرة ليجوس. كان الرجل قد قدم فى تلك الوليمة أرنبًا هنديًا على سبيل التجربة. وفى الليلة السابقة كان داود وليامز المحرر بجريدة وست West أفركا Africa، قد دُعى لتناول العشاء فى الليلة السابقة، كانت تلك الوليمة خالية من المشروبات الروحية، لكن وليامز قبل سيجارين ليعطيهما للبستانى العجوز فى أوكسفورد شاير هدية من "رئيس الوزراء". كانت السيدة/ نوره Norah ماجيكو دونمى Majekodunmi قد اتصلت بعد ذلك بوليامز لتخبره بتقرير سرى عن معايير جدول الخدمة المقدم من رؤساء الخدم عن فن طهى الطباخ.

أصر الحاج أبو بكر على مواصلة صداقته العلنية والصريحة حتى النهاية، وصحب كلاً من ستالارد وكنسمان لحضور الاحتفال النهائى فى كادونا فى الفترة من ١٧ إلى ١٩ سبتمبر باعتباره ضيفًا، كان الرجل قد جعل عربته مرتبطة بعربة الحاكم عندما بدأ القطار تحركه من محطة كادونا، وصحب معه الحاج عيسى كيتا، الذى عينه المستشار السياسى الرئيسى "ممثلاً" له فيما يعتقد كبير مستشارى كاتسنا أنه عذر واه لعدم ذهاب الرجل بنفسه. وعندما وصل كانو Kano نام فى القطار، مثلما اعتاد أن يفعل من قبل، وقال لبللو ولد عمر إنه يفضل النوم فى القطار تحاشيًا للناس الذين سيسألونه "ماذا تريد؟"، وكان يقصد بذلك الحرس، وحراس الليل، والاهتمامات الخاصة. أذرف الناس دموعًا كثيرة عندما كان كل من رئيس الوزراء، وعيسى كيتا، هو وأمير كانو، ومعهم بروس جريتباتش(الذى كان ممثلاً مقيمًا فى ذلك الوقت). عند أسفل سلم الطائرة على مهبط من مهابط مطار كانو لكى يكونوا فى الوداع النهائى للرجل، لكن رئيس وزراء الشمال لم يكن حاضراً ذلك التوديع. كان المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) قد زج بالسير بريان Bryan ليمثل الدور الرمزى للرفض

البريطانى تغيير (بمعنى التخلى عن السلطات الممنوحة للقوى الجديدة قبل أن يطالب الدستور بذلك)، يرى الآخرون شيئًا من الغرابة فى عدم سيطرة السير بريان على المستشار السياسى الرئيسى فى كثير من مباهاته وغروره. هناك رأى طيب مفاده أن السير بريان، على الرغم من قوته الذهنية وثقته بحكمه الصائب على أولئك الذين يعرفهم حق المعرفة، فإن الرجل كان لديه نوع من الخجل جعله يبدو وفى السنوات الأخيرة وكأنه يصعب الوصول إليه من قبل أولئك الذين لم يكونوا يعملون لحسابه من قبل أو أنهم لم يكونوا على استعداد لفتح قلوبهم لهذا الرجل. لم يخف السير بريان رغبته التى مفادها أنه ربما ترك الشمال بين يدى شخص أكثر شبهًا بأبى بكر تافاوا باليوا عنه بين يدى أحمد بللو، المستشار السياسى. يزاد على ذلك أن التغييرات الدستورية التى شهدها الشمال اعتبارًا من العام ١٩٥١، وليست الإصلاحات القضائية بتاتًا، كانت كلها من صنع السير بريان الذى لم يكن منظورًا فى تلك الفترة. كان الرجل يؤمن أن تلك الإدارة حاولت فى كل الأوقات وبكل الطرق استباق الأحداث، وكان كل العاملين معه يوافقونه على ما ذهب إليه. أما منتقدوه، وأولئك الذين كانوا يتبعونه فقد أحسوا بأن لديهم الاستعداد لقبول تقييم المستشار السياسى الرئيسى باعتباره شيئًا غير جديد.

هنا يبدأ عهد أبى بكر، تلك الفترة التى هى شبيهة بالفترات التى تعمر بالخطب البابوية. كان رئيس الوزراء قد أرسل بالفعل رسالة إلى مجموعة دراسة محصول الكاكاو فى منظمة الأغذية والزارعة فى أول اجتماع لها عقدته فى إيبادان، وكان الرجل يهدف من وراء هذه الرسالة إلى إحداث نوع من الانسجام بين مصالح كل من المنتجين والمستهلكين لهذه المادة، وبخاصة أنهم (المنتجون والمستهلكون) كانوا يتصارعون فى ظل صناعة واحدة. وتعين على أبى بكر أن يطلب إلى الرئيس فستوس إلقاء خطبته سابقة الإعداد، على مائتين من الشباب جاءوا من ستين دولة لحضور مؤتمر الطلاب الدولى السنوى السابع، المنعقد فى قاعة ترنشارد فى جامعة إيبادان،

والذى جرى فيه رفض إعطاء تأشيرات لبعض المندوبين الذين لا يتعاطفون مع هذا المؤتمر (كانت بعض القلاقل قد حدثت مؤخراً فى حرم الجامعة، وقد برز فى تلك القلاقل شاب يدعى باتريك Patrick شوكوما Chukwuma نزيوجو Nzeogwu كان يحتج على نوعية الطعام وطبيعة بعض القيود البدنية المانعة للجريمة) وجاءت الرسالة على النحو التالى:

" لقد وصلت نيجيريا الآن إلى مرحلة الفراشة التى خرجت للتو من خادرتها، والتى تنظر حولها إلى العالم المحيط بها، وهى تحاول الاستفادة من أجنحتها الجديدة وتستعد إلى إقلاعها الأول إلى المجهول. وهى تجرى اتصالات بطيئة بالعالم الخارجى ... اتصالات جرت .... من خلال ..... القوة الحامية ويجرى حاليًا تحويل هذه الاتصالات إلى اتصالات شخصية دافئة بين ما هو نيجيرى وما هو غير نيجيرى.

"فى الكلية أو الجامعة الإنسان معرض لخطر أن يصبح مجرد منظِّر، مجرد قطعة من الإسفنج تمتص وترتب مقادير هائلة من الحقائق. لكن جدوى معرفة مثل هذا الإنسان سوف تعتمد فى نهاية المطاف على مقدرة من نوع مختلف تمامًا - أنا أعنى بهذه المقدرة إمكانية مثل هذا الآدمى على فهم شخصيات الآخرين ومعتقداتهم أو تحملها، الذين قد يكونون، أو ربما يكونون بالفعل، مختلفين تمامًا عن ذلك الآدمى. قد تكون هذه هى الزيارة الأولى للكثيرين بل وربما معظمكم إلى إفريقيا، وطرق إفريقيا وسكان إفريقيا غريبة وجديدة عليكم. حاولوا فهم إفريقيا وفهم فضائلها، وأخطائها، وتطلعاتها، ونجاحاتها وفشلها .... وأنتم عندما تغادرون هذا البلد فى نهاية المطاف، لا تنسوا أن هذا البلد لا

يشكل سوى جزء صغير من قرية إفريقيا الشاسعة، وأن شرق إفريقيا وجنوب إفريقيا لا يشبهان غرب إفريقيا أكثر من تشابه أيسلنده مع إيطاليا.

تعين على أبى بكر بعد ذلك حضور مؤتمر "خاص" عقده حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى زاريا، قال الرجل فى ذلك الاجتماع: إن حكومته قامت ببعض الاستفسارات من خلال اللجنة البريطانية العليا فى أكرا Accra حول مسألة ترحيل نيجيريين شماليين بزعم ميولهما نحو نظام الدكتور نيكروما. بعد ذلك بأسابيع قلائل جرى تقديم الحاج أبى بكر من قبل السير جيمس إلى حاكم الشمال الجديد السير جاوين Gawain بل Bell، أحد الموظفين المدنيين السودانيين، الذى أصبح مؤخرًا عميلاً سياسيًا بريطانيًا فى دول الخليج. لقد اختير ذلك الرجل بواسطة لينوكس بويد بعد مقابلة من باب تفضيله فى المقابلة الأخيرة على أحد النبلاء الذين عملوا بالجندية. كانت أول النصائح التى أسداها أبو بكر إلى جاوين بل هى إن وحدة البلاد هشة، وتعتمد على عدد من الزعماء لا يتجاوز اثنى عشر زعيمًا من زعماء الأحزاب. وأن الأمر يحتم انسجام العمل وتناغمه مع المستشار السياسى الرئيسى: **"ستحكم عليه بنفسك وهو له مقدرة كبيرة ونفوذ كبير أيضًا، أتمنى لكما أن تتوافقا وتمضيا قدمًا ولا تختلفا، لأنكما إن فعلتما ذلك فسوف يؤدى إلى تصعيب الأمور عليكم".**

بانتهاء العام أصبح واضحًا أن روتين الماكينة الحكومية النيجيرية لم يعد بحاجة إلى استمرار وجود وزرائها فى مناصبهم، وأنفق رئيس الوزراء قسمًا كبيرًا من وقته فى الداخل والخارج، طلبًا للمعرفة وابتغاء لمعرفة الآخرين له. وحتى عندما يكون فى مكتبه يصبح مشتتًا بسبب إلحاح أعضاء البرلمان الزائرين ولجاجتهم، ومحررى جريدة "السياسى الجديد" The New Statesman ومجلة التايم Time، والمحرر الاستعمارى فى جريدة التايمز Times اللندنية ومبعوث من وزارة الخارجية الأمريكية. ذات مرة، وعندما كان أبو بكر وحده فى مكتبه مع فولى Foley نوينز Newns وصف الموظفين الإداريين

الذين نشأوا فى المقاطعات الشرقية (كان نوينز نفسه واحداً من هؤلاء) بأنهم أفراد مثل الإجباويين Igbos، ومضى إلى القول: إن الأمراء فى الشمال تغلب عليهم العظمة والأبهة. ثم ينهض الرجل واقفًا ثم يجلس أمام مكتب كبير الأمناء كما لو كان أميراً، وأردف قائلاً إن بعض الضباط الإداريين الشماليين انتحلوا هذه السمات وأصبحوا ذوى عظمة وأبهة أيضًا.

عاونت حرم الدكتور ماجيكودونمى Majekodunmi سكرتير رئيس مجلس الوزراء الخاص فى تنظيم المزيد من حفلات الغداء، التى كان من بينها مأدبة أقيمت على شرف حوالى عشرين من المقيمين الأمريكيين، كما أقيمت مأدبة أيضًا لبعثة البنك الدولى ومأدبة أخرى للزائرين الذين جاءوا من شركة نهرى النيجر والكنغو، كما حضر اللورد ريث Reith لتناول الغداء أيضًا، كما فعل السير جاوين بل الشىء نفسه. وقام الرجل (أبو بكر) بأول زيارة رسمية له للشمال، عندما قام بتحيته فى المطار موظف كان يرافق وزير الداخلية الفيدرالى، "مرحبًا بك يا معالى رئيس الوزراء فى الشمال!"، لكن الرجل يرفض تلك التحية بفظاظة قائلاً: **"لماذا ترحب بى أنا فى الشمال؟ أنا لنيجيريا كلها"**. وجاءت لحظة من لحظات الصبر المشوب بالتوتر عندما أعلن المستشار السياسى الرئيسى فى ليجوس أنه، بصفته زعيمًا لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، سوف يدعو إلى عقد اجتماعات دورية لرئيس الوزراء ورؤساء الوزراء الإقليميين وزعيم الشئون الحكومية فى جنوبى الكاميرون لكى يقوموا جميعًا بمناقشة الشئون النيجيرية إلى أن يجىء موعد الاستقلال. كانت هناك أيضًا لحظة من لحظات المفاجأة الحقيقية عندما لقى أبو بكر حنانًا حقيقيًا بلا تنازلات عندما كان الرجل بين يدى السلطان، عندما قام أبو بكر بزيارته الرسمية الأولى لسكتو Sokoto بصفته السياسى الكبير فى البلاد.

بعد أسابيع قليلة من مناقشة الميزانية، أعطى رئيس الوزراء حقيبة المالية إلى الرئيس Chief فستوس Festus أوكوتاى Okotie إيبوه Eboh، فى الوقت الذى أكد فيه وعلى الملأ أن إلغاء منصب وزير المالية لا ينبئ بأى تغيير جذرى فى التعامل مع مالية

البلاد. مسألة صديق يوروباوى كان يعمل فى القضاء، عن ما يعرفه الناس ويقولونه عن الرئيس فستوس، ورد عليه أبو بكر: "نعم، **أنا أعرف ذلك، وأنت تعرف ذلك أيضًا: لكن ما الذى بيدى أن أفعله غير هذا؟**" وعلى الرغم من أن كارلايل تحاشى أن يثقل كاهل رئيس الوزراء بالمزيد من الأعباء فى وزارته المزدوجة، فإن فستوس بدأ فترته بالسعى إلى الحصول على موافقة الحاج أبى بكر على كل القرارات التى تعين عليه اتخاذها. وراح رئيس الوزراء يقلل من هذه العملية بصورة متدرجة عن طريق التدرج فى "قفل الصنبور"، لكن على الرغم من أن الرئيس فستوس اكتسب على وجه السرعة المزيد من الثقة بحقيبته، فإنه ظل لعدة أشهر يكشف عن تخوفه من أبى بكر. كان الحاج محمد رباط هو الصديق الشمالى المقرَّب إلى فستوس، وقد أضرت هذه العلاقة فيما بعد بسمعة محمد رباط بين الجنوبيين الذى بدأوا يستنكرون ممارسات فستوس دون اعتراف منهم بصراحة محمد رباط. وهنا قام رئيس الوزراء بإبلاغ كارليل مباشرة أنه إذا كان يجد نفسه داخلاً فى بعض المصاعب مع الرئيس فستوس، فإنه يتعين عليه المجىء إليه (أبى بكر) شخصيًا، وانشرح صدر كارليل لكنه أحس بالحرج، لأن ولاءه الوظيفى لابد أن يكون لفستوس، ولم يحدث مطلقًا أن استغل كارليل عرض رئيس الوزراء. وعلى العكس من ذلك، وعندما رفض الرئيس فستوس فيما بعد قبول التعليق الذى جاء به كارليل وكان مبالغًا فى صراحته، وذلك مثلما يحدث للسكرتيرين الدائمين فى الحكومة البريطانية فى ظل الهجوم الشخصى عليهم من قبل وزرائهم، وينظرون إلى ذلك بأنه لا ينطوى على تعدٍّ للحدود، كان فستوس أول من اشتكى لرئيس الوزراء. وهنا قام الحاج أبو بكر بالاتصال هاتفيًا بكارليل وطلب منه الحضور إليه، "**إذا ما كان لديه متسع من الوقت**" : وبعد أن انتهى كارليل من روايته لما حدث، استدار رئيس الوزراء إلى الرئيس فستوس وروى له بعض الأمور غير المعروفة لكارليل، والتى أساء بها وزير المالية إليه، وأصدر له تعليمات بألا يتكرر ذلك منه مرة ثانية. وجاء ذلك بمثابة تطييب لخاطر جورج كارليل فى اللحظة نفسها، لكن المحزن أن ذلك جاء بمثابة تكسير لقاعدة نظامية من قواعد إدارة الموارد البشرية، إذ منعت وإلى الأبد وجود أى نوع من

المصالحة بين وزير المالية وسكرتيره الدائم. وتفاقم ذلك الصراع عندما شرع كارليل باعتباره الضيف المرافق الآخر المناسب، فى إبلاغ فستوس أنه لم يغفر له محاولته التملص فى اللحظة الأخيرة من توجيه دعوى إلى غداء رسمى يقيمه رئيس الوزراء.

أدى أول اجتماع للجنة الدفاع النيجيرية إلى الجمع بين أبى بكر والرئيس آولوو رسميًا تحت رئاسة الحاكم العام. واجتمع أيضًا المجلس الوطنى للمؤسسات (أحد نتائج إحدى المبادآت الغربية الإقليمية) برئاسة مجلس الوزراء، فى محاولة من المجلس للمحافظة على أن تكون للخدمة العامة شروط معقولة فى سائر أنحاء نيجيريا. ومن باب المصادفة أرسل الشيخ شاجارى، عضو مجلس المنح الدراسية الفيدرالى، مذكرة لرئيس الوزراء عن نقص عدد العاملين الشماليين فى السلطة، كان المعلم شاجارى قد أرسل من قبل رئيس الوزراء فى جولة إلى الشمال ليدعو المجندين للتقدم للخدمة الفيدرالية. وفى الوقت الذى سافر فيه السير جيمس فى مهمة ديبلوماسية إلى المستعمرات الأسبانية المجاورة وبخاصة مستعمرتى فرناندو ٦٠ P وريو Rio ميونى Muni (التى هى عبارة عن بلد وحيد فى إفريقيا الاستوائية الأسبانية)، كيما يتبين بنفسه شيئًا عن الشروط محل النزاع فيما يتعلق بهجرة العمالة الإجباوية إلى هذا البلد، أدت بعض الشئون الخارجية إلى استرعاء المزيد من الاهتمام. فقد قام الروس بإطلاق قمرين صناعيين للدوران حول العالم، وكان القمر الثانى يحمل كلبة اسمها لايكا Laika، وجرت مراقبة ردود أفعالها الجسدية عن طريق اللاسلكى، وقد شوهد القمران يلمعان فى الليالى الصافية، وهنا بدأ النيجيريون الذين كانوا واثقين تمامًا من التقدم والتفوق التقنى الغربى، بدأوا يتساءلون ويندهشون، وراحوا يحرجون ضباطهم وموظفيهم البريطانيين بكثير من الأسئلة التى لم يجدوا لها أجوبة.

حدثت فى المستعمرات الفرنسية اضطرابات سياسية لا علاقة لها بالفلسفة التى سبق قبولها والموافقة عليها من قبل، كانت المقترحات الجديدة تنادى باتحادين فيدراليين قويين فى كل من غرب إفريقيا وإفريقيا الاستوائية على أن يكون هذان

الاتحادان الفيدراليان مرتبطين بفرنسا على ألا يكون لهما نواب ممثلون لهما فى باريس. عقد جيش الدفاع الملكى مؤتمره الثانى منذ العام ١٩٤٦ الميلادى. بعد أن قام السير هوغ Hugh فوت Foot، بترؤس استعدادات جاميكا للحكم الذاتى الداخلى، أُوفد ليحل محل الماريشال هاردنج Harding حاكمًا على قبرص، وتأسيسًا على ذلك، فشل القرار المقدم من اليونان ويقضى بأحقية قبرص فى تقرير مصيرها، فى الحصول على أغلبية الثلثين فى الأمم المتحدة. وفى بعض الأماكن الأخرى من البحر المتوسط، قررت الجمعية التشريعية فى مالطة أن جزيرة جورج كروس لن تدين بأى ولاء لبريطانيا اللهم إلا إذا توفرت العمالة لعمال الموانئ العاطلين فيها. وقام حزب سيراليون الشعبى بانتخاب ألبرت Albert ميخائيل مرجاى Margai البالغ من العمر سبعة وأربعين عامًا، والذى كان ممرضًا وعامل عقاقير قبل التحاقه بالنقابة، انتخبه بأغلبية اثنين وعشرين صوتًا، لكن الرجل تنازل لأخيه ميلتون الذى يكبره وحصل على واحد وعشرين صوتًا. أما جامبيا، شأنها شأن أبى بكر لم تتبين كيف يمكن أن "تدخل فى حرب مع نفسها" فى زمن السلم، ولذلك قررت استبدال جيشها الذى لم يدم سوى فترة قصيرة من زمن السلم، بقوة شرطية مساعدة مسلحة تسليحًا خاصًا. وفرض مجلس التصدير العالمى قيودًا على إنتاج القصدير، الأمر الذى أسفر عن تخفيض الإنتاج والقوة العاملة فى هضبة جوس فى غربى باوتشى بنسبة ٤٠٪. كما افتتح المستشار السياسى الرئيسى مصنع كادونا الجديد للمنسوجات، وقد استوعب ذلك المصنع عددًا كبيرًا من عمال الحزام الأوسط وبخاصة من التيف ومن الهضبة، وقد جاء من باب المصادفة فى ذلك الحين، أن الأعضاء التيف من حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد كانوا يتحاورون فى جبوكو Gboko حول مسألة مجيئهم إلى الإقليم بعد رحيل الأوروبيين عنه، وحصوله على الحكم الذاتى، ويعملون لحساب ولاية الحزام الأوسط الجديد، والتى ستكون عاصمتها فى جوس Jos معتدلة المناخ. وهنا قررت جمعية الإمبراطورية الملكية فى لندن تغيير اسمها ليصبح جمعية الكمنولث الملكية.

تصل فى شهر نوفمبر مجموعات المفوضين الدستوريين الثلاثة لتبدأ فى تحقيقاتها الخاصة بالرأى العام. كان اللورد ميرثر Merthyr نائبًا للناطق باسم مجلس اللوردات، واضطلعت مجموعته بأسهل المهام، التى كانت تتعلق بإعادة تحديد حدود الدوائر الانتخابية التى يبلغ عددها ٣١٢ دائرة. وكان السير جيرمى ريزمان Raisman، العضو المالى فى حكومة الهند قبل التقسيم والاستقلال، ويشغل حاليًا نائب رئيس بنك لويد، يترأس اللجنة المالية المكلفة بتحديد حصة من الدخل الكلى البالغ ٨٠ مليون جنيه إنجليزى، لكل حكومة من الحكومات المتعددة، وأقام الحاج أبو بكر حفل كوكتيل لذلك الرجل وتمنى له النجاح فى مهمته (التى تعد عملاً لا يفهم أحد حساباته أو منطقه ولا ترحب به الحكومات، إذا لم تعط الصيغ المقدمة الفرصة أو المبرر لأى إقليم من الأقاليم كى يعمل من أجل نجاح الأقاليم الأخرى). والذى لا شك فيه أن التوصيات الصادرة عن لجنة السير هنرى Henry ولكنز الخاصة بمشكلات الأقليات هى التى كانت محورًا لكثير من الجدل. كان الحاكم العام قد راح يكرر ويعيد على الزعماء السياسيين الإنذار الذى وجهه لينوكس بويد والذى مفاده أنه من باب المحافظة على بقاء الأمور على ما هى عليه، يُفضل تأجيل الاستقلال، نظرًا لأن الحكومة البريطانية كانت مصممة فقط على تسليم الأمر لمؤسسة تعمل بالفعل. كان كل من الدكتور أزكوى والرئيس آولوو لا يزالان يتطلعان إلى زيادة عدد الأقاليم باعتبار ذلك وسيلة للتخفيف من ثقل الأقاليم الشمالية الفظيع، لكنهما بحكم كونهما رئيسى وزراء عمليين، على الرغم من أن أحدهما كان وحدويًا والثانى فيدراليًا، كانت لهما بعض التحفظات على تقسيم قواعد قواهما.

كانت لدى الدكتور أزكوى أيضًا بعض المشاغل السياسية، نظرًا لأن الرجل اكتشف أن زعامته التى يصعب النيل منها فى ذلك الحين بدأ يجرى تحديها من خلال وعوده، التى لم تتحقق بعد، بإعطاء الشرق تعليمًا ابتدائيًا كونيًا، لأن تحميل تكاليف هذا التعليم على تخفيض الإنفاق وإعادة إدخال رسوم التعليم فى الصفوف ما بعد

الرابع أصبحت أمراً لا فكاك ولا مهرب منه (ولو لم يجر تزويد مجلس أبى بكر التنفيذى بإحصائيات حزبية خيالية، لما قطع على نفسه تلك الوعود، نظراً لأن الأرقام الوزارية الرسمية المتيسرة تحول دون إفراغ صناديق خزانته). أما لجنة الأقليات فقد استخلصت على وجه السرعة أن السبب وراء مطالبة الدكتور أزكوى بقوة شرطية نيجيرية مركزية قوية يكمن فى أن الرجل كان يرى نفسه على أنه رئيس الوزراء الفيدرالى القادم. أما الدكتور أوكبارا Okpara، القائم مقام، فقد أوضح للمفوضين أنه يود مركزاً قوياً بأى حال من الأحوال، وكثيراً من "الولايات" - والفشل فى ذلك سيكون بمثابة جوازات مرور قوية للأقليات التى يجب أن تنطوى على رفض إعادة أقلمة كل من الشرطة والقضاء، والسجون ومستشفيات الصحة النفسية، وأوضح القائم مقام للمفوضين أيضاً أن الخزانات الفرعية يتعين عليها دعم الأقاليم ومساندتها على ألا تكون تلك المساعدة هى الجباية أو الإيرادات، وإنما يجب أن تكون من خلال احتياجات الأقاليم، ومن خلال نقاط جديدة مهمة، أى من خلال الكفاية والكفاءة فى تلك الأقاليم. وهنا يعلق نائب الحاكم بما مفاده أن الأتسكيريين Itsekiris لا يستطيعون التعايش مع السوبيين Sobos أو الأجوبيين IJas، أو البنيين Binis. ويصل لجنة ولنك Willink خضوع مهم آخر من طبيب شرقى مميز هو السير فرانسس Francis إبيام Ibiam (الدكتور أكانو Akanu)، الذى كان يعيش على مرتب زهيد كان يحصل عليه من البعثة التبشيرية، والذى كان يتكلم بصفته رئيساً للمجلس النيجيرى الكنسى، قال إن اقتراب الحصول على الحكم الذاتى أدى إلى صحوة قوية فى الإسلام، وأن البعثات التبشيرية المسيحية فى الشمال تعتقد أن الإدارة البريطانية شجعت ذلك عن قصد أو غير قصد.

أجرى الحاج أبو بكر مقابلة شخصية خاصة مع ولنك Willink من تلقاء نفسه، وقال له:

> **"خطأ من بريطانيا بعد كل هذا الذى بذلته من أجل أن تجعل من نيجيريا بلداً، أن تعود قبل أن تمنحنا الاستقلال بتقطيع البلد إلى**

أجزاء صغيرة .... لو قدر أن يكون هناك إقليم جديد .... فسوف تكون هناك متاعب كبيرة وسفك للدماء، وسوف يؤدى ذلك إلى تأجيل الاستقلال مدة سبع سنوات .... المملكة المتحدة حظيظة جداً بملكيتها، وأمراؤنا يتعين استمرار الاعتراف بهم، وإعطاؤهم بعض الحقوق السياسية ..... نصحنى بعض من الناس بعدم إجراء أى اتصال باللجنة، لكنى أرى أن من واجبى أن أفعل ذلك ..... اللجنة سيتحتم عليها زيارة سكتو، وكاتسنا، وبرنو، وباوتشى.... وأنا أرى أن تفعيل الشريعة الإسلامية سيكون مقصوراً على الأمور المدنية، أما الجرائم فسوف يجرى التعامل معها طبقاً للقانون الإنجيليزى".

فى شهر نوفمبر أمضت الأميرة رويال Royal اثنى عشر يوماً فى نيجيريا، ممثلة للملكة فى الاعتراف بالحكم الذاتى الداخلى لكل من الإقليم الشرقى والإقليم الغربى، الذى أصبح سارى المفعول اعتباراً من اليوم الثامن من شهر أغسطس. كما نابت الأميرة رويال عن الملكة فى حضور الاحتفالات التى جرت بهذه المناسبة. وصلت الأميرة رويال إلى ليجوس حيث كان رئيس الوزراء من بين جماعة الاستقبال والترحيب الرسمية. وقد رافق رئيس الوزراء الحاشية كلها إلى إيبادان، وشاهد رئيس الوزراء وتابع الخطاب الذى أُلقى فى مجلس الرؤساء الذى تجمعت فيه الجمعية الغربية المنتخبة، مثلما يتجمع مجلس العموم مع مجلس اللوردات عند افتتاح الملكة للبرلمان، فى تلك المناسبة كان أبو بكر يضع العمامة كاملة على رأسه، كما كان يرتدى برنس القيافة Alkyabba وعليه نوط الإمبراطورية البريطانية الذى يوضع حول العنق، كما كان هناك أيضاً شريط وردى اللون من التكامل مع ثوب صاحبة الجلالة وردى اللون، وأنواط الرسميين المدنية وأزياؤهم. وكان يسبق أبا بكر وهو فى سيارته الرولز رويس اثنان من راكبى الدراجات النارية يرتديان زياً موحداً أبيض اللون، وكان الرجل يرد

على تحية الجماهير له بالابتسامات والتلويح بيديه، وأيضًا بالتعليقات الهامسة إلى كل من سكرتير رئيس مجلس الوزراء الخاص، هو وسائقه. "نعم، ما الذى فعلته أنالك، يا صديقى؟": ويتمتم الرجل ردًا على "مرحبًا برئيس الوزراء"Prime minister! **قائلاً: "أنت تقصد، الوحش الرئيسى؟** Prime monster. كما حضر أبو بكر افتتاح الأميرة لمستشفى الكلية الجامعية التعليمى، الذى تكلف إنشاؤه مبلغًا ضخمًا يقدر بحوالى ٤,٥ مليون جنيه إنجليزى، كما حضر الرجل أيضًا استعراضًا راقصًا مشهودًا. وقد أدت المظاهرات التى اندلعت فى بلاد التيف إلى منع صاحبة السمو الملكى من زيارة بلدة ماكوردى خلال جولتها الأقل من الفرعية فى الشمال.

مع بداية شهر ديسمبر أمضى رئيس الوزراء ستة أيام من الأسفار قطع خلالها ما يزيد على ألف ميل بالسيارة، تجول خلالها فى سائر أنحاء الإقليم الشرقى. اشتملت تلك الرحلة على رحلة بطائرة شركة شل العمودية بدأت من ميناء هاركورت وانتهت فى بلدة بونى Bonny، التى التقى فيها الدكتور أزكوى، ثم انتقل بعد ذلك إلى منصة من منصات التنقيب عن البترول فى المياه، ومنها إلى منصة من منصات التنقيب عن البترول فى البر. وتسلم أبو بكر على سبيل الهدية قارورة من البترول النيجيرى، وكانت الآمال أكبر من ذى قبل، لكن الكميات التجارية كانت لا تزال بعيدة عن المنقِّب، الذى بدأ يتطلع إلى الجنوب ويقصد مياه البحر. لاحظ أبو بكر أن المدير الهولندى المحلى الذى يعمل فى الدلتا يوفر معدات الحفر الثقيلة، لأنه يعلم أن الاستعمال الجائر، وصعوبة الصيانة، وعدم توفر قطع الغيار قد يجعل هذه المعدات غير صالحة للعمل خلال فترة وجيزة، ولذلك آثر الرجل استخدام أعداد كبيرة من عمال اليومية الأصحاء ومعهم المعاول والكواريك. وعاد أبو بكر ليعلم وهو مكلوم الفؤاد أن السيد/ شوكو Chu-ku نوابا Nwapa الذى كان وزيرًا زميلاً معه فى العام ١٩٥١ قد وافته المنية، ويفاجأ بخبر مفاده أن الدكتور نيكروما تزوج فى نهاية المطاف من سيدة قبطية مصرية تتكلم الفرنسية (تقول الشائعات أن عرَّافًا نصحه بالبحث عن عروس له من الشمال الشرقى،

وأنه تحتم عليه إثر ذلك الذهاب إلى هذا المدى للعثور على امرأة ليست مسلمة أو فلاحة).

القارئ الذى يصاب بالإحباط عندما يقرأ الفصل العاشر من هذا الكتاب نظراً لكثرة الاقتباسات المهمة المأخوذة من أقوال أبى بكر، والتى توضح تطور فكر هذا الرجل، هذا القارئ نفسه سمح بكثير من المقتطفات (بل وما هو أكثر منها فى الفصول القادمة) وقد يكون هذا القارئ حاليًا بحاجة إلى توكيد ما نقوله بصورة أخرى. قد يكون من غير المطلوب أو بالأحرى المستحيل أن نسجل كل ارتباطات الرجل العامة والاجتماعية. والأعمال التى من هذا القبيل، والمدرجة فى فصول هذا القسم من الكتاب، إنما أوردناها لمجرد تذكير القارئ الذى قد تشوشه التعليقات الصحفية الكثيرة من ناحية والنشرات السياسية اليومية التى مفادها، من الناحية الأخرى، أن زعيم أى بلد من البلدان لا يتحكم فيه مجلس الوزراء أو البرلمان أو حتى الجدل السياسى بصورة مستمرة، هناك نشاطات بشرية كثيرة جدًا لا تحظى "بالاحترام" ولا توصف "بالكفاية"، ويمكن العثور عليها فى دفاتر المواعيد (أجندات) وفى دفاتر يوميات وقت الفراغ، هذه المواعيد والارتباطات قد يكون لها تأثير على الفرد. والمثال الحى على ذلك، تلك الزيارة المهمة التى قام بها فى العام ١٩٥٧ سيد عبد الله خليل، رئيس وزراء السودان البالغ من العمر تسعة وستين عامًا.

سيد عبدالله خليل، كان ريفيًا من أتباع الحركة المهدية، وقد شارك الرجل فى الحرب العالمية الثانية مع الجيش المصرى فى جاليبولى Gallipoli، كما كان يحمل أيضًا رتبة العميد فى قوة الدفاع السودانية، وكان أيضًا سكرتيراً لحزب الأمة، ووزيراً للزراعة فى الخرطوم. كان الحاج أبو بكر قد سبق له لقاء محمد أحمد محجوب زعيم المعارضة السودانية، عندما قام الرجل بزيارة لباوتشى قبل ذلك بسنوات قلائل، واكتشف أبو بكر أن محجوب كان ودودًا وواقعيًا، لكنه فى هذه المرة اكتشف أن رئيس الوزراء السودانى رابط الجأش وهادئ الأعصاب وواسع الأفق، على الرغم من بروده

الشديد، على حد وصف السير جيمس له. أحس عبد الله بك خليل أن الاتحاد الفيدرالى النيجيرى ينبغى أن يتحول إلى نوع من الارتباط السائب. ونُقل أيضًا عن عبد الله بك خليل قوله: "نحن فى السودان، نستشعر نوعًا من الالتزام تجاه نيجيريا"، وعندما تكلم مشيراً إلى بريطانيا قال "البريطانيون شعب طيب جداً، لكننا نريد أن يخرجوا من بلادنا". وهنا كان من الضرورى القول: "نحن نريد منهم الخروج من بلادنا لأنهم سيئون". لعبت نظرية السبب والمسبب أو العلة والمعلول دورها أيضًا فى المعاهدات المصرية الإنجليزية، التى طلبت حتمية رحيل البريطانيين كلهم فى غضون ثلاث سنوات، وبعدها يستطيع السودانيون تحديد مستقبلهم سواء أكان عن طريق الارتباط بمصر أم بالاستقلال الكامل، أو بأى نحو آخر من الأنحاء التى يرتضيها السودانيون. كانت وزارة الخارجية البريطانية هى الوزارة المسئولة عن ذلك فى الحكومة البريطانية، ولم تكن لوزارة المستعمرات أية صلة بذلك الموضوع. فى الزيارة التالية التى قام بها رئيس الوزراء إلى كادونا أبلغ رئيس الوزراء النيجيرى سكرتير المجلس التنفيذى أن عبد الله بك خليل حذره أيضًا وبشدة على انفراد "لا تقع فى الخطأ الذى وقعنا فيه، وهو التخلص من كل الموظفين البريطانيين، لقد خطر ببالنا أن بوسعنا استبدالهم بأمريكيين أو يوغسلافيين، لكنهم جاءوا فقط طلبًا للمال ولن يكونوا على استعداد للقيام بالتجوال والرحلات. الآن، ونحن نحاول استعادة موظفينا القدامى، نجد أن الميعاد قد فات لأنهم جميعًا التحقوا بأعمال أخرى. وأنا بعد الانتخابات القادمة سوف أسأل عن إمكانية عودتنا إلى الكمنولث". كان رئيس الوزراء الزائر قد لمح أيضًا إلى أن الانقسامات السودانية ليست هى تلك الظاهرة على السطح بين المسلمين والجنوبيين غير المسلمين، لكن الانقسامات الإنسانية موجودة من قبل محمد (ﷺ) والمسيح (عليه السلام)، بين شعوب الشمال المختلفة أثنيا عن الجنوب.

الفصل السادس والعشرون

رحلة قصيرة بالطائرة ومؤتمر ودِّى

كل إنسان وهو فى منزله يعود إلى صباه، نحن كلنا نعرف بعضنا بعضًا

وفى المنزل تكون تصرفاتنا على ما يرام(*)

أبلغ رئيس الوزراء النيجيريين فى خطابه الإذاعى الذى ألقاه فى العام ١٩٥٨ الميلادى أنه لن يتوقف مطلقًا عن مطالبته لهم بفهم الأهمية القصوى للوحدة وإدراكها. كان صوت رئيس الوزراء هو الصوت الوحيد الذى ينادى قائلاً: "**ليس لنا حق بعد الآن فى توجيه اللوم إلى البريطانيين عندما لا تسير الأمور على ما يرام: لقد ولت تلك الأيام ..... يجب أن لا نلوم سوى أنفسنا، والسبب فى ذلك أننا سنكون نحن الذين اتخذنا القرار الخاطئ، ويجب ألا يغيب عنكم أيضًا... أن الدنيا من حولنا تراقبنا، وتنتظر منا أن نكون على مستوى الحدث.**" فى ذلك العالم جرى إنشاء السوق الأوروبية المشتركة وجرى أيضًا إنشاء مجتمع الطاقة النووية فى اليوم نفسه، وجرى بعد ذلك بيومين إنشاء اتحاد جزر الهند الغربية الفيدرالى (كان هناك توقع مفاده أن منصب الحاكم العام كان مفروضًا أن يعطى مؤخرًا لحاكم جاميكا السير هيغ Hugh فوت Foot، لكن هارولد ماكميلان لم يوافق على إحداث تعيين فى الخدمة المدنية فيما وراء البحار، وكان أنتونى إيدن قد وعد بالفعل بإسناد ذلك المنصب إلى زميل سياسى). كانت بريطانيا فى

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. (المترجم)

ذلك الوقت على وشك شن حملتها لنزع الأسلحة النووية، وبدء التفتيش طبقًا لقانون السجلات العامة الجديدة الخاصة بالتفتيش على الملفات الحكومية السرية التى يزيد عمرها على خمسين عامًا أو أكثر، وتأسيس أليك Alec دكسون Dickson، وهو من حركة رجل خليج الحرب Man o' war Bay فى نيجيريا لحركة الخدمة التطوعية فيما وراء البحار، التى هيأت لكثير من الشباب الذين حرموا من أن يكون لهم مستقبل عملى كامل فيما وراء البحار، فرصة العمل المفيد فترة من الزمن فى دولة ناشئة، كما أدخلت فكرة عدادات الانتظار فى لندن لأول مرة. كان الاقتصادى الأمريكى جى كى جالبريث Galbraith، كندى المولد، ينشر فى ذلك الوقت كتابًا أغضب عنوانه جيلاً من سياسيى العالم، عنوان هذا الكتاب هو **المجتمع الغنى** الذى تعد عدادات الانتظار هذه رموزًا من رموزه. يزاد على ذلك أن إنتاج المركبات من طراز مرسيدس فى ألمانيا بدأ يفوق إنتاج المركبات من طراز بدفورد البريطانية والمركبات من طراز شيفروليت الكندية، على الطرق النيجيرية، لكن الوقوف المجانى على جانب الطرق كان لا يزال ساريًا فى وسط ليجوس.

فى اليوم الثانى من شهر يناير، التقى أبو بكر لجنة الأقليات لقاء خاصًا يوضح أن اهتمامات الرجل كانت على صعيد الأمة كلها. وأبلغ أبو بكر أعضاء هذه اللجنة أن حزب جماعة العمل يود ألا يخسر وجود الغرب الأوسط فى إقليمه اللهم إلا إذا حصلوا على إيلورين، لكنهم كانوا متخوفين من تمزيق الحزب الإسلامى الذى يقوم أصلاً على مدينة إيلورين Ilorin، والذى كان أديلابو Adelabu قادرًا على تأسيسه وإقامته، كان ذلك يعنى أن الأقليات يجب أن تساند وعلى الملأ مسألة إنشاء ولاية الغرب الأوسط وذلك من باب المحافظة على الأصوات فى المنطقة، لكنهم كانوا يستهزئون بذلك بين مؤيديهم فى المناطق اليوروباوية الرئيسية. كان أبو بكر يرى أن الغرب الأوسط بدون أسابا Asaba، وأبوه Aboh ووِرِّى Warri وايجو IJo لا يعنى شيئًا، وكان لدى الرئيس فستوس أوكوتاى - إيبوه رغبة صادقة فى إنشاء هذه الولاية، أما إديلابو فلم يكن راغبًا

فى ذلك نظراً لأن المستقبل يصبح بلا أمل عند هذا الرجل شأنه فى ذلك شأن وجود إيناهورو فى الغرب الأوسط. وفيما يتعلق بأولوو فإنه كان يرى أن الأجباويين Ijebus لم يكونوا ذائعى الصيت بين اليوروبا، كل ما فى الأمر أن أوو سوف يحاول المجيء إلى المركز إذا ما أيقن أنه يحظى بمساندة الغرب والحزام الأوسط وأجزاء من الحزام الأوسط والشرق له فى هذا الصدد. كانت مشكلة الحزام الأوسط تتمثل فى أنه لم يكن له زعيم له قدرة الرئيس فستوس أو أوزاديباى وكفايتهما Osadebay. وأشار أبو بكر إشارة عابرة إلى أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى سبق أن **"أخذ ليجوس من حزب جماعة العمل"**، عندما فشل حزب جماعة العمل فى الإبقاء على جانبه من الصفقة، وأعرب الرجل عن أسفه لعجز تسوية ولينك Willink عن إدخال المستعمرة القديمة ضمن العاصمة الفيدرالية. يزاد على ذلك أن الرجل كان يحبذ قيام اتحاد فيدرالى قوى، لكن الكثيرين من أعضاء حزبه كانوا لا يزالون يتمسكون بالآراء القديمة ولم يستطيعوا التوصل إلى حل وسط مع الجنوبيين. وعلى الرغم من كثرة مقترحات هدسون Hudson على البعض، فإن الرجل نفسه كان يظن أن "مجالس الكلام" الشمالية يمكن أن تقلل من أعباء كل من المجلس التنفيذى والمجلس التشريعى فى كادونا. كما أعرب أبو بكر عن أسفه بصفة خاصة عن أقلمة reginalisation القضاء هو وما يسمى الأقلمة المعرقلة للشرطة. وأوضح أبو بكر أنه عندما التقى لجنة الأقليات بصفتهم ممثلين للحزب كان يتعين عليه قول أشياء أخرى.

بعد ذلك بأسبوع، سافر الحاج أبو بكر فى حراسة حارسه الوحيد، لحضور آخر مؤتمرات حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كان يرافق الحاج أبا بكر فى تلك الزيارة صهره المدعو المعلم أحمد كارى (الذى سبق له ترك المزرعة التجريبية المشتركة فى باوتشى، التى كان فيها سكرتيراً محلياً لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، قبل أن يلتحق بدوره تدريبية فى معهد الإدارة فى زاريا، ثم أصبح الرجل بعد ذلك واعتباراً من شهر أغسطس من العام ١٩٥٧ سكرتيراً خاصاً لأبى بكر. وهنا لم يجر أيضاً انتخاب

أعضاء جدد فى الحزب. هذا يعنى أن خطط إعادة التنظيم التى وضعها السكرتيرون الذين يعملون طول الوقت، جرى رفضها من قبل الموظفين دون أن تجرى مناقشتها من قبل الأعضاء. وعندما أتى السكرتير العام، أبو حبيب (وزير شئون شمالى الكاميرون) على ذكر حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وبخاصة عجزه المالى، توجه أحد الأعضاء الحاضرين إلى السكرتير المالى الحاج عيسى كيتا (الذى أصبح الآن وزيراً للتعليم بدلاً من الحاج على، حاكم بطا Bida، الذى أصبح هو الآخر وزيراً لمالية الشمال) بسؤال عن تقريره السنوى، كان السكرتير المالى وأمين الخزانة قد قدَّما آخر تقرير لهما فى العام ١٩٥٤ . وهنا قام أبو بكر الذى كان يشغل كرسى الحاكم المناب، بإصدار حكم عرفى مفاده أن الموقف المالى لم يكن من اختصاصات المؤتمر. وهنا نجد أن المستشار السياسى الرئيسى يصر على رفضه أى نقاش لمسألة الزعم بعدم كفاية سكرتارية الحزب، وهو الأمر الذى لم يتعرض إليه الرجل فى خطابه الذى ألقاه بصفته الرئيس العام للحزب.

هناك، بطبيعة الحال، اتحادات سياسية كثيرة فى كل البلدان، ويجرى تنظيم المؤتمر السنوى لهذه الاتحادات تنظيما محكمًا على شكل مهرجان للموالين، بحيث لا يجيز هذا المؤتمر السنوى سوى القرارات التى تكون مناسبة. وفى مثل هذا الحال قد يكون من الأمانة ومن باب الاقتصاد أيضًا ترك إدارة مثل هذه المهرجانات للجنة عمل مركزية، ما دام أن عضوية مثل هذه اللجنة لا يجرى انتقادها ما دامت قامت بإبداء رأيها فى الزعماء. على كل حال، ليس من المستغرب أن يتسبب ذبول حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كثير من النقد، الذى كان من ثقافات تتوقع بل وتنتظر أن ترى "الديمقراطية" فى سائر المؤسسات الإنسانية وليس فقط فى الحكومات. والذى ينبغى أن لا يدهشنا تمامًا هو أن أول نائب شرفى للرئيس (شأنه شأن زميله محمد رباط النائب الثانى للرئيس لم يكن عضواً فى اللجنة الحزبية التنظيمية فى كادونا) ينبغى عليه النظر إلى الحكم باعتباره أهم من مناظرات التلاميذ وحواراتهم المحشوة بالكلام،

ولا يرى سببًا أو مبررًا لجلد الحصان بعد نفوقه (أو على حد قوله بلغة الهوسا، هل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها). كانت الموارد والمصادر اللازمة، لإبعاد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وهو أمر يتمناه الكثيرون، عن المسارات التى تفضى إلى الأمراء الأقوياء هم والأوتوقراطيين(*) الطبيعيين، جد قليلة. عاد رئيس الوزراء إلى الوطن بعد المؤتمر، بعد أن أمضى ليلة واحدة فى بلدة مداكى Madaki مع أبى بكر جاربا صديقه القديم، الذى كان مشغوفًا بمناقشة أوجه ضعف السياسة الحزبية غير الناضجة ومناقشة موقف تلك السلطات المحلية التى كانت تشعر بالقلق والتعصب من مستقبل يحكمه المستشار السياسى الرئيسى ويجعل هذه السلطات المحلية خاضعة لحكم العامة، على الرغم من أن تلك السياسة وهذه السلطات تفضل أن تكون واقعة تحت حكم الجنوبيين.

فى باوتشى، على سبيل المثال، اكتشف رئيس الوزراء أن المُعَلِّم سعد زنقر كان قد استسلم مؤخرًا لمرضه العضال المميت. هذا يعنى أن وفاة الشوكة السابقة التى كانت مغروسة فى لحم كل من السلطة الاستعمارية والسلطة الإماراتية، ستموت وتنتهى دون أن يلاحظها أحد فى بلد أوشك على الحصول على تحرره السياسى، قام أمين كانو بعد ذلك هو وطلاب الدراسات العليا بترسيخ نفوذه فى التاريخ المحلى. ووصلت أيضًا أخبار مفادها أن مؤيدى حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى كانوا يوضعون فى السجون، أو يجلدون باعتبارهم من الجانحين، وأن ذلك الجزاء كان يوقع عليهم من قبل المحاكم المحلية بعد أن توجه إليهم تهم سوء السلوك والتصرف الاجتماعى، فقد حُكم على إبراهيم إمام بالسجن فى ميدوجورى بتهمة تقاضى رشوة قبل بضع سنوات، قبل أن يجرى قمعه بعد التدخل الذى جاء من جانب الممثل المقيم فى برنو Borno. كان حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد الذى أسسه إبراهيم إمام وبتأييد من حزب اتحاد

(*) الأوتوقراطى: هو الحاكم المطلق أو المستبد. (المترجم)

العناصر الشمالية التقدمى، قلقًا من استبداله بشخص آخر وجعل هذا الشخص الآخر زعيمًا للمعارضة الشمالية. جاء الحكم بالسجن على إبراهيم إمام مرضيًا ومناسبًا لتلك الأطراف. ومع ذلك جرى طرد كل من إبراهيم إمام هو وحركة شباب برنو من تحالف حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، ويعبر إبراهيم الطريق مرة أخرى، لينضم هذه المرة إلى حزب جماعة العمل. ويقوم أفراد متعددون من صف وضباطه حركة شباب برنو باللجوء إلى حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى أو حزب المؤتمر الشعبى الشمالى.

حاول رئيس الوزراء إيجاد الوقت الذى يمكن خلاله التحدث باستفاضة فى منزل والدته المبنى من اللبن فى باوتشى مع الممثل المقيم الجديد، ليث Leith وات Watt، عن مستقبل المقيمين فى الشمال، كانت التأكيدات الدورية الصادرة عن أبى بكر حول هذه المسألة من ليجوس، لم تجد فتيلاً عندما تشاجر رئيس الحى هامو Hamo ساسون Sasson الذى رحل مؤخرًا، مع كبير مستشارى باوتشى (ذلك اللقب الذى كان المُعَلِّم يعقوب وانكا يحمله منذ العام ١٩٥٦) حول شىء من المزاح الثقيل، بل إن أى تدخل لتلطيف الجو بين الاثنين كان يؤدى إلى زيادة الاحتكاك والتوتر بينهما. كانت هناك أيضًا بعض المشكلات التى ينبغى مناقشتها لأنها تخص القضاة ورؤساء الأحياء، وشرطة الإدارة المحلية، فضلاً عن المضامين الأوسع الخاصة بولى عهد أمير كاتاجوم ومسألة أن يصبح ولى العهد هذا وزيرًا للدولة فى الشمال، أو مثلما يحدث فى كانو، عندما قام الأمراء بتعيين أولادهم الشبان أعضاءً فى مجالسهم الداخلية. وحدثت جلبة كبيرة فى مجلس أمير باوتشى حول نصيحة الممثل المقيم التى مفادها طرد أحد المستشارين على الفور لقبوله رشوة وكذبه فيما يتعلق بأجور العمال. هنا نجد كبير المستشارين هو ورئيس الشرطة، وبدافع من دفاع الممثل المقيم عن ضابط الحى الغائب، يواجهان بإصرار مفاده الاكتفاء بإنذار نهائى يجرى توجيهه للمستشار، وهنا ظهر أن راعيهما، رئيس الوزراء كان أكثر اهتمامًا بالعمل الإجرامى الذى اقترفه رئيس الحى أكثر منه بالفساد السائد والمعهود. كانت عقوبة الحل الوسط التى جرى التوصل

إليها تتمثل فى طرد المستشار من المجلس وتخفيض راتبه، دون إبعاده عن رئاسة الحى. جو القلق والتوتر هذا لم يمكن تخفيفه عن طريق الكأسين اللتين أهداهما أبو بكر للمنافسات والمسابقات الرياضية فى المدارس الثانوية. كان لا يزال هناك فرق بين الأحكام الواقعية والحماقة طوال السنوات الأخيرة من الحكم غير المباشر.

كانت هناك فجوات فى جسور المشاة المحلية، لكن تلك الفجوات لم تنزل الخطر بالجسور الوطنية أو القومية. وافق الدكتور كوامى نيكروما على تبادل المبعوثين مع روسيا، وكان الرجل قديراً فعلاً فى ظل قدر كبير من الإعلان، على وضع أساس للتعاون المتبادل فى جنوب الصحراء، وقد أدى الحوار الذى جرى بين أبى بكر وألياور البريطانى حول هذا الأمر إلى قيام أبى بكر بالتعليق على غطرسة بعض السياسيين الأفارقة. قال أحد رفاقه فى عدالة مدروسة: "حسن، معالى رئيس الوزراء، يشعر كثيرٌ من الأفارقة أن البريطانيين متغطرسون فى هذا الموضوع." ويرد أبو بكر بعد تفكير دام لحظة "**هذا صحيح، أنتم أيها البريطانيون متغطرسون بالقطع، لكنكم، يكون لديكم فى أضعف الأحوال شيء هو الذى يدفعكم إلى مثل هذا التغطرس.**" حدث أيضًا أثناء هذه الفترة ضجيج وضوضاء حول الزيارة التى ستقوم بها جولدا مائير وزير خارجية إسرائيل ردًا على هذه الزيارة التى قام بها الرئيس (أبُا) سى دى آكران Akran وزير التنمية فى الإقليم الغربى إلى تل أبيب، وقرر مجلس الوزراء فى ضوء الاحتجاجات المقدمة من المستشار السياسى الرئيسى بمنع جولدا مائير من زيارة الشمال النيجيرى، وحصل حزب جماعة العمل على تأييد من جانب أبى بكر إلى "التكتل الغربى". لم يؤد أى مطلب من هذه المطالب الدولية والجدل المحلى إلى التقليل من إحساس أبى بكر بالأذى نتيجة السخرية والاستهزاء، اللذين يتناساهما الكثيرون عندما يصلون إلى المناصب العالية. أثناء عودة أبى بكر إلى ليجوس قادمًا إليها من جوس، كان الرجل قد وضع على رف العفش سلة كبيرة من البيض فرضتها عليه فى اللحظة الأخيرة أمه العجوز الحبيبة. وقد أدى توقف القطار المفاجئ إلى سقوط ذلك

البيض مهشمًا على الأرض، على نحو كشف عن عمر ذلك البيض، وانشرح صدر العاملين معه عندما راح يروى لهم الطُرَف التى كانوا يتندرون بها عن الرائحة الكريهة يوم أن كانوا تلاميذ فى المدرسة.

فى أمر أكثر أهمية نجد أبا بكر يعمل بنصيحة كروبو Krobo أديوسى Edusei التى مفادها أن أبا بكر يتعين عليه توجيه طلب رسمى إلى وزارة نيكروما يطلب منها السماح بعودة المبعدين النيجيريين الشماليين إلى غانا، لكن بعد أن يكون هذا الأمر قد خرج من نطاق الاهتمام العام - اكتشف أبو بكر فى هذه المرحلة أن مبادوى كان شخصية جدلية ومتكلمة، عندما حاول الرجل كشف جدول أعمال نيكروما المخبأ فى جلسات الحديث المسائية، وكان أبو بكر يستشير مبادوى بصورة مستمرة كلما برزت الشئون الغانية على السطح. أهم من ذلك، أن أبا بكر عاد إلى بورت Port هاركورت Harcourt لمشاهدة الشحنة الأولى من البترول المحملة على ناقلة البترول إس إس هيمفيوسس Hemifusus التابعة لشركة شل، والمتجهة إلى كل من روتردام وسوانزى Swansea، يزاد على ذلك أن أبا بكر ضغط فى اليوم السابع عشر من شهر فبراير على الزر ليبدأ انسياب البترول من كل من أوليويبيرى Oloibiri وأفام Afam، بعد واحد وعشرين عامًا من التنقيب والاستكشاف، وقد نشرت صورة أبى بكر مع قبطان الناقلة فى جريدة التايمز اللندنية.

كان روسيجى Rosiji وزير الصحة قد قرر مؤخرًا أن لا تكون للمجلس الصحى المؤقت الذى أقره مؤخرًا كل من الأمين العام وزملاؤه الوزراء من حيث المبدأ فى شهر يوليو من العام ١٩٥٧ الميلادى، أية صلاحيات تنفيذية، الأمر الذى يمكن أن يضر بمصالح الموظفين المدنيين. وأعلن الرجل فى الوقت نفسه، ومن باب التحسب للقلاقل والاضطراب الذى يمكن أن يحدثه الأطباء، عن وعود بإجازات دراسية ومغريات أخرى. كما رفض حزب رابطة الحزام الأوسط لعب دور رسمى من خلال مجلس استشارى

تماماً وراح ينتظر الفرصة الملائمة. وهنا نجد أيضاً رئيس الوزراء الذى سبق أن وافق على المقترحات الرئيسية، يقف وقفة المتفرج.

قام الحاكم العام الذى مُددت مهمته إلى مالا نهاية، وبعد أن أصبح الحصول على الاستقلال أمراً أكيداً، بترؤس اجتماع دستورى غير رسمى يهدف إلى ترتيب أعمال المؤتمر السائبة، المتعلقة بقانون الانتخاب ومجالس التسويق الفيدرالية. وأعلن المستشار السياسى الرئيسى هناك أن الشمال اختار اليوم الخامس عشر من شهر مارس من العام ١٩٥٩، باعتباره الذكرى السنوية التقريبية لاختيار سُكتو Sokoto لتطبيق الحكم الذاتى، وأعلن أيضاً تصميمه التام على وجود وزارات متكاملة تماماً فى كادونا، حتى يتمكن رؤساء الإدارات الفنية المحترفون فى الشمال من اتخاذ قرار بشأن الالتزام أو التقاعد (وهنا نجد المستشار السياسى الرئيسى يفيد من تلميح رئيس الوزراء إلى دعوة نوينز أمين عام مجلس الوزراء فى ليجوس، للحضور وتقديم المشورة: كان نوينز، وبمساعدة من الأخصائى السابق شارلز Charles أو لوسون Lawson، يعمل فى مكتب الحاكم العام فى ذلك الوقت، وكان بمثابة العقل الموجِّه لمسألة التكامل فى وزارات ليجوس). حدثت فى ذلك الوقت أيضاً اضطرابات جرى فيها الخروج عن القانون، ولم تحدث تلك الاضطرابات فى ثلاثة عشر قسماً من بين تسعة وعشرين قسماً إدارياً فى شرق نيجيريا، فيما يتعلق بالمسائل الخاصة بالتعليم والأمور الأخرى، وإنما امتدت تلك الاضطرابات أيضاً إلى الغرب، الأمر الذى تطلب استعمال قوات الطوارئ من جانب الشرطة. كان لتلك الاضطرابات تأثيرها على تفكير اللجان الدستورية.

كان المستشار السياسى الرئيسى، بحكم تأييده تأييداً صادقاً من كل من رئيس الوزراء ومحمد رباط يثق ثقة عمياء باستسلام حكومة الشمال الإقليمية استسلاماً تاماً للجنة الأقليات التى يرأسها ولينك Willink: هذا يعنى أن مسألة اختيار الموظفين المدنيين المقيمين، كان تجديداً فى الشمال من منطلق أن تقرير هذه اللجنة كان بمثابة الورقة الأولى التى تعكس الرغبات الواضحة للأغلبية داخل الحزب السياسى الذى يدير

الإقليم، ولم تكن هذه الورقة دراسة متوازنة من قبل الموظفين للمصالح المتضاربة، ناهيك عن أن هؤلاء الموظفين كانوا يعتقدون أنهم محايدون. وكان من بين هؤلاء الموظفين الإداريين الذين عثروا على مباهجهم فى الإمارات، أناس كثيرون يتعاطفون مع زملائهم، ومخلصون أيضًا للحزام الأوسط، ولذلك كانوا ينظرون إلى الوثيقة الصادرة عن اللجنة باعتبارها وثيقة حزبية تميل إلى محاباة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، هؤلاء الموظفون شأنهم شأن "عودو Audu فى الغابة" كانوا لا يزالون يؤمنون إيمانًا ساذجًا بقدرة بعض أصحاب السلطات الكبيرة على تنحية سياسيى الحزب لإفساح المجال أمام المبادئ الأخلاقية العالية. قلة قليلة من الموظفين هم الذين لم يكونوا مستعدين لأن يصبحوا مرءوسين للنيجيريين عندما يجرى الحصول على الحكم الذاتى، والذى لم يدر بخيال هؤلاء الموظفين هو احتمال أن تكون السياسة الجديدة منحازة، ولا تقوم على العدالة الطبيعية والاقتصاديات الطبيعية أيضًا.

بانتهاء شهر مارس ظهر كل من رئيس وزراء الشمال، ورئيس الوزراء، وكذلك الحاج محمد رباط أمام اللجنة لتقديم وثيقة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بصورة رسمية. أكد الحاج أبو بكر أن "الهوساويين" Hausas لم يعودوا بعد "قبيلة"، وأصبحت مسألة العثور فى تلك الأيام، على أى أحد من الفولانيين "الخلّص" أمرًا نادرًا. هذا يعنى أن أسطورة "الهيمنة الفولانية" أصبحت لغوًا لا طائل من ورائه. وفيما يتعلق بإيلورن Ilorin، وبينما كان يقول للموظفين البريطانيين إنهم كانوا يفرضون الوحدة على بلد بكامله، نجد أن اليوروبا الذين فى إيلورن مختلفين تمامًا عن اليوروبا الذين فى الجنوب، وأن اليوروبا فى إيلورن اختاروا بمحض إرادتهم أن يكونوا جزءًا من الشمال اعتبارًا من القرن التاسع عشر، دون أن يكون هناك ضغط عليهم من جانب الفولانيين. صحيح أن كلا من أوفا Offa وأود أوك Odeoke واجاسا Ajassa حدثت فيها اضطرابات، لكن هذه الاضطرابات نشأت عن نزاعات حول منصب الرئيس Chief، يزاد على ذلك أن المطالبات بنقل ايلورن جاءت كلها من الخارج، مثلما فعل الألمان

فى سوديتنلند Sudetenland فى تشيكو سلوفاكيا - وإلا لماذا لم يطالب اليوروباويون الموجودون فى داهومى بالوحدة مع نيجيريا؟ ولماذا لم يطالب الفولانيون بالتخلى عن الأراضى الفرنسية المقابلة لكاتسنا Katsina؟.

بعد ذلك بيومين يَمْثُل أبو بكر أمام اللجنة مرة أخرى، لكنه فى هذه المرة يكون بصفته وزيرًا فيدراليًا بصحبة الدكتور كى أو مبادوى Mbadiwe والرئيس سام آكنتولا. فى هذه المناسبة نجد أن أبا بكر يقول: إنه حتى فى حال تكوين ائتلاف ستكون هناك موضوعات لا يستطيع الوزراء التحدث عنها إلا بصفتهم أفرادًا، أو ناطقين باسم الحزب الذى ينتسبون إليه، والشرطة موضوع من هذه الموضوعات، وكان شغل الرجل الشاغل باعتباره ممثلاً للحزب يتمثل فيما إذا كانت القوة الشرطية الفيدرالية تستطيع فرض القانون الإقليمى فى كل الأحوال، وبخاصة، فى حال حتمية تدخل الجيش لفرض أمر ما فى نهاية المطاف. وعليه فإن الرجل شخصيًا يرى أن القوة الشرطية الفيدرالية ينبغى أن تكون قادرة فى كل الأحوال على فرض القانون والنظام فى أى إقليم من الأقاليم. أما سام آكنتولا فكان يرى أن الحاكم العام ينبغى أن تكون له سلطة مطلقة فى توجيه الشرطة الإقليمية وإدارتها فى مثل هذا الحال، وعلى العكس من ذلك، وإذا ما كانت الشرطة كلها فيدرالية، فإن أية حكومة من الحكومات الإقليمية غير المسئولة قد تصدر قانونًا بضريبة ثقيلة، وتترك للقوات الفيدرالية مسألة التعامل مع المتاعب والاضطرابات التى يمكن أن تنتج عن مثل هذا القانون. وهنا نجد أن الدكتور مبادوى يوافق على رأى رئيس الوزراء، لكنه كان يرى أن الأقاليم يجب أن يكون لها أيضًا قواتها الشرطية المحلية. ونجد أبا بكر يتحدث صراحة عن معارضته إنشاء ولايات جديدة، من منطلق إلزامه لنفسه بتأييد الحصول على الاستقلال فى العام ١٩٦٠، لكن الرجل وافق أيضًا على أن مخاوف بعض الأقليات كان لها ما يبررها، وطالب بإيجاد ضمانات لذلك فى الدستور المكتوب - ومع ذلك، كان بوسع الأقاليم عمل الكثير لتهدئة

هذه المخاوف وتسكينها من خلال أعمالها وتصرفاتها، كأن يقوم الشمال بإنشاء مجالس محلية ويقوم الغرب بإنشاء مجلس استشارى للغرب الأوسط.

قام رئيس الوزراء بإلقاء خطاب عن الاضطرابات التى وقعت فى الجنوب قبل جلسة مناقشة الميزانية بفترة قصيرة. وعلى الرغم من الأعذار التى جرى انتحالها فيما يتعلق بالإهمال الكامل للأساليب الدستورية الخاصة بالتعبير عن المظالم، وذلك على حد قول رئيس الوزراء، وأن هذه الأعذار كلها كانت تتعلق بالحكومات الإقليمية كل على حدة (وربما كان أحرى به القول، السلطات المحلية الشمالية)، فإن مجلس الوزراء كان لا يمكن أن يظل بمنأى عن موقف حتم تخويل سلطة طارئة من قبل الحاكم العام. وعلى وجه السرعة قامت الشرطة باستعادة السيطرة على الغرب، لكن الدعم بوحدتين من الغرب عن طريق البر وبثمانية وحدات عن طريق الجو من ليجوس إلى الشرق جاء بمثابة تبديد كبير للموارد، يضاف إلى ذلك أن هذا كله يمكن أن يضر بسمعة نيجيريا فى الخارج (هذه الإشارة الدورية إلى ما يمكن أن تظنه بقية العالم - التى هى من وجهة نظر أبى بكر، ميالة إلى الحكم على أمة مستقبلية أو منتظرة من واقع أحداث طائشة وأفراد طائشين أيضًا - كانت مجرد فكرة يندر أن تخطر على بال معاصريه). بعد ذلك، وبعد تناول أبى بكر مسألة معاملة أحد القضاة لواحد من رجال الشرطة، والتى دار حولها النزاع والخلاف، راح الرجل يكرر الدفاع اليائس الذى يسوقه الكثيرون من الإداريين المحبطين الذين تعين عليهم الاستماع إلى شكاوى ظرفية تمامًا عن فساد قوات الشرطة: "**حسن، كل ما أريد قوله هو أن الأعضاء سيكون شكلهم سيئًا عندما يسوقون هذه المزاعم التى لا يستطيعون تأكيدها.**" فى معرض حديثه عن الخطب المتعلقة بالاضطلاع بالمسئولية من قبل وزارة الحرب البريطانية مع استمرار بعض الإعانات، والاضطلاع أيضًا بالمسئولية عن مدرسة كادونا للتدريب العسكرى، ومدرسة التدريب البحرى الجديدة فى أبابا Apapa، وفى معرض حديثه أيضًا عن الحاجة إلى أن تكون مرتبات الضباط النيجيريين قريبة من مرتبات الموظفين المدنيين،

وليست قريبة من مرتبات الضباط البريطانيين الملحقين، نجد الرجل يقول: "....... **إنه يود أن يؤكد للمجلس، أنه بحكم اتصاله بقواتنا العسكرية اعتباراً من العام ١٩٥٢ الميلادى، فأننا أعرف الكثير عما أتحدث عنه**". وكان يرى أن من الحكمة تعديل تغذية الثكنات إلى بدل تعيين.

كان أبو بكر تافاوا باليوا فظاً غليظاً فى عملية رفض إصدار جواز سفر إلى الرئيسة Chief السيدة/ "أولوفو نميلايو Olofunmilayo رانسوم Ransome كوتى kuti، التى كانت لا تزال وهى فى الثامنة والخمسين من عمرها من مؤيدى النظريات الراديكالية الأشداء، عندما قال : "**لقد ولّى ذلك الزمان الذى كان يسمح لها بالتشكك فى هذا الأمر، كما أن أعمالها الخاصة تعد أقوى شاهد عليها. ونحن يمكننا القول إنها تنوى التأثير على مختلف التنظيمات النسائية النيجيرية التى لها صلة بها، ببث بعض الأفكار والسياسات الشيوعية فى تلك التنظيمات**". (ويكتب أبو بكر بعد ذلك بلغة فظة إلى هذه السيدة فيقول: "**يتعين علىّ أن أقول لك بمنتهى الوضوح إننى وزملائى مصممون ونحن مسئولون عن حكومة اتحاد نيجيريا الفيدرالى وعن رفاه ذلك الاتحاد، سوف نستعمل كل الوسائل الممكنة والمتاحة لنا لمنع تسرب الشيوعية والأفكار الشيوعية إلى نيجيريا. واستهداف منا لتنفيذ سياستنا سوف نحاول منع النيجيريين من زيارة الدول التى يديرها الشيوعيون، وبخاصة إذا كان لدينا من الأسباب ما يجعلنا نؤمن بأنهم يسافرون بغية الانغماس فى الأنشطة الشيوعية**").

خسر الرجل علاقته اللفظية المعتادة فى بعض التعبيرات الفنية عند مناقشة قانون الأسلحة النارية، لكنه استطاع بفضل المحامين النجاة من هذه المسألة أو التغلب عليها، وواصل الرجل استمرار حديثه بثقة ورباطة جأش وراح يجيب على أسئلة مطروحة حول عشرة من المتدربين على العمل الدبلوماسى من ناحية، وعن ضمان بريطانيا لقرض السكك الحديدية الصادر عن البنك الدولى من ناحية ثانية، وعن سحب بريطانيا تأييدها لاتحاد طلاب غرب إفريقيا فى لندن (الذى لم يعرفّ بالشروط المفروضة على تقديم

المساعدات)، ورفض بريطانيا أيضًا لإصرار واشوكو على ترتيبات أفضل لعملية النجرنة. وأشار أبو بكر فى هذه النقطة الأخيرة بالذات إلى "القائمة الخاصة" (التى لم يتقدم إلى الانضمام إليها سوى ١٦٪ فقط من أولئك العاملين فيما وراء البحار الذين يحق لهم الانضمام إلى هذه القائمة، وهذه بحد ذاتها مسألة معنوية، قام السير جون مارتن، وكيل وزارة المستعمرات البريطانية بتقصيها فى سائر أنحاء البلاد، محاولاً بذلك اكتشاف مبدأ الدفع من أجل "المشاركة بالقول" وليس "الدفع للذهاب أو السفر": وسبب ذلك أن الخدمة الفيدرالية فى ذلك الوقت أصبحت تضم آنذاك حوالى ٥٠٣ من كبار الأفارقة. وحوالى ٩٧٥ من المقيمين الحالين إلى المعاش وحوالى ٦١٠ موظفًا من موظفى العقود الخارجية. وأكد أبو بكر **"لقد انتقدنا الموظفين المدنيين لأن الموظفين المدنيين فى ذلك الوقت كانوا هم الذين يديرون الحكومة، لكن فى الوقت الحالى نحن الوزراء، الذين نقوم بإدارة الحكومة، وإذا ما كان هناك نقد فإن هذا النقد ينبغى أن يوجه إلينا"**. وخرج أبو بكر أيضًا عن الطريق الذى كان يسير عليه ليعبر عن شكر وامتنانه للسير رالف إميرسون Emerson : **"لقد حظيت بامتياز العمل مع هذا الرجل البارز... فى ذلك الوقت لم تكن السكك الحديدية يجرى انتقادها فى نيجيريا وحدها وإنما كان يجرى انتقادها أيضًا فى المملكة المتحدة ..... وفى الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا. وقد طلب منى السير رالف التحلى بالصبر ..... وأبلغنى أن النيجيريين العاملين فى السكك الحديدية النيجيرية أكفاء مثل نظرائهم فى السكك الحديدية الأخرى، الأمر الذى جعلهم يظنون أنهم قادرون على القيام بالعمل وحدهم"**. وأعلن الرجل أيضًا أنه لديه عينات للأعلام الوطنية المحتملة، وأن كل علم من هذه الأعلام الوطنية آمن وجاهز ومستعد لمنصبه.

ظل الرجل طوال الجلسة يسيطر سيطرة محكمة على شئون المجلس، وبخاصة أن هذه الجلسة غلب عليها، بغض النظر عن الموضوعات قيد المناقشة، الإنجاز والانجراف ناحية الاستعدادات المطلوبة للعام "١٩٦٠". كان سكرتيره الخاص يتأكد من إرسال

البرنامج الآسيوى للحزب إلى كل من مجلس الوزراء والمتحدث الرسمى باسم المجلس، وكان السكرتير الخاص يتشاور كل يوم مع الناطق باسم المجلس هو وكاتب المجلس حول مسألة الأوامر، وكان يقوم أيضًا بإبلاغ الوزير المختص حتى يتمكن من إعداد الخطبة المطلوبة للموضوع قيد المناقشة، وكان السكرتير الخاص يقوم أيضًا بعقد اللجنة الوزارية الخاصة بمقترحات الأعضاء الخصوصين وتقديم التوصيات للحصول على ردود الحكومة عليها (وعلى تسلسل تقديم الأوراق) للمجلس، وكان السكرتير الخاص يقوم بتمرير النتائج إلى كاتب المجلس حتى تقوم لجنة المال والأعمال التابعة للمجلس بدورها بدراسة هذه النتائج. وكالعادة، وبعد أن أحس السياسيون بالتعب والإرهاق فى نهاية الأمر، وبخاصة المسلمين منهم الذين كانوا يحسون برغبة شديدة فى العودة إلى الوطن قبل صيام شهر رمضان، وعليه جرى تمرير القوانين الخمسة عشر الأخيرة هى والمقترحات الحكومية الخمسة على وجه السرعة، ومنها أيضًا قانون البنك المركزى. كان السير كاميرون Cameron كوبولد Cobbold، محافظ البنك المركزى فى إنجلترا، موجودًا فى تلك الجلسة للوقوف على تمرير قانون البنك المركزى النيجيرى ومقابلة رئيس الوزراء.

على الرغم من أن مكتب النجرنة هو واللجنة الجديدة لم يكونا بعد تحت إمرة رئيس الوزراء (وهذه علامة أو إشارة إلى أن ذلك المكتب كان شيئًا مؤقتًا، الأمر الذى كان يوحى أيضًا بشىء من الغموض الذى يوحى بالتعاسة والشقاء، "الدخول من الباب الخلفى")، فإن خط التقدم الكبير كان أمرًا يعترف به الجميع ويُقرُّونه. وجرى اختيار السير "أديتوكونبوه" Adetokunboh آدمولا Ademola ولد ملك alake أبيوكوتا وقاضى قضاة الإقليم الغربى للعمل فى منصب قاضى قضاة الاتحاد الفيدرالى، ولما كان السير "أيتوكونبوه" رجلاً مثقفًا وهادئ الطبع، فقد أصبح مناسبًا تمامًا لأن يكون واحدًا من أصدقاء أبى بكر الجنوبيين الموثوق بهم. حرص آدمولا بصفته قاضيًا على عدم التورط مع السياسيين أو الموظفين المدنيين الذين يشغلون مناصب حساسة، لكن الرجل

استسلم لمقترحات أبى بكر عن الزمالة الحقيقية. أصر رئيس الوزراء من الناحية الرسمية على احترام المنصب القضائى، وتوقع من الزائر القادم فى زيارة قصيرة إفساح الطريق فى حال وصول قاضى القضاة، ومع ذلك بقيت الشكليات والألفة الخاصة أمرين واضحين. هناك تفسير آخر، خال من النغمات الفوقية الانفعالية، كان يتمثل فى أن فرانسس Francis نوكيدى Nwokedi أصبح أول نيجيرى يتصرف بصفته سكرتيرًا فيدراليًا دائمًا. ومع ذلك بقيت الجراح الداخلية القديمة بلا علاج ولم تلتئم فى ذلك الوقت كان الرئيس آوو Awo هو والمستشار السياسى الرئيسى يتبادلان من ناحية الرسائل حول مسألة إبعاد حكومة الشمال لحوالى ستمائة جنوبى من العمالة المؤقتة وذلك من باب تعزيز عملية الأشملة، ورفض السلطة المحلية (المدنية) فى إيجالا السماح للرئيس آوو بعقد اجتماعات تحسبًا لحدوث اضطرابات وقلاقل. (وقد لاحظ مكتب المستشار السياسى الرئيسى أنه بعد وقت قصير من موافقة أحد المهندسين المدنيين على تعيين إجباوى Igbo مشرفًا على تنفيذ سياسة تكوين جماعات من قرويى الهضبة، الأمر الذى ترتب عليه أن أصبح بعد عام واحد كل عامل من عمال الطرق من الأجبو فى المنطقة التابعة لذلك المهندس). من جانب آولوو، وبعد أن وصلت إلى مسامعه التلميحات المتعلقة "بالقائمة الخاصة"، فقد أعلن هو الآخر عن استعداده لتقديم المزيد من الإغراءات والتشجيع اللذين يشجعان على بقاء المقيمين فى الغرب وبخاصة أولئك الذين ليست لهم علاقة "بالإرساليات الدينية". كانت وفاة "أسد الغرب" الإيبادانى الحاج أدجوك Adegoke أدلابو Adelabu عضو حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى وزعيم المعارضة فى اليوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس عن عمر يناهز ثلاثة وأربعين عامًا، حدثًا مؤلمًا ومُشتّتًا، يزاد على ذلك أن الوفيات والاضطرابات التى تكررت باعتبارها احتجاجات غير مسئولة فى منطقة إيبادان، أسفرت عن الالتجاء إلى القانون فيما يتعلق بالتلفيات الناتجة عن المظاهرات وتطبيق قانون العقاب الجماعى. كان رئيس الوزراء هو ورئيس وزراء الشمال قد كلفا محمد رباط هو وأينوا وادا بزيارة أديلابو Adelabu فى منزله لتقديم واجب العزاء وقراءة الفاتحة ترحمًا عليه. وانضم إليهما

صامويل أكنتولا، وكثير من اليوروباويين. وبوفاة ذلك الرجل الذى أفاد من التنافس الأيوى – الأجيبى Oyo - Ijebu، بدأ كثيرون من اليوروباويين الذين كانوا يتخوفون من سيطرة الأجيبيين Ijebu المساندة القادمة من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى إلى كل من صامويل آكنتولا وحزب جماعة العمل.

كان الأسكتلندى ستانلى Stanley فنجلند Fingland، قد جرى إلحاقه من مكتب علاقات الكمنولث فى ذلك الوقت ليعمل مستشاراً للشئون الخارجية فى مكتب الحاكم العام، وهذا التعيين له مثيل أو سابقة أخرى فى غانا، وسوف يتكرر مراراً فى جزر الهند الغربية، وكينيا، والمحيط الهادى وفى أماكن أخرى (والرجال الذين من هذا القبيل يحلو لزملائهم أن يقولوا لهم "يوحنا المعمدان"، هذا يعنى أن هؤلاء الرجال صنف من الناس الذين يصيحون فى الأراضى الخراب لكى يمهدوا طريقاً مستقيماً لمن سيجىء بعدهم)، هذا فى الوقت الذى كان إى جى فى (جون) وليامز EJV (John) Wiliams مسئولاً عن فرع الشئون الخارجية الوليد فى مكتب رئيس الوزراء. اهتم الحاج أبو بكر اهتماماً كبيراً وشخصياً بمسألة الاختيار والانتقاء، وذلك من خلال مكتب الحاكم العام والحكومات الإقليمية، على أن يكون ذلك الاختيار من مرشحى الشئون الخارجية الأكفاء من مختلف أفرع خدمات البلاد (نيجيريا) فى الخارج. كان التخفيف من جانب فنجلند ستانلى يقوم على تقديم النصح للمكتبين فيما يتعلق بالآليات الدبلوماسية المستقبلية من ناحية، وعن التدريب من الناحية الأخرى، مسألة التدريب جرى تحقيقها من خلال الاتصال بين CRO ووزارة الخارجية التى قامت بتنظيم برامج تدريب جامعية بريطانية خاصة فى الشئون الدولية، يتبعها الإلحاق على البعثات البريطانية فى كل من ريو دى جانيرو Rio de Janriro وكنبرا Canberra، وأوتاوا Ottawa، وأكرا وبون Bonn . وبهذه الطريقة أمكن تدريب حوالى أربعين نيجيرياً وإكسابهم الخبرة فى مجال الأعمال اليومية، وفى التنظيم الخاص بالبعثات الديبلوماسية فيما وراء البحار. وجرى إيفاد لورانس Lawrence أنيونو Anionwu السكرتير النيجيرى الدائم والأول للشئون

الخارجية، فى بعثة لحضور دورة تدريبية فى كلية الدفاع الإمبريالية، وقد حتمت تلك الدورة القيام ببعض الأسفار والدراسات الدولية. لم يكن المرشحون كلهم منجذبين إلى مسألة شغل المناصب المتعددة فى الخارج، نظرًا لأن الشماليين منهم كانوا معنيين بتأثير ذلك على الأعضاء غير المستعدين اجتماعيًا من بين أفراد أسرهم المباشرة. من هنا لم تكن مسألة إحداث نوع من التوازن الإقليمى أمرًا سهلاً. وكان مهمة فنجلند Fingland الثانية تتمثل فى إيجاد الإقامة المناسبة وهيئة موظفين يجرى استخدامهم محليًا فى المفوضية البريطانية العالية مستقبلاً.

فى الوقت الذى كان الإقليم الشمالى يتطلع فيه إلى الخارج وذلك عن طريق إرسال وفدين وزاريين وممثلين رسميين إلى كل من ليبيا وباكستان وإلى السودان أيضًا لدراسة الطريقة التى طورت بها هذه الدول الحكم الإسلامى والعدالة الإسلامية كيما تفى باحتياجات مختلف الأصول العرقية والمعتقدات الدينية، أعرب الدكتور نيكروما عن رغبته فى رئيس وزراء نيجيريا الفيدرالى ورؤساء الوزراء الإقليميين. وقيل لنيكروما من خلال القنوات الدبلوماسية أن الحاج أبى بكر هو والمستشار السياسى الرئيسى أولوو "يرون أن ذلك غير مناسب بسبب التزاماتهم الحالية". كان رئيس الوزراء من الناحية الشرعية أيضًا، مشغولاً أيضًا على نحو جعله لا ينضم إلى الرئيس فستوس، والسيد/ نجوكو، فى واشنطن للتوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق البنك الدولى، الذى كان كل من كارليل وأميرسون قد أنهيا التفاوض معه بشأن قرض مقداره ٢٨ مليون دولار أمريكى لوصلة سكة حديد برنو، لكن الرجل أوفد ستالارد Stallard للانضمام إليهم وتمثيل رئيس الوزراء فى "المهام الخاصة"، على كل حال، كان مجلس الدفاع التابع للحاكم العام مشغولاً بمسألة التسليم والتسلم مع وزارة الحرب.

واقع الأمر أن نيكروما كان ضيفًا على مؤتمر الدول الثمانى الإفريقية المستقلة (إثيوبيا، وغانا، وليبريا، والمغرب، والسودان وتونس والجمهورية العربية المتحدة) الذى كان على وشك الانعقاد فى أكرا، ولذلك حاول نيكروما استكشاف آراء نيجيريا حول

هذا الأمـر، حـتى يمكنه تمثـيل هذه الدول أمـام المندوبين الآخـرين. لم يوافق على ذلك سوى أزكوى Zik، أمـا الآخـرون فقد اعتبروا ذلك "إهانة لا تغتفر إذا مـا قـامت دولة صغيرة بمحاولة لعب دور المتحدث الرسمى باسم نيجيريا". ويسحب نيكروما عرضه ويوفد أكو Ako أديجى Adjei وزير العدل فى حكومته، ومعه جورج بادمور ذلك الرجل الذى يبلغ من العمر ستة وخمسين عاماً وهو من أتباع الجناح اليسارى فى جزر الهند الغربية وبخاصة فى ترينداد، والذى كان يلعب دور المستشار فيما يتعلق بالسياسة السوداء، والذى نقل مكتبه الخاص بالشئون الإفريقية من لندن إلى أكرا، حتى يتمكن من لقاء أزكوى بصفة خاصة. على المستوى الرسمى كانت نيجيريا تتحين الفرصة المناسبة. أنشأت الدول الثمانية المستقلة لها سكرتارية صغيرة فى منظمة الأمم المتحدة واقترحت عقد مؤتمرات حولية لكل الحكومات الإفريقية المستقلة. وحضر المعلم أمين كانو المؤتمر الذى عُقِدَ فى أكرا فى شهر أبريل، وعند عودته تبادل الرسائل الودية مع رئيس وزراء الشمال، وشكر المستشار السياسى على معاونته لزوجته فى اختيارها فى الرحلة التى سيقوم بها المجلس البريطانى، كما هنأه على رحلته الموفقة التى قام بها إلى الإقليم الشرقى عندما كانت لجنة الأقليات تدلى بشهادتها فى كانو. وقد أكد رئيس الوزراء لأمين كانو أنه سوف يُسْتَشارُ فى مسألة الحكم الذاتى الإقليمى، الذى سبق أن وعد أمين كانو بأنه سوف يساند ويدعم آراء المستشار السياسى الرئيسى حول هذا الموضوع (الحكم الذاتى الإقليمى) وموضوع الحصول على الاستقلال. كان كل منهما يتطلع إلى إجراء محادثات واقعية وموضوعية داخل الحزب وعلى أن تجرى تلك المحادثات فى نهاية شهر مايو.

استرعت الأحداث التى وقعت فى توجو Jogo انتباه الحاج أبى بكر تافاوا باليوا. كان ابنًا لأم توجولية وأب ضابط بولندى يدعى نيكولاس Nicolas جرونتزكى Gruntsky الذى خدم فى الجيش الألمانى قبل الحرب العالمية، ثم أصبح مهندس خطوط حديدية وإنشاء، هذا الابن ساند ديجول وأيده فى الحرب العالمية الثانية، وكوفئ بأن أصبح

رئيساً للوزراء فى ظل الاتحاد الفرنسى. وفى شهر أبريل من العام ١٩٥٨ قامت الأمم المتحدة بالإشراف على الانتخابات الجديدة، التى انهزم فيها رئيس الوزراء هذا أمام سلفانوس Sylvanus إيبيفانيو Ephiphanio أوليمبيو Olympio الذى كان أقدم منه باثنى عشر عاماً فى العام ١٩٥٦ . كان أوليمبيو هذا من بلدة لومى `Lome، وكان يحبذ وحدة شعب الأيوى كله (الذى كان منتشراً فى غانا)، كما تلقى تعليمه فى فينا Vienna وفى لندن. وعلى الرغم من معارضة أوليمبيو لفيكى Vichy فرنش French فى زمن الحرب، فقد أصبح الآن عمدة لبلدة لومى `Lomeكما رفض أيضاً ميول جرونتزكى إلى باريس. كانت سياسة الرجل ترمى إلى الاتجاه صوب دولة ذات حزب واحد، لكنه كان يشجع أيضاً الاستثمارات الأجنبية.

الأهم من الدول الثمانية المستقلة هو إنشاء المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للأمم المتحدة للجنة الاقتصادية الإفريقية. فى الوقت نفسه جرى فى شهر فبراير عزل جارفيلد Garfield تود Todd، رئيس وزراء روديسيا الجنوبية منذ العام ١٩٥٤، عن منصبه بسبب عتق فارقة وإعطائهم حق الاقتراع من قبل إدجار Edgar هوايتهيد Whitehead، ذلك الرجل الذى كان يسير ببطء على طريق ملاحقة الليبرالية، كان الفرنسيون قد قصفوا بالقنابل ميناء فى تونس، وكان حزب الأمة قد فاز فى الانتخابات السودانية، وحقق الوطنيون انتصاراً كاسحاً فى جنوب إفريقيا، وكانت حكومة حزب العمال قد استقالت فى مالطة، التى تَعَيَّن على الحاكم فيها تولى مقاليد الإدارة فى الجزيرة. وكانت حالة الطوارئ على وشك الإعلان فى عدن، يزاد على ذلك أن مظاهرات الأوروبيين متعددى الألوان فى الجزائر قد بدأت تنذر بالقلاقل والاضطراب فى شهر مايو، وهنا تولى الجنرال ديجول منصب رئيس الوزراء فى فرنسا فى اليوم الأول من شهر يونيو. كانت بريطانيا تخطط لتوريط كل من اليونانيين والأتراك فى إدارة جزيرة قبرص.

في شـهر ابريل أبلغ ريتشـارد Richard كنسـمان Kinsman رئيس الوزراء برغبته في العـودة إلى الإقليم الشـمـالي. كـان مـيـخـائيل فـارفـيل Varvill في ذلك الوقت يعمل سكرتيـرًا لرئيس الوزراء، ونظرًا لأن الحـاج أبا بكر، كـان لا يحب على طول الخط خسارة الثقات المحيطين به والمعروفين له، فقد طلب الرجل من كنسمان استمراره في العمل سكرتيرًا خاصًا لمجلس الوزراء مدة "جولة أخرى"، وعليه جرى إحباط الرجل وتخييب آماله، لكن هذا الضرر جرى تخفيفه عندما علم كنسمان أن الأطباء كانوا قد نصحوا بأن صحة أبناء كنسمان الذين كانوا في عمر أبناء أبي بكر تاقاوا باليوا، تُضار بسبب الظروف المناخية السائدة في ليجوس. كان من الواضح تمامًا أيضًا في ذلك الوقت أنه مع الحصول على الاستقلال سيكون هناك طلب فيه جدًا على أن يكون أولئك المرافقون لرئيس مجلس الوزراء من الأوروبيين. كان البديل الأول الكبير إفريقيًا محبوبًا لا يعرف الكلل أو الملل ويدعى السيد/ جو ورمان Warmann وهو غاني الجنسية ويعـمل في وزارة النقل، لكن سـرعـان مـا حل مـحله سـتـانلي Stanley وي Wey لمدة استمرت حوالي ثمانية عشر شـهرًا. وقد أصر سـتانلي وي على عدم ارتداء الزي الإفـريقي مـخـافـة أن يخلط الغـرباء على هذا المنصب بين من هو "الرئيس" Boss و "المرءوس" Clerk. كان أحمد كاري Kari يقوم على أمر الزيارات السياسية التي تفد على كـادونا (وذلك بهدف "تلطيف الأجـواء" مع المسـتـشـار السـيـاسي الرئيـسي أو "تصحيح الأمور من جديد" في مؤتمر الحزب، نظرًا لاعتماد أبي بكر على ذلك المؤتمر، وذلك على حد التوضيح الذي قدمه أبو بكر للحاكم العام حول هذا الموضوع)، وكذلك الزيارات التي يقوم بها رئيس الوزراء إلى باوتشي طلبًا للراحة.

انعقد الاجتماع السياسي الشمالي الذي كان مقررًا له شهر مايو، وذلك لمناقشة القانون والنظام وكذلك مناقشة الورقة البيضاء الخاصة بالحكم الذاتي الداخلي. وعلاوة على أمين كانو الذي كان ممثلاً لحزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمي، كان هناك أيضًا يوسف تاركا ممثلاً لحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، وإسحاق Ishaku جونمن

Gwamna احد المستقلين من جوس. كانت هناك شكاوى مقدمة من حزب جماعة العمل، كما كانت هناك شكاوى أيضًا مقدمة من الأقلية الصغيرة حول عدم الاهتمام أو التجاهل: وهذا هو أولاوين Olawoyin زعيم الأقلية التابعة لحزب جماعة العمل يشتكى من رفض حكومة الشمال التعامل معها على أنها حزب شمالى، قال أولاوين إن استبعاده أثبت أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تصالح مع إيلورين Ilorin وكبا Kab-ba وبذلك يكون حزب المؤتمر الشعبى الشمالى قد انضم إلى الغرب وأدخلا الديمقراطية إلى سلطاتهما المحلية (المدنية). ترأس المستشار السياسى الرئيسى مراسم الافتتاح، ووعد أمين كانو بتعاون حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى فى مسألة تطوير تقدم الشمال، وأعرب إسحاق عن أقوال سياسية مبتذلة، وصرح يوسف تاركا عن انشراح صدره بهذا الاجتماع، لكنهم كانوا لا يزالون ينتظرون ورود تقرير لجنة الأقليات وإنشاء ولاية الحزام الأوسط. وهنا نجد المستشار السياسى ينسحب من الاجتماع ويترك ترؤسه للحاج أبى بكر تافاوا باليوا. وهنا نجد كلا من أبى Abba حبيب (من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى) وتانكو Tanko ياكاساى Yakasai (من حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى)، وباتريك Patrick دوكوترى Dokotri على حد تهجيه هو نفسه لهذا الاسم ممثلاً لحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد) يعملون سكرتيرى اتصال، ويُجْمِعُ الناس جميعًا على التأجيل طلبًا لدراسة الورقة البيضاء. وفى اليوم التالى يؤكد أبو بكر تافاوا باليوا ليوسف تاركا أنه إذا كان الشرق والغرب يتحتم عليهما الانتظار، فإن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى مضطر هو الآخر إلى التصرف دون الإساءة إلى أو الإضرار بالمشورة النهائية التى ستتقدم بها لجنة ولينك Willink. راودت حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بعض الشكوك عن مدى الاحتياج إلى نائب للحاكم، لكن أمين كانو أقنع الحزب أن الاستمرار هو الذى يحتم وجود مثل هذا المنصب. وجرت مناقشة وضع الموظفين فيما وراء البحار، وجرى الاتفاق فى نهاية المطاف أنه على الرغم من أن بعض هؤلاء الموظفين سيجرى إغواؤهم عن طريق المبالغ التعويضية الكبيرة، فإنهم ينبغى إقناعهم بالبقاء عن طريق الآمال التى مفادها أن ظروف الخدمة المستقبلية لن تكون أقل

جودة مما هى عليه. كان أمين كانو مصراً على حتمية إبعاد الخدمة المدنية عن السياسة، وأن عضوية لجان الخدمة العامة التنفيذية يجب أن لا تكون مكافأة على الخدمة الحزبية المخلصة، لكن إذا كان الكثيرون من موظفى ما وراء البحار لم يتركوا الإقليم الشمالى أو يغادروه، فإن حكومة الشمال يتعين عليها اللجوء إلى مواهب الإقليم كله، بغض النظر عن الفلسفة، وتطلب إليهم التقدم للخدمة. ويتفق أبو بكر وجميع الحاضرين على أن نجاح الحكم الذاتى لن يكون من عمل الحزب الحاكم وحده، وكرر الرجل تعهداته بتقديم يد العون والمساعدة. وقال يوسف تاركا إنه يتعين عليه فى ظل هذه الظروف السفر إلى بريطانيا، لكن دوكوترى سيكون نائبًا عنه فى أية متابعة من المتابعات. وجرى إفساد ذلك الإجماع بسبب الخلاف الذى نشأ من جانب عدد كبير من السياسيين الذى حضروا ذلك الاجتماع دون توجيه الدعوة إليهم وجرى حرمانهم من بدلات السفر وبدلات الإعاشة.

فى واحدة من الزيارات التعويضية التى قام بها الرجل إلى مسقط رأسه فى مطلع شهر يونيو من العام ١٩٥٨ الميلادى قام الحاج أبو بكر تافاوا باليوا بتكسير شىء من التصلب الذى كان بينه وبين وات Watt الممثل المقيم، الذى كان يراقب التقدم البطىء فى منزل رئيس الوزراء الجديد المصنوع من الأسمنت فى بلدة باوتشى، وبخاصة مع إرسال المدخرات المتتالية من ليجوس لسداد فواتير المقاول. وقد اعترف أبو بكر أنه على الرغم من بعض الشكليات فإن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان لا يزال معنيًا بالاحتفاظ بالمقيمين والإبقاء عليهم فى الشمال باعتبارهم المصدر اللازم لسياسة الأشملة، وألمح الرجل أيضًا إلى (مثلما فعل أولوو) تعرفه أفكار الحكومة البريطانية عن توسيع مشروع "القائمة الخاصة". كان الرجل لا يزال مشغوفًا بمسألة نشاط السلطات المحلية (المدنية)، لكنه راح يعرب عن شكوكه فى مسألة التبكير بإدخال هذه السلطات حيز التنفيذ. لم يكن لدى أبى بكر خادمُ فى منزله المبنى من اللَّبن وكان يُخْلى القرع القللى بنفسه. يزاد على ذلك أن الرجل كان يقود سيارته الخاصة بنفسه إلى بلدة داس

Dass لرد زيارة قام بها رئيس من رؤساء الدرجة الثالثة فى هذه الرئاسة Chiefdom الصغيرة، لكنه لم يكن يقطع الأميال القليلة التى كانت تفصله عن تافاوا باليوا، ثم تُرك فى نهاية الأمر للبقاء مرة أخرى مع النائب أبى بكر جاريا قبل أن يقود سيارته إلى المطار فى كادونا. وكان كير Kerr بوفيل Bovell مفتش الشرطة العام، الذى بدأ فى ذلك الوقت يحيل الكثير من أفكاره إلى أبى بكر مباشرة، قد طار إلى باوتشى فى تلك المناسبة لمقابلة أبى بكر بخصوص الهدوء الذى بدأ يكتنف الجنوب، لكن المؤسف أن مفتش الشرطة العام، وصل بعد رحيل أبى بكر تافاوا باليوا عن كادونا. كان الانتقال بالطائرة فى ذلك الوقت عادة من عادات كبار المسئولين، والذى فتح ذلك الطريق هو انتقالات شارود سميث بطريق الجو. كان رئيس الوزراء هو الآخر قد انتقل بالطائرة إلى إينوجو قبل هذه الجولة الشمالية، لكى يترأس الاجتماع الثانى للمجلس الوطنى الخاص بالمنشآت والمؤسسات والاستماع إلى زيك Zik (آزكوى) والتحدث إليه. لكن ذلك لم يرق إلى استئجار الدكتور نيكروما لطائرة من الخطوط الجوية البريطانية بمبلغ ١٧٠٠٠ جنيه إنجليزى كيما يقوم بجولة إلى كل من إثيوبيا وشمال إفريقيا، وقد اختار نيكروما خلال هذه الرحلة مصر ليعلن فيها عن نيته فى تحويل غانا إلى جمهورية.

أثناء عودة أبى بكر إلى ليجوس قام بالرد على رسالة أخرى وردته من "صديقه"، القائم حاليًا بإجازة ويتفكر فى تجربة وزارة الخارجية الأولى المحدودة والتى تتمثل فى تجنيد دبلوماسى أو دبلوماسيين من الخدمة المدنية فيما وراء البحار:

> **"يؤسفنى القول: إن رسالتك أصابتنى بالاكتئاب وأحزنتنى ..... أنا أعرف مدى التوتر الذى تعانيه، لكنى أتمنى أن تعيد التفكير فى الأمر. نحن نمر حاليًا بفترة عصيبة ونحن نريد من أصدقائنا جميعًا التعاون معنا، الأصدقاء الذين هم بوسعهم مساعدتنا بالفعل. لقد وعدنى المستشار السياسى الرئيسى أنه سوف يلتقيك، ويؤسفنى أن أسمع أنك لم تلتقه إلا لمدة نصف ساعة**

فقط قبل رحيلك. وأنا أرى أن الأمور تتغير إلى الأحسن حاليًا، وأتمنى أن توافق على العودة لرؤية النتائج التى يمكن أن تترتب على ذلك. أنا أقدر بحق أن هناك بعض الصعوبات، لكنى يتعين على القول: إن زملائى فى كادونا أصبحوا الآن يدركون حقائق الموقف. أرجوك أن تقبل العودة ..... وأنا أود الوصول إلى إنجلترا قبل المندوبين الآخرين [إلى المؤتمر المزمع انعقاده] حتى تتهيأ لى فرصة إجراء مناقشات مع أناس كثيرين .... إن أمامى بالفعل عملاً صعبًا تمامًا ـ وأنا أحاول أن أجعل من نيجيريا كيانًا واحدًا. على الجانب الآخر أنا سعيد وأحاول بذل قصارى جهدى. آمل أن يصلنى ردك قريبًا جدًا.

سمع أبو بكر أن الشخص الوحيد الذى قيل إنه تتوفر فيه المزايا المتفق عليها فى الدبلوماسية الاحترافية بين المرشحين الاستعماريين العشرة أو أكثر من ذلك، لم يكن ذلك الشخص الذى يراسله.

عندئذ قام مجلس الوزراء "بحركة غير مسبوقه" عندما عرض توفير المفوضية البريطانية العالية المستقبلية على سبيل الهبة أو العطية، كما عرض أيضًا تقديم مساهمة كبيرة فى تكاليف إنشاء منزل المندوب السامي، كما عرض الإقليم الغربى أيضًا موقعًا لنائب المفوضية العالية فى إيبادان، وأُعلن أيضًا أن كلا من الشمال والشرق كانا يثبتان "أقصى قدر ممكن من التعاون". وعلى الرغم من أن ذلك آثار بعض الضيق بين الوطنيين الأشد مراسًا، فقد كان بمثابة إشارة أو إيماءه مشتركة سرعان ما راحت الخزانة البريطانية تتعامل معها باعتبارها سابقة، كانت تشير إليها عندما جرى تقديم المنح الاستقلالية فى أماكن أخرى. كانت وزارة الخزانة تحوم أيضًا

(*) الضجيع: هو شريك الفراش. (المترجم)

وبصورة واضحة خلف وكيل وزارة الخارجية البرلمانى الذى أبلغ مجلس العموم فى الوقت نفسه أن "هناك خططًا لدعم كل [منطقة من المناطق الاستعمارية] فى حال نشوب القلاقل والاضطرابات التى يصعب على قوات الأمن المحلية السيطرة عليها ..... لكن يكون مناسبًا أو معتادًا تقديم مساعدة من هذا القبيل فى حال حصول الإقليم على الاستقلال". وهنا قام رئيس وزراء نيجيريا، وليس المستشار السياسى الرئيسى بالدعوة إلى عقد مؤتمر تأسيسى مبدئى، وافق فيه رؤساء وزراء نيجيريا الثلاثة ومعهم زعيم حكومة تصريف الأعمال فى جنوبى الكاميرون، على التاريخ الذى اقترحته الحكومة البريطانية موعدًا لانعقاد المؤتمر المزمع، كما جرى فى ذلك الاجتماع الالتزام بجدول الأعمال والتقدم الذى تحقق بالفعل، كما جرى الاتفاق أيضًا على الاجتماع كل ثلاثة أشهر فى عاصمة من العواصم لمتابعة المزيد من التقدم وإحرازه.

هذا يعنى، استمرار روتين الإدارة السياسية، واستمرار عمل الحكومة، كما هو مسجل عند أولئك الذين يفسرون التاريخ فى ضوء النزعات والاتجاهات والتقدم. وتواصلت أيضًا فى خط مواز القصة السياسية لكل من الشخصية والسلطة، الأمر الذى قدم يد العون لحزب المؤتمر الشعبى وبخاصة أولئك الذين وجدوا من الفضيلة أن يواروا فرحهم للانقسامات التى دارت بين منافسيهم. فى ظل حكم كل من ماكفرسن وروبرتسون وأخيرًا فى ظل حكم أبى بكر تافاوا باليوا نمت وتطورت الجماعة السياسية المركزية التى كان من الطبيعى أن تمارس الإجماع الإدارى، وتحتفظ بشكل من أشكال الإحساس المتواضع بالواجب مع شىء من الرضا المتواضع أيضًا عن بعض منجزاتها العملية، وهنا نجد الحاقدين ينعتون ذلك المنزل "زمرة إيكوى" تيمنًا باسم الضاحية السكنية التى يعيش فيها الوزراء الفيدراليون، مبعثرين بين منازل كبار الموظفين والمدراء التجاريين وكبائنهم. كان ذلك هو حال العالم السياسى الذى عاش فيه ذلك "الرجل صاحب العينين الرقيقتين والصوت اللطيف، وصاحب المصافحة الرخوة والفم الذى يقطر حنانًا"، عيشه صحافيًا يمكن أن يكون مؤرخًا فى المستقبل على حد وصف

الناس له، ثم يتحول بعد ذلك إلى رجل صلب صعب المراس بل ومخيف أيضًا ولديه القدرة على السيطرة والهيمنة على الأعضاء الدوارين واللفافين فى وزارته.

عند هذا الحد، وطبقًا لتحذيرات بوفل Bovell السابقة نجد أن سياسة القوة هى والسياسة القبلية يعكران صفو الروتين المريح. وإذا كان النظام الهرمى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى استطاع أن يتجاهل مقترحات مسئوليه الخاصة بإعادة تشكيل الحزب فإن توترات حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى كان من الصعب إخفاؤها فى إقليم تتبدى فيه العواطف والانفعالات للجميع، ويسارع فيه المنادون بالمساواة إلى إسقاط أولئك الذين لم يتقدموا للمشاركة فى السلطة التى اكتسبوها فور وصولهم إلى القمة. وقد جرى إعادة كولا Kolaبالوجن Balogun لإعادة تنظيم هؤلاء الناس فى العام ١٩٥١، كما ترأس السيد/ أو بادموسى Bademosi لجنة تفسر الأسباب التى أدت إلى فشل حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى فى الإقليم الغربى فى العام ١٩٥٦ . وأرسل بادموسى، فى الوقت الذى كان الجميع فيه مشغولين بالإعداد لمؤتمر لندن، تقريرًا عن جوٍّ حزبى عامر بالشكوك والاتهامات المضادة. وقد تحدث الدكتور آزكوى، فى المؤتمر الذى عقده حزبه فى ليجوس فى شهر أبريل من العام ١٩٥٧ عن علاقته الخاصة مع أنصار الحزب الآخر، وعن الخطوط الفاصلة غير المؤكدة، بين التسلسل الهرمى والبرلمانيين من ناحية وبين البرلمانيين والعضوية الكاملة من ناحية أخرى، كما أعرب الرجل أيضًا عن رغبته فى إعادة انتخابه. وعلى الرغم من خداعه فقد جرى انتخابه من جديد وبلا معارضة بل وغيابيًا، يزاد على ذلك أن الرجل أعفى فى المؤتمر الذى عقد فى بلدة أبا Aba فى شهر أكتوبر، كلا من مبادوى، وبالوجُن، وآدلابو Adelabu من مناصبهم الحزبية، كانت تهديدات الرجل المستمرة بالاستقالة، شأنها شأن محاولات الاغتيال وفضائح البنوك، تضفى المزيد من القوة على مساندة الشعب له.

على الجانب الآخر، نجد أن رد الفعل الجماعى هذا لم يؤد بأى حال من الأحوال إلى حل ذلك الارتباك الكبير الذى ترتب على إلغاء زيارة بريطانيا. كان رئيس الوزراء هو الآخر مرتبكًا. كان الوزراء السادة مبادوى، وبالوجُن، ومعهما السكرتيران البرلمانيان بو أو ندم Ou Ndem وبادوموسى Bademosi قد اتفقوا على "حتمية سفر الدكتور أزكوى"، وحاولوا إبعاد الرجل عن حضور الاجتماع التنفيذى الوطنى، وكانوا يتطلعون فى ذلك إلى العون والمساندة من قبل أولئك الذين قطع أزكوى صلته بهم بعد الانتخاب الأخير. وعلى الرغم من ضعف أولئك الناس ووهنهم بسبب خسارتهم لاديلابو Adelabu فقد حاولوا تجريح الدكتور أزكوى لأسباب متعدده - فهو الذى غدر بمساعدة مبونو Mbono أوجيك Ojike وأبعده عن حقيبة المالية فى إينوجو قبل استلام قرار اللجنة الخاص بفساد أوجيك، وأزكوى هو الذى لم يسبق تحذير رفاقه من قلق وزير الخارجية بشأن الفضيحة المصرفية، هذا يعنى أن إلغاء العملية الانتخابية داخل حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى قد أضرت بالروح المعنوية داخل الحزب، وأزكوى هو أيضًا الذى تجاهل التوجيه الصادر عن اجتماع خاص بالولايات كل على حدة، وأزكوى هو المسئول أيضًا عن الفشل فى التعليم الابتدائى المجانى الأمر الذى أدى إلى حدوث اضطراب عام كبير، وأزكوى هو الذى أوجد فى موطنه نسوكا Nsukka جامعة على الطراز الأمريكى تعمل بنظام القروض (وكان ذلك بمساعدة جامعة الولاية فى ميتشجن، التى وفرت ونهضت بأعباء نائب مستشار الجامعة)، والتى اعْتُبرت خطأ كبيرًا (على الرغم من مساندة مبادوى لتلك الفكرة)، يزاد على ذلك أن أزكوى لم يهتم بالحزب (أو بمعنى آخر كان الرجل يتصرف كما لو كان أوتوقراطيًا أو سلطة مدنية وحيدة).

كانت النتائج التى ترتبت على المؤامرة التى أطاحت بكل من مبادوى وبالوجُن، كما أطاحت أيضًا بأمناء الحزب، هم والرئيس الوطنى تفيد أن الأغلبية هى التى طردت هؤلاء الناس، الأمر الذى جعل هؤلاء يسارعون إلى النكوث بعهودهم. وهنا تطرق النزاع إلى أسلوب الزعامة، وهنا نجد أزكوى يقدم عرضًا بتسوية من خلال "عرف

Covenant أجباوى تقليدى (حرّض على أتباعه كلاً من تى أو إس بنسون Benson وبعضًا آخر من البشر من غير الإجباويين)، كما طالب مبادوى هو وبقية لجنته الإصلاحية (التى كانت تلقى مساندة من الخارج) بالرد على قائمة الاتهامات قبل التفاوض حول الدفاع. حاول مبادوى توريط كلٍّ من أوكوتاى - إيبوه Okotie - Eboh وواشوكو فى تحد رسمى جرى تجهيزه لآزكوى فى مؤتمر ليجوس، وقد جرى سحب ذلك التحدى أو الاعتراض بسبب محاولة مزعومة للاغتيال. وقد برزت فى ذلك الوقت أمام الحزب مشكلة معاصرة تمثلت فى وفد رجال المال والأعمال الإجباويين الذى جاءوا من الشمال، سعيًا لتلطيف هياج حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى على الأمير، تأييدًا ودعمًا لولاية الحزام الأوسط، وذلك تحاشيًا لقيام حزب المؤتمر الوطنى الشمالى بالثأر لنفسه منهم. وجرى الترتيب لعقد اجتماع يضم كلاً من الدكتور آزكوى، وبعض زملائه، وبعضًا من ممثلى حزب جماعة العمل الذين يحضرون المؤتمر ورئيس الوزراء هو وبوفل المفتش العام، لم يسع أى أحد بصورة علنية أو مكشوفة إلى تخريب الحكومة الفيدرالية، لكن النتيجة الحتمية التى لا مفر منها تمثلت فى أنها معنى الوحدة الذى اصطنعته "الحكومة الوطنية". وعرض الحاج محمد رباط التوسط بين الجانبين اللذين عجزا عن أن يخطوا الخطوة الأولى نحو المصالحة الصفاء.

ألمح مؤيدو آزكوى أن هدف مبادوى الحقيقى كان هو الإطاحة بأبى بكر تافاوا باليوا، وأكد مبادوى أن حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى كان بحاجة إلى "سجل أعمال نظيف، وخال من العقيدة السيئة، والوطنية الزائفة وخديعة الجماهير" ويمثله الرجل الذى عاونه على الحشد، والى أن أصبح، على حد قوله، يرى الأشياء على حقيقتها بعد أن زالت الغشاوة عن عينه. وعندما سأل الصحافى الذى تحول إلى مؤرخ، والذى اقتبسنا عنه بالفعل، أبا بكر تافاوا باليوا عن النزعات الديكتاتورية فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى جاءت إجابة رئيس الوزراء التشككية على النحو التالى: **"اطرح هذا السؤال على نفسك وعلى السيد/ جرودر Growder، هل أنتما**

متأكدان أن الديكتاتورية لن تكون فى مصلحة نيجيريا؟" فى النهاية شكل المتمردون حزبًا انفصاليًا آخر أسموه الحزب الديمقراطى النيجيرى الكاميرونى الذى بقى على قيد الحياة إلى أن جرت هزيمته (والصفح عنه بعد وساطة من الدكتور أوكبارا Okpa-ra) فى الانتخابات التى جرت بعد ذلك. كان الحاج أبو بكر كعادته يتطلع إلى نوع من المصالحة، متشجعًا فى ذلك ربما ببعض التمهيدات التى قام بها الدكتور آزكوى لدى المستشار السياسى الرئيسى، لكن أبا بكر أُجْبِر واضطر فى نهاية المطاف إلى قبول استقالة كل من مبادوى وبالوجُن، وبالتالى جرى إعطاء حقيبتيهما لوزيرى الدولة بوكار Bukar دبشاريما Dipcharima وفيكتور Victor ميوكيت. وعين أبو بكر تافاوا باليوا الشيخ شاجارى سكرتيرا برلمانيًا له، مثلما حدث تمامًا للملازم الثانى شوكوميكا Chukwumeka أو O أوجوكو Okukwu، الذى عمل ضابطًا مساعدًا للحى فترة قصيرة، ليصبح بعد ذلك أول نيجيرى يتلقى تكليفًا نيجيريًا خالصًا (وذلك على العكس من التكليف من خلال الملكة أو الحاكم) ومباشرًا فى الجيش بعد تخرجه من الكلية الحربية (وقد صادف ذلك إعلان السيد/ إيان Iain ماكلود الذى مفاده أن الخدمة الوطنية فى بريطانيا تقرر لها أن تنتهى وأنه الجيش البريطانى يجب أن ينقسم إلى نصفين). فى زاريا كان ثلاثة عشر مرشحًا قد تخرجوا فى معهد الإدارة وجرى تسكينهم فى وظائف ضباط أحياء إداريين فى الأقسام. كانت باوتشى فى ذلك الوقت خالية من الاتصالات اللهم باستثناء خط التلغراف الذى يربط بلدة جوس ببلدة ميدوجورى Maiduguri.

وتستمر الكرة فى الدوران، فى ظل المزيد من المشاغل الماسة والضاغطة التى لا تهيئ الفرصة الكاملة لمراقبة تلك المستعمرات التى تسمى نيجيريا. وهذا هو السودان يحول مياه النيل، الذى اعتمدت عليه مصر منذ أكثر من ستة آلاف عام، باعتبار ذلك التحويل أول مرحلة من مراحل مشروع مناجيل Managil، وحصل جنوب إفريقيا على عضويته الكاملة فى الأمم المتحدة (فقد خلف فيرورد Verwoerd بعد فترة وجيزة، ستريجدم Strijdom فى رئاسة وزراء جنوب إفريقيا)، وفى أزمات الشرق الأدنى الثلاثة

جرى اغتيال الملك فيصل، ملك العراق فى الثورة التى جرت فى بغداد، ودعا الرئيس شمعون القوات الأمريكية إلى المجىء إلى لبنان، واستدعى الملك حسين قوات المظلات البريطانية للهبوط على أرض الأردن، وفى الشرق الأقصى زاد التوتر حول جزيرة كيموى Quemoy البعيدة عن الشاطئ، وقام ديجول بجولة فى إفريقيا وفى برازافيل أشعل ديجول فتيل الحريق فى المستعمرة البلجيكية المجاورة بأن خير الكنغو Congo الموينى Moyen بين أن يكون جمهورية ذات حكم ذاتى فى إطار الجماعة الفرنسية أو الحصول على الاستقلال الكامل، وقام جوزيف Joseph كازافوبو Kasavubu فى الكنغو بإنشاء هيئة ثقافية تهدف إلى توحيد كل شعب الباكونجو Bakongo فى كل من الكنغو الفرنسى والكنغو البلجيكى وأنجولا البرتغالية (وقد أطلق على هذه الهيئة اسم رابطة الباكونجو من أجل توحيد لغة الكيكونجو ونشرها والدفاع عنها وأصبح يرمز إليها بالرمز (ABAKO، وقام باتريس لومومبا البالغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا، والذى كان رئيسًا لإحدى المنظمات الإفريقية فى ستانلى فيل، بتأسيس حركة منافسة للحركة السابقة أسماها الحركة الوطنية الكنغولية التى طلبت من الحاكم العام استدعاء الزعماء الممثلين حتى يشاركوا فى صياغة سياسة جديدة تفضى إلى التبكير بمسألة الاستقلال، فى غينيا بيساو تأسس حزب سياسى جديدا هو الحزب الإفريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر، وفى سيراليون انفصل ألبرت Albert مرجاى Margai الشقيق الأصغر لرئيس الوزراء، عن حزبه ليشكل حزبًا جديدًا أسماه الحزب الشعبى الوطنى وذلك بالاشتراك مع شخص يدعى سياكا Siaka ستيفنز Stevens. فى المستعمرة جرى إنابة السير جيمس فى افتتاح المجلس النيجيرى شبه الديبلوماسى أثناء قيام الحاكم العام بإجازة إلى لندن.

يصل السيد/ أد بى P فنتون إلى ليجوس موفدًا من بنك إنجلترا ليترأس البنك المركزى النيجيرى الجديد، الذى كان كبير مستشارى باوتشى واحدًا من مجلس مدراء البنك المكون من خمسة نيجيريين، وكان كبير مستشارى باوتشى قد استقال من

مـجلس المندوبين (الممـثلين) لتـقلد هذا المنصب. وتحـدث كل من رئيس الوزراء هو والرئيس Chief فستوس وزير المالية فى الجلسة الافتتاحية. وربما تكون غرفة ليجوس قد أعربت عن أسفهـا عن تدنى ربحيـة الشركات الكبيرة والصـغيرة على حد سواء (وكانت الغرفة تنظر شذراً أيضاً إلى الكساد والبطالة التى نشأت فى مناجم القصدير فى الهضبة، التى كانت تعانى بالفعل من القيود الاختيارية فى الوقت الذى كانت روسيا تبيع فيها فائضها فى السوق بأسعار أقل من أسعار السوق المحلية، وذلك على النقيض من مزارعى الفول السودانى الذين كانت أرباحهم تزيد بواقع جنيهين إنجليزيين للطن الواحد وذلك من خلال مضـاعفة زراعاتهم لأنواع معينة من الفول السـودانى)، لكن الحاج أبا بكر، الذى كان فـهمه للحسابات أفضل قليلاً من فـهمه لنظرية النقود، نطق ببعض الكلمات التى توحى بأن إنشاء البنك المركزى يعد مرحلة مهمة فى بروز البلاد وظهور نيجيريا كدولة مستقلة ذات سيادة، وأن إنشاء هذا البنك المركزى يمثل الإطار المالى المتين المطلوب للتنمية المستقبلية، وأعرب الرجل عن استمرار الحكومة فى تحمل المسئولية الرئيسية. على أن يكون ذلك من خلال تقديم المشورة الفنية، كما أنه من خلال أنشطة الحكومة سيقوم البنك المركزى بإسهامات كبيرة فى تأكيد الرفاه والازدهار واستمرارهما فى نيجيريا. كان البنك المركزى أداة قانونية مستقلة استقلالاً ذاتيًا ومطلقة (مثل سائر مؤسساته المفضلة) من السيطرة السياسية، لكن الصلة الوثيقة بين السياسة النقدية المصرفية والسياسات المالية الاقتصادية الحكومية تحتاج بل وتتطلب تعاونًا وثيقًا يقوم على الاحترام والتفاهم المتبادل. كان أبو بكر يتفهم هذا القدر من رطانه الخدمة المدنية ويصدقه.

آمن أبو بكر أيضًا بهذا القدر من رطانة الخدمة المدنية عندما كان بصحبة من حضروا احتفال تأسيس مؤسسة غرب إفريقيا للخطوط الجوية (نيجيريا) المحدودة، ليُطْلَقَ عليها بعد ذلك اسمًا تجاريًا هو الخطوط الجوية النيجيرية، كانت غانا قد انسحبت من مؤسسة الخطوط الجوية لغرب إفريقيا، لأن حاكم غانا تأكد له أن الخط

الجوى الدولى، مثل البنك المركزى يعد رمزًا ضروريًا من رموز سيادة الدولة، يزاد على ذلك أن نيجيريا كانت سعيدة بعقلنة البقية الكبيرة الباقية من هذه المؤسسة وتجعلها حاملة لعلمها. كان أبو بكر أكثر استعداداً لتخيل منظر طيار إفريقى وتصوره جالسًا فى مقعد القيادة الموجود فى الجانب الأيسر، وإذا كان بوسع الشباب المتعلمين قيادة القوات، أليس بوسعهم أيضًا أن يقودوا الطائرات. الموضوع كله لا يعدون أن يكون تدريبًا متقنًا، فى ذلك الوقت قام أبو بكر بالتفتيش على حرس الشرف فى كلية الملكة فى ليجوس، كان ذلك الحرس مشكلاً من طلبة المدرسة، وفى الاجتماع الرسمى التالى لمجلس الحكام أكد أبو بكر لفليمنج Fleming، كبير ضباط التعليم فى ليجوس، الذى أعرب عن قلقه من إرهاق أبى بكر لنفسه: "لكنى أحب التعليم!".

كان مفترضًا أن الاجتماع القصير الذى عقده مجلس المندوبين (الممثلين) فى شهر أغسطس يمكن أن يسفر من خلال المناقشات عن ماهية نيجيريا التى يمكن أن تشرق عليها شمس الاستقلال، لكن هذا الاجتماع على العكس من ذلك المؤتمر الذى سبق الإجراءات التى اتخذت فى لندن فى العام ١٩٥٧، وعلى العكس أيضًا من المناقشة التى دارت مؤخرًا حول الموازنة التى كان الجميع فيها مشغولين بمسألة الإنفاق على الاحتفاليات وعلى زخارف الدفاع والدبلوماسية، جاء فاترًا وغير واضح. وحرك السيد/ فانى كايود Fani - Kayode، وهو عضو من الإيف Ife فى حزب جماعة العمل، مقترحًا تقدم به أحد الأعضاء الخصوصيين مفاده أن يوم الثانى من أبريل من العام ١٩٦٠ يعد موعداً مناسبًا للاستقلال، وذلك فى ضوء ما اتفق عليه الزعماء فى لندن، وعلى حد قول فانى كايود: الحصول على حرية بلا مخاوف يحتم عليهم خلق أمة من شعوب تفتقر فى واقع الأمر إلى الأسمنت الذى يربط بين عناصر الأمة ومكوناتها، وعليه فإنهم يتعين عليهم اغتنام فرصة السلام، الذى سينتج عن الانتقال الهادئ إلى الاستقلال، حتى يمكن للناس أن تعيش مع بعضها فى حب ووئام. وبعد الثناء على الاقتراح، سارع رئيس الوزراء إلى الموافقة عليه، محذراً من أنه دُعِى إلى التعليق على

هذا المقترح لكن التعليق لم يكن بالكثرة المطلوبة، وذكَّر رئيس الوزراء مجلس الممثلين (المندوبين) بأن لينوكس بويد لم يفعل أى شىء سوى إلزام بريطانيا بعمل كل ما هو ممكن من أجل الموافقة على طلبهم، وأردف رئيس الوزراء قائلاً: **"أنا أتوقع للنقاش أن يكون نقاشًا يقدم الأعضاء فيه النصح والمشورة لمندوبينا: "هذه هى المشكلات المعروضة عليكم، وهذه هى الحلول للمشكلات التى أمامكم". ونحن عندما نعود إلى العام ١٩٥٩ الميلادى – أقصد أولئك الذين سيبقون على قيد الحياة إلى العام ١٩٥٩!** [معترفًا بأن "التحالف الوطنى" يمكن أن يكون مجرد ذكرى فى ذلك التاريخ] – **أى عندما يُمَرِّر المجلس الجديد قرار استقلاله، عندئذ يصبح الأعضاء قادرين على التعبير عن آرائهم فى الشكل الذى يودونه لنيجيريا بعد الحصول على الاستقلال"**. لم يجد أبو بكر أية صعوبة فى الاتفاق على شكل المجلس الجديد، أى الغرفة الثانية، ولا فى إعادة تخصيص السلطات المتبقية على سلطات الحاكم العام، والاستمرار فى تطبيق بعض القوانين المعمول بها فى مجلس الوزراء البريطانى، والتى لا تزال سارية المفعول فى المستعمرات. لكن الرجل طال انتظاره وبدون جدوى لحكمة الحكماء فى الطريقة التى يمكن التعامل بها مع لجنة الأمم المتحدة الزائرة والتوصيات التى يحتمل أن تصدر عنها حول مسألة عقد استفتاء حول المستقبل السياسى للأراضى الموضوعة تحت الوصاية والمتمثلة فى الكاميرون البريطانية بعد حصول نيجيريا على الاستقلال، ومسألة إلغاء اللجنة المالية، والتسامح مع كل ما يمكن أن توصى به لجنة الأقليات، التى يتوقع لها إرسال تقريرها فى غضون أيام قلائل. وحسب أعضاء مجلس المندوبين (الممثلين) أنهم كسبوا القضية، وأن الأشباح يتعين عليها أن تهتم بنفسها.

وعوضًا عن ذلك، دبت فى المجلس الحياة بفضل مهزلة لطيفه وملهاة سوداء. ففى مناظرة خيالية عن إهداء موقع بحرى للمفوضية البريطانية العالية، ومسَّت أيضًا مسألة المساعدة المقدمة من مكتب علاقات الكمنولث فيما يتعلق بالخبرات المطلوبة للشئون

الخارجية، فى تلك المناظرة الخيالية بدا جاجا Jaja واشوكو مهمومًا وقلقًا من أن تصبح تلك المفوضية مركزًا "للحماقة" والتجسس بحكم قربها الشديد من، ناهيك عن قاعدة أبابا البحرية، البرلمان ومسكن رئيس الوزراء، حيث يمكن رصد تحركاته ومتابعتها. وقد أكد الحاج أبو الحاج لجاجا واشوكو أن هذا الأسلوب أو التكنيك الجديد بلغ من التقدم حداً يمكن معه تسجيل عطس إنسان يكون على بعد آلاف الأميال، ومع ذلك فإن السفارات الأخرى كلها ستكون فى جزيرة فيكتوريا، فى الوقت الذى ستظل بريطانيا فى "حالة خاصة": **"وقد ظهر للعيان أن الرجل يعطى للعيان انطباعًا مفاده، أننا عندما نصبح مستقلين، سوف ننظر إلى المملكة المتحدة باعتبارها بلدًا أجنبيًا تمامًا. ونحن الآن لدينا ذلك النادى الذى يدعى دول الكمنولث البريطانى، ونحن نرغب فى الاستمرار فى الكمنولث البريطانى حتى بعد حصولنا على الاستقلال. ونحن أيضًا من جانبنا لا نؤمن أن أى إنسان فى أى بلد من بلدان الكمنولث سوف ينشئ مكتبًا للمفوض السامى فى ليجوس كيما يتجسس على أى بلد عضو فى الكمنولث"**. وبعد الإعلان عن الهبات والعطايا البريطانية التى تمثلت فى سفينة من سفن الحراسة البحرية ولنش من اللنشات الدفاعية (وبيع كاسحتين صغيرتين من كاسحات الألغام ترابطات فى قاعدة أبابا البحرية)، وتقديم نصف مليون جنيه إنجليزى على سبيل الهدية من كل شركة شل وشركة البترول البريطانية لتوسيع تدريب الفنيين وزيادتهم على التوسع فى صناعة الزيت، تعين على أبى بكر تافاوا باليوا التعامل مع أحدث تهديد باغتيال الدكتور أزكوى.

كان زعماء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، بما فيهم أوكوتاى Okotie إيبوه Eboh، وجاجا واشوكو، ومعهم تى أو أس بنسون كبير المسئولين البرلمانيين، قد أبلغوا عن خطط مزعومة لاغتيال الدكتور أزكوى وآخرين أثناء الزيارة الأخيرة التى قام بها إلى ليجوس، واشتكوا إلى مفتش عام الشرطة من مسألة إدخال الذخيرة وجلبها إلى الإقليم الشرقى، وزعموا أن الدكتور إيجيسى Egesi من رابطة المقاتلين السابقين

قد يكون هو القاتل المحتمل، وأن كلاً من مبادوى وبالوجُن، الشاردين عن القطيع، كانا على علم بتلك المؤامرة. لم يكن هناك أى دليل على ذلك الاتهام، اللهم باستثناء عبارة واحدة غير مؤيدة. رسالة التهديد والإنذار التى قال بنسون إن آزكوى تلقاها لم يجر إظهارها أو إحضارها مطلقًا. وعد رئيس الوزراء فى البداية بعمل تحقيق كامل حول هذا الموضوع وهذه الادعاءات، لكن بعد أن قام مبادوى بتحريك حكاية استثنائية من حكايات التخويف الشرطى جرت فى أورلو Orlu مع مطلع رواية الاغتيال، استطاع الوقوف على منزلته ومكانته. ورفض مبادوى أن يوكل إلى الشرطة أى شكل من أشكال التحرى أو التحقيق عن الشائعات الخاصة بالاغتيالات، والمؤامرات التى تحاك بقتل البشر، عندما طلب إليه الاقتصار على تفنيد التقارير المنشورة فى جريدة وست أفريكان بايلوت West African Pilot عن مزاعم كل من بنسون وواشوكو.

جاء التعليق الوحيد الآخر المميز لأبى بكر فى ذلك الاجتماع، إذا ما نحينا جانبًا تعهده التهكمى بالرضا عن سيارته "الصغيرة" الوحيدة فى الوقت الراهن، متمثلاً فى أن "الموظف المدنى الجيد هو الذى يجعل من الخدمة مستقبلاً عمليًا له، وهو أيضًا الرجل الذى يكون مستعدًا للتعلم من عمله. وليس هناك فائدة من جلب إنسان من الخارج ونقول له: **"حسن، بوسعك أن تترك العمل بعد عامين إذا ما رغبت فى ذلك!"..... وفيما يتعلق بأولئك الذين أعرفهم حاليًا فى الخدمة - فهم يعملون ساعات أكثر من الساعات المحددة لهم فى القواعد والنظم الحكومية"**. كان أبو بكر متشككًا فى موظفى العقود الذين تحركهم دخولهم ومدخراتهم ولم يكن الرجل يلقى بالاً لمراقبة الوقت أو الأجر الإضافى باعتبارهما أشياء خاصة بالمحترفين الذين يقومون على أمر إدارة الآخرين وقيادتهم، وعارض الرجل من جديد معارضة شديدة الاقتراحات التى مفادها أن الوزراء كانت لهم تعليقات على مسألة النجرنة وأن هذه التعليقات جرى دسها فى أذهان هؤلاء الوزراء: **"زملائى وأنا معهم مسئولون مسئولية كاملة عن أعمالنا كلها وعن كل ما نعرضه على هذا المجلس"**.

فى اليوم السابع والعشرين من شهر أغسطس، ذلك اليوم القارس شديد الرياح سافر الحاج أبو بكر تافاوا باليوا إلى هيبانج فى منطقة الهضبة العالية طبقًا للعادات والأعراف البريطانية الغربية ليقوم بنيل شرف قص الشريط وامتيازه وبدء تشغيل الوصلة الأولى من الخط الحديدى الذى يصل طوله إلى ستمائة وأربعين كيلاً متريًا ويمتد من كانو إلى ميدوجورى. **"آمل فى غضون سنوات قلائل أن نجتمع فى ميدوجورى مرة ثانية لنشهد وصول أول قطار إلى هناك"**. وبينما كان ريموند Raymond نجوكو Njoko الذى خلفه فى وزارة النقل، يقف إلى جانبه كرر أبو بكر من جديد شكره وثناءه على رالف Ralf إميرسون Emerson **"لفضله الكبير على منظومة النقل النيجيرية"**، كانت رسالة حسن النية التى أرسلها الحاكم العام تنسب إلى أبى بكر فضل المشروع، وقد حذا رئيس وزراء الشمال حذو الحاكم العام عندما نسب فضل ذلك المشروع إلى أبى بكر، وتحتم على أبى بكر فى اليوم التالى العودة إلى موطنه، ليشم دخان الغابة المنعش وروائح السوق والأمطار فى التى هطلت مؤخرًا، ويتأكد أن ذلك الدخان الغابى مختلف تمامًا عن الدخان الناتج عن النباتات المتعفنة، وعن مياه الصرف والعودام التى فى ليجوس. حدثت بعض الاضطرابات فى بلدة باوتشى جاءت على شكل رد فعل من دهماء هذا البلد، على "الاستفزاز" الناجم عن الاجتماعات الشعبية التى عقدها حزب جماعة العمل. تحدث الممثل المقيم عارضًا المصاعب التى تواجهه قائلاً: لو أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يتجاهل الوقاحة والإساءة ويقاطع تلك الاجتماعات، فإن حزب جماعة العمل سوف يشعر بالكلل والملل، وسوف تواصل قافلته تحركها، والذى حدث هو أن حزب جماعة العمل استفاد استفادة تامة من عملية الإعلان، ولم يكن وات Watt ينتظر من الشرطة والمحاكم معاملة بلاطجة Hooligans حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، تلك المعاملة المحايدة والقاسية. أصر النائب الأول لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى أن حزب جماعة العمل هو المتسبب فى تلك الاضطرابات، وأن الأمر كان يتطلب اتخاذ إجراء ما لإبعاد مثيرى هذا الشغب وتلك القلاقل نظرًا **"لأن هذا النوع من القلاقل كان**

لا يزال فى بدايته"، أوضح الرجل الخط الذى يسير عليه حزبه، والذى مفاده أن الوحدة الوطنية فى نيجيريا لا تفترض وجود الغرباء أو ذوى الخُرُج(*) الذين يتجولون فى الضيعات المحلية. مسألة المبالغة فى الشكليات يمكن أن تتجاوز الحماقات الإنسانية الصغيرة. وهنا لم يجد الممثل المقيم أن أبا بكر كان يقدم له يد العون والمساعدة.

كان تقرير لجنة ولينك Willink الخاصة بالأقليات قد جرى نشره فى ذلك الوقت. وكانت الأجزاء المهمة فى ذلك التقرير قد جرت صياغتها بصفة خاصة بواسطة الألمعى فيليب ماسون، مدير المعهد البريطانى للعلاقات العرقية، والذى سبق له وصف "أولئك الرجال الذين حكموا الهند". وبذلك يظل هذا التقرير "الخاص بالأقليات" واحدة من الوثائق الرئيسية عند الباحثين أصحاب العقول المتفتحة المنشغلين بنيجيريا المُستْعمرة. كان أعضاء اللجنة الآخرين نوابًا سابقين للحكام فى كل من ساحل الذهب، وقبرص، وكان السير جوردن Gordon هادو Hadow، هو ومدير كبير من وزراء البنك الدولى من بين أعضاء هذه اللجنة أيضًا. وقد أدى ذلك التقرير بشكل غير مباشر إلى التقليل من العبارة التى تقول:

"نعم، لكن على ألا يكون ذلك فى الفناء الخلفى للمنزل" والآراء المبنية عليها كما سبق أن أوضحنا فى الفترة السابقة، كان من بين دوافع اللجنة طويلة الأجل إلى تصعيب الأمر على أى حزب من الأحزاب القائمة على أساس قبلى، حتى لا يحصل على الأغلبية الساحقة دون أن يتحصل، فى أضعف الأحوال، على بعض القواعد فى الأرض الأجنبية التى قد يُجِلُّها خصوم هذه الأحزاب. لاحظ أعضاء لجنة الأقليات أيضًا وجود أقليات أصغر وأقل من الأقليات الملحاحة نفسها، وأن هذه الأقليات الأصغر والأقل

(*) ذو الخُرُج: بضم الخاء، وضم الراء، أحد أبناء الشمال الأمريكى الذين شخصوا إلى الولايات الجنوبية، وليس معهم غير ما حملوه فى أخراجهم التماسًا للربح الشخصى عقب الحرب الأهلية الأمريكية. والمقصود هنا هم الأشخاص الغرباء الذين يتدخلون فى السياسة. (المترجم)

كانت تود الإفلات من تلك الأقليات الملحاحة، ولاحظت لجنة الأقليات أيضًا أن حوالى ٦٨٪ من أعضاء المجلس التنفيذى فى حزب العمل هم من اليوروبا، كما لاحظت أيضًا أن حوالى ٣٢٪ من المجلس التنفيذى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كانوا من الفولانيين الحضر، وأن ١٩٪ من هوسا الحابى Habe، كما لاحظت لجنة الأقليات أيضًا أن حوالى ٤٩٪ من كبار أعضاء "الهيئات التنفيذية" فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى كانوا من الإجباويين. وبعد أن استمعت لجنة الأقليات إلى جميع المظالم، وجميع الآراء التى من قبيل رأى تلك المرأة البايرومية Bi Rom المتعلمة التى قالت إنها لا تود أن يكون لها صوت إلا بعد أن تصبح أخواتها جاهزات لمثل هذا العمل، توصلت اللجنة إلى نتيجة مفادها أن زيادة عدد الولايات ومضاعفة المشكلات التى من قبيل مكنسة الساحر، وكذلك المظالم الأخرى يمكن مواجهتها كلها بلا جراحة.

هذا يعنى أن الحقوق الإنسانية الأساسية يمكن إدراجها فى الدستور المستقل (مع تجاهل تشككية شاندوس العتيدة)، يضاف إلى ذلك أن التعديلات المستقبلية لمثل هذه الحماية لا يمكن منعها فى غياب موافقة المعنيين بها هم والسكان جميعًا على مثل هذه التعديلات بصورة مسبقة، كما توصلت اللجنة إلى نتيجة مفادها أن الشرطة يجب الإبقاء على طابعها الفيدرالى (المهم فى ذلك الوقت أن الشرطة النيجيرية كانت مكونة من ٤٠٠٠ من الإجباويين Igbos، ١٤٠٠ من اليوروباويين Yorubas، ٧٠٠ من البينيين Binis، ٤٠٠ من الأيبيين Ibibos، ٤٠٠ من الكاميرونيين الجنوبيين، ٤٠٠ من الهوساويين وحوالى ٤٠٠ من الأفكيين Efiks).

وحسمت لجنة الأقليات باقى شكوكها عن طريق اقتراح إنشاء سلطات للحراسة والمراقبة أو بالأحرى هيئات للتنمية فى كل من الغرب الأوسط، وكلبار، والأنهار. واستعادة لجنة الأقليات إلى ذاكرتها المساهمة التى قدمها السير جون ماكفرسن فى حوارات الحزام الأوسط عندما عين نائبًا له من الغرب ومن الشمال لدراسة مسألة الحدود المشتركة بين كل من إيلورن Ilorin وكبا Kabba، وأويو Oyo وأوندو Ondo

ودراسة الحساسيات الثقافية دون تحيز - ولم ينصح هذان النائبان بإحداث أى تغيير من التغييرات، لكنهما أوضحا أن بلدة أُوفا Offa هى والإجبوميتيين Igbominas كانا مهملين من قبل "كادونا". كما توصلت لجنة الأقليات إلى ما مفاده أن حصة الحزام الأوسط من الإنفاق فى الشمال قد تضاعفت منذ ذلك الحين، وجرؤت لجنة الأقليات على التوصية بإجراء استفتاء فى كل من إيلورن وكبًا حول مسألة الانضمام إلى الإقليم الغربى. وهنا نجد أن السياسيين الذين كان يتعين عليهم رفض تقرير لجنة ولينك، يحبذون العمل بتقرير هذه اللجنة التى أوصت بإنشاء المزيد من الولايات على الفور، وذلك على النقيض تمامًا من القيود المفروضة من قبل المؤتمر (نظرًا لأن ذلك يمكن أن يؤدى إلى تأجيل الاستقلال)، هم أنفسهم السياسيون الذين أدانوا اللجنة بعد سنوات قلائل لأنها لم تفعل هذا الشيء نفسه. عند هذا الحد كانت لجنة ولينك قد نسيت المهانة التى ترتبت على كسب الدكتور نيكروما لقصب هذا "السباق".

لكن هذا النوع من إضعاف الشوفانية المحلية لا يمكن أن يحدث بسرعة: ويجب ألا يغيب عنا أنه على الرغم من الجهود التى تبذلها حكومة الشمال، فإن الشماليين، أو بالأحرى السواد الأعظم منهم لم يشهدوا إلى الآن ظهور صحيفة أسبوعية، يزاد على ذلك أنه حتى فى الجنوب حيث القرائية وتوزيع الصحف التجارية فى القرى أكثر تقدمًا، فإن التعليم السياسى عن طريق الإذاعة كان لا يزال محدودًا - يكفينا القول إن أجهزة الترانزستور التى تعمل باستعمال البطاريات الجافة من طراز تورش Torch كانت تعد شيئًا جديدًا فى الأسواق إلى أن غزت الأسواق فى العام ١٩٥٨ . كانت أنشطة "المغنِّين الشحاذين" الشماليين تشكل بندًا أكثر أهمية عن البنود الأخرى فى مسألة إعطاء المعلومات السياسية غير الصحيحة، هؤلاء المغنون الشحاذون بدءوا يخضعون لمسألة الحصول على تراخيص من السلطات المحلية لممارسة أنشطتهم، وكانت تلك التراخيص تصدر بناء على قوانين إقليمية مكملة أو فرعية. وبذلك أصبحت ممارسات هؤلاء الشحاذين ونشاطاتهم خاضعة لمنع السب والقدح فى سمعة الناس اللذين ساعدا على

ذيوع صيت هؤلاء الشحاذين واشتهارهم بين الناطقين بلغة الهوسا: لكن فيما يتصل بالأغانى المُسَبَّسة من الأغانى الشعبية" الدولية هى "الموسيقى الشعبية" الإليكترونية الحضرية، التى جاءت بعد أغانى الشحاذين بحوالى عشر سنوات، نجد أن ما لم يكن يحظى برضا السلطات فى ضوء ما تفهمه، كان قليل البذاءة عن الشتائم السياسية الشخصية التى كانت تتفاقم بفعل الكثيرين من أولئك الشحاذين (كان المغنى Sarkin Magana الذى يفضله الحاج أبو بكر تافاوا باليوا يتحاشى الكلام البذىء ويتجنبه).

فى الوقت نفسه، عقد الكمنولث اجتماعًا خاصًا بالتجارة والاقتصاد فى مونتريال، وبعد هذا المؤتمر أصبح الجنيه الإنجليزى يتمتع بالتحويل على نطاق واسع، وبعد هذا المؤتمر عاد سكرتير أبى بكر الوزارى الثانى، الذى يدعى أرميتاج Armitage، ليشغل منصب المدير المساعد (للطرق والمطارات) فى وزارة الأشغال والمسح الفيدرالية (التى كان جون John أوريجان O'Regan يشغل فيها منصب السكرتير الدائم)، بعد ذلك كله تحدث رئيس الوزراء إلى الحضر من النيجيريين (وإلى أولئك الذين استطاعوا الاستماع إليه من خلال أجهزة الراديو التى تشتغل على بطاريات السيارات) عن المؤتمر المزمع انعقاده فى لندن. ونظرًا لأن أبا بكر كان مصرًا على وضع مصالح الحزب فى المرتبة الثانية، فقد راح يسترجع بحسن نية سجل الحكومة الوطنية فى تأسيس الدبلوماسية، والمالية والدفاع فى الدول ذات السيادة، وبينما كان يتكلم إلى مستمعيه عن حق الحرية المكتسب عن طريق المولد، ذكّرهم أن نيجيريا الدولة ذات السيادة، سوف يجرى الحكم عليها من خلال رفعها للواء القانون، والمحافظة على حرية المواطن، ومدى قضاء الناس لأمورهم وتصريف أمور حياتهم فى جو من السلام والأمن. وفيما يتعلق بالتحرق شوقًا للحصول على الاستقلال فى شهر أبريل من العام ١٩٦٠ الميلادى، فإن حكومة المملكة المتحدة مشتاقة إلى تحقيق هذه الرغبة إذا ما اتفقت الوفود على ذلك فيما بينها.

سافر الحاج أبو بكر إلى بريطانيا التى كانت لا تزال تتخوف من اندلاع شىء لم يسبق أن عرفته من قبل خارج حدود خلجان موانئها الصغيرة - أى الاضطرابات العرقية، فى كل من نتنج Notting هيل Hill جيت Gate ونوتنجهام Nottingham؛ وإذا ما التمسنا الأعذار لذلك، نجد أن البلاد كانت تلقى باللائمة فى ذلك على معدل البطالة الذى وصل إلى ١,٣٪، الأمر الذى حتم على البلاد الاستسلام وهى تهز كفيها عجبًا، لاستبداد وسائل "الإعلام" وبخاصة فشل المسجل التابع لاتحاد الإذاعة البريطانية الأمر الذى حتم إعادة المقابلة بالكامل. وعندما قيل لأبى بكر إن الصحافة البريطانية اقتبست عن ذلك الذى أذاعته إذاعة ليجوس، أحال المراسلين إلى مخطوطات تعليقاته على المؤتمر قائلاً: "أنا لا أغير آرائى فى عشية أو ضحاها". قال الرجل إنهم "اتفقوا" Geared على الحصول على الاستقلال فى العام ١٩٦٠ الميلادى وتجنبوا الأسئلة الخاصة بالجمهورية بقولهم : "لم يحن الوقت بعد!"، ونادوا باتحاد فيدرالى لغرب إفريقيا "ذلك الحلم الكبير لشعب صغير"، هو بعيد عن أفكاره فى الوقت الراهن. وعندما خرج المسئولون النيجيريون ومعهم الرئيس Chief آكنتولا لتحية أبى بكر، لم يكلف الطلبة النيجيريون أنفسهم مئونة ذلك الاستقبال، وذلك على العكس مما درجوا عليه فى استقبال زوارهم السياسيين المفضلين، وفى واحدة من المقابلات التى جرت بعد ذلك نوه أبو بكر إلى أن الاستقلال سوف يجعل النيجيريين يتفهمون مشكلات بلدهم على نحو أفضل، وبذلك ولَّد الرجل لدى مستمعيه انطباعًا مفاده أن الحصول على الاستقلال سيكون بمثابة الدُّش المنعش للخيال، لم يكن أبو بكر يتخوف من أن يصبح الطريق المسدود الذى يمكن أن يصل إليه المؤتمر، حجرة عثرة أو عقبة أمام الحصول على الاستقلال، والسبب فى ذلك أن مسألة إمكانية الاتفاق على المشكلات الرئيسية كلها يعد ضربًا من المستحيل، وعلى سبيل المثال فإن تنبؤ أبى بكر بحصول المرأة على حق الانتخاب فى الشمال كان مبنيًا على أساس من أن الحكمة تتأصل مع نمو التعليم الاجتماعى وأنواع التعليم الأخرى عند الرجال والنساء على حد سواء، الأمر الذى يؤدى بصورة متدرجة إلى نقل شىء من المسئولية السياسية إلى المرأة.

من بين الأشياء الجانبية الأخرى، نجد أن أبا بكر وهو يجيب عن سؤال لأحد الصحافيين حول جمال عبد الناصر يقول: إن المصرى كان "يلعب لعبة خطرة"، قاصداً بذلك أن نشاط الرجل الحالى لم يكن فى صالح إفريقيا أو مصلحتها فيما وراء الصحراء الكبرى. وقبل مغادرة ألفريد Alfred ريوين Rewane، السكرتير السياسى للرئيس أولوو، بنيجيريا، قيل إن عبد الناصر هو وزعامة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى اتفقا على تشكيل حكومة موالية للغرب فى ليجوس بعد انسحاب البريطانيين، وقيل أيضًا: إن مصر سلمت مبلغًا كبيراً من المال للصرف منه على انتخابات العام ١٩٥٩ . وجاء رد المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) على ذلك بأنه كان محاولة من جانب حزب جماعة العمل لتشويه سمعة الإسلام وإهانة الحج المقدس وسبه، وأن الرجل (أحمد بللو) أقنع رئيس الوزراء بالانضمام إليه فى مسعاه إلى الحاكم العام، مطالبًا بتحقيق رسمى ومهدداً باللجوء إلى الإجراءات القانونية:

"نحن لا نطيق بعد الصبر على موقف يقول فيه حزب سياسى وببذاءة وبلا حياء كلامًا ويفعل أشياء دون أن يلقى أدنى اعتبار للصدق والأدب واللياقة". وكالعادة، وبتشجيع من أبى بكر يقوم السير جيمس بالتقليل من الانفعال والغضب مما أعاد الأمور إلى حالها الحقيقى، لكن الشك والمشاعر السيئة كانا لا يزالان قائمين، هذا يعنى أن الاتصال بجمال عبد الناصر ربما كان أمراً غامضًا بالفعل، ومع ذلك كان عدد كبير من أعضاء حزب جماعة العمل المسلمين.

على الرغم من التوترات التى لم يجر حلها على المستوى الداخلى، فإن ذلك الذى كان يوحى بالخوف والفزع فى المؤتمر الأخير (وبعيداً عن أية فكرة من الأفكار التلوية) أصبح يتمثل فى الاجتماع الذى كان يفتقر إلى تبادل الغضب الأجوف. لم يكن هناك مندوبون رسميون من الاتحاد الفيدرالى، وكان الحاكم العام هو والحكام يمثلون الحكومات الرسمية فى نيجيريا، وأصبح موقف أبى بكر هو موقف الرجل الثانى، على الرغم من أنه لم يكن الشخصية الرئيسية فى وفد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وهنا

يصبح ستالارد Stallrd من جديد الرجل المنوط به فى السكرتارية مواصلة إعلام رجال الحكومة البريطانية وتعريفهم بالمتكلمين فى الأسباب التى تدفعهم إلى ذلك الذى يقولونه. وأوضح الرجل للمتناقشين فى أول كارثة إذاعية أثناء "المؤتمر الصحفى" الذى واجهه برباطة جأش وثقة، معتبراً ذلك من تقاليد بروفات اتحاد الإذاعة البريطانية، وأن الالتزام بالنصوص المكتوبة لم ينته بعد، كما أوضح أبو بكر أيضًا للمتناقشين أن المؤتمر لم يكن بين الحكومات وإنما بين وزارة المستعمرات والساسة النيجيريين، وأن كل هؤلاء الساسة سبق أن وافقوا على أن يكون الاستقلال فى العام "١٩٦٠". كان أبو بكر هو والمستشار السياسى الرئيسى قد وافقوا بالفعل وبطريقة غير رسمية مع وزير الخارجية على التاريخ المحدد لمنح الإقليم الشمالى الحكم الذاتى الداخلى، وأن مهمة المؤتمر سوف تتمثل فى التأكيد على ذلك. وهنا يجرى تحدى أبى بكر على الملأ ولأول مرة، وجاء ذلك التحدى من صديق شخصى صحفى، فى مسألة الفساد السياسى النيجيرى وذلك الذى كان أبو بكر ينتوى عمله بشأن هذا الفساد. قال أبو بكر، ولم تكن هذه هى المرة الأخيرة: إذا ما جاء أى إنسان بدليل على النقيض مما يقال Wai wai، فذلك لا يعنى أنه يعرف ذلك الذى يمكن أن يفعله فى مثل هذا الحال، يزاد على ذلك أن أولئك الذى لا يودون التقاضى أمام المحاكم البريطانية كانوا يرون أن هذا الرد يقسم بالضعف، لكن ذكرى هذه المسألة ظلت راسخة فى ذهن أبى بكر. كان أبو بكر يشعر بحيوية دافقة فى مسألة رحلة الطائرة الخاصة التى أصبح يركز عليها منذ أن رأى الطائرات من طراز متيور التابعة لسلاح الجو الملكى البريطانى خلال الزيارة التى قامت بها الملكة إلى نيجيريا. كشف أبو بكر عن وعيه بالأخطار التى ينطوى عليها الوسيط عندما قال: **"حسن، قد أعرف ذلك الذى قلته عندما أراه فى الغد"**، ونشر هذا الكلام بعد ذلك فيما يسمى النقطة السابعة، فى إحدى الصحف اللندية الأسبوعية، فى إطار الاقتراع على الشخصيات التليفزيونية المهمة.

كان لينوكس بويد قد سبق له إرسال تقرير إلى مجلس الوزراء البريطانى مفاده أن رئيس الوزراء الفيدرالى رجل عاقل وكفء، وأن العلاقات التى بينه وبين الحاكم العام هى علاقات صريحة وودية، وأن الرجل معاد للشيوعية عداء صريحًا، كما أن الرجل لا يعيش على أوهام المصاعب التى تواجهه فى مهمته وتواجه بلاده، وأن سياسة الرجل يغلب عليها موالاة الغرب فى حدود النظرة الإسلامية الضيقة لكبار مؤيديه الشماليين،.... وأن الرجل فى حزبه يشغل منصب نائب زعيم الحزب، المستشار السياسى الرئيسى. وأبلغ وزير الخارجية مجلس الوزراء أيضًا أنه فى المحادثات التى أجراها مع أبى بكر اتضح له أن التاريخ المحدد باليوم الثانى من شهر أبريل من العام ١٩٦٠ الميلادى قُدّم لمجرد التفاوض وأن تاريخًا يحدد فى فصل الخريف قد يكون أفضل. كان بعض رفاق لينوكس بويد لا يزالون ينظرون إلى مسألة التقدم صوب الاستقلال على أنها بديل أرخص من المحافظة على جهود وزارة المستعمرات وعلى تطورها بطريقة منظمة وسليمة، ولم يفرقوا بين غانا ونيجيريا، وأوغنده من الناحية الاقتصادية.

فى الجانب الشعبى من الافتتاح الرسمى للمؤتمر المقترح، وفى ظل أجواء تبلغ من الألفة حدًا يصعب معه التخويف أو الترهيب، تركت لأبى بكر حرية اختتام المؤتمر، وقد أكد الرجل على الحاجة إلى المساندة والتشجيع المعنويين، اللذين يعدان أمران حيويان للاستقرار والإحساس بالسعادة، وأن هذه المساندة وذلك التشجيع يجب أن يكونا من الأعضاء الكبار فى الكمنولث، وحث أبو بكر بريطانيا أن تكشف عن الشجاعة والإدراك الجيد، وأن تستثمر رأسمالها الخارجى فى نيجيريا بعد الاستقلال. وإلى أن حان التاريخ الحقيقى للاستقلال كان الرجل يشير إشارة عفوية إلى نهاية جدول الأعمال، أما **"فيما يتعلق بى أنا شخصيًا،.... فإن ما نراه اليوم ليس هو الخيال وإنما هى المادة نفسها التى نراها الآن ...".**

أثناء انقسام المؤتمر إلى جماعات العمل الخاصة المعتادة، لكن قبل أن يلتقى زعماء المؤتمر فى شيكرز Chequers، المنزل الريفى الرسمى لرئيس الوزراء البريطانى، فى احتفال نهاية الأسبوع، جرى اصطحاب الحاج أبى بكر وآخرين معه، فى اليوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر على طائرة مستأجرة من طراز فيكرز Vickres فسكونت Viscount إلى مطار شركة الطيران الكهربى الإنجليزية بالقرب من مدينة ليفربول. عاد باقى أفراد المجموعة بطائرة فسكونت، لكن رئيس وزراء نيجيريا المحترم بدَّل الطربوش والقفطان ببدلة طيران وأصبح تحت التدريب فى المقعد المجاور لاسكويرز Squires كبير طيارى فحص الإنتاج واختباره، فى قاذفة طراز كانبرا Canberra، وهو الطراز نفسه الذى استخدم فى ضرب السويس بالقنابل. ويعود أبو بكر بالطائرة إلى هيتفيلد فى غضون عشرين دقيقة، أى بسرعة تزيد على ٩٦٠ كيلاً مترياً فى الساعة. لم يسمح المجال بالكلام أكثر من مجرد السؤال عن الارتفاع والسرعة: "عشرة آلاف وثلاثمائة [ميل فى الساعة]،.... ٢٢ و ٥٠٠". **"عند أى سرعة يمكنك كسر حاجز الصوت؟"** "عند حوالى ٧٠٠ [أى ١١٢٠ كيلاً مترياً فى الساعة]". **"هل بوسعنا فعل ذلك الآن؟"** "لا، لقد فات الأوان. لو كنت قد طلبت ذلك قبل الآن لكنا قد جهزنا لذلك، لكننا نطير الآن منذ أكثر من عشر دقائق، ونحن الآن قريبون جداً من مطار هاتفيلد". واقع الأمر أن الضجيج الناجم عن كسر حاجز الصوت كان هو السبب وراء تماشى ذلك الطيران السريع فوق المناطق المأهولة بالسكان. جاءت هذه الرحلة بمثابة تجربة جرى الحديث عنها مع كل من ماكميلان ولينوكس بويد فى شيكرز (المقر الريفى لرئيس الوزراء البريطانى)، لكن هذه الرحلة جاءت بمثابة فشل غير متصور (أى فشل حذر ومقصود) من جانب إنسان خطط لطيران أول رئيس من رؤساء مجالس الوزراء فى العالم فى طائرة تطير بسرعة أسرع من سرعة الصوت، وأن يكون رئيس الوزراء هذا نفسه هو ذلك الرجل الذى احترمه الكثيرون من رؤساء الوزراء المعاصرين لكنهم اكتشفوا أن الرجل لم يكن مثيراً أو مشوقاً. صحيح أن أبا بكر نفسه كان منشرح

الصدر ومنفعلاً، لكنه لم يخطر بباله أنه هو نفسه أصبح أكثر خصوصية لقيامه بهذه الرحلة غير العادية.

تركت مسألة تنظيم الأعمال والمال من جديد للجنة أطلق عليها اسم لجنة إدارة المال والأعمال، ولم يستشعر الحاج أبو بكر أى شكل من أشكال الكبت أو الضغوط فى تولى إسهامات الشمال وقيادته فى هذا الصدد. كان الرجل مستعداً بذلك الذى يتهدده الخطر، وكان يحصل على شيء من همسات المساعدة والمعاونة من تم Tim جونستون Johnston. سكرتير المستشار السياسى الرئيسى. ثم ناقش المؤتمر بعد ذلك مسألة مجلس المندوبين (الممثلين) الفيدرالى المستقبلى، وقد أدخلت هذه المسألة المؤتمر بشكل مباشر فى مجموعة محيرة من التوصيات الخاصة بلجنة الأقليات. وأوضح الإقليم الشمالى، أنه على استعداد لتأخير الحصول على الاستقلال، إذا ما تطلب الأمر ذلك، على أن يقبل باستفتاء إيلورن ـ كبًّا Ilorin - Kabba، ووافق أبو بكر على ذلك. ويتواصل الجدل والشجار، من خلال الهزل وليس من خلال الحقد والضغينة، حتى عندما وصل الأمر إلى مناقشة معاملات محاكم القضاة مع المسيحيين، أو السيطرة على عمليات الشرطة، لكن قدراً كبيراً من العقول والأذهان الجنوبية كانت تتركز على حجم الشمال الكبير والأشياء الأخرى قصيرة الأمد التى تتعلق بالتفتت العرقى. وهنا يعود أبو بكر بفكره مرة أخرى إلى صخرته السوداء وإلى بلدة كوبى Kobi، ثم يقول بعد ذلك وبطريقة بالغة التحضر: **"هناك تل فى باوتشى. وأنا على يقين أن ذلك التل سوف يتحول إلى ولاية مستقلة قبل أن ننتهى من هذا المؤتمر. وأنا أعرف أن سبب ذلك هو أننى من هذا المكان"**. والبريطانيون لن يقفوا فى وجه لجنة ولينك، أو حتى فى وجه ذلك الاستهزاء اللطيف، و(بعيداً عن الاستفتاء) نجد أن تقرير اللجنة قد جرى التسليم به والموافقة عليه، عندما اتحد حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى هو وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى مواجهة حزب جماعة العمل. وهنا جرى إعفاء لينوكس بويد من منصبه لأن إيمان الرجل بصوت الشمال الذهنى المتزن كان أكثر من إيمانه بالأدوات

القانونية والتنظيمية التى تحافظ على نيجيريا متحدة فى المستقبل. لم يكن هناك احتمال قيام البريطانيين بخلق المزيد من الولايات، فى حال عدم موافقة أغلبية النيجيريين على ذلك، هذا يعنى أن هذا الأمر لن يكون شغل النيجيريين الشاغل بعد الاستقلال، لكنهم لن يتساهلوا إلى الحد الذى يمكن معه تحقيق ذلك.

لم يثر مشروع تطوير الدلتا أى نوع من الحماس إلا بين أولئك الذين تعتمد معيشتهم على الأنهار أو يعيشون فى مناطقها، كان الاجتماع الذى عقده كل من مكفرسن، وبليس Pleass، ودنجل فوت وكبار المهتمين بالأنهار قد وافق على أنه، فى ظل التطلع إلى المشروعات المستقبلية المرتقبة الخاصة بالبترول، فإن إنشاء ولاية للأنهار يمكن أن تكون أسعد وأبهى إذا ما كانت فى إطار اتحاد فيدرالى، بدلاً من الانسحاب على شكل شياخة Sheikhdom من الشياخات السعودية. Saudi . لكن هذا المشروع كان له صدى فى الدعوات التعاقدية التى قدمت مؤخرًا لشركة نيدكو Nedeco (التى كان رئيس الوزراء لا يزال معنيًا أو مشغولاً بها وبأعمالها) لتوسيع دراساتها فى الجزء الشرقى من دلتا نهر النيجر، وأن تستكمل جميع المعطيات المعلقة الخاصة بالمياه. وقد أبرمت شركة نيدكو عقدًا أيضًا لاختيار موقع لإنشاء سد مرتقب ومحطة قوى مرتقبة أيضًا بالقرب من أعالى نهر جبَّه Jebba، كما أبرمت شركة رتشارد كوستين المحدودة عقدًا لبناء حاجز أمواج بنين لحماية أعمال التكريك الجارية فى إسكرافوس Escravos. وقد تميز ذلك كله بمنح نوط الإمبراطورية الشرفى للمهندس الهولندى هاين Hein فريجلنك Frijilink. لم يقف أبو بكر فى وجه أى مشروع من مشاريع تطوير الدالات فى اتجاه اليابسة وذلك بغض النظر عن المصاعب التى تبناها السير جيمس فيما يتعلق بالعثور على الرجال المناسبين لذلك والتمويل المناسب أيضًا. بعد التغلب على هذا الحاجز (أو بعد "وضع هذا الحاجز على الرف" على حد قول السير جيمس) أصبح واضحًا ومستقرًا أن أى مقترح من المقترحات المعطلة الهدامة يتحتم سحبه على الفور إذا ما قام وزير الخارجية أو الحاكم العام أو رئيس الوزراء (الذى لم يكن يتشارك

مشاركة كبيرة فى النقاش الحقيقى على مدار الأسابيع) بتلخيص الحقائق وتقديم تأكيد يتسم بالصدق والأمانة، وإذا ما نحينا الملل والسأم جانباً، نجد أن هذه القاعدة جرى دعمها وتأييدها من قبل عُرف النقاش النيجيرى الذى يقضى بسحب المقترحات بدلاً من التجادل وصولاً إلى الحلول، مما يؤدى فى بعض الأحوال إلى الإذلال والتحقير (لم تكن تلك العادة فهماً سيئًا للممارسات العادية والمألوفة جداً فى مجلس اللوردات - "وجرى سحب المقترح بدون إحم ولا دستور").

جاءت مناقشة مسألة الشرطة نموذجية. كان الإجماع السائد فى ذلك الوقت يفيد أنه إذا كانت الأجزاء المتبقية من قوة شرطية فيدرالية قوية، نُبِّه إليها أبو بكر من خلال حلول شفاهية وسطية جاء بها هيدلى Hedley مارشال Marshall المحامى العام، قد أقنعت كلاً من المستشار السياسى هو وأصدقاءه بأهميتها فإن المفوضين الإقليميين سوف يتولون مقاليد قيادة التحركات اليومية لهذه القوة والسيطرة على العمليات التى تقوم بها، وإن هذه السيطرة سوف تشمل التحركات التكتيكية اللازمة لتلبية احتياجات الحكومات المحلية إلى هذه القوة، لكن هذه القوة ستظل دوماً خاضعة لهيمنة الحاكم العام (أو بمعنى آخر، ستكون خاضعة بعد الاستقلال، لرئيس الوزراء). وإذا لم يستطع المفوضون المحليون تلبية مطالب رؤساء الوزراء الإقليميين، فإن الأمر يحال إلى الحاكم العام أو رئيس الوزراء الفيدرالى للبت فيه، بعد أو عدم الرجوع إلى المفتش العام أو مجلس الشرطة. وقد أعرب الرئيس أولوو عن شكوكه حول مسألة تغير طيف رئيس الوزراء السياسى ومدى بقاء رئيس الوزراء محايداً ومتعاونًا فى ظل مثل هذا التغير. لم يكن ذلك بالضبط هو ما تصوره كل من ولينك Willink وماسون Mason. لكن حكماء الرجال قد يُفعِّلون الدساتير السيئة، وقد يحطم أصحاب العقول الضيقة أصحاب العقول الممتازة. ووافق الجميع، على تقسيم لجنة ريزمان Raisman السخى للكعكة بحيث يكون ذلك التقسيم لصالح العاصمة الفيدرالية التى قُدِّر لها طبقًا للأرقام المحددة لذلك، إن لم يكن أثر فى ضوء الاستجابة للمعاملة المالية الأفضل. وجرى العمل طبقًا

لمبدأ ميرثر Merthyr فى عدم تحديد الدوائر الانتخابية، وذلك تأسيساً على الرأى المهنى الذى جاءت به المسوح الفيدرالية، وهنا يجرى من جديد جعل روبرتسون يترأس الأعمال الرسمية الخاصة بوضع قواعد انتخابية فيدرالية جديدة، بحيث تكون هذه القواعد واحدة وموحدة فى سائر أنحاء البلاد، كما ترأس روبرتسون أيضًا مسألة تعيين لجنة مستقلة فى شهر أغسطس، تقوم بالتسجيل الانتخابى فى البلاد وتدير عملية الانتخابات فى البلاد أيضًا. وجرت الموافقة من حيث المبدأ على التوقيع على استقلال اتفاقيات الموظفين العموميين وذلك من باب تأمين المعاشات والمزايا.

فى العام ١٩٥٨ الميلادى كانت هناك ثقة متبادلة وواضحة وغير معلن عنها بين السواد الأعظم من الشخصيات المهمومة بالأمن والدفاع عن دول الكمنولث التى استقلت بالفعل: هذه الشخصيات كان بينها تفاهم ضمنى وليس على الورق، مفاده أن أسرار هذه الدول ومساندتها يجرى قبولها عن طيب خاطر وتبادلها بدلاً من أى حليف أجنبى. كانت هذه العلاقة أكثر "خصوصية" من تلك العلاقة التى من المفترض المحافظة عليها بين لندن وواشنطون، يزاد على ذلك أن أولئك الذى تمتعوا بتلك العلاقة كانوا يتطلعون إلى أن يصبح كومنولث الدول الذى وسَّع الغطاء الحمائى لمعاهدته، أكثر مرونة بحيث لا يسمح بالتسرب أو الاحتكاك المادى. كان أبو بكر مدركًا لذلك كله فى ذلك الوقت، وكان يشارك تلك الشخصيات ذلك الأمل، فى الوقت الذى كان رفاقه كلهم لا يفعلون ذلك.

وعلى العكس من هذه الخلفية قام وزير الدفاع البريطانى دنكان Duncan سانديز بإقناع القادة السياسيين بالتوقيع بالأحرف الأولى على مسودة معاهدة دفاعية، كانت محل أخذ ورد اعتباراً من العام ١٩٥٧، شريطة أن تظل سرية مثل سائر تفاصيل الأمن العسكرى. كان مقرراً لذلك بصفة خاصة الاستمرار إلى ما بعد العام ١٩٦٠ الميلادى فى الإبقاء على الاتفاقيات القائمة الخاصة بفرص التدريب البريطانى والمعاونة المتبادلة والتعاون فى مسائل التدريب والتطوير فى مجال الخدمة العسكرية، على ألا يكون ذلك محلاً لأى جدل أو نقاش، لكن هذا العمل ولدّ الشك فى نفوس بعض الموقعين

على هذا الاتفاق الدفاعى (واقع الأمر أن روبرتسون هو والحكام المحليين خطر ببالهم أن ذلك ربما يكون نوعًا من الاستفزاز). كان الرئيس آولوو من المؤيدين الأشداء لتلك المعاهدة الدفاعية. كان الهدف وراء هذا التجديد الوحيد فى هذا التفاهم يتمثل فى ذلك المرفق الخالى من المتاعب الذى يجرى الاختبارات على الطيران الجديد فى ظل الظروف المدارية غير المواتية فى كل من كانو وليجوس. كان المستشار السياسى الرئيسى هو والحاج أبو بكر الوحيدين اللذين يشعران بالعصبية مخافة أن يؤدى ذلك إلى خلق ظروف أو سابقة مثلما حدث فى غانا، التى ينظر إليها أبو بكر باعتبارها حليفًا اسميًا للكمنولث، ويترتب على ذلك لبريطانيا حقوق طيران غير مقيدة وحقوق هبوط أيضًا فى نيجيريا، مع وثيقة تنازل عن العادات والشكليات، وجرت طمأنة أبى بكر فى نهاية المطاف، وعلق الرجل على ذلك بقوله: **"وهو كذلك، نحن نتعامل مع رجال أماجد"**. لم يكن الزعماء الأفارقة كلهم يستعملون لغة أبى بكر الدافئة فى وصف صلاتهم بالبريطانيين. ومن قبيل المصادفة، جاءت لحظة واحدة مثيرة عندما أشار مندوب جنوبى إلى أحد الشماليين على أنه "من رجال الغابة". وهنا قال لينوكس بويد قاصدًا ما يقوله تمامًا: "أعتقد أننى ينبغى علىَّ أن أوضح تمامًا أننا إذا ما درجنا على استعمال هذا النوع من اللغة، وعجزنا عن تسيير أمورنا بطريقة لائقة ومحترمة، فسوف أؤجل هذا الاجتماع مدة أسبوعين وسوف تبقون جميعًا فى لندن إلى أن تتعلموا شيئًا من السلوكيات". وهنا خيَّم صمت مطبق بعد هذا التلويح بالعصا، إلى أن بادر المسىء إلى القول: "أنا أعبر عن أسفى الشديد، يا وزير الخارجية"، لكن يبدو أن تأثير ذلك على الحاضرين كلهم كان تربويًا وتعليميًا.

وفيما يتعلق بتحديد موعد فى شهر أبريل للحصول على الاستقلال، اتفق الجميع بلا اعتراض وبعد شهر من الحوار والمحادثات، على أنه إذا ما أصدر البرلمان النيجيرى المنتخب الجديد قرارًا فى مطلع العام ١٩٦٠ يطالب فيه بالحصول على الاستقلال، فإن مثل هذا القرار لن يكون عمليًا أمام الحكومة الجديدة، وبخاصة أن هذه الحكومة

ستكون قد تسلمت السلطة منذ وقت قصير جداً، الأمر الذى سيجعل من الصعب عليها إنهاء التفاصيل مع حكومة صاحبة الجلالة، إذ سيصعب على البرلمان الإنجليزى الاستجابة لذلك المطلب عن طريق إصدار قانون بذلك، يزاد على ذلك أن ذلك الموعد لن يكون مناسباً للاحتفالات المزمع تنظيمها. يضاف إلى ذلك أن الأمم المتحدة ستكون مشغولة بمسألة الكاميرون. يزاد على ذلك أن اختيار "اليوم الثانى من شهر أبريل" موعداً للحصول على الاستقلال، جرى اختياره بطريقة ملتوية حتى يتمكن الحاكم العام من توقيع ضمان عام فى اليوم الأول من العام المالى، للإنفاق الذى جرت الموافقة عليه فى الموازنة التى أجازها المجلس الاستعمارى الأخير، أضف إلى ذلك أن مناخ ليجوس يكون فى أسوأ حالاته فى ذلك التاريخ، كما أن الفندق الجديد الذى يجرى إعداده لاستقبال الضيوف كلهم قد لا يكون جاهزاً فى ذلك التاريخ. وجرت الموافقة على تحديد اليوم الأول من شهر أكتوبر من العام ١٩٦٠ ليكون موعداً للحصول على الاستقلال، وعلى الرغم من أن الجميع وافقوا على ذلك، فإن بعض زعماء حزب جماعة العمل أصدروا بياناً طناناً بأنهم يحتفظون لأنفسهم بحق التصرف فى ذلك الأمر على نحو مغاير. كان حوالى نصف سكان الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية قد حصلوا على وثائق أو جوازات مرورهم دون عنف أو شراسة. كان واحد من مثيرى الفتن من الإقليم الشرقى قد اتجه إلى محاميه العام وقال: "آه، لقد تعجلتم. ويتعين عليكم البقاء حتى تقمعونا وتغلبونا على أمرنا. وعندها يتحتم علينا أن نتحد". لم يكن واضحاً تماماً مدى استهزاء هذا الرجل وسخريته، لكن هذا الرجل لم يكن يعرف بعد أنه فى الوقت الذى كان الضباط الميدانيون البريطانيون يريدون فيه إطالة مقامهم ما دام أنهم يجرى الترحيب بهم على المستوى المحلى، فإن السياسيين البريطانيين هم وكبار الإداريين البريطانيين أيضاً البعيدين عن القرى، لم تكن لديهم الرغبة فى البقاء فى مكان لا يكون الرأى العام العالمى فيه على استعداد لمناصرتهم إذا ما اعتمد تمديد الإقامة على استعمال القوة. ولم يحدث أن قام أحد أثناء إنهاء احتلال نيجيريا بفتح النار على أى جندى من الجنود البريطانيين أو شنق أى جندى من الجنود، أو نصب كمين أو شرك

لأى واحد منهم، ولم يكن هناك أى شىء يساوى الأضرار بهذا السجل النظيف. كان تحفظ أبى بكر الوحيد فى نهاية المطاف، والذى أقره واعترف به الرجل بعد الاستقلال، يتمثل فى قول الرجل إن الدستور "ضيق للغاية".

استقبلت صاحبة الجلالة الملكة أبا بكر هو ورؤساء الوزراء فى قصر باكنجهام، كما استقبلهم أيضًا السيد/ ماكميلان فى مقر مجلس الوزراء فى ١٠ دواننج ستريت. كما دعت الحكومة الفرنسية أيضًا أبا بكر إلى باريس، لكن الرجل قرر أن مشاكله ومهامه تناديه فى الداخل. كان السيد/ هوفيه Houphouet بوانى Boigny فى ساحل العاج لا يزال مقتنعًا أن العلاقة الفيدرالية مع فرنسا أفضل من الاستقلال، وربما تكون تعليقات أبى بكر قد رشت بعض الملح على الأدبيات الغالية (الفرنسية) الدبلوماسية. من ناحية أخرى، التقى أبو بكر محمد Mamadou ضياء Dia، رئيس حكومة السنغال الذى حضر بوصفه سائحًا بطريق الجو قادمًا من باريس، والذى التقى كلاً من أزكوى والرئيس أولوو، بالإضافة إلى مناقشة الترتيبات الخاصة بالفول السودانى النيجيرى مع وكلاء شركة تسويق الإنتاج فى لندن. كانت مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية لم تفق بعد من رفض غينيا للدستور الفرنسى الذى قدم بناء على استفتاء جرى فى شهر سبتمبر السابق، الأمر الذى أسفر عن إنهاء التورط المالى والإدارى وإنشاء جمهورية اشتراكية علمانية ديمقراطية" برئاسة سيكوتورى Sekou Toure رئيس الوزراء الأسبق. كان الزعماء النيجيريون قد حضروا أيضًا الافتتاح الرسمى الأول للبرلمان والذى كان مذاعًا على شاشات التليفزيون، وقد بنى الاحتفال على هذا الافتتاح بصفة أساسية، وقد أقام السواد الأعظم من أعضاء حزب العمل البريطانى التنفيذيين مأدب غداء تكريمًا لأبى بكر هو ورؤساء وزراء الأقاليم - وكان كل من السيد/ أنيورن بيفن، والسيد/ جيمس كالاهان، والسيدة/ باربارا كاسل، والسيد/ مورجان فيلبس من بين من أقاموا تلك المآدب، لكن السيد/ هوغ Hugh جيتسكل Gaitskell لم يكن من بين من أقاموا تلك المآدب نظرًا لانشغاله بمقابلة تليفزيونية.

فى المؤتمر الصحفى الختامى، تكلم أبو بكر كلامًا موجزًا، واستفاض المستشار السياسى الرئيسى فى الحديث، وبالغ الرئيس أولوو وأطنب اطنابا شديداً فى حديثه. وغلب على الصحافيين الشعور بالدهشة والملل، وبخاصة عندما استمعوا إلى المستشار السياسى الرئيسى وهو يتكلم من جديد عن "واحد من مساعدىّ"، ثم تحدى الصحفيون بعد ذلك لينوكس - بويد الذى صرف ذلك التحدى وهو يقول ضاحكًا "هناك بعض الأسئلة التى يعرفها وزير الخارجية على نحو أفضل مما لو أجاب عليها". أخيراً وفى لقائه مع رابطة الصحافة الأجنبية، وبينما كان يحيط به المفوضون الإقليميون فى لندن، وافق أبو بكر على ما مفاده أن ديبلوماسييهم الذين كانوا لا يزالون تحت التدريب فى ذلك الوقت، كانوا يبلغون من صغر السن حداً لا يستطيعون معه أن يكونوا سفراء بمعنى الكلمة، وأن الحاجة إلى المساعدة والعون من الكمنولث فى هذا الأمر ستكون أمرًا حتميًا وضروريًا. وفى مجال التأكيد على أن الدول التى سوف تتشجع على الاستثمار فى مستقبل نيجيريا لن تندم على ذلك، تكلم أبو بكر بالأصالة عن نفسه: **"واقع الأمر أننا تعودنا على البريطانيين وعلى أساليبهم. نحن ننظر إلى أنفسنا باعتبارنا أعضاء صغار داخل الأسرة، وعليه سوف نتطلع إلى أعضاء الأسرة الآخرين ابتغاء للمساندة المعنوية والمادية فى المقام الأول وطلبًا أيضًا للتشجيع".**

فى اليوم الثانى والعشرين من شهر أكتوبر أجاز مجلس الوزراء البريطانى المقترحات الدستورية الخاصة باستقلال نيجيريا. كان ذلك من خلال جدول أعمال تطرق إلى قصف الصين بالقنابل لكل من جزر تايوان Taiwan، وماتسو Matsu وكيموى Quemoy، وانتهاكها لحقوق الصيد فى فاروس Faroese، والخدمات الإعلامية فى كل من آسيا وإفريقيا وموقع من مواقع القوافل فى إيفام Egham. ويبدو أن الدستور الفرنسى الذى جرت الموافقة عليه مؤخراً، والذى نص على إنشاء الجمهورية الخامسة كان أكثر أهمية عما سواه من أمور.

بعد أن عاد أبو بكر إلى وطنه، تحدث الرجل مرة أخرى إلى بنى وطنه بالأصالة عن نفسه: **"أنا سعيد جدًا وأتمنى الخير لنيجيريا. أنا أطلب الدعاء من التجمعات الدينية كلها، لأنى قلت فى لندن، إنه بغض النظر عن نوعية الحكومة التى ستكون لدينا مستقبلاً، فإن تلك الحكومة وذلك الحكم يجب أن يكونا قائمين على الخوف من الله. وأن العدالة يجب أن تتوفر لكل مواطن من المواطنين"**. وأنا لست بحاجة إلى التأكيد على أنه فى العام ١٩٥٨ الميلادى كان فى هذا البلد رئيس للبرلمان يتكلّم عن خشية الله بإيمان كامل، وبغض النظر عن تفسير هؤلاء للخالق (سبحانه وتعالى) فإن السواد الأعظم من بين أولئك الذين كان رئيس البرلمان هذا يتحدث إليهم، كانوا يعرفون أن الرجل يقصد ما يقول ويفهمه حق الفهم، كان كثيرون من الساسة النيجيريين، شأنهم شأن نماذجهم الأوروبيين، قد أصبحوا فى ذلك الوقت علمانيين اللهم باستثناء التزامهم بالأعراف الطقوسية، كان السواد الأعظم من النيجيريين العاديين لا يزالون يؤمنون إيمانًا راسخًا بطقوسهم الدينية، وكانوا يستجيبون للزعيم الذى لا يعرف التمييز أو التعصب. وهذا هو بطبيعة الحال التفسير البسيط لرفض الحاج أبى بكر تافاوا باليوا الوصول إلى حلول وسط فى الدبلوماسية أو السياسة مع الشيوعيين المعلنين وغير المعلنين، وقد عجز بعض المراقبين عن تفسير هذا الموقف: نظرًا لأن الشيوعيين ملحدون. ونحن إن أردنا تفسير اشتياق أبى بكر وتطلعه إلى الاستقرار المحافظ، وجب علينا تمثل هذا الاقتباس المفضل وفهمه: **"طوال ما يقرب من ألف وأربعمائة عام لم يحدث لكلمة واحدة من بين تسعة عشر ألف وثلاثمائة كلمة، أو علامة "وقف كامل" Fullstop من بين ستة آلاف وثلاثمائة وستة وستين علامة، أو حرف واحد من بين ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألف وستمائة وواحد وسبعين حرفًا هى أحرف القرآن الكريم، لم يحدث أن تفسير شىء من هذه الأشياء"**. ويزيد الرجل على ذلك أن أعمال النبى محمد (عليه الصلاة والسلام) وأقواله جرى توثيقها توثيقًا جيدًا - وهذا يثبت أن الدين الإسلامى هو دين البساطة والفطرة.

الفصل السابع والعشرون

انتهاء فترة التمرين

إذا ما تشابهت الشخصيات تولدت الصداقة(*)

فيما بين نهاية المؤتمر وجلسة الموازنة التالية فى ليجوس كان مسلسل الأحداث فيما وراء البحار لا يزال يُذَكِّر رئيس وزراء نيجيريا بما مفاده أن مسئولية تولى رئيس وزراء نيجيريا رد الفعل نيابة عن البلاد ستكون من خصوصيات الرجل نفسه، كان البريطانيون من جانبهم، يحسون أنه إذا كانت هناك أسباب تدعو بعيدى النظر إلى الزهو بأنفسهم، فإنه بالمقارنة مع "الدول الجديدة" يتعين عليهم ألا يخجلوا من التقدم الذى عليه نيجيريا: "وفى أضعف الأحوال، كان ذلك التقدم يوشك أن يكون على ما يرام هنا". كان النيجيريون بصفة عامة يجرى الحكم عليهم فى المجالس الأوروبية العامة، على أنهم من غير المحتمل أن يقلدوا الدكتور نيكروما فى مسألة – المعنى الزائف للمجتمع - أوساجيفو Osagyefo الذى بدأ فعلاً فى إزالة الفقرات والمواد الجامدة من دستور غانا، وبدأ يعلن عن بداية تكوين نواة لدول غرب إفريقيا فى اتحاد مع غينيا Guinee، التى انتخبت فور استقلالها عن فرنسا سيكوتورى، المرشح الوحيد، ليكون رئيسًا لها. دعا نيكروما هو الآخر إلى عقد مؤتمر جديد وافتتاحه هو المؤتمر الشعبى

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو شبيه بالمثل الذى يقول: الأرواح جنود مجندة ما تشابه منها ائتلف وما تنافر منها اختلف. (المترجم)

لكل إفريقيا ويضم كل الوطنيين من الدول المستقلة والدول المستعمرة، وقد عقد هذا المؤتمر فى شهر ديسمبر فى أكرا، وترأسه السيد/ توم مبويا Mboya من كينيا. وأرسلت كل من الصين وروسيا تحيات كل من السيد/ خروشيشوف Khrushchev وشوئن لاى إلى ذلك المؤتمر، كما حيَّت الولايات المتحدة المؤتمر من خلال نيكسون الذى كان قد حضر احتفالات الاستقلال الغانية، كان المؤتمر حذراً من هذه الدول ومن تأثيرات (أجهزتها الصحفية) شأنها شأن أى جهاز صحفى فى أوروبا، وقد لوحظ أنه على الرغم من إيفاد كل من الرئيسين Chiefs روتيمى وليامز وأنطونيو إيناهور من قبل حزب جماعة العمل لحضور ذلك المؤتمر، كما لوحظ أيضًا أنه على الرغم من إيفاد السيد/ إف اس ماكيوين McEwen من قبل حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى (الذى كان يضم أيضًا حزب طلائع الدكتور أزكوى الوطنية)، فإن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لم يمثله أحد فى ذلك المؤتمر. كان المُعلم إبراهيم إمام فى ذلك المؤتمر وافداً عليه من الشمال النيجيرى، والتقى أيضًا واحداً من مساعدى مكاتب البريد، كان يعمل فى مصنع لإنتاج البيرة واسمه باتريس لومومبا، الذى أتينا على ذكره فى الفصل الأخير، والذى حل محل منافسه يوسف كزافوبو Kasavubu الذى لم تكن مستندات سفره أو أوراقه مضبوطة، كان يوسف تاركا السياسى التيفى، البالغ من العمر ستة وعشرين عامًا، ينظر إلى لومومبا باعتباره صاحب جاذبية خارقة للجماهير.

انبثقت عن اللجنة التحضيرية التى تشكلت فى ذلك الاجتماع مُنَظَّمةُ كل الشعوب الإفريقية، التى احتفظت بمكتبها فى أكرا ليكون مقراً لمنظمة للدول الإفريقية الثمانية المستقلة التى تناولناها بالوصف فى الفصل السابق أيضًا. هذه المنظمة كانت عبارة عن هيئة خاصة بالمنظمات غير الحكومية، المكرسة لتشجيع حركات الاستقلال ودعمها وتأييدها فور نجاحها، وجرى انتخاب عضو من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ليكون سكرتيرا مشاركًا فى تلك المنظمة. وبعد ذلك بفترة قصيرة توصلت بقية المستعمرات

الفرنسية فى غرب إفريقيا إلى اتفاق مؤقت أو مشروط على تشكيل اتحاد من داخل المجموعة الفرنسية. ومن جانبه، عاد لومومبا إلى وطنه بأفكار حية ولغة معادية وممارسة للطريقة الأبوية المتصلبة التى تمارسها بلجيكا، وشهدت الأيام الأولى من العام الجديد عقد اجتماعات جماهيرية راحت تطالب بالاستقلال الفورى. وأعقب ذلك على الفور تحريم رابطة أباكو(*) ABAKO المنافسة، ومنع الإضرابات والمظاهرات وألقى القبض على كازافوبو وآخرين، الذين جرى نقلهم جميعًا من السجن عن طريق وزير بروكسل إلى بلجيكا لإجراء بعض المحادثات. وجرى فى شهر مايو إسقاط التهم عن هذه الشخصيات وعاد كازافوبو إلى وطنه فى منصب عمدة مدينة ديندال Dendale، ليعدل تنظيم أباكو بحيث يصبح اسمه تحالف الباكونجو L'Alliance des Bakongo. وسوف نتناول قصة ذلك التحالف مرة ثانية.

على الجانب الآخر، نجد أن الأحداث التى ترددت أصداؤها فى أنحاء العالم فى فترة ما بعد الاستعمار تمثلت فى فرض الحكم العسكرى فى باكستان من قبل الجنرال (اللواء) أيوب خان، الذى أصبح رئيسًا لباكستان، وتمثلت أيضًا فى تعطيل الجيش للدستور السودانى، واستيلاء الجنرال (اللواء) إبراهيم عبود على السلطة، والذى استدعى بواسطة رئيس الوزراء واعترف بأن حكومة الحزب السياسية لم تكن فاعلة. علق أبو بكر هو وزعماء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تعليقًا قاسيًا مفاده أن عبد الله خليل سبق أن قال لهم إن البريطانيين ينتظرون من الساسة السودانيين أن يكونوا "أكثر" ليبرالية بعد الاستقلال، على الرغم من خبرتهم الليبرالية البريطانية خلال السنوات القلائل الأخيرة من الحكم البريطانى: هذا الدرس الذى استوعبه أولئك

(*) رابطة أباكو: رابطه الباكونجو لتوحيد لغة الكيكونجو ونشرها والدفاع عنها. والأصل الفرنسى لهذا المصطلح هو:

L'association des Bakongo pour l'unification, l'expansion et la defense de la lan guge kikongo.

السودانيون هو أن الحرية الديمقراطية تعتمد على الانتظام الوطنى، وليس على المواقف الليبرالية التى تعلمها السودانيون على عجل وهبطت عليهم بطريقة مفاجئة. زعم المراقبون السياسيون الذين حضروا مؤتمر نيكروما أنهم كانوا يتعقبون ميلا جديداً بين زعماء إفريقيا إلى النظر والتمعن فى العمل الذى يقوم به الجنرالات (اللواءات) الجُدد فى القارة، وميل هؤلاء الزعماء أيضًا إلى مقاومة الضغوط القادمة من شاغلى المقاعد الخلفية ومن أماكن تناول طعام الضباط الأصاغر من أجل أفرقة Africanisation كوادر الضباط قبل أن يئون أوان ذلك، لكن يتعين القول هنا أنه باستثناء الحاج أبى بكر لم يكن ذلك الميل واضحًا على نطاق واسع فى نيجيريا، لم يكن هناك شىء بريطانى غريب فى الاعتقاد الذى مفاده أن "هذا (الميل) لا يمكن أن يحدث هنا مطلقًا". يزاد على ذلك أن الاستياء من النوايا المنطقية البريطانية التى مفادها أنه فى ظل مظلة الأمن الجماعى للكمنولث يتعين على المستعمرات السابقة تحمل أعبائها الدفاعية، هذا الاستياء كان مقصوراً على قلة قليلة من المفكرين البرجوازيين، يزاد على ذلك أن الأمر لم يعرض على الجماهير ولم تحط به علما. وقد دلل انسحاب آخر القوات البريطانية من الأردن على الإمكانيات العملية، إذ يبدو أن التهديدات الموجهة للملك بدأت تنحسر وتختفى. وفى مكان آخر، جرى تعيين الجنرال (اللواء) الفرنسى سالان Salan مفتشًا عامًا للدفاع الوطنى فى الجزائر، كما قام روى ولنسكى Welensky، الذى ترك انطباعًا طيبًا لدى الحاج أبى بكر، باعتباره روديسيًا أبيض عاقلاً، بقيادة الحزب الفيدرالى المتحد إلى النصر فى الانتخابات العامة.

كانت اللجنة الانتخابية الفيدرالية التى وافق عليها مؤتمر لندن قد تشكلت. وجرى تعيين أعضاء هذه اللجنة من بين "أشخاص ذوى آراء محايدة". وكان أول رئيس لهذه اللجنة هو السيد/ آر إى ريث Raith، وهو من كبار محاضرى الإدارة العامة فى إيبادان، وذائع الصيت بين طلاب الإدارة فى مقررات الإدارة التى كان يدرسها فى مدرسة الاقتصاد فى لندن. أما أعضاء هذه اللجنة الإقليميين فكانوا بللو Bello ولد

عمار Amar، موزع المهام فى كانو، ومحامى من الشرق اسمه السيد/ إيه آنياجولو Aniagolu، والسيد/ هـ. أورش Orishe جولومى Jolomi توماس Thomas، أحد المحاضرين الكبار فى الجراحة فى إيبادان، والسيد/ كى إيه بوهو Bohu من جنوبى الكاميرون، وشخص من ليجوس يدعى السيد/ أم إيه شو Sho سلفا Silva.

كان رئيس الوزراء فى نهاية الأمر قد صمم، وكان الحاكم العام قد أكد تأكيداً شديداً على أن يصبح ستالارد Stallard سكرتيراً فعليًا لرئيس الوزراء. لم يوافق الاثنان بسهولة على الخطوة السياسية الجديدة التى خطاها وزير المالية، والتى مفادها أنه إذا لم يجر نقل سكرتيره الخاص إلى مكان آخر، فإنه سوف يستقيل من منصبه، الأمر الذى يمكن أن يحدث بلبلة كبيرة ومتاعب كبيرة داخل حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى. التمس أبو بكر عذرين آخرين لنفسه عندما سافر إلى موطنه باوتشى فى شهر نوفمبر من العام ١٩٥٨ الميلادى، والتى أصبح فيها المعلم محمد نوما محلاً لثقة أبى بكر مثل رئيس الشرطة تمامًا. خلال زيارة أبى بكر الأولى لباوتشى أجرى محادثة طويلة مع ليث Leith وواط Watt الممثل المقيم، الذى كان يحتج مثل كل الموظفين الميدانيين الأجواد على الإفراط فى العمل المكتبى العقيم وسحب العاملين معه لاستخدامهم فى توسيع الوزارات فى كادونا، وذلك على الرغم من الجهود التى كان شارود - سميث يبذلها للحيلولة دون هذا المد. ودخل الاثنان فى نهاية المطاف فى علاقة ودية. لم تكن هذه الموضوعات جديدة، لكن الشكوك المترسبة الماضية هى والتحفظ بدءا يذوبان عند هذه المرحلة، وأصبح واط Watt اعتباراً من ذلك الوقت فصاعداً يحظى بثقة شخصية أكثر من الثقة التى كان أبو بكر يوليها لأى ممثل آخر من الممثلين المقيمين فى باوتشى. ربما يكون رئيس الوزراء قد غاب عنه افتقار الأمير ومجلسه إلى التقنيات الداعمة والخبرة السكرتارية الواسعة التى يمكن أن تحول مجلسًا وزاريًا فيدراليًا مشكَّلاً على طريقة تشكيل مجلس الوزراء البريطانى، إلى آلة فعالة، زد على ذلك، أن الممثل المقيم، الذى كان يقف على مقربة من الرجل مراقبًا للأحداث اليومية المفاجئة،

والذى أمضى القسم الأكبر من سنوات خبرته فى المقاطعات، لم يقدر تمامًا النحو الذى كانت تسير عليه السياسات المحلية التقليدية - فى ظل ضغوط السياسات الإقليمية الجديدة المفروضة التى تطلبت إحداث تغيير منظم فى الجداول الزمنية، هذا يعنى أن هذين الرجلين تحولا من موضوع التلاعب بالشخصيات إلى شىء كان يمكن أن يكون غير معروف أو مسموح به فى يوم من الأيام.

تقبل الرجلان الأمر الواقع، واتفقا على أنه إذا ما تحول البديل الفعلى للسلطة الوطنية الوحيدة إلى مجرد أمير مهذب لا يحظى بقدر كاف من الدعم فى المجلس الذى يكون فيه المستشار الرئيسى (الذى يمثله كبير المستشارين Waziri فى باوتشى) على هواه بصورة دائمة، فإن أى تطور من هذا القبيل يعد خطوة إلى الجنب لا خطوة إلى الأمام، اتفقا أيضًا على عدم استثناء بعض مسئولى الإدارة المحلية من ذلك لمجرد أنهم يكونون زعماء محليين فى حزب المؤتمر الشعبى الوطنى. أقر رئيس الوزراء أيضًا أنه ليس من السهل على الممثل المقيم (وذلك على العكس من الحاكم العام الذى يترأس مجلسه) جعل سلطة الحكم المحلى تمشى على الصراط المستقيم نظرًا لأن مهمة الرجل أصبحت الآن تتمثل فى إسداء النصح للرجال، الذين لم يعودوا ينظرون بعد إلى أنفسهم على أنهم تلاميذ، فى مسألة المعنى العملى لكل شكل من أشكال السياسة الإقليمية المفروضة، لكن الافتقار إلى إدارة محلية قوية يعتمد عليها وراسخة الجذور بعد الاستقلال يمكن أن يجعل الحكومات الوطنية بلا أساس متين فى وقت الأزمات. أدت هذه التغييرات المتأنية إلى عدم تسهيل تعامل زملائه مع مجلس الأمير، هذا يعنى أن كبير المستشارين Waziri الذى يتمتع بحماية أبى بكر هو وصديقه القديم رئيس الشرطة madaki لن يتوقعا أو ينتظرا من أبى بكر الوقوف إلى جانب الممثل المقيم، وبخاصة أن الحكم الذاتى الداخلى أصبح قاب قوسين أو أدنى. كان أبو بكر قد وعد بالعودة مدة أربعة إلى ستة أسابيع ليعاون على "تصحيح الأمور"، مثلما حدث فى

تسوية مشاجرات حزب المؤتمر الشعبى الشمالى التافهة التى مست المستشار السياسى الرئيسى، لكن هذا الوعد لم يتحقق مطلقًا.

كان أبو بكر يقرأ مذكرات مونتجمرى Montgomery التى نشرت مؤخراً ورأى هذه المذكرات فى القيادة العسكرية الأمريكية، ثم أعطى أبو بكر الكتاب هدية إلى ليث واط Watt. بعد ذلك بأيام قلائل عاد أبو بكر عن طريق الجو، لمدة يوم واحد: نظراً لأن الحاكم السير جاوين كان يقلد أمير باوتشى وسام قائد الإمبراطورية البريطانية، وأحس الرجل أن من المناسب الذهاب إلى هناك على سبيل الدعم والتأييد ما دام أن رئيس وزراء الشمال موجود هناك أيضًا. وعلى العكس من كل من الحاكم والممثل المقيم لم يشارك الرجل فى ركوب الخيل، نظراً لأنه ترك مسألة ركوب الخيل هذه للآخرين.

بعد عودة أبى بكر إلى ليجوس، التى لقى فيها نجوكو Njoku، وزير النقل، الذى كان مريضاً طوال القسم الأكبر من العام، استأنف الرجل من جديد حمل حقيبة النقل المحببة إليه، وما أن علم بالملفات القديمة، أرسل على الفور إلى فارفيل Varvill، وسوّى هذه المسألة بطريقته الشفهية المعتاده والملاحظات الموجزة التى من قبيل "**تكلمنا**"، وسأل "**لماذا لم تصادفنا هذه المصاعب مطلقًا؟**" وجاءه الرد مفتقراً إلى اللياقة، لكن رئيس الوزراء وافق مشمئزاً على أن لديه وزير عاطل ومريض. واقع الأمر، أنه تم فى ذلك الوقت، الاتفاق على إنشاء خط ملاحى نيجيرى وطنى، تتولى فيه شركتا إلدر دمبستر Elder Dempster وبالم Palm لاينز دور الشريكين الفنيين والتدريبيين. ولأن أبا بكر "يحب التعليم"، فقد رافق كلا من أجا Aja نواشوكو Nwachukwu والسير رالف جرى عندما كانا يفتتحان المبانى الجديدة التابعة لمدرسة جرامر grammar. فى ذلك الوقت تقريباً، قام أحد الموظفين فى الخارجية الأمريكية بإقامة حفل غداء غير رسمى فى شقة موظف مُلَوَّن مسئول عن الشئون الثقافية فى مصلحة الإعلام الأمريكية، وقد حضر حفل الغداء هذا كل من: رئيس الوزراء، والمستشار السياسى الرئيسى، ومسئول التعليم فى ليجوس السيد/ أم هـ فى فلمنج. وتطرق الحديث الدبلوماسى بطريقة

حتمية إلى الإسلام، واستعمل فلمنج بعض كلمات قليلة من اللغة العربية استعمالاً غير حكيم. وقد تسبب ذلك فى إثارة شىء من الحرج، لكن أبا بكر ستر ذلك الحرج بذوقه ومهارته وتواضعه الصادق عندما قال: **"أنت تعرف، أننى لا أعرف اللغة العربية"**. وتطرق النقاش بعد ذلك إلى مسألة **"الجهاد"** فى الماضى فى الشمال ضد وثنيى التلال والوثنيين الآخرين. وهنا أوضح رئيس الوزراء فى شىء من التسامح كيف كان المسلمون يعاملون غير المسلمين الذين يدخلون فى الإسلام معاملة طيبة وحانية، الأمر الذى أثار فلمنج وجعله يتعجب ما إذا كان هذا الغداء "حفلاً من حفلات الشاى". ويرد رئيس وزراء الشمال على ذلك بقهقهة عميقة، جاءت بمثابة تفنيد تام لما يقال وتتطلب تغيير موضوع الحديث.

كان هناك احتفال أروع من الاحتفال السابق وتمثل فى حفل تخصيص قطعة أرض تقام عليها القنصلية العامة الأمريكية والسفارة المستقبلية، وقد حضر هذا الاحتفال كل من الحاكم العام ورئيس الوزراء، أصبح واضحًا أن الأمريكيين كانوا ينظرون إلى نيجيريا باعتبارها قاعدة ثابتة لاهتمامها المتزايد بالشئون الإفريقية، وكان ذلك أمراً مطلوبًا ومرغوبًا على الرغم من أنه سمح لصغار الدبلوماسيين الأمريكيين بشىء من الخرق فى مطلع الأمر، علاوة على أن علم القنصل العام المزين بنجوم وشرائط كبيرة جداً ويرفرف فوق عجلة السيارة الليموزين، كان يفوق ويبرز علم السير جيمس وعلم أبى بكر، اللذين كانا موزعين على دفاية السيارة، هذا العلم كان يسترعى الانتباه ويلفت الأنظار إليه. وقد تلقى الرجلان درسًا عاجلاً فى ذلك الافتتاح. كان مساعد وزير الخارجية للشئون الإفريقية، السيد/ جوزيف سى ساترثويت Satterth-waite، مزوداً بخطبة سيئة الإعداد يتكلم فيها للنيجيريين عن مدى مساعدة الولايات المتحدة لهم فى المستقبل. ومما لا شك فيه، وعندما عاد أبو بكر بذهنه إلى تجربته السابقة فى واشنطون، وجد الرجل نفسه يمسك الميكروفون ويرد رداً مرتجلاً، وشكر البريطانيين على دفعهم نيجيريا إلى الأمام دفعًا سليمًا وكفؤًا، جعلها فى وضع يسمح

بالترحيب ببلدان مثل الولايات المتحدة وعلى قدم المساواة. ويعود أبو بكر إلى كرسيه مصحوبًا بالموافقة الدافئة الواضحة من جانب النيجيريين والبريطانيين الحاضرين فى ذلك الاحتفال، وذلك مقابل تحدثه نيابة عن أولئك وهؤلاء. لم يكن ذلك يعنى أن الرجل سوف يقيم علاقات شخصية ودية تمامًا مع الدبلوماسيين الأمريكيين على امتداد السنوات القلائل التى تلت ذلك. ومع ذلك، أصبح واضحًا لأعين الأمريكيين أن الإمبريالية البريطانية لم تعد تشكل تهديدًا كبيرًا للحضارة الغربية، نظرًا لأنها فى ذلك الوقت كانت فى حال من التصفية الطوعية المنظمة: هذا يعنى أن خوف الأمريكان من التوسع الأيدولوجى الروسى كان يتملكهم ويسيطر عليهم فى ذلك الحين. وقبل كل شيء، كان إيرل Earl هوم Home قد أعلن أن "يوم الإمبراطورية" القادم سيتم الاحتفال به على أنه "يوم الاحتفال بالكمنولث".

كانت ليلة القديس آندرو كالعادة مناسبة يحييها ذلك العدد الكبير من الأسكتلنديين المقيمين فى ليجوس ويلتقون فيها مصادفة على شكل جمعية كاليدونية Caledonian احتفاء بتفردهم الوطنى فى الويسكى، الهاجس(*)، والتارتان(**) والرقص الذى جرى تعليمه حاليًا لإخوانهم المواطنين المقيمين حتى ينشروه فى وطنهم. حل رئيس الوزراء هذا العام ضيف شرف على ذلك الاحتفال، وعندما طلبوا منه التحدث فى هذه المناسبة نظر إلى أسفل حيث يوجد السير جيمس روبرتسون وقال: **"يا صاحب السعادة، طوال عمرى وأنا أقاوم القبلية، ولك أن ترى الآن المكان الذى جئت بى إليه وأنا فيه الآن!"**.

فى ليلة عيد الميلاد قاد أبو بكر سيارته الرولز رويس بنفسه إلى منزل الدكتور ماجيكودونمى Majekodunmi، فى حين كان سائقه الخاص فى المقعد الخلفى مع

(*) الهاجس: طعام أسكتلندى من قلب الخروف وكبده. (المترجم)

(**) التارتان: قماش صوفى مقلم بخيوط مختلفة الألوان متقاطعة على زوايا قائمة. (المترجم)

الأطفال. وبعد الدردشة المعتادة اقترح أبو بكر على صديقه الطبيب الدخول إلى مجال السياسة عن طريق الانتخابات العامة، فى الوقت الذى كان الرجل يتوقع فيه بداية خسارته لبعض مصادره الوثيقة التى تقدم النصح والإرشاد المحايدين والمجردين من الهوى، ورد الطبيب ماجيكودونمى على ذلك الاقتراح بضحكة تعنى أن أكون "وزيراً للصحة؟"، ورد عليه أبو بكر: **"نعم، لكن على أن يكون ذلك بعد أن أكلف برئاسة الوزارة، بعد الاستقلال!"** وتلا ذلك قيام الرجل بجولة سياسية كبيرة فى أقصى الشمال لتذكير المخلصين لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى أيضاً أن موعد الانتخابات الفيدرالية العامة سيحل فى أواخر العام ١٩٥٩ الميلادى، وخلال هذه الجولة كانت قائمة الألقاب الملكية الشرفية فى ذلك العام تضم لقب فارس الذى جرى منحه للمستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو)، الذى انتهز الفرصة وأصبح يطلق على نفسه اسم السير أحمد بللو، وكان مقصوداً لذلك الاسم أنه يكون له دوى مثل دوى اسم الشيخ عثمان بن فودى[*] نجل محمد بللو، أول سلاطين سكتو. كما أُعْطِى لقب فارس أيضاً لكبار الأمراء، لكن لم يحدث أن مُنِحَ هذا اللقب لأى سياسى إفريقى أثناء وجوده فى الخدمة. لم يكن الاحترام غريباً أو شاذاً على الرجل (أحمد بللو)، لكن الكثيرين وجدوا فى ذلك اللقب تمييزاً وإبرازاً لهم، وبخاصة رفع مركز رئاسة الوزارة فى الشمال بطريقة لن تكون مفهومة إلا من بعض زعماء البلاد، الأرجح هو أن أى واحد من أولئك الذين مارسوا العمل الذى قام به السير بريان شارود - سميث، كان ينبغى أن يعى تقدير الشماليين لجوائز الفروسية وأنواطها، لكن المؤسف أن الاستشارات المتوازنة والتوصيات النهائية جاءت فى العام الذى تلا رحيل هذا الرجل، ولم تكن عملية منح الألقاب هذه آخر كِسْرة من كسر "منحة" الوداع. والذى لا شك فيه أن مسألة منح لقب

(*) أورد المؤلف هذا الاسم بهجا، Hodiyo بدلاً من Fodiyo ولعل هذا يكون خطأ مطبعياً. (المترجم)

فارس لكل من نانمدى Nnamdi وأوبافيمى كانت واردة أيضًا، لكن لو كانت تلك الألقاب قد قدمت لجرى رفضها.

لم يرد رئيس الوزراء ردًا ينطوى على الغيرة والحقد، على التلميحات التى مفادها أن مطالبته أو ادعاءه كان هو الأكبر، وبخاصة أنه تنقل أثناء المؤتمر الحزبى من زنجيرو، إلى كونتاجورا، إلى ياررى، وبرنن كبى، وأرجونجو، وسكتو ثم عاد إلى كادونا مرة ثانية ليترأس المؤتمر الذى عقده المجلس الوطنى بخصوص المنشآت والمؤسسات. وكان فيما بين هذه التنقلات يرفع علمه نيابة عن الحزب، وسط شائعات مفادها أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى سوف يتحالفان فى الانتخابات لمصلحة آزكوى، أو التهامس، **"أنت تعرف، أننى لا أحب هذا الشيء"** مع أى مسئول أوروبى، فى الوقت الذى يقوم فيه مدّاحو الأمراء هم والطبّالون وعازفو آلة الألجيتا ببذل أقصى ما عندهم من أجل توليد روح العيد والاحتفال، وربما كان الرجل متحيرًا فى داخله من موقف الفلاحين المنتجين الغريب فى الشمال من الدخول المتولدة عن المحاصيل النقدية - وقد صادفت الصادرات الكبيرة من القطن المعبأ فى أكياس فى الشمال انخفاضًا كبيرًا فى أسعار كل من القطن والفول السودانى. كان أبو بكر يركز فى خطبه على تكرار الرسائل التى ضَمَّنها خطابه بمناسبة العام الجديد، مثل الترحيب بقرض البنك الدولى الخاص بالسكك الحديدية، ورغبته فى استمرار العمل من أجل الوحدة – **".... مثل مجتمع يتعاون على تحويل رقعة من الغابات عديمة الفائدة إلى مزرعة مثمرة ... يتعين علينا إزالة جذور الإساءة والمنازعات الطائفية، وأن نحرق أعشاب الانقسام الداخلى ... ونحن لا يمكن أن نجلس فى الظل وننتظر قدوم الأول من أكتوبر من العام ١٩٦٠، ثم نبدأ بعد ذلك ننتظر من الاستقلال أن يعود علينا بكل أنواع النعم"**. أسقط أبو بكر من حساباته أيضًا مسألة الرغبة فى ربط الأجزاء التى حول بحيرة تشاد بالإقليم الشمالى. حدث ذلك عندما أصر فى أحد اجتماعات الحزب على أن النص فى الدستور على خلق ولايات جديدة قد

يستغل فى السماح للجيران بالانضمام إلى نيجيريا المستقلة، وأن هذا الأمر قد يمتد أيضًا ليشمل الكاميرون.

قبل مغادرته كادونا تناول رئيس الوزراء طعام الغداء مع المهندس إيه جى ماريس Maris، مدير عام الأشغال العامة والطرق المائية الهولندية، الذى كان يزور نيجيريا لتفقد أعمال شركة نيدكو بناء على دعوى وُجهت مقابل الجولة التى قام بها أبو بكر فى هولنده. كانت شركة نيدكو قد طُلب إليها عندئذ مناقشة العقد الخاص لعمل مشروع مفصل لجسر أونيتشا، كما كانت الشركة تدرس أيضًا مشروع قناطر للطاقة، والرى، والملاحة الخاصة بالسفن الكبيرة عبر المجارى المائية طوال القسم الأكبر من العام. كان المهندس ماريس قد ذكَّر رئيس الوزراء أن البلد الذى ليس فيه سوى ١٠٪ فقط من ٤٣٠٠٠ كيلا متريًا من الطرق المتوفرة على مدار فصول السنة، والذى فيه أيضًا ٢٩٠٠ كيلاً متريًا من السكك الحديدية (والتى ستصل قريبًا إلى ٣٢٠٠ كيل)، فإن ما يزيد على ١٩٠٠ كيلاً متريًا من الملاحة النهرية يعد عاملاً مهمًا فى هذه المسألة: وأن نهر الراين نفسه يصل طوله من روتردام إلى بازل حوالى ٨٠٠ كيلاً متريًا، ويعد طريقًا اقتصاديًا من طرق الشحن، عند العديد من البلدان الأوروبية. وقد أسفرت التقارير المقدمة من شركة نيدكو عن تسهيل تحويل قسم الطرق المائية الداخلية فى الإدارة البحرية إلى إدارة مستقلة. وبعد أن دعم الرجل قناعاته عن النقل الداخلى، طار عائدًا إلى باوتشى (وأخذ معه مقاول المبانى)، ولم تهبط طائرته إلا بعد البرقيات التحذيرية التى تقول إن مباراة فى الكريكت مع فريق من جوس كانت على وشك أن تبدأ على مهبط الطائرة، الأمر الذى جعله يعتذر من باب الأدب، عن عدم حضوره اجتماع المجلس المحلى فى جومب فى مطلع الأسبوع، وأجرى محادثات مع كل من مسئولى الإدارة المحلية ومسئولى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وندم لأنه لم يتمكن من الانضمام إلى فريق موطنه. وعاد أبو بكر إلى ليجوس مساء اليوم نفسه. كان تجوال أبى بكر فى الشمال منظم من الناحية النظرية من قبل مكتب رئيس الوزراء، على الرغم

من أن السفر فى المهام الفيدرالية كان يجرى تنظيمه وتنسيقه من قبل هيئة العاملين معه، يزاد على ذلك أن أدب الرجل الشخصى الجم كان عادة ما يتغلب على سوء الفهم الناجم عن عدم الاهتمام أو الحماس من قبل الآلة البيرقراطية، مما أدى إلى تعطيل أولئك الموظفين الذين كان يتحتم وجودهم فى محطات السكك الحديدية والمطارات كيما يقومون باستقبال أبى بكر طبقًا للبرتكول المعمول به فى هذا الصدد.

المغزى من وراء هذه الجولة التى قام بها رئيس الوزراء بالشكل الذى أوردناه، كان مغزًى سياسيًا تخللته بعض الرسميات، ويتمثل هذا المغزى فى صغر حجم حاشية **رئيس الوزراء إذا ما قورنت بحاشيه أى أحد من أنداده: حاشية مكونة من سائق وعامل فى بعض الأحيان (هذا العمل أصبح الآن رقيبًا من الشرطة يدعى قفطان Kaf-tan توبولوميو Topolomiyo)، وسكرتيره الخاص، المُعَلِّم أحمد كارى Kari. كان أبو بكر هو الذى يحدد بنفسه الأدوات والملابس التى سيأخذها معه (على الرغم من أنه ربما كان يسأل أحمد فى بعض الأحيان، بعد أن يرتدى ملابسه، عما إذا كان مظهره مناسبًا أو غير مناسب). كان هو الذى يحزم بنفسه أوراقه وكراسات ملاحظاته. وكان الرجل يقبل الطعام على النحو الذى يُقَدَّم به، وكان يستدعى المساعدين والرسميين إذا ما تطلب الأمر ذلك، وكان يجرى الحصول على مستلزمات الاحتفالات والحفلات من أماكن إقامة هذه الحفلات، لكن حاشية الرجل كانت خالية من سيارات الكرفان فى كل تحركاته. لم تتغير هذه الممارسات طوال القسم الأكبر من حياة هذا الرجل.**

يعود الحاج أبو بكر إلى الشمال من جديد وعلى وجه السرعة، لكنه فى هذه المرة يكون بصحبة الحاكم العام وستة من الوزراء الفيدراليين فى زيارة قصيرة لافتتاح مهرجان كانو للفنون الذى أقامه أمير كانو. كان أمير كانو قد بدأ ينشط فى عقد الاجتماعات احتفاء بمعارضة زملائه لسلطات الحكم المحلى التى أنشئت على غرار نموذج هدسون Hudson، لكن أصبح محتمًا عليه الآن إعادة تفسير الوحدات المحلية باعتبارها سدًا بين الرؤساء والوزراء. من ناحية أخرى، كان أبو بكر قد انغمس من

جديد فى عالم ليجوس المالى والأعمالى، وذلك من باب التحضير لجلسة الميزانية، عندما اندلعت الاضطرابات والمتاعب فى مسقط رأسه. وقد اتضح من رواية أبى بكر لهذه القصة أنه لم يكن ينجذب فى معظم الأحيان إلى تافاوا باليوا من أجل عيونها؛ نظراً لأن منزله، ومزرعته وأسرته كانوا جميعًا فى بلدة باوتشى، لكن اسم البلدة كان مرتبطًا باسمه، وكانت الأخبار السيئة فى تلك البلدة تسبب له شيئًا من الحرج. كان السَّياوه Seyawa يعانون من بعض المظالم، وهم مثل سائر القبائل الوثنية السابقة تحت الحكم الإسلامى لم تجد صعوبة فى التعبير عن رأيها، كان "المحرضون السياسيون" قد ضَخَّموا تلك المظالم، وحدثت اضطرابات خطيرة على امتداد ثلاثة أيام فى لير Lere، وداخل بلدة تافاوا باليوا وحولها . وبفضل التدخل الشخصى الشجاع من جانب كل من الأمير آدم جومبا Jumba، وضابط الحى آلان Alan تيرنر، أمكن إخماد الاضطراب فى البلده، الأمر الذى عجَّل باستعادة السلامة والأمن عن طريق التدعيمات الشرطية. وأعقب ذلك تقصٍّ كامل وتسجيل كامل لمتطلبات الإصلاحات المطلوب تنفيذها فى مجال الإدارة والعدالة المحليين، لكن هذا الحادث قوى آراء الحاج أبى بكر فى حرية بعض حلفاء حزب جماعة العمل، وحرية بعض "العناصر" التبشيرية فى انتهاك حرمة أراضى الآخرين.

قوَّى هذا الحادث أيضًا مسألة قبول التغييرات الثورية فى إدارة العدالة فى الشمال، الذى كانت فيه حكمه قاضى القضاة، أبو Abu رانات Ranaat، مدعومة بحكمة كل من قاضٍ باكستانى، وكاشيم kashim كبير مستشارى برنو على قدر كبير من الأهمية. (معروف أن كاشيم حاليًا هو رئيس مجلس إدارة كلية الفنون، والعلوم والتكانولوجيا، فرع زاريا)، كان هيدلى مارشال، المحامى العام الإقليمى، قد نجح فى جعلهم يتخطون العقبات السياسية، والتحامل مع بداية رحيل شارود - سميث، والسبب فى ذلك أن مارشال، وعلى العكس من كثير من المحامين الإنجليز، وبحكم أنه وضع أول كتاب عن العدالة الطبيعية، لم يكتشف أن تطبيقات القانون الوطنى التقليدية

هى والأعراف الوطنية كانت "مرفوضة" أو ظالمة فى جوهرها. لم ينجرف مارشال إلى قناعة إخوانه التى مفادها أن إجراءات الاتهام ينبغى أن تجب كل الإجراءات المخصصة لاكتشاف ذلك الذى حدث فعلاً فى قضية بعينها: انصبت شكوك مارشال على أى استبعاد واضح للدلائل المتعلقة بالأسباب المذهبية. وقد أسفرت التغييرات التذكارية التى أحدثها ماكولى Macaulay فى الهند عن قانون جنائى جديد وإجراءات جنائية جديدة مكنت العدالة العامة وحقوق الأفراد كما هو منصوص عليه فى المحكمة العليا بواسطة قضاة هذه المحاكم، والمحاكم الوطنية لغير المسلمين، من السير فى خطين متوازيين، مع السماح المؤقت للمسلمين وغير المسلمين بحرية الانسحاب من أمام المحاكم الوطنية التى قد تكون قواعد الشهادة فيها فى غير مصلحة المتهمين. تقرر أيضًا أن تكون هناك محكمة استئناف شرعية ومحكمة قرار للنظر فى منظومة المحكمة الإسلامية والمحكمة الوطنية فى الإقليم الشمالى، على أن تستمر تلك المحكمة الشرعية فى تولى قانون الأحوال الشخصية بما فى ذلك الزواج والطلاق والميراث والممتلكات، وتقرر أيضًا أن تكون هناك محاكم وطنية يطلق عليها اسم المحاكم المحلية للنظر فى قضايا الاستئناف الدنيا. واتُّفِقَ أيضًا على أن تقوم محاكم القضاة بتسليم أعمالها التشريعية المدنية إلى محاكم الأحياء الجديدة. كان الحاج أبو بكر هو وأنداده يفضلون هذه الحلول الوسط المحددة على الحظر الاجتماعى الدائم الذى كان الرجل يراه متمثلاً فى المناداة بإلغاء المحاكم التقليدية أو السماح بدخول الممارسين للقانون القائم على القانون الإنجليزى إلى منظومة التفتيش التقليدية.

ونحن عندما ننظر إلى الخارج بحثًا عن المقارنات الكريهة فى ذلك الوقت نجد أنها جاءت على شكل سلسلة متتالية فقد بدأت بانتخاب الجنرال ديجول فى اليوم الثامن من شهر يناير أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة ورئيسًا أيضًا للمجموعة الفرنسية (التى حلت محل الاتحاد الفرنسى)، ونرى أيضًا المجلس التنفيذى لهذه الجماعة يضم رئيس وزراء فرنسا ورؤساء حكومات السواد الأعظم من الممتلكات

الفرنسية السابقة فيما وراء البحار فى إفريقيا، ونجد أيضاً الاضطرابات التى وقعت فى ليوبولدفيل فى الكنغو البلجيكى (الذى أدخل بدوره بعض الإصلاحات)، ونجد أيضاً ذلك الإعلان المربك من جانب إفريقيا الناطقة بالفرنسية وبخاصة من جانب جمهوريتى السنغال والسودان Soudan إنهما سوف يشكلان دولة مالى الفيدرالية، ونجد أيضاً استبداء محاكمة الخيانة فى جنوب إفريقيا لحوالى ١٥٢ فرداً (من بينهم السيد/ نيلسون مانديلا) وكانت تلك المحاكمات قد بدأت بالفعل فى شهر ديسمبر من العام ١٩٥٦، ونجد أيضاً أن إعلان الدكتور فيدل كاسترو رئيساً لوزراء كوبا، بعد الإطاحة بحكومة الجنرال باتستا، ونجد أيضاً اتفاق كل من بريطانيا، واليونان وتركيا والقبارصة والأتراك والقبارصة اليونانيين على قيام جمهورية قبرصية مستقلة فى المستقبل، ونجد أيضاً حالة طوارئ استمرت شهراً فى روديسيا الجنوبية، ونجد أيضاً اتفاقاً إنجليزياً مصرياً على تسوية المسائل الناجمة عن أحداث السويس. ونجد أيضاً رئيس الوزراء الغانى الدكتور كوامى نيكروما، يزيد الطين بلة بدون علم نيجيريا عندما قام الرجل بزيارة شاملة إلى العواصم كلها وإلى بعض أجزاء من نيجيريا والكاميرون الجنوبية. وقام أبو بكر الذى استاء من تمضيته ساعة كاملة فى مطار أكيجا Ikeja بسبب تأخير طائرة نيكروما، بقدوم وزراءه إليه، وقال رئيس الوزراء الغانى إنه يحتمل له أن يعود إلى نيجيريا بمناسبة احتفالات الحكم الذاتى الداخلى، ويحصل المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) على دعوة مؤقتة لزيارة غانا فى شهر يوليو المقبل. كانت زيارة نيكروما زيارة حساسة من الناحية الدبلوماسية نظراً لأن علاقات نيكروما الحزبية كانت مقصورة على حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى وحزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، وكان نيكروما يسعى جاهداً لجمع رؤساء الوزراء كلهم فى تجمع يضم زعماء غرب إفريقيا والذى سيدعو هو إلى اجتماعه. وخفف نيكروما فى نهاية المطاف من استياء الشمال النيجيرى من مسألة الترحيلات المختلف عليها بأن قال: إن الأمر كان يحتم إرسال تحذير مبدئى من خلال "القنوات المعتادة".

فشل الدكتور نيكروما فى التخلى عن دور الأبوة الإفريقية المتعطِّفة التى اقتادت الساسة النيجيريين الهواة إلى شريط الحرية، لكن رؤساء الوزراء كانوا يرفضون هذه الولاية. بقى الحاج أبو بكر مستاءً من المعنى الزائف للمجتمع(*) Osagyefo الذى تخلف عن كل مواعيده، بما فى ذلك استقبال القنصل العام، واستقبال الحكومة النيجيرية (فى الوقت الذى حرص فيه رئيس الوزراء حرصًا بالغًا على تقديم معاونيه البريطانيين السابقين من أمثال أرمتاج Armitage) وحفل العشاء الذى أقامه الحاكم العام. كان أبو بكر قد وصل فى الوقت المحدد لكل مناسبة من المناسبات سالفة الذكر، ويعود منها مستاء لأن نيكروما لم يكن موجودًا فى الموعد الذى حدده هو من قبل. وعبر كبار رجال ليجوس عن استيائهم من نيكروما فى حفل الاستقبال الحكومى: "قال السيد/ نوينز: لديك فى مجلس وزرائك رجالٌ أفضل بكثير مما لدى هذا الصبى القادم من أكرا وهو أصلاً من وسط إفريقيا". أما السير جيمس، الذى سبق أن التقى نيكروما قبل ذلك بعامين يوم أن كان نيكروما أقل شهرة مما هو عليه، والذى سبق أن لعنه خبراء المهنة، أيام حكمه، فقد كان أكثر تسامحًا فى وصفه لنيكروما. وعلى الرغم من ذلك وجد السير جيمس ملاحظات رئيس وزرائه أكثر تجانسًا عندما أزاح الستار عن التمثال الذى صنعه الفنان النيجيرى البارز السيد/ بن Ben إنونوو Enwonwu، للملكة إليزابيث الثانية وجرى وضعه فى ليجوس فى اليوم الخامس من شهر فبراير.

بعد ذلك بيومين تحدث أبو بكر إلى اتحاد ألعاب الكمنولث والإمبراطورية البريطانية الأولمبى عن موضوع مختلف تمامًا قائلاً: **"لقد وُضعت نيجيريا بالفعل على خارطة الألعاب العالمية بواسطة الرجل "الكلبارى" هوجان Hogan باسى Bassey، لكننا لا نود للنيجيريين أن يُعرفوا فقط بقدرتهم على سحق وجوه الناس الآخرين محولين إياها إلى لُباب! الرياضة مجال آخر وميدان أرقى، نحن نعرف أن بوسعنا أن نبلى فيه**

(*) عبارة "المعنى الزائف للمجتمع Osagyefo" هنا تشير إلى الدكتور نيكروما. (المترجم)

بلاء حسنًا. أنا لا يمكن أن أفرط فى الثناء على منظمة يعمل فيها أناس من أقاليم نيجيريا المختلفة عمل الفريق الواحد، متناسين كل الخلافات والظروف، وهم يناضلون من أجل تشريف بلدهم الحبيب".

ترك رئيس الوزراء المنشغل بأمور كثيرة الكثير من الأمور لوزرائه وعلى نحو أكبر مما كان سائدًا أثناء جلسة "موازنة المسئولية" التى عُقدت فى شهر فبراير من العام ١٩٥٩ الميلادى، لكن الرجل أعلن رأيه وموقفه من خمسة أمور كان يحس نحوها بإحساس قوى، أشار الرجل إلى الشئون الخارجية: على الرغم من أن زعماء الأحزاب الأربعة إضافة إلى الحزب الكاميرونى لعبوا دورًا أساسيًا فى عمل الترتيبات اللازمة لاستقبال نيكروما، أصر أبو بكر على أن الأحزاب يتعين عليها أثناء الحملة الانتخابية الإفصاح عن سياستها الخارجية، إن قدر لهذه الأحزاب أن تحصل على الأصوات اللازمة لانخراطها فى السلطة الفيدرالية، والسبب فى ذلك أن سياسة نيجيريا عندئذ ستكون نابعة منها وليست مرتبطة بسياسة بريطانيا. واتخذ الرجل أيضًا موقفًا أثناء مناقشة التفجيرات الذرية فى الصحراوات الفرنسية الموجودة فى الشمال، ذلك الاحتمال الذى كان يثير الكثير من المخاوف، والمؤكد بالفكرة الخاطئة التى مفادها أن الضرر الجينى الذى لا يمكن تصوره الناتج عن الإشعاع إنما يعنى العقم، وهو الأمر الذى يمكن تصوره فى سهولة ويسر: **"لم يقترح أى أحد منا تفجير قنبلة هيدروجينية فى الصحراء الكبرى ...... أعتقد أن صاحب هذا الاقتراح على حق فى الاهتمام بهذه المسألة .... لقد أعرب الجنرال ديجول عن أمله الذى مفاده أن فرنسا ستصبح قوة ذرية، وسوف تُجرى تجربة على إحدى القنابل الذرية فى الصحراء الكبرى ... والحاكم العام يود وضع هذا النقاش أمام وزير الخارجية ويطلب منه اتخاذ الإجراء اللازم لإبلاغ الحكومة الفرنسية بذلك إذا ما رأى ضرورة لذلك ..... وأنا أتطلع إلى رفع مخاوف المجلس إلى الحكومة الفرنسية"**، وجرى إعمال اللياقة الدستورية، وعلى الرغم من سحب الاقتراح، بناء على الموافقة على ذلك، فإن الأمر لم يقف عند هذا الحد.

فيما يتعلق بمغزى الإضرابات التى يقوم بها الموظفون العموميون، برَّر أبو بكر إعادة هؤلاء الموظفين إلى وظائفهم ورواتبهم، لكنه لم يوافق على إعادة حقوقهم الخاصة بالتقاعد، وبخاصة بعض المضربين فى قطاع السكك الحديدية والبريد والتلغراف: "..... **هذا المجلس، أنا على يقين، من أنه لن يفعل شيئًا لخلق الجو الذى يجعل موظفى الحكومة ينظرون إلى الإضرابات باعتبارها وسيلة من وسائل التعبير عن الاستياء ..... والحقيقة التى مفادها أن الحكومة قادرة على طرد المضربين حققت الكثير فى وقف أولئك المضربين الذين لا يستشعرون المسئولية ..... وعلى الرغم من أن المضربين القانونيين كانوا على ما يرام بطبيعة الحال، فإن العمل يُحَتِّم عدم السماح لهم بالإضراب بدون أسباب حقيقية ومناسبة ..... وعلى سبيل المثال، فإن إضراب عمال البريد والتلغراف، أسفر عن رفض الحكومة لمطلب من مطالبهم. أما المطلب الثانى فكان قيد الدراسة. كانوا يعرفون ذلك، لكنهم كانوا لا يزالون يرفضون الإصغاء إلى ما يقال وواصلوا إضرابهم ..... وأنا ليس لدى أى شك .... أن هذا المجلس لن يرضى مطلقًا عن رؤية أية حكومة من الحكومات فى موقف يستطيع فيه العمال إملاء مطالبهم عن طريق التهديد بالإضراب....**" لم يكن أبو بكر تافاوا باليوا أول سياسى يميز بين العمل فى الحكومة والعمل مع صاحب عمل ينشد الربح، أو بين العمال المضللين أو سيئى التعليم ومنظميهم الفنيين، ولم يكن هو آخر من توصل إلى أن الأفكار المعاكسة سيجرى تلقينها للعمال الأفضل تعليمًا والمنظمين الأفضل تعليمًا أيضًا. وفيما يتصل بمسألة إخضاع كوادر ضباط القوات المسلحة للمستوى المحلى، نجد أبا بكر يقف من جديد إلى جانب الفنيين ويعضدهم وليس إلى جانب السياسيين: "**لقد حصلنا على قواتنا المسلحة وتولينا أمورها فى العام ١٩٥٨ ...... وأن أنظر نظرة استثنائية شديدة إلى كل من يشير إلى الجيش على أنه "للاحتفالات". نحن لا ننتظر من جيشنا أن يخوض حربًا كل يوم، .... أعتقد أن ذلك سيكون خطيرًا جدًا، والسبب فى ذلك أننا نود نجرنة الجيش، نود ترقية العقيد إلى عميد. وهذا سيكون أمرًا جد خطير**". وفى مسألة أخرى كانت مثارة أيضًا فى ذلك الوقت، راح أبو بكر يدافع عن مذكِّرة المخلص قائلاً:

"سكرتير رئيس الوزراء يمكن أن يكون أى شخص من الذين يستطيعون خدمة نيجيريا على أحسن وجه. والحقيقة التى مفادها أننا أصبحنا مستقلين لا تعنى أننا ينبغى أن يكون لدينا سكرتيران عديما الخبرة لرئيس الوزراء! وهذا لا يعنى أيضًا أننا سوف لا نثق بالبشر الآخرين! هؤلاء الناس موجودون فعلاً فى الخدمة، وهم يخدموننا على أفضل وجه. وأنا أدرك أننا بحاجة إلى نيجيريين فى كل المواقع المهمة، لكنى لا أود للعضو الكريم أن يبدى هذه الملاحظات فى كل مرة، والتى قد يأخذها الناس مأخذ الجد فى الوقت الذى نعرف فيه أنه هو نفسه ليس جادًا فى هذه الملاحظات ..... وهنا ينبغى علىّ القول: أننى لا يعجبنى ذلك الذى يقوله العضو المحترم عن أعضاء الخدمة العامة".

كانت الصراعات بين الأحزاب قد عادت بشكل واضح إلى مجلس المندوبين (الممثلين)، كما ضاع أمل رئيس الوزراء فى أرجاء المنافسة الحاقدة إلى ما بعد الاستقلال، فى ظل حقيقة اقتراب موعد الانتخابات العامة، الذى كان نجاح حزب السيد/ جى إن فونشا Foncha الانفصالى الذى يقال له حزب التنمية الوطنى الكاميرونى فى الانتخابات الجارية فى جنوب الكاميرون بمثابة المذكر. لم يفهم الحاج أبو بكر شأن السواد الأعظم من النيجيرين، المزايا العائدة على الكاميرونيين العاديين باعتبارهم معارضين لزعمائهم السياسيين، فى عدم الانضمام إلى الاتحاد الفيدرالى النيجيرى بصورة دائمة، لكن الرجل (أبا بكر) سرعان ما توصل إلى ما مفاده أنه إذا كانت هذه هى الرغبة الحقيقية للكاميرونيين، فإن ذلك سوف يعجل بقطع الروابط معهم، وهذا أمر مفضل بل ومبتغى أيضاً. وقد أضفت هذه النتيجة شيئًا من الحدَّة على إعلان وزير المالية الفيدرالى أن العمل الذى يجرى على جسر أصابا Asaba - أُونيتشا على نهر النيجر، الذى سيسهل الاتصالات ويسرِّعها من كل من ليجوس وبنين إلى الجنوب الشرقى كله بما فيه الكاميرون، سوف يبدأ فى أواخر العام. هناك حادث آخر قليل المغزى تمثل فى تمرير قانون ضريبة أرباح البترول، والذى ينص على أن المزايا سيجرى تقاسمها بالتساوى بين شركة الزيت والحكومة الاستعمارية. وكان قد جرى

العثور على شيء من البترول أيضًا في دجيما Degema، في منطقة المنجروف في سامبرايرو Sambriero التي تقع إلى الجنوب الغربي من ميناء هاركورت، لكن البئر التي اكتشفت في أوجوني كانت لا تزال جافة على عمق ٣٠٠٠ متر، ولم يصل إنتاج البترول النيجيري الإجمالي إلى ٨٨٠٠٠٠ طن إلا بعد ذلك بعام.

في ظل هذه الخلفية، بدأ الناس يلاحظون بشكل واضح الافتقار إلى التصنيع المحلي بالمقارنة مع المشروع المهني في البلاد. وعلى الرغم من أن أساسيات التعليم ومبادئه كانت تقر دومًا بافتقار البلاد إلى الحرف والمهن على مستوى القرية، فقد كان من الصعب تعرف أي اتجاه من اتجاهات التعليم، الذي يمكن أن يرشد ويوجه السواد الأعظم من التلاميذ الأذكياء والطموحين والدارسين بحيث يكونوا بعيدين عن مجال الخدمات، والمهن بل والسياسة قبل كل شيء. كانت مسألة تشجيع الاستثمار الإنتاجي لا تزال في أيدي البيروقراطيين الذين لم يكونوا اجتماعيين طبيعيين أو نقابيين. كان هناك مصنع لتجميع الدراجات، ومصنع آخر لإنتاج إطارات النوافذ المعدنية، وكان هناك أيضًا مصنع مبتدئ لصناعة المواسير البلاستيكية، وكانت هناك بداية لصناعة الأحذية اللينة والمنسوجات البسيطة، كانت هناك أيضًا صناعة قائمة مثل صناعة خشب الأبلكاج في سابيلي Sapele، وكانت هناك صناعة للسجائر، ومصانع للمياه المعدنية والبيرة ومحالج القطن وطواحين للفول السوداني، لكن لم يكن هناك أي شيء آخر يمكن أن يدخل في مجال التجديد، وبقي صناع السلع الاستهلاكية الأجانب غير مقتنعين بأن أسواق غرب إفريقيا الداخلية كثيفة السكان أو لديها الوعي النقدي الكافي لتبرير الاستثمارات المحلية الكبيرة، وبقي المقاولون النيجيريون موزعين في الأصل، شأنهم في ذلك شأن متعهدي الأسواق. ولم يظهر طرح أول طرح للأسهم النيجيرية، إلا في العام الأخير من الفترة الاستعمارية، وجاء ذلك الإصدار عن طريق شركة محدودة، ومقداره ١٧٥٠٠٠ جنيه إنجليزي، وكان من شركة الأسمنت النيجيرية في نكالاجو Nkalogu، وإمين Emene، وكانت تلك شركة مساهمة تضم كلاً من الحكومتين

الفيدرالية والشرقية كما كانت تضم أيضًا مؤسسة تنمية الأسمنت وشركة تنل Tunnel بورتلند وبعض المشغلين الفعليين. كانت الفترة الاستعمارية، قد أفرزت عن غير قصد جيلاً يسلِّم، كما هو الحال في دولة الرفاه، أن التغيير الرئيسي يتحتم أن يجيء من الحكومة، بصورة مباشرة أو استجابة للضغوط الاجتماعية الكبيرة، وأن الشعب أو البشر يتعين عليهم التفاعل مع هذا النوع من التغيير ويتبينون أفضل الطرق للحصول على المنافع. وليس من الغرابة في شيء ألا يتعرف التربويون من أمثال رئيس الوزراء الأسباب التي جعلت المشروع الفردي يبحث عن فوائده ومكافآته في الحرف والمهن التي رأى المشروع الفردي الأوروبيين وهم يحققون فوائدهم ومكافآتهم منها، أو في السياسة (الواقع أن الحكومة الفيدرالية المستقلة قررت مؤخرًا بيع شركة الأسمنت إلى اتحاد من اتحادات التشغيل المالية البريطانية، لكن الدكتور ميخائيل أوكبارا تحتم عليه إقناع رئيس الوزراء بالتخلص من هذه الشركة ونقلها إلى حكومة الشرق الإقليمية بدلاً من بيعها).

كانت للحاج أبي بكر علاقات تفاهم مع كبار رجال التجارة، وسبق أن أتينا من قبل على ذكر اسم جاك ديفيز من الشركة الزراعية المتحدة، وكانت له أيضًا علاقات تفاهمية مع ليونارد دالوري من بنك باركليز (الذي أصبح يطلق عليه مؤخرًا اسم بنك باركليز النيجيري)، وليونارد دالدري هذا هو عضو المجلس الخاص الذي له اهتمامات ومصالح بنكية. أقام أبو بكر حفل غداء قبل جلسة مناقشة ميزانية العام ١٩٥٩، وكان كل من دالدري والسيد/ كام Cam جود Judd (اللذان كانا كبيرا الخبراء للشركة الزراعية المتحدة في ليجوس في ذلك الوقت) الضيفين المقيمين الوحيدين في ذلك الحفل، وعندما اكتشف أبو بكر أن روجو جود لم تدع إلى حفل الافتتاح للاستماع إلى خطاب الحاكم العام من فوق العرش، أرسل حارسه الشرطي في اليوم التالي ومعه تذاكر الدعوة وأوامر باجلاس جود وزوجته في مقصورة كبار الغرباء إلى جوار مستشار سكتو السياسي الرئيسي. وتولد لدى أبي بكر انطباع في ذلك الوقت، عندما

قام ديفيز Davies بصفته رئيساً لمجلس إدارة المجموعة، بشرح السياسة الجديدة للشركة الزراعية المتحدة لأبى بكر تافاوا باليوا بصفته رئيساً للوزراء، شرح الرجل لأبى بكر مستفيضاً السياسة التى ستنفذها الشركة على امتداد العامين القادمين، هذه السياسة لم تكن سوى سحب الشركة تماماً من مجال الإنتاج ـ الشراء، وتورط الشركة فى سائر أنحاء البلاد، عن طريق المستودعات والمطاعم المؤقتة والمتنقلة، وأن يقتصر نشاط الشرطة على التجزئة ونصف الجملة.

كانت الشركة الزراعية المتحدة قد قررت نتيجة لأسباب اقتصادية وسياسية أن هذه الأنشطة يتعين على النيجيريين القيام بها بأنفسهم، كما قررت الشركة أيضاً أنها فى ضوء إعادة التنظيم هذه يمكنها إعادة استثمار رأسمالها وإعادة توزيع قوتها البشرية فى اتجاه التصنيع. رحب رئيس الوزراء الفيدرالى (ومعه رؤساء وزراء الأقاليم) بذلك المفهوم، لكنهم تساءلوا عمن سيحل محل المدراء، وماذا يمكن أن يحدث الستين ومعهم أربعة آلاف مُستخدم زائدين عن الحاجة. جاء رد جاك ديفيز كبير مسئولى الشركة الزراعية المتحدة، يفيد أن الشركة سوف تشجع "مشترى حصص الإدارة": هذا يعنى أن الشركة سوف تُرى المشترين الأقوياء الطريقة التى تمكنهم من العمل كوكلاء إنتاج ـ شراء على حسابهم الخاص، وأن الشركة سوف تشجع تجار الجملة العاملين فى مجال البضائع العامة عن طريق تقديمهم إلى المُصنِّعين والموزعين ورجال البنوك الأمر الذى يمكنهم من الحصول على مصادر لرأس المال والبضاعة. وأوضح جاك ديفيز أيضاً أن الشركة الزراعية المتحدة سوف تراقب الأمر، وإذا ما انهار التسويق أو التوزيع فى بعض المناطق، فإن الشركة سوف تحرك العاملين فيها وتحرك أموالها بصفة مؤقتة إلى تلك المناطق إلى أن يتم العثور على رجال أكفاء آخرين يمكن أن تسند إليهم المسئولية. مع ذلك كانت أعين الساسة لا تزال عليها غشاوات التخوف من جراء قيام النيجيريين بخلق صناعات جديدة وإدارتها، بالمقارنة مع تولى النيجيريين فى الوقت الراهن رئاسة مجالس إدارة الشركات التجارية الحالية، وكما هو

الحال فى بريطانيا كان المهندسون ومطورو الأبحاث لا يزالون يصنَّفون على أنهم حرفيون من مستوى عال، وكان موظف الوزارة الذى يجرى إجلاسه خلف مدير من وراء الشركة الزراعية المتحدة، يغمغم حول مسألة جلوسه خلف بقَّالة.

يمكن تعليم وكلاء الشراء الحصول على رأس المال عن طريق القروض البنكية، لكن لم يكن جميع من يتطلعون إلى الحصول على رأس المال يصدقون أن هذا التسهيل مفتوح أمام الجميع، عدم التصديق هذا كان ساريًا أيضًا بين تلك القلة القليلة من النيجيريين الذين لديهم الرغبة فى المخاطرة بافتتاح ورشة أو مصنع. وهناك اقتباس عن وزير فيدرالى كبير يقول فيه "الكثيرون منا يجدون أن مسألة انتخاب الواحد منَّا تُكَلِّفة الكثير. بعض آخر يرى أن هذا الأمر لا يهمه أو يعنيه كثيرًا، وهناك بعض ثالث يأخذون مقاعدهم أو مناصبهم إما عن طريق الدين، أو عن طريق الإحساس بأنهم جرى نشلهم، ومن هنا يرون أن من حقهم استرداد ذلك الذى سُرق منهم، لكنهم ما أن يشرعوا فى ذلك حتى يعجزوا عن التوقف". هذا الكلام العقلانى الصريح يقول الكثير جدًا عن صندوق باندورا(*) الذى كان البريطانيون يمسكون فيه بمفتاح الإصلاحات السياسية اعتبارًا من العام ١٩٥١، والذى سيلام عليه رئيس الوزراء فى يوم من الأيام لعجزه وحده عن قفل غطاء ذلك الصندوق. كانت رءوس الأموال قد بدأت تتكدس فى ذلك الوقت، وكان السياسيون هم الذين يكدسون القسم الأكبر من هذه الأموال.

كانت مسألة القوة البشرية أمرًا مختلفًا تمامًا. وحتى فى الشمال، الذى كان متخلفًا كثيرًا عن الجنوب، لكن كما هو الحال فى كل البلدان الأخرى التى حصل فيها عدد كبير من الرجال على التعليم الأولى، جرى سد هذه الزوبعة عن طريق المتسربين

(*) باندورا: امرأة أرسلها زيوس، كبير آلهة الإغريق القدامى، عقابًا للجنس البشرى، بعد سرقة بروميثيوس للنار، وأعطاها علبة pandora's box ما إن فتحتها بدافع الفضول حتى انطلقت منها جميع الشرور والرزايا فعمت البشر ولم يبق فيها غير الأمل. (المترجم)

من المدارس الذين لا يرغبون العودة إلى المزارع والذين كانوا يتوافدون على البلدان بحثًا عن الأعمال التى لم تكن متيسرة لأشباه المتعلمين، فى الوقت الذى لم يجد فيه أصحاب الأعمال العدد الكافى من المديرين أو المهنيين أصحاب الخبرة اللهم عن طريق الاستقدام من الخارج. حثت وزارة التربية والتعليم وزيرها آجا Aja نواشوكو Nwa-chukwu ومعه الحاج أبو بكر رئيس الوزراء، وبتشجيع من الحاكم العام على التعجيل بالحصول على تقدير رسمى باحتياجات البلاد من القوة البشرية خلال العشرين عامًا القادمة. وعرضت مؤسسة كارنيجى فى مدينة نيويورك، تقديم منحة لتمويل ذلك المسح، وبناء على ذلك ترأس السير إريك Eric أشبى الأستاذ فى كلية كلار Clare بجامعة كمبردج، ومدعومًا من الدكتور كينيث Kenneth دايك Dike نائب مستشار إيبادان، لجنة الباحثين النيجيريين، والبريطانيين والأمريكيين، وكانت تلك اللجنة تحظى بتقديم النصح والإرشاد من قبل كل من شتيما كاشيم والأستاذ فرد Fred هاربنسون من جامعة برنستون. تحولت اللجنة فى البلاد، لكن أعضاءها لم ينصرفوا إلى دراسة مشكلة القوة البشرية المتدنية، التى أغفلتها اللجنة من منطلق أنها ستصلح نفسها بنفسها، إذا ما التحق الفلاحون ومزارعو المحاصيل النقدية بالمدارس واكتشفوا أنه لا بديل عندهم عن أن يصبحوا فلاحين ومزارعين يجيدون القراءة والكتابة. كان هناك حدث معاصر أيضًا تمثل فى تشكيل مؤتمر اتحاد الحرف النيجيرى المؤقت، الذى كان يستهدف الحلول محل المنافسين فى اتحاد النقابات العمالية النيجيرى من ناحية وفى مجلس النقابات العمالية من ناحية أخرى.

تمثلت الأحداث الخارجية الشهيرة التى وقعت بعد اختتام جلسة الميزانية فى عودة الأسقف مكاريوس من منفاه فى جزيرة سيشل، وإلقاء القبض على كل من الدكتور هستنجزباندا وبعض الزعماء الآخرين فى حزب مؤتمر نياسلند Nyusaland الإفريقى، حالات الوفاة التى وقعت فى معسكر السجون فى بلدة هولا Hola فى كينيا، التى تسببت الآلام الناتجة عنها (هى والاضطرابات التى وقعت فى نياسلند) فى دفع

لينوكس بويد إلى عرض تقديم استقالته إلى ماكميلان بصفته وزير الخارجية الذى أساء فى عهدة ضباط السجون الأصاغر السلطات المخولة لهم، لكن جرى رفض قبول هذه الاستقالة (وجرى عوضًا عنها قيام اللورد كلموير Kilmuir باختيار السيد/ جستس Justice دفلن Devlin، ذلك الأيرلندى ذائع الصيت باعتبار إيفاده هو بصفة خاصة للاستماع إلى الاتهامات الجنائية الموجهة للمصالح العامة، على أن يقوم الرجل بهذا التحقيق لحساب ماكميلان فى نياسلند)، حدثت فى ذلك الوقت إعادة تنظيم الدول الناطقة بالفرنسية الذى تقوم بمقتضاه كل من ساحل العاج، والنيجر، وفولتا العليا وداهومى بتشكيل ما يسمى اتحاد ساحل بنين Sahel - Benin Union، وفاز فى تلك الأثناء أيضًا فى الانتخابات الروديسية الشمالية الحزب الفيدرالى المتحد، كما نشر تقريرًا أيضًا عن قيام كوبا بغزو بنما، وعودة السيد/ جومو كينياتا من مكان احتجازه، وصدور بيان فى القاهرة عن المنظمة الأفرو - آسيوية عن التعاون الاقتصادى يفيد استبعاد اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية عن هذا التعاون، وإعادة انتخاب وليام تبمان Tubman للمرة الرابعة منذ العام ١٩٤٣ الميلادى رئيسًا لليبريا Liberia، كما صدر فى تلك الفترة أيضًا الإعلان المشترك عن كل من نيكروما وسيكوتورى عن "المبادئ الرئيسية لاتحاد الدول الإفريقية المستقلة"، وفى اليوم الثالث من شهر يونيو من العام ١٩٥٩ الميلادى، جرى منح سنغافورة إحدى مستعمرات التاج البريطانى الحكم الذاتى الداخلى.

عُقِد خلال هذه الفترة مؤتمر عن الحرية الثقافية ندوة فى إيبادان عن الحكومة الممثلة والتقدم الوطنى، فى محاولة للوصول إلى تعريف "للديمقراطية الإفريقية". قام كل من عبد الرازق المستشار القانونى لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى وألفريد ريوين الناطق بلسان حزب جماعة العمل بالدفاع عن المنظومة البريطانية متعددة الأحزاب، لكن إبراهيم إمام، الذى يعد زعيمًا غير رسمى من زعماء جماعة المعارضة الشمالية فى التحالف الذى جرى بين حزب حركة شباب برنو وحزب جماعة العمل، أعرب عن

تفضيله "لتحالف طارئ" لمدة تتراوح بين خمسة وخمسة عشرة عامًا، ويقوم على الخطوط التى رسمها أبو بكر لفترة ما بعد الاستقلال. على الجانب الآخر، تناول المؤتمر نقطة كان نيكروما قد أثارها خلال زيارته الأخيرة، ومفادها أن الحكومة القوية فى إفريقيا ربما تكون أقوى من الحكومة الممثلة. وجرى طرح كثير من الأسئلة الحرجة حول ما إذا كانت المعارضة الشرعية يمكن المساواة بينها وبين الخيانة؟ ألم يكن التشاور التقليدى فى فترة ما قبل الحكم البريطانى! والحكم غير المباشر، الذى يؤدى إلى قرار ينتظر أن يلتزم به الجميع من خلال الولاء التقليدى، لا يزال هو الأنسب والأوفق للدولة الحديثة؟ وهل جرى تعريف الديمقراطية، بما هو أكثر من مجرد أنها شكل معدل من أشكال الديمقراطية البرلمانية البريطانية؟ عقد فى إيبادان مؤتمر آخر هو الجمعية العامة "لخدمة الجامعة العالمية"، وقد أرسل أبو بكر رسالة إلى ذلك المؤتمر مفادها أن الحكم الذاتى الذى سيحصل عليه الاتحاد الفيدرالى سيكون مناسبة سعيدة للاحتفال بالوحدة المتباينة التى تضم خمسة وثلاثين مليون نسمة.

هونت الزيارة الاستشارية هى والتقرير الرسمى الذى قدمه فولى Foley نوينز، بعد إدخال الحكم الذاتى الداخلى أثناء شهر رمضان وفى عز حرارة شهر مارس على تسهيل إدخال الموظفين المحترفين ضمن الوزارات الوحدوية (وجرى ضمها فى نهاية المطاف إلى الحكومة الفيدرالية فى اليوم الأول من شهر أبريل من العام ١٩٥٩)، والمعروف أن هذه الزيارة وذلك التقرير جرت مناقشتهما مناقشة مستفيضة بواسطة المستشار السياسى الرئيسى وعجل بهما رئيس الوزراء بناء على التماس تقدم به المستشار السياسى الرئيسى. لم يكن كبار المتخصصين سريعو الغضب فى كادونا هم وحدهم الذين يتعين إحداث نوع من التصالح بينهم وبين التغييرات السيكلوجية (النفساوية) الناجمة عن التقدم السياسى، وإنما كان لابد أيضًا من إحداث ذلك التصالح مع الوزراء الأقل حساسية الذين تحتم عليهم التسليم بأن سلطتهم فى

"التوجيه العام" لا تبيح أو تسمح لهم بالتدخل العرفى فى حكم الخبراء والخط الإدارى على مستويات العمل المختلفة. جرى إرسال تقرير نوينز، شأنه فى ذلك شأن تقاريره السابقه، بواسطة وزارة المستعمرات إلى المناطق الأخرى "التى تحاول الوصول إلى حال مشابهة لهذه الحال من أحوال التطور الدستورى". جاء حصول سكرتير الشمال التجارى الخاص على سلطات تنفيذية من الناحية النظرية مصحوباً بتشكيل فى المجلس السياسى التنفيذى، للإشراف على تنفيذ عملية الأشملة Northernization.

أمضى رئيس الوزراء أسابيع عدة فى الشمال فى مطلع فصل الأمطار فى العام ١٩٥٩ . كان رئيس الوزراء يقيم فى باوتشى فى ذلك الوقت، فى الوقت الذى كان الممثل المقيم فيه قائماً بإجازة رسمية، استمرت من أول شهر مارس إلى منتصف شهر أبريل، بغية **"تصحيح الأمور"** (على حد وعده السابق) ولنيل قسط من الراحة، لكن فى عدم وجود واط كعامل حفّاز Catalyst، وجرى عقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء عن طريق رحلة بالطائرة التى أحضرت السير جيمس روبرتسون من أينوجو والحاج أبا بكر من باوتشى وأعادت رئيس الوزراء إلى عطلته فى الليلة نفسها. ويعود رئيس الوزراء بالقطار إلى ليجوس بعد انتهاء إجازته، بعد أن توقف فى كادونا للتحدث إلى رفاقه حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وبسبب توعك صحته بفعل متاعب الجيب المزمن الذى كان يعانى الرجل منه، قام المستشار السياسى الرئيسى بإيداعه إحدى الاستراحات، واستقل سيارته لإحضار الطبيب ماجيكودونمى وهو يقول له: "لقد سجنت صديقك، يا دكتور!". وبعد عودة رئيس الوزراء بفترة قصيرة حدث اضطراب مذهبى جديد، اقترضه أنصاره من فرع من أفرع الممارسة الدولية للحرية الأكاديمية، وذلك عندما جرت إعادة طلاب فرع زاريا من الكلية النيجيرية للفنون والعلوم والتكانولوجيا إلى مواطنهم إلى أن يعتذروا عن، أو يثبتوا أنهم لم يكن لهم دور فى المظاهرات العجيبة والغريبة ضد رحيل محاضر من المحاضرين.

اقترحت لجنة الانتخابات الفيدرالية إدخال بعض التحسينات الفنية على القواعد المنظمة للانتخابات المستقبلية، وجرى تقديم هذه التحسينات إلى مجلس الوزراء لاعتمادها. وحدث بعد ذلك استراحة من السياسة لتسهيل عملية الاحتفالات الرسمية بالحكم الذاتى الشمالى، التى أصر رئيس الوزراء خلالها على عقد حفلة رسمية يقدم فيها الولاء ليلقى بظلاله على احتفال الولاء والطاعة الذى خطط له كل من شارود - سميث وجريتباتش Greatbatch بمناسبة الزيارة التى ستقوم بها صاحبة الجلالة إلى نيجيريا فى العام ١٩٥٦ الميلادى. وقد نجح أبو بكر فى هذا الاتجاه وفى بعض المهام الأخرى، يزاد على ذلك أن "المسئولية" أمام عوام غير متعلمين، طبقًا لدلالة هذه الكلمة فى المعجم السياسى الغربى، لم تكن تشغل بال سوى قلة قليلة من البشر. كان دوق جلوسستر هو ودوقه جلوسستر يمثلان صاحبة الجلالة، وفى هذه المرة لم يستشعر وزراء الشمال أنهم جرى تنزيلهم إلى المرتبة الثانية أو الصف الثانى عندما كانت تحيط بهم الشخصيات الملكية، والحاكم العام، والحاكم، ووزير الخارجية، ورئيس الوزراء ورؤساء الوزراء الإقليميون الأربعة، وضابط القيادة العامة. وقام أمير كانو باستعراض فردى مفاجئ بأن ركب جملاً بدلاً من الحصان المتفق عليه من قبل الرؤساء جميعهم. كان من رأى رئيس الوزراء أن مهرجان الأطفال، الذى كان يصور "قصة المدارس" كان أبهى فقرة من بين كل فقرات الاحتفال، وقد اشتملت المسرحية على انتكاسة حدثت لرئيس الوزراء عندما كان فى كلية كاتسنا قبل ذلك بسنوات كثيرة. يضاف إلى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى، الذى قال مؤخرًا لأهل تنجال Tangale واجا Waja فى تولا Tula، والذين يتكلمون شيئًا قليلاً من لغة الهوسا "لقد أرسلت واحدًا من أبنائى إلى ليجوس" Na aikad da wani yarona zuwaikko انتهز فرصة عامة أخرى لينكر أنه سيذهب إلى المجلس الفيدرالى، نظرًا لأن لديه "مساعدين أكفاء بوسعهم الإمساك بزمام السلطة على المستوى المركزى". مؤلف سيرة أمين كانو يسجل أن موضوع زيارة الرجل إلى المجلس كان يتمثل فى التعبير عن احترامه وتهانيه الرسمية للمستشار السياسى الرئيسى بمناسبة الحكم الذاتى. وقد جرى إجلاس الجميع بدءًا بالوزراء إلى

من هم أقل منهم على الأرض، لكن "المعلم" جلس على الكرسى. ويصل المستشار السياسى الرئيسى، ويراه ويجلس إلى جواره على حشية، ويتبادلان التهكم على سبيل المداعبة. ويصل الحاج أبو بكر بعد ذلك، ويخلع نعليه مثلما يفعل فى منزله ويجلس بدوره على الأرض. ومن باب تحاشى المقارنات، لاذ أمين كانو بالفرار. وجرى إبلاغ هذه الواقعة إلى رئيس وزراء الجنوب، الذى لم تَرُق له السلوكيات الشمالية وظن أن رئيس الوزراء قد حقَّر أو أذل نفسه. ووجد أبو بكر متعة أكبر فى اصطحاب الطبيب ماجيكودونمى Majekodunmi معه إلى موطنه فى باوتشى كيما يلتقى أمه المسنَّة. واستخدما كراسى المخيم فى الجلوس هناك.

تناول الدوق والدوقة طعام الغداء مع رئيس الوزراء فى ليجوس، وجرى تكليف بطرس ستالارد لإحضار ولدى أبى بكر لتقديم الهدايا لهما. كان بعد النظر الملكى عند الدوقة قد هداها إلى لعبتين صغيرتين عبارة عن قطارين جرى تقديمها إلى الطفلين الصغيرين. لكن مع انتهاء مهرجان الاحتفال الشمالى استطاع القابض الرئيسى على زمام الأمور التركيز على الانتخاب الفيدرالى العام، الذى لم يكن المستشار السياسى الرئيسى مباليًا به فى ذلك الوقت إلى حد أنه كان بمثابة رئيس مجلسه التنفيذى، وأنه كان يستشير السير جاوين بل من باب اللياقة الدستورية فقط إذا ما رغب فى ذلك (على الرغم من أن الحاكم كان لا يزال لديه حق الاطلاع على أوراق مجلس الوزراء، إن هو أراد ذلك، كما كان يتمتع أيضًا بحق الإنذار وإسداء النصح، يزاد على ذلك أن الاجتماعات كانت دورية أيضًا). وسعت أجهزة الحزب للتأكيد على أن كل مؤيديها كانوا مسجلين، وأن الالتماسات المقدمة بخصوص الحذف والأخطاء فى الأسماء كانت فى أوج نشاطها، وبخاصة فى مناطق الحضر، لم تكن الشكوك فى مسألة الدقة فى مسألة السكان قد انتشرت على نطاق واسع، وكانت هناك قلة قليلة من الناس يشككون فى النتائج التى تقول إن نسبة ٨٠ فى المئة من الذين بلغوا سن الاقتراع فى الشمال جرى تسجيلهم فى الكشوف الانتخابية، وأن ٧٥٪ فى ليجوس وما يزيد على ٦٠٪ فى الشرق.

كان رئيس الوزراء فونشا Foncha قد رفض السماح بالتسجيلات الجديدة لأهداف فيدرالية فى جنوبى الكاميرون، الذى كان لا يزال يتمتع بثمانية مقاعد. وجرى تسجيل ثمانية ملايين صوت فى ٣١٢ دائرة انتخابية نيجيرية.

استمرت الأعمال الروتينية على الرغم من ذلك كله. كان ستالارد ينضم كل صباح ويلحق برئيس الوزراء عندما يصل إلى مكتبه فى الصباح، وكان ستالارد يصغى ويستمع إلى آراء سيده فى كل ملف من الملفات الموضوعة على مكتبه. ومن باب حساسية ستالارد لانتقاد واشوكو له والانتقادات الأخرى التى كانت موجهة لمنصبه، وبخاصة أولئك الذين تخيلوا أن تعليق رئيس الوزراء المعتاد الذى يقول فيه **"تكلمنا"**، كان يعنى أن ستالارد قال له ماذا يفعل، تحلى السكرتير أيضًا بفضيلة الانتظار إلى أن يطلب منه الرد على الاستفسارات وقصر السكرتير أيضًا مبادآته على اقتراح الطرق التى تؤدى إلى تحقيق ذلك الذى قاله وأراده رئيس الوزراء. الملاحظة "تكلمنا" تعنى أن ستالارد، الذى لم يكن بحاجة إلى ورق مسودات للخطب، كان يفهم الغرض من الرسالة والنغمة المطلوبة للخطبة التى كان مفروضًا عليه تدوينها، أو بالإجراء التوجيهى، وكان يندر أن يعود الرجل بشىء يندر أن يجرى تصحيحه قبل التوقيع. هذا يعنى أن كلاً منهما كان ضليعًا فى معرفة لغة الآخر، لكن كلا منهما كان يعرف متى يكون دقيقًا ومتى يمتنع أو يتحاشى الوضع فى عنصر الرعاية، كان ستالارد فى بعض الأحيان يعرف المعنى المقصود حتى عندما يخلط أبو بكر بين الإنجليزية ولغة الهوسا، وهنا كان ستالارد يرد على رئيس الوزراء باللغة الإنجليزية. وحتى عندما كان أبو بكر يقول: "يبدو أن هناك ثلاثة إجراءات" كان ستالارد يجيبه قائلاً: "حسن هناك إجراء رابع"، وهو أن القرار النهائى يكون دومًا لرئيس الوزراء. حدثت مناسبة غريبة، عندما ستالارد على وشك أن يقترح عليه أن الجيش لا يعد ضرورة ملحة (أولا وقبل كل ... ذا الذى سيهاجم نيجيريا؟)، وبدلاً من تبديد الأموال تستطيع نيجيريا أن

"تصبح مثلاً طيبًا ورائعًا للدول الناهضة فى مسألة الاستغناء عن الجيش". ولم يجر تكملة هذه المزحة أو النكتة، لكنها أتاحت الفرصة بعد ذلك لفكرة ساخرة.

كان أسلوب عمل رئيس الوزراء فى مجلس الوزراء يختلف عما سبق اختلافًا طفيفًا، كان من عادة الرجل عندما يجلس فى منتصف مكتبه وجهًا لوجه مع السير جيمس روبرتسون بوصفه رئيسًا للمجلس، الإصغاء إلى النقاط المطروحة كلها والاعتراضات المقدمة، بما فى ذلك التوجهات التكتيكية التى يقترحها سيادته إذا ما تداعى النقاش، وعندها يسقط القناع، ليقوم الرجل بعد ذلك بالتعبير عن موقفه الخاص ثم يدخل ذلك الموقف فى موجز مختصر يضم الآراء المختلفة. وهنا كان الحاكم العام يسأل ما إذا كان الوزراء قد وافقوا، ملمحًا إلى حل أبى بكر معتبرًا ذلك إجماعًا طيبًا، وبهذه الطريقة يكون رأى رئيس الوزراء هو السائد. لم يخش أبو بكر مطلقًا من القيام بواجبه المنزلى. وعلى الرغم من وجود عدد كبير جدًا من المحادثات غير الرسمية فى مطلع الأمسيات مع روبرتسون ولا يحجب فيها أى أمر من الأمور، بدءًا بالمشكلات مع المستشار السياسى الرئيسى هو ومشاجرات حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بين وزراء الجنوب (تلك موضوعات لم تجر إثارتها قط مع ستالارد الذى كان يمكن أن يعدها غير مناسبة للنقاش)، فإن الرجل لم يحدث قط أن وصل إلى صدام مع الرئيس حول أى بند من بنود جدول أعمال مجلس الوزراء: كان الرجل يحافظ دومًا على عدم وجود ثغرات فى الفهم.

أصدق مثال على ذلك أنه فى منتصف العام ١٩٥٩ الميلادى أخفق الرئيس Chief فستوس، وزير المالية فى الوصول إلى الوسيلة التى تعين أعضاء مجلس الوزراء على تفهم مذكرته الخاصة بفرض ضريبة على البيرة، كانت المنظومة الحالية عبارة عن ضريبة نوعية محددة، وأن البديل لتلك المنظومة قد يكون على أساس من القيمة المذكورة فى الفاتورة، أو قد تكون ضريبة من الضرائب النوعية التى تحدد على أساس من نقيع

المُلت(*). كان الرئيس فستوس هو والسواد الأعظم من الآخرين يشربون البيرة، لكن خيارات رجال الضرائب كانت محيرة تمامًا. قام الحاج أبو بكر، الذى لا يشرب البيرة، بتجنب الكبار من الرجال فى الوزارة بعد الاجتماع، وأرسل فى طلب كبير السكرتيرين المساعدين جيمس James جريج Greig، الذى أدرج مذكرة وزير المالية ضمن جدول الأعمال وأصر على أن يقدم له تفسيرًا يفهمه المواطن العادى، وهنا أوضح جريج أن من الإنصاف والعدل ربط الضريبة على محتويات الكحول، وأوضح جريح أن استخلاص المولت المتخمر من الشراب المتخمر، والذى يطلق عليه اسم Wort هو الأساس فى المسكر نفسه. وبعد أن تمثل أبو بكر تلك الحجج والتعاريف تمثلاً تامًا، شأنه شأن تمثل التلميذ لدرس الكيمياء، قال ووجهه متهلل والتماعة فى عينيه أن ذلك كان بحق فوق مستوى وزير المالية، لكن رئيس الوزراء يتعين عليه تصحيح ذلك.

ومع ذلك كانت هناك بعض المناسبات التى أمسك فيها رئيس الوزراء بالطرف الخاطئ من العصا، وكان السير جيمس (الذى كان بوسعه إخفاء استيائه بشىء من العبقرية، لكنه من حين لآخر كان يطرق الطاولة بإبهامه طلبًا للنظام، إذا ما ظن أن الأمر يبلغ من الأهمية مبلغًا يحتم الالتزام بقليل من التحكم فى العواصف والانفعالات) يجد أن رئيس الوزراء يكون عنيدًا بصورة محزنة قبل أن يعترف فى نهاية المطاف بأنه أخطأ النقطة المهمة. شارك أبو بكر عن غير قصد هارولد ماكميلان عبارة من عبارة لغة الجسد وكان خدم رئيس الوزراء يعرفون هذه العبارة التى تمثلت: فى أن الخبط بالرجل اليمنى يعد إشارة إلى تغيير نقاش غير مطلوب. كانت هناك مشكلة ظلت بلا حل وتتمثل فى التصرف مع السكرتيرين البرلمانيين. وفى بريطانيا نفسها الأكثر انشغالاً بالشئون البرلمانية، لم يجر إسناد مسئوليات وزارية تنفيذية إلى هؤلاء السكرتيرين فى إداراتهم

(*) نقيع المُلت: هو النقيع الذى يتحول بعد تخمره إلى جعة أو بيرة. (المترجم)

فى الخمسينيات، اللهم باستثناء دراسة الأدوار البارزة فى المناقشات استعداداً للقيام بها فى حال غياب صاحبها. طلب الحاج أبو بكر تافاوا باليوا من ستالارد أن يجد عملاً مناسبًا للمعلم الشيخ شاجارى، وجرى تقديم بعض الملفات الخاصة بالمواطنة إلى الشيخ شاجارى للعمل عليها. وأحس الشيخ شاجارى أنه يعامل كما لو كان سكرتيراً مساعداً زائداً عن المطلوب (أى موظف إدارى غير مرقى) ولم تنجح هذه التجربة. ولم يكن الأمر مطلقًا مثلما يحدث مع "الوزير المؤقت" عندما يحل محل الوزير حامل الحقيبة عندما يكون مريضًا أو فى إجازة أو مسافراً خارج البلاد.

فى ذلك الوقت كانت اجتماعات مجلس الوزراء تعقد فى المبنى الملحق على مقر الحكومة، لكن كان هناك مكتب أو مبنى جديد لمجلس الوزراء كان تحت الإنشاء ويضم المكتب الجديد لرئيس الوزراء (وضع بطرس ستالارد مكتبه فى المبنى الجديد بحيث يكون مواجهًا للنافذة، ويطل على مضمار السباق. حدث فى يوم من الأيام أن خرج أبو بكر من خلال باب وصل الغرفتين المفتوح، ثم يعود إلى غرفته حائراً لا يعرف أين يجلس فى السيارة وراح يتكلم محتجًا على سكرتيره: "**من الخطر الجلوس والظهر متجه للباب!**"). وبعد أن نقلت الاجتماعات إلى المبنى الجديد، كان روبرتسون ينتحل عذراً بين الحين والآخر، ثم أصبح عذراً منتظمًا فى نهاية المطاف، مفاده عدم الحضور، بدون الإشارة رسميًا يجعل نائب الحاكم العام، حاكمًا عامًا منابًا (كان هذان المصطلحان قاصرين عليهما)، وبذلك يعود الجميع أنفسهم على المضى قدمًا مع أبى بكر وهو فى كرسى الرئاسة فى عدم وجود "جون ويلى Willie" المريح. كان فولى نوينز فى ذلك الوقت هو الرجل الأبيض الوحيد فى الغرفة، وكان يلتزم الصمت إلى أن يتكلم أحد معه، على الرغم من قيام أبى بكر بمناقشة هذا الجدول قبل توزيعه على الوزراء. بعد ذلك بفترة قصيرة غادر السير رالف جرى Grey نيجيريا بسبب تعيينه حاكمًا على جيانا البريطانية، وعليه جرى عدم العمل بمسألة الإنابة النظرية فى

الرئاسة، وذلك على الرغم من تولى إيه جى إتش جاردنر - براون منصب الحاكم العام. فى ذلك الوقت تشكلت حكومة ثقة وشارك كل أعضائها فى تولى هذا المنصب. وأدرك الحاج أبو بكر فى نهاية المطاف أن العمل مع الجنوبيين الصخّابين وسيئى الخلق فى بعض الأحيان كان مفضلاً فى معظم الأحيان على التعامل مع الفولانيين المتطرفين.

الفصل الثامن والعشرون

آخر الانتخابات فى ظل الحكم الاستعمارى : فائز مقهور

هذا ليس بالأمر السيئ : هذا ليس من قبيل المدح بالذات(*)

بينما كانت نيجيريا هى وساستها يركزون طوال النصف الثانى من العام ١٩٥٩ الميلادى، على الانتخابات التى يمكن أن تحدد ذلك الذى يستطيع تولى زعامة الاتحاد الفيدرالى وصولاً إلى الاستقلال، كان العالم الخارجى يموج بأمور لم تتبدَّ أهميتها، أو بالأحرى أهميتها البالغة لهؤلاء الساسة إلا فى السنوات اللاحقة لذلك العام. وجاء تسلسل تلك الأمور الخارجية على النحو التالى: فقد قامت الأقمار الصناعية الروسية بالدوران حول الجزء الخلفى من القمر وصورت ذلك الجزء، وقامت جمهورية الصين الشعبية بفتح التليفزيون الأبيض والأسود أمام حوالى ١٠٠٠٠ جهاز تليفزيونى كيما تساعد الرئيس ماو Mao "فى صراعه مع رياح الزيف"، فى حين قرر اتحاد جنوب إفريقيا ولأسباب فلسفية عدم إدخال التليفزيون مطلقًا، أما جمهورية كوبا فقد قررت الانتقال مباشرة من الإذاعة إلى التليفزيون طلبًا "لتثقيف الجماهير"، وأعلنت غانا مقاطعتها لبضائع جنوب إفريقيا، واقترح كل من الدكتور نيكروما والرئيس الليبيرى تبمان Tubman قيام منظمة الدول الإفريقية المستقلة من جديد، وأصدرت لجنة ديلفن

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وترجمته الحرفية "هذا ليس بالأمر السيئ". أما ترجمته الدلالية "هذا ليس من قبيل المدح بالذات". (المترجم)

تقريرها فى شهر يوليو، والذى يبرر فرض حالة الطوارئ فى نياسلند Nyasaland، لكن التقرير شكك فى مسألة التهديدات المزعومة للمستوطنين البيض، وحذت كلاً من ترينداد Trinidad وتوباجو حذو جاميكا فى أن يكون لهما حكومة وزارية، وقامت الصين بغزو الجزء الشمالى الشرقى من الهند، وأصبحت هاواى الولاية رقم ٥٠ من الولايات الأمريكية، وألقى ديجول خطابه الإذاعى الشهير عن مستقبل الجزائر، وقدّمت الدعوة إلى الرئيس نيكروما للجلوس إلى الملكة فى بالمورال، وقبل الرجل هذه الدعوى فى شيء من الخوف والذعر نظراً لأن ذلك المكان كان بعيداً جداً عليه (وجرى تعيينه مستشاراً خاصًا، وحصل نيكروما على امتياز أنه كان أول من أبلغ "بالأسباب الداخلية" – المتمثلة فى احتمال فوز الأمير أندرو بالعرش - لتأجيل الزيارة التى كانت صاحبة الجلالة ستقوم بها إلى غانا)، صوتت الأمم المتحدة ضد انضمام الصين الشيوعية إليها، حصل السيد/ ماكميلان على أغلبية كبيرة فى الانتخابات البريطانية العامة التى جرت فى شهر أكتوبر. ورفض إم سلفانوس Sylvanus أوليمبيو، رئيس توجو، اقتراح نيكروما باجراء استفتاء حول مسألة التكامل بين بلديهما باعتبار أن مثل هذا الاستفتاء يعد مؤشراً على "رغبة خفية فى التوسع"، وافقت الجمهورية العربية المتحدة (مصر) هى والسودان على الاستقلال المستقبلى لمياه لنيل، توفى جورج بادمور فى غانا، وتولى ما يسمى مكتب أكرا للشئون الإفريقية كل الأعمال التى كانت منوطة بذلك الرجل، حصد حزب الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة كل مقاعد مجلس النواب التونسى، أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة سياسة التفرقة العنصرية والتمييز العنصرى، حيثما كانا، وأعلنت نهاية سنوات الطوارئ العشر فى كينيا، وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً باستقلال توجو فى شهر أبريل من العام ١٩٦٠ بعد أن كانت تحت الوصاية. استأنفت بريطانيا هى والجمهورية العربية المتحدة العلاقات الدبلوماسية بينهما، قررت الأمم المتحدة عدم التدخل فى الأزمة الجزائرية المتفاقمة، واعترف الوزراء البريطانيون أنه فى حال التشكك فى أى من مزايا دخول المملكة المتحدة السوق الأوروبية المشتركة،

فإن هؤلاء الوزراء لن يأخذوا بعين الاعتبار دخول مثل هذا العيب أو النقيصة إلى المناطق التى يستعمرونها وبخاصة فيما يتعلق بأولوية دخول كل من الكاكاو والبن.

مهم أيضًا أن نعرف، أن السيد/ خروشوف Khrushchev زار بكين بمناسبة الذكرى السنوية العاشرة لقيام جمهورية الصين الشعبية، واستهل الرجل بسبب تعليقاته فترة من العزلة والاغتراب بين الشيوعية الروسية والشيوعية المادية، دامت جيلاً من الزمان. فى الكنغو البلجيكى نجد أن الحركة الوطنية الكنغولية التى كان يتزعمها لومومبا برزت على أنها أقوى الجماعات التى كانت تحبذ قيام دولة وحدوية، فى الوقت الذى كان كازافوبو Kasavubu فيه مشغولاً من خلال تحالفه Alliance مع "انفصاليين" أو فيدراليين آخرين من بينهم حزب التضامن الإفريقى الذى يتزعمه أنطوان جيزنجا، وحزب ألبير Albert كالونجى Kalonji المنشق على حزب حركة التحرير الوطنى الكنغولية السابق فى كاساى، والذى أصبح يعرف باسم حزب حركة التحرير الوطنى الكنغولى فى كالونجى Kalonji، الذى انضم بدوره إلى مجموعة من اللجنة المركزية السابقة فى حزب الحركة الوطنية الكنغولية، وكانت تلك المجموعة بقيادة جوزيف إليو Ileo. وفى شهر أكتوبر دعا حزب الحركة الوطنية الكنغولية إلى عقد مؤتمر للهيئات الأخرى، التى وافقت جميعها على مقاطعة الانتخابات قبل الاستقلال. حدث المزيد من المظاهرات، وفى اليوم الأول من شهر نوفمبر ألقى القبض على لومومبا وأُودع السجن. وأصبح كازافوبو عضوًا ماليًا فى مجلس الحاكم العام التنفيذى.

تمثل الشأن الخارجى الذى أربك بحق الساسة النيجيريين وقراء الصحف فى التهديد من جديد بتفجير القنابل الذرية الفرنسية فى الصحراء الكبرى، أصر الحاج أبو بكر تافاوا باليوا أن النيجيريين لهم الحق كل الحق فى الاحتجاج على هذه التفجيرات، وتطلع إلى قيام الحكومة البريطانية بتجديد احتجاجات النيجيريين على هذا الأمر، بدأ الرجل يستشعر القلق إزاء المشورة العلمية المتوفرة له فى هذا الصدد، على أن تكون فى إطار لغة مبسطة يفهمها الرجل العادى، وأن مثل هذه المشورة قد لا

تكون هى الأخرى كافية أو مناسبة. كان بوسع السير جيمس أن يطلع أبا بكر سراً على المواجيز الديبلوماسية الاستخباراتية، وعلى المذكرات المختصرة الواردة من وزارة المستعمرات، لكن السير جيمس لم يكن عالمًا فى هذا الموضوع بصفة خاصة (**أصر بطرس ستالارد Stallrd أن الموقف الصعب الذى هو عليه بالفعل سوف يصيبه الأذى والضرر إذا ما اطلع هو على أية ورقة من الأوراق التى تحمل درجة من درجات السرية المقصورة على مواطنى المملكة المتحدة، ورفض تداول أية ورقة من الأوراق ذوات الخلفية عالية المستوى، التى ليس من حق رئيس وزراء الدولة المُستَعمرة الاطلاع عليها بناء على تعليمات من الحكومة البريطانية**).

طالب أبو بكر بتعلم المزيد عن هذا الأمر، وبينما كانت الوعود تعطى بعمل المزيد من الترتيبات اللازمة لتلك الاستزادة العلمية، جاءه خبر سار من باوتشى. فقد جرى منح كل من أمير باوتشى هو وتيرنر Turner ضابط الحى وسام الشجاعة الملكى، نظراً لتدخلهما فى الإضرابات والمظاهرات التى حدثت فى تافاوا باليوا. وجرت تقوية الإدارة المحلية بتعيين رئيس الكتبة الجديد مستشاراً للتعليم، وتغيير مشرف الأشغال وتعيين أمين خزانة وطنى ملم بكل المؤهلات الإدارية. كما انضم إلى المجلس أيضًا ثلاثة من رؤساء الأحياء ذوى السمعة الطيبة والعلاقات الطيبة مع أهالى أحيائهم، وسوف يجرى قريبًا انتخاب ستة من عامة الشعب لضمهم إلى المجلس. وفى ليجوس أصدر مكتب النجرنة Nigerianization إشارة تفيد استعداد المقيمين لقبول مزايا التقاعد عن طريق إيجاد عدد ٥٢ درجة زائدة عن المطلوب للموظفين المحليين فى الخدمة الفيدرالية والذين سيكونون بمثابة أعضاء "ظل" كبار ضمن موظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية. ويُسمح للموظفين المدنيين ولأول مرة بالاستثمار فى المشاريع الحكومية المشتركة أو الشركات العاملة فى نيجيريا، لكنهم كانوا لا يزالون بحاجة إلى السماح لهم بالحصول على مكاسب من المشاريع المحلية التى لا تكون الحكومة مساهمة فيها.

لكن ذلك كله لم يُبْعد رئيس الوزراء عن انشغاله بصفة رسمية بمسألة تفجير القنابل الذرية الفرنسية. وكان رئيس الوزراء قد أبلغ الجلسة الأخيرة من جلسات مجلس المندوبين (الممثلين) الذى جرى انتخابه فى العام ١٩٥٤ أن **"وزير شئون المستعمرات** (اللورد برث، الذى شاهد سلطان سكتو وهو يضع حجر الأساس لقاعة المجلس). **كان هنا منذ أيام قلائل وانتهزت الفرصة وتحدثت معه عن مخاوف نيجيريا، بأوضح الصور التى يمكن أن يتفهمها، وأمل أن يقوم بنقل هذه المخاوف إلى زملائه فى المملكة المتحدة".**

ونحن عندما نعود بالذاكرة إلى خمس سنوات، كانت منها اثنتان فى ظل قيادة أبى بكر، نجد أن الرجل لديه الكثير فى تلك الفترة التى يستحق الافتخار به والثناء عليه. وعندما وُجه الرجل بمسألة انعدام التوازنات فى القوات المسلحة اعترف أن "أنا لا أحب أن يكون قسمًا واحدًا من الاتحاد الفيدرالى هو المهيمن على الأقسام الأخرى إن كان ذلك أمرًا ممكنًا ..... وأنا لازلت أقول: **"إذا كان الناس الذين يقدمون أنفسهم للجيش من قسم واحد، وكانت لديهم المؤهلات المطلوبة لذلك فما الذى يمكن أن تفعله الحكومة غير قبول هؤلاء الناس؟" لكن مع الحصول على الاستقلال الذى يفصلنا عنه أربعة عشر شهرًا "سنكون قد أثبتنا لأنفسنا أننا نضجنا وكبرنا. فى البلدان الأخرى، نجد أن شكل الحكومة قد تغير بالفعل، لكنى أسألكم عن المكان الذى تغير فيه شكل الحكومة بموافقة من كل المعنيين بهذا الأمر؟ فى السواد الأعظم من الحالات تجدون أن الأقلية هى التى فرضت إرادتها على بلادها، وأن الثورة الدموية تركت آثارها من العداوة والبغضاء. هذا الذى فعلناه، فعلناه عن رضى وطيب خاطر. وأنا هنا يسعدنى أن أنسب الفضل إلى السيد/ لينوكس بويد على العون والمساعدة اللتين قدمهما لنا".**

استطرد أبو بكر بصفته رئيسًا للوزراء، فى تبيان كيف أن نيجيريا مثل سائر البلاد المحترمة، قد تفاوضت فى بداية الأمر على قرض مقداره عشرة ملايين جنيه

إنجليزى من البنك الدولى، وها هى تتفاوض حالياً مع بريطانيا على قرض مقداره ١٥ مليون جنيه إنجليزى، وأشار متفاخراً إلى مجلس الاقتصاد الوطنى، وإلى المجلس الاستشارى للقروض، وإلى البنك المركزى وإلى العملة الجديدة التى جرى تداولها، من منطلق أن تلك مؤسسات فى دولة جديدة. وهذا هو مركز التعاون الفنى جنوب الصحراء الكبرى ينقل مركز رئاسته من لندن إلى ليجوس، وهو مكتب العمل الدولى ينشئ مقره الميدانى الإفريقى، وها هى منظمة الصحة العالمية تنشئ مكتباً لها فى المنطقة الغربية، وهذه هى منظمة اليونسيف قد عينت ممثلها فى ليجوس قبل عامين. لم يكن أبو بكر مجبراً على التأكيد على أن نيجيريا لم تخسر شيئاً على الصعيد الدولى عندما هزمت غانا فى الحصول على هذا المنصب. وها هى البحرية النيجيرية الملكية قد حصلت على أول سفينة بحرية حقيقية، الفرقاطة التابعة لسلاح صاحبة الجلالة البحرى فى نيجيريا. والذى لا شك فيه أن رئيس الوزراء لم يغفل الحديث عن مؤسسة غرب إفريقيا للخطوط الجوية والضعف الذى اعتراها كما تطرق أيضاً إلى مؤسسة الفحم، وإلى الجدل الدائر حول الخط الملاحى النيجيرى، لكن مؤسسة الكهرباء، التى كان يرأسها الأستاذ الدكتور إنى Eni نجوكو Njoku، كانت من بين المرافق الكفؤة. **"النقاد يقولون عن البلاد التى من قبيل بلدنا إن قلة قليلة من الناس هم الذين يودون الاستقلال، وأن الأغلبية الساحقة من الناس يجهلون الخطر المحدق بهم. ومن الأهمية بمكان أن يعى أولئك الذين لديهم وعى سياسى الأحمال الثقيلة التى نجرها على أنفسنا".**

بينما كانت ليجوس والإقليم الغربى نشوانين بالوعود التى قطعها إيناهورو بأنهما أيضاً سينعمان بالتليفزيون، وبينما تردد مجلس الوزراء فى مسألة المشورة المقدمة من اللجنة الانتخابية بخصوص جر رموز الحزب السياسى التى سيجرى استعمالها على صناديق الاقتراع من ناحية، وعلى نوعية الصناديق التى سيجرى استعمالها فى سائر أنحاء الاتحاد الفيدرالى، قام الحاج أبو بكر بزيارة خاطفة إلى باوتشى لإقناع أعضاء

حزب المؤتمر الوطنى المحليين المتنافسين، بالاتفاق على مرشح واحد للحزب عن كل دائرة من الدوائر الانتخابية. وصل بريق جوائز الفوز فى الانتخابات إلى الحد الذى جعل كل ثلاثة من الأعضاء شبه المستقلين يترشحون لكل مقعد من المقاعد، وعلى الرغم من أن العضو الناجح سوف يعلن انضمامه إلى حزب المؤتمر الوطنى الشمالى فور نجاحه، فإن خطر تجزئة الأصوات يمكن أن ينجم عن مجىء متطفل غير مرغوب فيه، كان من الصعب إثباته لأولئك الذين أعماهم الطمع أو الجشع.

بعد شىء من النجاح المحدود الذى ترتب على هذه النصيحة، سافر أبو بكر إلى كادونا لحضور آخر اجتماع مسجل للجنة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى التنفيذية، التى أصبحت محجوبة تماماً بفعل المؤتمر الحزبى الذى عقده المستشار السياسى الرئيسى للجنة العمل المركزية، التى لم يشترك فى مهامها أحد من مجلس المندوبين الفيدرالى أو حتى رئيس الوزراء نفسه. وفى المؤتمر التافه الذى عقده أعضاء الحزب البرلمانيين، اقترح المجتمعون وأقروا البيان الانتخابى لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، الذى لم يره أى حزب من الأحزاب الأخرى قبل نشره، كانت السياسة الجديدة الوحيدة التى تبلورت، على الرغم من غموضها، تتمثل فى رفض "الحيادية" Neultralism. وقد تضمنت تلك السياسة معارضة إنشاء المزيد من الولايات النيجيرية، لكن هذه السياسة أشادت ونوهت بالمزيد من التعاون الوثيق بين الدول الإفريقية، ولم تشجع هذه السياسة قيام اتحاد لغرب إفريقيا، لأنها رأت أن مثل هذا الاتحاد يعد "سابقًا لأوانه"، وأوصت هذه السياسة أيضًا بإنشاء مشروع للتأمين الطبى وقوة جوية نيجيرية، لكن الواقع يقول إن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى حتى ذلك الوقت، لم تكن لديه سياسة فلسفية من النوع الذى تقره أحزاب الدول المتقدمة (والتى تكون مسئولة أمام دوائر المؤيدين الفعلية الذين شاركوا فى بعض القناعات المؤسسية المشتركة العامة). وبغض النظر عن نوعية الصعوبات المؤقتة التى قد تأتى من قبل الأعضاء الممثلين لبرنو، الذين لم يكونوا على استعداد للانحناء أمام "الهوسا - الفولانيين"، أو أعضاء الحزام الأوسط، الذين

كانوا مترددين فى قبول الإهانة، بغض النظر عن ذلك كانت السياسة تتمثل فى ذلك الذى يراه المستشار السياسى الرئيسى مفيداً للبنية الشمالية القائمة. من هنا يصبح ذلك الذى تقوم به الحكومة الفيدرالية عديم الجدوى اللهم إلا إذا تعارض مع مُعْتقد المستشار السياسى الرئيسى. ويبدو أن القرار الذى صدر عن المؤتمر العام لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى ذلك العام ويقضى بعدم التعامل مع إسرائيل لم يحدث مطلقًا أن أُبلغ به الحاج أبو بكر بصورة رسمية: والمؤكد هو أن الرجل كان يتعين عليه تجاهل ذلك القرار.

أدى ذلك إلى خلق بعض المتاعب لشخص رئيس الوزراء، لكنه خوله مزيداً من الحرية لم يكن مسموحًا به له من قبل فى المناورة مع مؤيديه الفيدراليين فى مجلس ليجوس، هذا يعنى أنه فى حال ما لم يكن للمستشار السياسى رأى فى أمر من الأمور (ولم تكن أراء الرجل الاقتصادية أو التنظيمية أراءً موسعة)، تصبح أصوات هؤلاء المؤيدين أمراً مضموناً ومؤكداً. وجرى فى نهاية المطاف تقديم الدعوة إلى المستشار السياسى لزيارة غانا لبضعة أيام قلائل، وينتهز الرجل هذه الفرصة، ويتكلم عن السياسة الخارجية النيجيرية، التى لم تكن شأنًا إقليميًا مهمًا. وجرى على وجه السرعة تعيين الرئيس Chief كولا Kola بالوجن أول مفوض للاتحاد الفيدرالى فى غانا، على أن تكون له سلطة الكلام نيابة عن الاتحاد.

كان هناك أيضًا كلام ضئيل الشأن صادر عن المستشار السياسى الرئيسى أثناء الرحلة الخاصة التى قام بها رئيس الوزراء إلى لندن فى أواخر شهر سبتمبر، بصحبة بعض الزملاء الفيدراليين. كان المستشار السياسى يرى أن أبا بكر انفعالى فى هذا الأمر أكثر منه فى أى موضوع آخر منذ دخوله إلى الحياة العامة فى ليجوس، وكان مصراً على إبلاغ الاستياء النيجيرى من الاختبارات الذرية الفرنسية فى الصحراء الكبرى، إلى صديقه لينوكس بويد، على الرغم من معرفته، أن وزير الخارجية، وفى ضوء الحرج الذى يمكن أن يصيبه، لن يستطيع فعل أى شىء سوى

تمرير هذه الرسالة إلى وزارة الخارجية. لم يكن هناك طائل أيضًا من وراء استياء الأفارقة الفرنسيين القريبين من الخطر، من الأحداث التى كانت تجرى فى الجزائر، أكثر من استيائهم من مسألة تجربة القنبلة الذرية، يزاد على ذلك أن هؤلاء الفرنسيين الأفارقة كانوا معرضين للإهانة من قبل تدخل الكمنولث البريطانى فى شئونهم الداخلية. ويتناول أبو بكر طعام الغداء مع لينوكس بويد يوم وصوله إلى لندن، ويجرى اصطحابه إلى ماكميلان فى المساء. كان لينوكس بويد قد ألغى بعض المواعيد المهمة بينما كان يستعد لحملته الانتخابية العامة، ويعلن لينوكس بويد بعد ساعات من المحادثات "لا يمكن أن نكون قد ناقشنا الأمر على هذا النحو من الجدية، لو قُدر للندن أن تكون هى المدينة المتأثرة، وليست ليجوس". وتلا ذلك مؤتمر صحفى قبل انتهاء المحادثات، وقد فاجأ أبو بكر الصحفيين فى ذلك المؤتمر ببراعته فى إدانة فرنسا بطريقة لبقة ومهذبة عندما قال: (**"أنا لا أريد لأى شىء مما أقوله أن يعطى انطباعًا مفاده أن الحكومة البريطانية غير مبالية"**)، لكن الرجل فشل فى إقناع مجموعة من الطلبة النيجيريين، الذين طالبوا باتخاذ إجراء ليس فى وسعه أو من سلطته هو القيام به، كما ولّد ذلك انطباعًا حزينًا لدى الصحفيين عن بلد مقسم غير موال لزعيمه عندما كان يمثلهم جميعًا فى الخارج.

على الجانب الآخر، وعندما جرى اصطحاب أبى بكر، هو ورويرتسون الحاكم العام، ومجموعة أخرى إلى مؤسسة أبحاث الطاقة الذرية البريطانية فى هارويل Har-well للاستماع إلى السير وليام بنى Penny، هو وعلماء آخرين وهم يفسرون أنه فى ضوء المعلومات المتيسرة لبريطانيا لن تكون هناك آثار ضارة لنيجيريا من التجارب المقترحة ذات المستوى التقنى الأولى، ويبقى أبو بكر على إصراره وتعذر إقناعه، على الرغم من انبهاره بما رأى. واعترف أبو بكر أنهم لم يكن أمامهم من خيار سوى قبول ذلك الذى قيل لهم والموافقة عليه، والأرجح أن الحكومة البريطانية كان لابد لها من تصديق ذلك الذى قاله كبار علمائها. وتخلى أبو بكر عن أمله فى أن تساعد بريطانيا

الدول الإفريقية المستقلة التى وضعت خطة للتحرك فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى وجه التساقط الإشعاعى الفرنسى النشط. وجرى تطييب خاطر الرجل عن طريق الوعود التى تفيد أن ستة محطات للمراقبة سيجرى إنشاؤها فى سكتو، وكانو، وكادونا، وميدوجورى، وبورت هاركورت، وليجوس، وأن عالمين نووين سوف ينضمان إلى فريق نيجيرى فى قياس النشاط الإشعاعى. وجرى التقاط بعض الصور لأبى بكر وهو خارج مبنى مقر مجلس الوزراء فى ١٠ داوننج ستريت، كما قام الرجل بزيارة إيرل هوم فى مكتب علاقات الكمنولث، كما زار الرجل أيضًا مقر إجازة روبرتسون، لكن أبا بكر أصر على أنه سوف يواصل تقديم احتجاجاته. الواقع أنه بعد حدوث التفجير فعلاً، جاء التساقط الذرى أكثر مما كان بنى Penny ينتظره أو يتوقعه، على الرغم من استمرار الزعم الذى مفاده أن ذلك التساقط الإشعاعى بعيد كل البعد عن الإضرار بالنيجيريين، وهنا يتوصل أبو بكر إلى ما مفاده أن الخبراء لم يعرفوا فعلاً ذلك الذى كانوا ينتظرونه أو يتوقعونه، وأحس بصدق وصل به موقفه الأصلى واحتجاجاته المتكررة. ومع ذلك، أبقى الرجل على احترامه لبريطانيا، لكنه يستحيل اعتبارًا من الآن اتهامه بالظن فى عدم وقوع البريطانيين فى الخطأ.

كان الحاج أبو بكر قد فرغ للتو من افتتاح مراكز الرئاسة الجديدة لكل من جريدة الديلى تايمز والسنداى تايمز فى ليجوس. وقام السيد/سيسل هارمز ورث Harms Worth كنج، من مجموعة صحيفة المرور البريطانية، والذى كان يشغل منصب رئيس إدارة الشركة النيجيرية القابضة للطباعة والنشر، بإهداء أبى بكر مخطوطة قيمة ومصورة للقرآن الكريم، كانت السياسة الرسمية لهاتين الجريدتين ترمى إلى مساندة الحكومات المنتخبة بشكل عام، على أن تلتزم النقد البناء. كان الأهم من ذلك، يتمثل فى الجودة وفى توزيع المنتج، اللذين حثا مختلف المتنافسين على التقديم الأفضل والأحسن. كانت الصحف الشمالية اليومية فى مؤسسة جاسكيا، بصورة أو بأخرى، من بين المضارين من الاستثمارات المحسنة فى صحيفة وطنية يومية، وسبب ذلك هو

أن محررى هذه الصحف كانوا فى معظم الأحيان يعانون من توبيخ الوزراء الشماليين لهم عندما كانوا ينتقدونهم فى تعليقاتهم. كان الحاج أبو بكر الذى كان يقرأ جريدة الديلى سيرفس التى يصدرها حزب جماعة العمل، وجريدة بايلوت التى يصدرها الدكتور آزكوى، قد علَّم نفسه الاصطبار على الصحافة اليومية على الرغم من تمتعه المحدود بالصحافة باعتبارها مادة مقروءة.

تعلم أبو بكر أيضًا وبمزيد من الحماس طريقة لعب لعبة "الشخبطة"، التى كان يمارسها بعد تناول الغداء مع التلميذة ابنة جى إى بى هول Hall، التى كانت تعمل فى ذلك الوقت فى وزارة الدكتور إمبادوى، وقد ذكرت هذه اللعبة أبا بكر بحفظ القاموس عن ظهر قلب. وقام الرجل أيضًا برحلة لحضور احتفالات الذكرى المئوية لمنارة كاب Cap ناكتجال فى فيكتوريا فى الكاميرون، فى الوقت الذى راح فيه أحمد كارى Kari يحاول السيطرة والتحكم فى ولد رئيس الوزراء الصغير المدعو مختار، الذى كان يود الخروج من الطائرة ليلعب فى البحر الذى كان يراه أسفل الطائرة. ويعود أبو بكر إلى باوتشى من جديد فى شهر أكتوبر للتخطيط لحملته الانتخابية، وليقوم بتوصيل ثلاثة مستشارين من الإدارة المحلية إلى ليجوس على سبيل التمتع بتلك الرحلة الجوية. لم يحس أبو بكر مسألة خسارته لمقعده، وكانت خطته ترمى إلى جعل خصومه يستنفدون جهودهم ثم يقوم بعد ذلك بالتجوال الهادئ فى سائر أنحاء جنوب غرب باوتشى وذلك تأسيسًا على أن المتحدث الأخير يكون هو صاحب الامتياز. كان منزل رئيس الوزراء الجديد قد اكتمل بناؤه، وجرى فيه تركيب أول وصلة من وصلات التليفون اللاسلكى على مستوى المقاطعة، وكان أثاث المنزل قد جرى جلبه من بريطانيا، كما أصبح لرئيس الوزراء طباخ على الطريقة الأوروبية. وأقام رئيس الوزراء حفل غداء طيب لليث Leith واط وقدم له زجاجة شمبانيا كيما يحتسيها مع زوجته، التى صدرت لها الأوامر، أو جرت الموافقة لها على دعوة زوجات أبى بكر اللاتى كن فى باوتشى، إلى حفلات الشاى "التعليمية" التى كانت تقيمها.

أبلغ الحاج أبو بكر ليث واط أنه غضب عندما علم بخبر تقاعد لينوكس بويد من مجلس العموم فى الانتخابات العامة (كيما يتولى رئاسة مجلس إدارة شركة جينيس Guinness العائلية) وأن من خلفه كان السيد/ إيان ماكليود Macleod، البالغ من العمر خمسة وأربعين عامًا (ذلك الرجل الذى لم يعرف أبا بكر مطلقًا أن الحكومة البريطانية كانت تقارنه به شخصيًا). كتب أبو بكر رسالة حميمة إلى لينوكس بويد يقول فيها: **"أسفنا وندمنا الوحيد هو أننا بعد أن وصلنا سويًا إلى هذا الشأو سوف نُحرم من فرصة وجودك معنا وزيرًا للخارجية بمناسبة احتفالات الاستقلال. ومع ذلك سوف نرحب بعودتك."** وكتب لإيان ماكلويد يقول: **"لقد تحققت مكاسب صلبة فى علاقة الكمنولث بفضل حكومة المحافظين الأخيرة، لكن لا يزال هناك الكثير الذى ينبغى تحقيقه، وبخاصة فى إفريقيا فى السنوات المقبلة. وأنا لا يراودنى شك فى أنه مع الحماس والقدرة على العمل الشاق الذى كان خصلة من خصالك يوم أن كنت وزيرًا للعمل والخدمة الوطنية، سوف تشق لنفسك، فى منصبك الجديد، كوّة فى حوليات الكمنولث"**. لم يستسغ أبو بكر الحقيقة التى مفادها أن ماكلويد بعد السنوات الأربعة التى عمل فيها وزيرًا للعمل كان لا يزال هو أصغر الوزراء سنًا، وبحكم السن يعد هو أقل الوزراء خبرة وتجربة. لم ير فيه زملاؤه الرجل الحسابى الماهر المتمرس، مع أنه كان ممارسًا سياسيًا بارعًا. وهو مثل أنداده كان يفتقر إلى ما يسميه الكبار "معرفة إفريقيا وتفهمها"، لكن الرجل لم يأسف على ذلك أو يندم عليه. فهو لم يسبق له رؤية مستعمرة من المستعمرات، كما أن رئيس وزرائه، الذى لم يعبأ كثيرًا بالمستعمرات إلا بعد دخوله مقر رئيس الوزراء فى ١٠ داوننج ستريت، لم يعطه إنذارًا مسبقًا عندما قال فجأة: "إيان، لقد أسندت إليك أسوأ الأعمال".

كان ماكلويد يتطلع إلى ذلك العمل. كان ماكلويد هو وكوينتن هوج أكثر أعضاء مجلس الوزراء ضررًا بعد نشر خبر الوفيات فى سجن هولا Hola فى كينيا (وكان السيد/ إينوك Enoch بويل Powell قد ألقى خطبة شهيرة فى مجلس العموم فى

الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم)، لكن الرجل لم يخطر على باله أن لينوكس - بويد كان يتحتم عليه الإصرار على الاستقالة، نظراً لأن المسئولية الوزارية اتضح أنها كانت بعيدة جداً. ومع ذلك، واعتباراً من ذلك التاريخ أحس الرجل بقناعة مفادها أن كل ما يتصوره على أنه أساليب قديمة من أساليب الحكم فى إفريقيا لابد من تغييره، وعليه فإن العملية التى لا مهرب منها فى اتجاه الاستقلال لابد من التعجيل بها. وأدرك الرجل أيضًا أن تعديله الشخصى الوحيد فى السياسة البريطانية المعمول بها، هو عبارة عن خيط يمتد خلال جوزيف شامبرلين، وكريش Creech جونز Jones إلى أن يصل إلى لينوكس - بويد، باعتباره واحداً من أولئك الذين أعادوا تعريف العبارة التى تقول "فى الوقت المناسب". لم يجر الرجل محادثات خاصة مع ماكميلان أو آر إيه بتلر، الذى اكتشف أنه متعاطف بحكم غريزته وفطرته، مثلما كان حزبه كله هو والصحافة البريطانية فى بداية الأمر، لكن الرجل أصابهم بالدهشة جميعًا بالعملية السريعة التى قام بها خلال العامين القصيرين والمهمين اللذين أمضاهما فى منصبه. لم يكن الرجل بحاجة إلى السرعة فى نيجيريا.

لم يؤثر تقاعد السير جون ماكفرسن، بصفته وكيلاً دائمًا لوزارة الخارجية، فى شهر أغسطس تأثيراً كبير على أبى بكر، وهذا هو ما سبق أن فعله "جوك" Jock ليباعد بينه وبين الشئون النيجيرية اعتباراً من تاريخ انضمامه إلى وزارة المستعمرات. عند هذا الحد اكتشف ليث واط فى المحادثات بعضًا من التحاملات التى لا يرقى إليها الشك: هذا يعنى أن رئيس الوزراء لم يكن يثق بالتجار السوريين واللبنانيين، كما أنه لم ترق له المواقف الأخيرة التى وقفتها رابطة كبار الموظفين المدنيين، رابطة العاملين التى كانت تتلاعب بحركة الاتحادات العمالية النشطة. وفيما يتعلق بالمستشار السياسى الرئيسى كان يشارك ليث واط شكوكه، لكنه أعرب عن عدم رضاه التام عن توقع قيامه بأية جولة من الجولات السياسية إلى المكان الذى يحدده الحزب وفى الزمان الذى يحدد الحزب أيضًا. ومع ذلك أمضى أبو بكر القسم الأكبر من شهر نوفمبر فى

جولة قام بها إلى الإقليم الشمالى ممثلاً للحزب. لم ينته تطهير إسطبلات الإدارة المحلية الفاسدة برحيل شارود – سميث، على الرغم من أن كل مضمون من مضامين التدخل التطهيرى كانت له عند رئيس الوزراء الإقليمى وموقف حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أهمية أكبر من رغبات الشعب Talakawa، هذا يعنى أن أمير أرجونجو كان قد استقال فى التو بسبب اتهامات سوء الإدارة التى نسبت إليه. كانت الحملة الانتخابية قد أصبحت غير مريحة ولا تسر الخاطر، فى ظل وجود اتهامات متبادلة بالتخويف، والرشوة، والنفاق، واللوريات المحملة بالبلطجية المسلحين بالفئوس والقوارير المكسرة أثناء حضورهم الاجتماعات. كان أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى مُخْرسين بواسطة أعضاء حزب جماعة العمل، هذا يعنى أن الرئيس أولوو قام بتجميع أرصدة الحزب التى سمحت باستئجار طائرة هليكوبتر من طائرات شركة الزيت وطائرة هليكوبتر أخرى لمكافحة الآفات، الأمر الذى جعل غرماؤه الأقل ثراء يرون أن تلك المنافسة لم تكن منطقية أو عادلة، وقد دفع ذلك الرئيس بدا (بطا) أو بالأخرى موزع المهام فيها، إلى القول: إن الغزوات التى تكون من هذا القبيل، والتى تخيف بسبب الضوضاء الغريبة الناتجة عن إدخال المروحة، إنما تعد خرقًا للتقاليد الشمالية وأن حزب جماعة العمل يجب "أن لا يعفى عنه إلى الأبد".

وصل رئيس الوزراء إلى أوكين Okene بعد فترة وجيزة من انحدار أوو انحداراً سياسياً من السماء، وأعرب عن الفكرة التى مفادها أن ذلك التظاهر المفرط بالثراء لن ينجح فى استمالة شعب الأجبيرا الذكى، والأجبيرا هم أناس على الرغم من انقسامهم السياسى والدينى فيما بينهم وبين أنفسهم، لا يعدون غرباء ثقافياً تماماً على جيرانهم اليوروبا، فقد تعلموا فى ظل نظام يترأسه رئيس سلطوى لكنه تقدمى وأصبحوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم شعب له مستقبله فى الشمال بغض النظر عن نسبتهم السكانية. كان رئيس الحى الكبير مجرد رئيس حى سابق فى باوتشى وسكرتيراً لمجلس الوزراء فى كادونا، وقد سبق الإشارة إليه. هذا الرجل هو الذى تنبأ بمستقبل

عملى قصير للموظفين العاملين فى خدمة صاحبة الجلالة فى الخدمة الاستعمارية وبخاصة أولئك المدرجين ضمن القوائم الخاصة بنيجيريا، وذلك على الرغم من أن رئيس الحى الكبير هذا كان من بين أولئك الذين أدرجوا ضمن النسخة الأولى من هذه القوائم. الآن أصبح يتعين على رئيس الحى الكبير هذا أن يعترف للرجل الذى أملى عليه اختبار لغة الهوسا قبل عشر سنوات، أنه بعد الإشراف على الانتخابات المحلية جرى نقله إلى مستعمرة أخرى هيأت له فرصًا مرتقبة أطول فى خدمة التاج البريطانى. وبذلك تمكن هذا الرجل من الحصول على الخبرة الغريبة، بعد الحكم الذاتى، وها هو الآن يحصل عليها قبل الاستقلال، وذلك عندما تعينه وزارة المستعمرات ليكون ممثلاً "للسلطة المحلية فى إجبيرا"، يزاد على ذلك أن النزاع المدنى هو والخلافات المحلية الداخلية جعلت كلا من الرئيس والمجلس الجديد شيئين غير مقبولين سياسيًا من حكومة المستشار السياسى الرئيسى (التى كان الحزبان يتعهدان لها بالولاء والإخلاص)، وبفضل المساندة الشعبية أصبح رئيس الحى الأقدم يمارس السلطات القانونية كلها التى كان يتمتع بها الرئيس غير المقيد بالمجلس فى مطلع أيام السير لوجارد، إلى أن يتم استبدال السلطة المحلية المعلقة ومجلس الرئيس Chief ضمن مجلس مقبول. كان مستشاروه هم موظفوه المؤقتون، وكانت الإدارة المحلية قد توصلت هى أيضًا إلى أن هذا الموقف من النوع الشاذ غريب الأطوار، ولذلك راح أبو بكر يكرر من جديد كلامه إلى صديقه البريطانى معربًا له عن رغبته فى أن أمثاله من الناس لا يتعين عليهم بعد ترك العمل، لكنه طلب منه أن يحل عليه ضيفًا فى مسكنه فى ليجوس قبل أن يشرع فى السفر والرحيل.

أخبره رئيس الحى الأقدم أيضًا عن كثير من الالتباسات التى يواجهها الموظفون البريطانيون الراضون عن أعمالهم ويعتقدون أنهم لا يزالون مطلوبين. كان رئيس الحى الأقدم قد سمع فى اليوم السابق فقط محاميًا من أنصار حزب جماعة العمل وهو يتكلم فى السوق كيما يمهد الطريق إلى أولوو عن طريق الإساءة إلى الإدارة الاستعمارية

بسبب مظاهر فشلها وتعسفها واستبدادها. كان ذلك المحامى، وهو غريب تماماً عن المكان، قد زار رئيس الحى الأقدم فى منزله فى المساء من باب الكياسة والأدب، وقيل له وهو يحتسى كوبًا من البيرة إن آماله يجرى الوفاء ببعضها - كان رئيس الحى الأقدم سيرحل إلى الأبد فى غضون أسابيع قليلة. **"لكن لماذا الرحيل؟ نحن لم نتمكن بعد من الحصول على بديل لك!"** - "لكنى بلغنى أنك قلت لهم فى السوق إن الإمبرياليين كلهم سيجرى طردهم قريبًا". - **"نعم، السيئون منهم، ولست أنت، فنحن لا نزال بحاجة إليك"**. كان الكلام دومًا عن "شخص آخر"، لكن الوحل والأذى كانا يصيبان الجميع. وأخذ الحاج أبو بكر هذه الرواية مأخذ الهزر وضحك ضحكة لطيفة وهو يقول: **"نعم، أنا أعرف أن الأمر صعب، هذا ليس عدلاً. أنا أفهم أنك تود البقاء فى الخدمة. يؤسفنى أنك لا تصدق أنك تستطيع هنا البقاء فى الخدمة مدة أطول، لكن إنه شىء طيب أن تكون لا تزال مطلوبًا فى مكان آخر"**. بقى رئيس الحى الأقدم ليلة واحدة فى استراحة بسيطة فى أوكين، تحدث خلالها إلى الحلفاء السياسيين ورافضاً أن تكون له غرفة ينام فيها، ورافضًا الضيافة أيضًا: هذا يعنى أن الرجل رحل فى رتل من السيارات، من بينها سيارته الخاصة، ولم تكن السيارة الرسمية التى من طراز رولز رويس. وفى أواخر الجولة رآه الممثل المقيم جالسًا وحده فى صالة العبور فى المطار، ينتظر رحلة الطيران.

بدأت حركة النقابات العمالية الإفريقية فى تأكيد وجودها فى نوع من الصدام المرير الذى لا يمكن أن يفضى إلى شىء سوى الفوضى والارتباك. كانت هناك لجنة تحضيرية من اتحاد عمال كل إفريقيا مجتمعة تحت رئاسة الدكتور نيكروما فى مدينة أكرا، وتطالب بالحكم الذاتى والاستقلال، المتحررين من أى تدخل من أية هيئة من الهيئات العالمية. فى الوقت نفسه كان اتحاد النقابات العمالية الدولى المضاد للشيوعية يعقد مؤتمره الإقليمى الإفريقى الثانى فى فندق مينلند Mainland فى إبيوت - متّا Ebute Metta، باعتبار هذا المكان حلبة يجرى عليها التعبير عن الشخصية الإفريقية،

ذلك المفهوم الذى كان الحاج أبو بكر يجد صعوبة فى أخذه مأخذ الجد. وعلى الرغم من ذلك أرسل الحاج أبو بكر إلى المؤتمر رسالة مهمة يقول فيها: "**مورد نيجيريا الأعظم، المتمثل فى القوة البشرية، القسم الأكبر منه فى الوقت الحالى أميون وغير مدربين. وأنا أتطلع إلى قيام اتحاد النقابات العمالية الدولى، من خلال هذا التنظيم الإقليمى، بالمساهمة والمشاركة فى تضامن النقابات العمالية فى هذا الجزء من العالم .... وأنتم فى جهودكم المبذولة لرفع مستوى معيشة العمال تجعلونى متأكداً من أنكم ستبذلون كل الجهود من أجل أن تكون هذه الزيارة مواكبة لزيارة مماثلة فى الإنتاج. ومسألة المحافظة على التوازن بين هذين المطلبين هى مكمن السعادة الحقيقية والرفاه للعمال**".

فاز فى الوقت نفسه حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى بمجلس مدينة ليجوس من حزب جماعة العمل، وتدخل الأسقف الإنجيلى احتجاجاً على الانهيار المؤقت للنظام العام فى العاصمة، فقد تحاشى حزب جماعة العمل آديل Adele رئيس Oba ليجوس، لكنه حصل على دعم معنوى من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وتمثلت الدهشة والمفاجأة الكبرى فى أرقام الاستفتاء الكبيرة، ذلك الاستفتاء الذى أجرى فى مناطق شمالى الكاميرون التى كانت تدار باعتبارها جزءاً من مقاطعات برنو Borno، وأدماوا وبنيو، وذلك من أجل الانفصال عن نيجيريا وتأجيل اتخاذ قرار نهائى بشأن مستقبل هذه الأجزاء، الأمر الذى سيتطلب إجراء استفتاء آخر. هذا القرار كان أمراً منتظراً ومتوقعاً فى الجنوب، لكن كان هناك نوع من الاستياء الخفى، من إدارة برنو المحلية، واستياء وثنيى أدماوا من الرئيس lamido، جاء ذلك كله بمثابة صدمة للشمال. غضب السير أحمد بللو واشتكى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على نطاق واسع لدى لجنة مجلس الوصاية من أن الموظفين البريطانيين (الذين اندهشوا لذلك) استغلوا نفوذهم فى المحافظة على وظائفهم وخلق قاعدة إمبريالية مستقبلية للحرب النووية فى هذه المنطقة النائية. قال مفوض الأمم المتحدة فى الاستفتاء الدكتور جاله Djalah عبده

Abdoh، عندما كان يشرح رسالة أوليفر كرومويل للكنيسة الإسكتلدنية، قال: إن المستشار السياسى الرئيسى (الذى لام بصفة خاصة السير جون درنج مستشار الاستفتاء والذى كان موظفًا هنديًا سابقًا فى الخدمة المدنية، هو وموظفيه المدعومين من الإدارة المحلية)، كان "رجلاً عظيمًا" ، ورجل دولة، لكنه يمكن تضليله، وهنا قام السير جيمس روبرتسون، وهو مطمئن بحل مجلس المندوبين (الممثلين) كيما يسمح للترشيح للانتخابات بالمضى قدمًا، وبقى مجلس الوزراء إلى أن أعلنت نتائج الانتخابات.

ترشح للانتخابات ٩٥٠ مرشحًا لشغل ٣١٢ مقعدًا فيدراليًا كان من بينها ١٧٤ مقعدًا للشمال. قدم حزب جماعة العمل هو وحلفاؤه ٣٠٧ مرشح، وقدم حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى هو وحزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى ٣٠٢ مرشح، وقدم حزب المؤتمر الشمالى هو وحلفاؤه ٢٠٢ مرشح فقط. لم يسلم الشماليون فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أن المال والجهد يمكن أن تكون لهما فائدة خارج مناطق نفوذهم، وذلك على الرغم من أن فرع الأجبو مينا فى ليجوس الذى كان يدرس أساليب الأحزاب الأخرى ناشد وزراء الشمال ترسية العقود على رجال المال والأعمال الهوساويين، حتى يتمكن أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى من دعم حملات الحزب الانتخابية. كان الغربيون فى حزب جماعة العمل، يتطلعون من ناحية أخرى، إلى تحقيق شىء من النجاح فى الشرق، لكنهم صدقوا دعايتهم الخاصة التى مفادها أن الاقتراعات السرية الحرة سوف تطيح ببعابع الشمال الظالمة، وتقاسموا بالعدل أموالهم، ولورياتهم، وسياراتهم، ودراجاتهم وأجهزة الراديو، والمنظمين والمحامين مع حلفائهم فى حزب العامة فى إيلورن Ilorin وحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، كما عثروا أيضًا على كثير من المحميين المحليين فى أماكن أخرى فى الشمال. كان المحامون يهدفون من وراء ذلك إلى الدفاع عن أولئك الذين يهاجمون الشرطة المحلية أو محاكم القضاة، أو دفع الكفالة نيابة عنهم، وبخاصة أن هؤلاء المهاجمين كانوا يستنكرون أعمال الشرطة المحلية ويصفونها بالفساد والتخلف، وكانوا يعدون بتوفير

التعليم والتقدم لأناس لا يعرفون عنهم سوى القليل جداً، ونظراً لأن هؤلاء المهاجمين لا يحق لهم الالتجاء إلى المحاكم المحلية، فإنهم كانوا يتقدمون بالتماساتهم إلى مكاتب رؤساء الأحياء، التى كانت تنطوى على القليل جداً من السلطات المحدودة فى المراجعة والمشورة القضائية.

كان الشرقيون فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى قد حددوا وتعرفوا بعض الآمال المرتقبة فى الغرب، لكنهم ركزوا جهودهم فى الشمال على لم شعث الأجباويين فى الجاليات الحضرية الغربية، كما ركزوا جهودهم أيضًا على تقديم الأموال لحلفائهم فى حزب اتحاد العناصر الشمالية، الذين اعتمدوا عليهم فى معظم الأحيان فى تجنب الإساءة إلى الإسلام فى الوقت الذى كانوا لا يزالون فيه يهاجمون ببسالة منظومة الحكم المحلى وبعض الإساءات المحددة. وفى الاحتفال الشعبى الذى أقيم فى ماكوردى أعلن الدكتور آزكوى أن الدكتور أوكبارا Okpara سيكون خلفًا له الأمر الذى أغضب مؤيدى الطّامحين الآخرين إلى المجد، من أمثال شعب الأويرى Ow-erri الذين كانوا يفضلون ريموند Raymond نجوكو على الدكتور أوكبارا.

ارتكب حزب جماعة العمل أشنع الأخطاء. فقد اتهمت الطائرة العمودية المستأجرة بتحليقها فوق المجمعات السكنية التى تأوى النساء المحجبات، عندما كانت تقوم بإلقاء منشوراتها، وأخطر مثال على ذلك هو تحليق الطائرة فوق قصر سلطان سكتو. ومن باب جعل دائرة رئيس الوزراء الانتخابية هدفًا خاصًا أرسل الحزب خمسة محامين إلى باوتشى وحدها. ويصل الحاج أبو بكر إلى موطنه للقيام بآخر حملاته الانتخابية، فيجد الرئيس أولوو على وشك الإقلاع على متن الطائرة العمودية إلى تافاوا باليوا ومعه مرشح حزب جماعة العمل عن جنوب غرب باوتشى، وهو مسيحى يدعى عازى Azi من قبيلة الجراوا Jarawa المجاورة. كانت زيارات أولوو للشمال تتسم بعدم الاسترخاء، لأن هذه الزيارات كانت مجرد جزء من حملة سياسية مكثفة على الأماكن التى لم يستشعر الرجل الأمان فيها مطلقًا.

في تلك الزيارة قام أحد سكان الأحراج بإطلاق سهم من قوسه على الماكينة الطائرة التابعة لحزب جماعة العمل، الأمر الذى أدى إلى خلق أزمة محلية جديدة. كان هناك تبادل للتحيات غير الودية وبصوت عال التى من قبيل "حظًا سعيدًا، أيها الولد الكبير!"، وجرى توبيخ آوو لأنه لم يحمل نفسه مشقة زيارة رئيس الوزراء فى منزله الخاص، لكن أبا بكر لم يجد أى سبب للخوف من عازى أكثر من تخوفه من مرشح حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى. كان عازى قد صدم صبيًا وجرى احتجازه من قبل الشرطة المحلية لاتهامه بقيادة السيارة بسرعة عالية وبدون ترخيص. واضطر القاضى طبقًا للشريعة الإسلامية تأجيل نظر القضية إلى ما بعد شفاء الشاهد الرئيسى من إصاباته، وسرى اعتقاد عام مفاده أن تأجيل الأمور إلى هذا الحد يجعل من حق المسيحى أن يطلب محاكمته أمام قاضٍ جزئى. لكن ليث واط الممثل المقيم أراد أن يستغل سلطاته ويقوم بتحويل القضية على الفور، لكن الأمير هو ومجلسه كانوا قد حذروه من أن ذلك سيجعل حزب جماعة العمل يطالب بعدم محاكمة المسيحيين أو مثولهم كلهم أمام المحاكم الشرعية، بدا الأمر أيضًا وكأن الممثل المقيم يفند مسألة حياد القاضى. وجاء الحل الوسط يفيد أن القاضى ينبغى عليه طلب ضمان مالى (كفالة)، لكن اتضح أن آوو كان يمكن أن يبدد موارد أقل من ذلك لو أن حزبه كان أكثر حكمة وتعقلاً فى ترشيحاته.

بعد الشكوى فى أماكن أخرى من عدد الوفيات التى حدثت بسبب المظاهرات والإضرابات السياسية طلب الحاكم العام حضور الرئيس آوو لمناقشة تأثير ممثلى حزبه على السلم والنظام العام. كانت حرم الرئيس آولوو وقد علَّمت السير جيمس رقص البذخ والترف، وكان نائب القنصل على استعداد للدخول معها فى صداقة. أما زوجها الذى لم يكن على معرفة تامة بالدهاء الأسكتلندى، فقد فهم أن صاحب السعادة قبل تأكيداته التى تفيد أن مندوبى حزبه أو وكلاءه كانوا يُعَلَّمون العامة ناقصى الخبرة من أهل الشمال النقاط المهمة فى السياسة الديمقراطية. كان من رأى الرجل أيضًا أنه

سوف يحصل "بمشيئة الله" على مقاعد كثيرة فى الشمال، وأن إجمالى المقاعد التى سيحصل عليها قد تصل إلى مائتى مقعد، وبينما كان يهبط من سلم المقر الحكومى استدار إلى السير جيمس وقال بابتسامة تنم عن الانتصار لكنها جادة تمامًا، "بعد أن أصبح رئيسًا للوزراء، سوف أصعد وأنزل هذا السلم مرات عدة!" وجاء تعليق الحاج أبى بكر على ذلك فيما بعد، "**حسن، أنت تعرف أنه متعاد على هذا النوع من الأستدارات، عندما كنا طلبة فى لندن حدث له انهيار عصبى عندما كان يستعد للامتحان وأصبح بعد ذلك لا يُطاق أو يُحْتمل**". وقال للسير جيمس إنه يعتقد أن آوو عاودته نوبة أخرى من نوابات اضطراب التفكير.

جاءت قوائم التصويت فى المحصلة النهائية مسالمة إلى حد ما. جاءت الترتيبات التى اتخذها خبير الحكم المحلى المقيم المدعو آر. أى. ريث Wraith من خلال لجنة الانتخابات (التى أفادت من موظفى الإدارة المحلية ومن موظفى الحكومة الذين كانوا يرتدون نوعًا مختلفًا من القبعات مثل وكلاء اللجنة المحليين) لتؤكد أن الأميين يمكن أن يدلوا بأصواتهم مثل من يقرأون ويكتبون. لم يكن المفوضون جميعهم فى دواخلهم يودون أن يقوم كل فلاح من الفلاحين بتسجيل نفسه فى جداول الانتخاب والإدلاء بصوته: هذا يعنى أن هؤلاء المفوضين تنبأوا بأن ذلك يمكن أن يؤدى إلى النتيجة التى يبتغيها حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كما كانوا يعتقدون أيضًا آولوو (الذى شجع على استيراد استعمال شارات الحزب بوضعها فى مكان واضح على صناديق الاقترا ع، وقد أخذ الرجل هذه الفكرة من نموذج الانتخابات الهندى، الأمر الذى سهل العبث بالصناديق المختومة بالجمع الأحمر فيما بعد) سوف يندم على مناداته "بصوت واحد للرجل الواحد". على مستوى باوتشى خسر كل مرشحى حزب جماعة العمل باستثناء واحد منهم فقط. كانت قوات الجيش التى كانت تقوم ببعض التدريبات المحلية فى المعسكرات المحيطة بالبلاد، هى وتدعيمات الشرطة لقوات الإدارة المحلية والحكومة المحلية قد عادت إلى ثكناتها دون أن يتم استدعاؤها لإخماد تلك الاضطرابات والقلاقل.

لم تقع سوى إصابة واحدة فى تافاوا باليوا؛ فقد اشتكى عضو قوى البنية من حزب جماعة العمل أن موظفًا من موظفى الانتخابات لكمه فى عينه. ونظرًا لأن موظف الانتخابات هذا كان تلميذًا، فقد بدا ذلك الأمر غريبًا لكن "حسن، يا سيدى، لقد بدأ العبث بصندوق الاقتراع، وعليه قذفته بالصندوق". وقد فاز الحاج أبو بكر فى هذه الانتخابات بسهولة ويسر على كل من عازى ومرشح حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى.

اتضح قبل وصول النتائج النهائية من الأماكن البعيدة أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى سيكون الحزب الوحيد الكبير، وأنه سيحصل على ما يتردد بين ١٣٠ و ١٤٠ مقعدًا، لكنه لن يحصل على الأغلبية الساحقة، وسيجىء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى فى المرتبة الثانية وقد يحصل على حوالى ٩٠ مقعدًا، وسوف يحصل حزب جماعة العمل على حوالى سبعين مقعدًا أو أكثر. وقد أفادت تقارير الاستخبارات التى وصلت إلى الحاكم العام أن آزكوى هو والرئيس آوو كانا يتشاوران حول ائتلاف محتمل، يفوق عدد مقاعده البالغ ١٦٠ مقعدًا، عدد المقاعد التى حصل عليها أبو بكر وهى ١٤٠ مقعدًا. جاءت المبادأة من حزب جماعة العمل، لكن على الرغم من تأكيد الرئيس آوو للسير جيمس، فإن التفاهم كان على أساس انتواء آزكوى أن يكون هو رئيسًا للوزراء، وأن يكون أولوو نائبًا له. ومع ذلك حدثت بعض الصعوبات. كانت بعض العناصر المحافظة من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، ومنهم أوكوتاى – إبوه Okotie-Eboh من الغرب الأوسط، مترددة فى النوم فى فراش واحد مع زعماء حزب جماعة العمل الذين ساندوا منافسيهم فى الانتخابات، وكانوا سعداء بشلة (عصبة) إيكوى Ikoyi. كان من بين أنصار حزب جماعة العمل رجال مثل آكنتولا Akin-tola وروسيجى Rosiji، اللذين تحالفا من قبل مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تحالفًا مريحًا لهما، وكانا يعدان متسابقين مشكوكًا فيهما فيما رأته الرءوس الحكيمه على أنه سوف يعجل بشقاق جديد مع الشمال. ذهب كل من آكنتولا وروسيجى للقاء أبى بكر،

الذى عرض على حزب جماعة العمل مقعداً فى مجلس الوزراء، لكن زعيم الحزب رفض هذا المقعد. ادعى أولوو فيما بعد أن شرطة المسبق فى ذلك التحالف كان يتمثل فى خلق ثلاثة أقاليم جديدة، وادعى أزكوى أن شكوكه فى ذلك التحالف كانت مبنية على حكايات مفادها أن حزب جماعة العمل كان يتفاوض على الصلح مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. يبدو أن أيًا منهما، بما فى ذلك أزكوى أيضًا، لم يتوقف عن إعمال الفكر فى الدور العدائى الذى ربما يكون السير أحمد بللو أو الحاج أبو بكر قد اختارا أن يلعباه فى السيناريوهات الخاصة بهما. المؤكد أنهما لابد أن يكونا قد تكلما عن الانسحاب. من ذلك كله على مكتب السير جيمس، لكن خوف الرئيس كان بسبب ذلك الشقاق.

كان الدستور ينص على أن يقوم الحاكم العام بتعيين رئيس للوزراء، وأن يكون ذلك حاصلاً على أغلبية الأصوات. كان الحاكم العام لا يزال لديه رئيس للوزراء فى مكتبه للتشاور معه. وقام الحاكم العام باستدعاء رئيس الوزراء، ووضع أمامه الحقائق والتقارير، وأعرب عن مخاوفه التى مفادها أن الشمال، ناهيك عن المستشار السياسى الرئيسى، لن يطيق قيام اتحاد فيدرالى يدار بكامله بواسطة الجنوبيين، وأن البلاد قد تنهار فى هذه اللحظات الأخيرة : "أنت رئيس وزرائى وأنا من حقى أن أطلب منك النصح والمشورة فى هذه اللحظة، على الرغم من أنك قد لا تصبح رئيسًا لوزرائى خلال فترة وجيزة جداً. هذا هو الموقف. هل تعتقد أن بوسعك العثور على ما يكفى من الرجال من الأحزاب الأخرى أو من "المستقلين"، أو من أى مكان آخر، حتى تتحقق لك الأغلبية؟ إذا كنت ترى أن بوسعك العثور على عدد من النواب ينضمون إليك، سيكون فى وسعى أن أجعلك الآن رئيسًا للوزراء. أم أنك تفضل الانتظار بعض الشىء حتى تقوم بتحرياتك أو إلى أن ينجلى الموقف؟" وجاء رد أبى بكر على النحو التالى: "**حسن، أعتقد أن من الأفضل تعيينى الآن رئيسًا للوزراء**". وعينه "جون John ويلى Willi" على الفور رئيسًا للوزراء فى ذلك المساء، دون الرجوع إلى لندن، وقبولاً منه للنصيحة من منطلق أن الرجل الذى حصل على مائة وأربعين مقعداً يكون على الأرجح، قادراً على تشكيل

حكومة أكثر من رجل حصل على تسعين مقعداً. كان السير جيمس لا يزال مقلاً فى التشاور مع المستشار السياسى الرئيسى، الذى راح يتمتم ويغمغم عندما أُحبط فيما بعد، "نحن نرشح أبا بكر رئيساً للوزراء، ويجب عليه أن لا ينسى من هو راعيه".

عقد أبو بكر فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى مؤتمراً صحفيًا قال فيه: إن مسألة الانسحاب والتراجع لم تعد مطروحة من أى إقليم من الأقاليم وأن التحالف أصبح أمرًا لا مفر منه، لكن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لن يصل مطلقًا إلى حلول وسط على مسألة أن يصبح أى زعيم من زعماء الأحزاب رئيسًا للوزراء. وقال أيضًا إنه فى كل الأحوال جرى تكليفه بتشكيل الحكومة وخاب أمل الدكتور آزكوى خيبة كبيرة، وأعلن أن التصرف الذى أقدم عليه الحاكم العام "سابقًا لأوانه وغير حكيم". ومع ذلك، طار آزكوى إلى كادونا لممارسة الضغط على المستشار السياسى الرئيسى: كان يعرف جيدًا أن الاتحاد الفيدرالى إذا لم يكن لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فيه القول الفصل سوف ينهار، وكان أوكبارا متفقًا مع آزكوى فى ذلك تمامًا (فى الوقت الذى يتصور فيه وجود الدكتور آزكوى بوصفه حاكمًا شرقيًا حل محل إبيام Ibiam، إذا ما تداعت الأمور). ويفشل ذلك الضغط. كان المستشار السياسى الرئيسى قد انتزع ورقة شهيرة من كتاب الدكتور آزكوى وأعلن بعد الانتخابات أنه سوف يعتزل السياسة بعد تسوية المضاعفات السياسية الحالية مباشرة (وقد حدد العام ١٩٦١ موعدًا لتلك التسوية)، وفى احتفال شعبى فى كادونا كان أحمد بللو قد قام بتسليم رئيس وزرائه فى تحرك مظهرى يشير إلى زعامة الحزب فى المستقبل، القرآن وعباءة القيادة alkyab-ba والساعة الذهبية. وفى محاكاة صارخة ومباشرة للشيخ عثمان بن فودى عندما استنكر السلطات الدنيوية وتخلى عنها لولده بللو وأخيه عبد الله، أعلن أحمد بللو "وأنا أيضًا، سوف أقسم هذه البلاد بين اثنين من مساعدى المخلصين بعد أن تنتهى المعركة السياسية الحالية". [جهادى My Jihad]

لم يستشعر الحاج أبو بكر أو محمد رباط أى خَلْفٍ للوعد الذى أُعطى، عندما قام أحمد بللو فى غضون الأسبوع نفسه، وباستخدام الطريقة نفسها التى يرد بها الدكتور آزكوى على البرقيات والرسائل والاحتجاجات، بالتخلى عما قاله "ما دام حتم الأمر ذلك، أو إلى أن يطلب حزبى منى التقاعد". المؤكد أن كلاً من الدكتور آزكوى هو والمستشار السياسى الرئيسى قاما بدور الزعامة فى مناقشة. بنود التحالف الرئيسية وبخاصة أن أبا بكر هو الذى سيترأس هذا التحالف، ومعروف أن رغبات رئيس الوزراء فى مسألة تقسيم المناصب كانت أقل تأثيراً مما كانت عليه فى العام ١٩٥٧ الميلادى. كان الرجل فى قرارة نفسه يسعى إلى تشكيل حكومة تضم المواهب كلها، بما فى ذلك حزب جماعة العمل، لكن مع استبعاد كل من الرئيس آوو والدكتور آزكوى لأسباب متباينة. لكن فريق حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الذى كان يترأسه محمد رباط ويضم كلا من زنًّا بوكار دبشاريما وإينوا واواد الذى تفاوض على شروط الائتلاف مع حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى كان أكبر وزنًا وثقلاً ورصانة. حدثت فى احتفال كادونا الشعبى صرخة جاءت على شكل مداخلة بلاغية كررها صاحبها ثلاث مرات مطلقًا إياها من فوق المنصة وهو نشوان من الانتصار الذى حققه حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى الانتخابات: "متى سيُؤخذ ذلك الشىء منا؟ من ذا الذى يستطيع أن يأخذه منا؟" وهنا يقف الحاج أبو بكر ويرد عليه (بلغة الهوسا أيضًا): "أستطيع الرد على سؤالك! سيؤخذ ذلك الشىء منا عندما ننحرف عن السير على طريق الله – عندما نترك سبيل الله، سبيل الحق والعدل، ونصبح قُسَاة ظالمين وطغاة".

فى ليجوس استدعى أبو بكر ستالارد عند الساعة التاسعة والنصف من مساء يوم الأحد وأعطاه مُسوَّدة بلغة الهوسا تحدد شروط حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى التى وافق عليها المستشار السياسى الرئيسى، وطلب إليه أن يأخذها إلى الحاكم العام طلبًا للمشورة السرية. وجرت ترجمة الشروط الستة التى قال إنها مَطَالب حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، ترجمة مختصرة على النحو التالى "ذلك

الرجل" (بلغة الهوسا mutumin nan – آزكوى) ينبغى أن يكون حاكمًا عامًا اعتبارًا من يوم الاستقلال، وأن اقتطاع ولاية الغرب الأوسط من الإقليم الغربى لابد من تنفيذه، وأنه لابد من توسيع منطقة العاصمة الفيدرالية، وأن التعيينات ينبغى ألا تجرى "بدون تشاور"، وأن السيد/ ماتيو Matthew مبو Mbu (الوزير الشرقى السابق، الذى جرى إبعاده عن سفارة واشنطون الجديدة على إثر بعض المزاعم المالية واللامسئوليات الأخرى ينبغى إعادته إلى عمله، وأخيرًا انتخاب متحدث رسمى جديد فور تشكيل المجلس الجديد. وجرى الأخذ فى الحسبان أن مقترحى الغرب الأوسط وليجوس يمكن أن يغضبا أهل الغرب. كان الحاج أبو بكر غير موافق على الكثير مما وافق عليه زملاؤه، وفى هذه الساعة المتأخرة من الليل ومن التقدم الدستورى، يتحول أبو بكر إلى الأفكار المتعلقة بانفصال الشمال: وجاءت الترجمة الحرفية للملاحظة التى أبداها أبو بكر على النحو التالى: "هل إذا بكينا وانتحبنا سيساعدنا ذلك على تقسيم هذه الأرض؟ وأنا لا يمكن بأى حال من الأحوال [أوافق على ذلك]، وإذا ما حدث أن توحَّد الجنوب [أولاً وقبل كل شىء] وأصبح له صوت واحد، فإن ذلك يعنى أننا أصبحنا فى ورطة بحق وحقيقة. وأنا أبحث عن النصح والمشورة". وتعين على بطرس ستالارد إخراج السير جيمس من حفل العشاء الرسمى مع مفتش الشرطة العام، بمناسبة استعدادهما لحفل الشرطة السنوى. وجاء رد الفعل من جانب السير جيمس على شكل إعادة الكرة إلى الخلف مباشرة، والأرجح أن ذلك الرد كان مصحوبًا بنصيحة "بالتروى فى الأمر إلى أن يتم البت فيه".

فى اليوم التالى هاتف رئيس الوزراء الحاكم العام واستأذنه فى أن يحضر الدكتور آزكوى ومعه المستشار السياسى الرئيسى ويحضروا جميعًا للقائه. وقد استاء السير جيمس، الذى كان يستعد لاستقبال داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة على الغداء، عندما وجد أن أبا بكر يتدخل بينهما، الأمر الذى ولَّد لديه انطباعًا وكأنه تلميذ أشار إليه مدرسه ومربيته بأن يلقى قطعة المحفوظات المقررة عليه. قرأ أبو بكر

عليهم أسماء معظم الوزراء المقترحين الذين وافقوا عليهم (كانت الأسماء المعينة من قبل حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى قد اختيرت بواسطة الدكتور أوكبارا نفسه)، لكن الدكتور أزكوى تدخل منفعلاً ليقول إنه سيصبح رئيسًا لمجلس النواب (وكانت العصفورة قد قالت للسير جيمس إن ذلك المنصب سيجرى التعامل معه مرحليًا كما لو كان منصبًا شبه سياسى إلى أن يحل الدكتور أزكوى محله فى منصب الحاكم العام، وهنا نجد أيضًا أن آخر آمال الدكتور آزكوى فى أن يصبح أول وزير للخارجية قد تبخر أيضًا، وهنا نجد أزكوى يطلق آخر سهامه واضحًا وبينًا للجميع). وتقرر أن يصبح السيد/ جاجا واشوكو، وهو من الأجبو، وأقل تسامحًا من الشماليين مع البريطانى، المتحدث الرسمى باسم مجلس الوزراء. اتضح أن الجميع كانوا راضين عما يجرى، وظهر أن المستشار السياسى الرئيسى كان يظن أن الدكتور أزكوى قد مُكر عليه وجرى إخراجه من اللعبة السياسية، وذلك على الرغم من عدم صدور إعلان أو اعتراف رسمى عن دخوله مجلس الحكم فى المستقبل. كانوا يرون فى آولوو ولأول مرة زعيمًا ذكيًا وقويًا للمعارضة الفيدرالية الحقيقية، بمعنى أن الرجل يمكن أن يكون رئيسًا حقيقيًا وصادقًا لحكومة بديلة (حكومة ظل) فى حال إذا ما غير الناخبون ولاءهم أو تحالفهم، لكنهم كانوا واثقين تمامًا من أن ذلك لن يشكل أخطارًا حقيقية، لم يخطر على بال أحد منهم النتائج المترتبة على اكتشاف زعماء حزب جماعة العمل لوجود معارضة غير مريحة ولا يطيقون الصبر عليها فترة طويلة، لم ينس الدكتور أزكوى أن حزب جماعة العمل قد ابتزه فى العام ١٩٥١ . وعلى الرغم من أحزانه، أقر أبو بكر بأن السياسة هى فن الممكن، وأن رد فعله على الناس يجب أن يكون بالشكل الذى هم عليه، وليس بالشكل الذى ينبغى أن يكونوا عليه. ويلتقى أبو بكر فى ساعة متأخرة من ذلك اليوم همرشولد، الذى علق على كلام رئيس الوزراء قائلاً: **"يا لها من نصاحة! يا لها من حصافة! يا لهذا الصوت الجميل، ويا لهاتين اليدين الحساستين!"**

دلت الأرقام النهائية على حصول حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على ١٤٢ مقعداً، وحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى على ٨٩ مقعداً (منها ٢١ مقعداً فى الغرب)، وحزب جماعة العمل على ٧٣ مقعداً (منها ٢٤ مقعداً فى الشمال و ١٤ مقعداً فى الشرق)، وحصل حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى على ٨ مقاعد. لم يكن هناك شك فى العملية الانتخابية نفسها أو نزاهتها. وبذلك تخيب آمال حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى مرة أخرى، فقد أخطأ الحزب الظن عندما اعتقد أن صغار موظفى الإدارة المحلية هم وأثرياء التجار الذين سبق لهم الكشف عن تعاطفهم، سوف يدلون بأصواتهم لصالح الحزب فى حال الاقتراع السرى. كانت هناك تأكيدات مبالغ فيها. كان لا يزال لديهم تعويض تهكمى مفاده أن تحالفهم مع حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى أدى إلى أن يصبح زعيمهم أمين كانو الذى كان يجمع بين صداقة أبى بكر واستياء المستشار السياسى الرئيسى، نائبًا لسوط Whip(*) الحكومة الفيدرالية. خارج نطاق ضيعة المستشار السياسى الرئيسى، كان نزاع المعلم أمين كانو الدائم مع الحاج أبى بكر ينصب على حق المرأة الانتخابى، وبخاصة بعد الموافقة على مبدأ الانتخابات المباشرة، ولم يكن الحاج أبو بكر تافاوا باليوا ميالاً إلى التصاريح مع المستشار السياسى الرئيسى حول موضوع المرأة. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى قد فعل خيراً فى شمالى الكاميرون (الذى أعان أندرو كوهين فى وزارة المستعمرات، على إقناع الجمعية العامة أن مسألة الاستفتاء على إنهاء الوصاية كان عبارة عن تصويت ضد منظومة الإدارة المحلية وليس ضد الوحدة مع نيجيريا، وأن التحرى المستمر تحت قيادة أمير ياورى ثاقب الفكر سوف يسفر عن الإصلاحات المطلوبة)، وفشل إبراهيم إمام فى كسب دكوا Dikwa لصالح حزب جماعة العمل، لكن ذلك الحزب أصاب نجاحًا من بين النجاحات التى حققها فى الشمال، فى منطقة

(*) المقصود "بالسوط الحكومى" هنا هو ذلك العضو الذى يكون فى الحزب البرلمانى مسئولاً عن تواجد الأعضاء للتصويت. (المترجم)

الأحراج النائية القريبة من منطقة الوصاية فى جوزا Gwoza. كان زملاء أبى بكر تافاوا باليوا فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، الذين فازوا بالمقاعد المخصصة لأقسام مدينة باوتشى هم: ثانى أبو بكر، أدم (مشرف الطرق Sarkin tafarki)، وجبرين يفايا، وبالراب تافاوا باليوا، الذى لم يكن من أقارب أبى بكر.

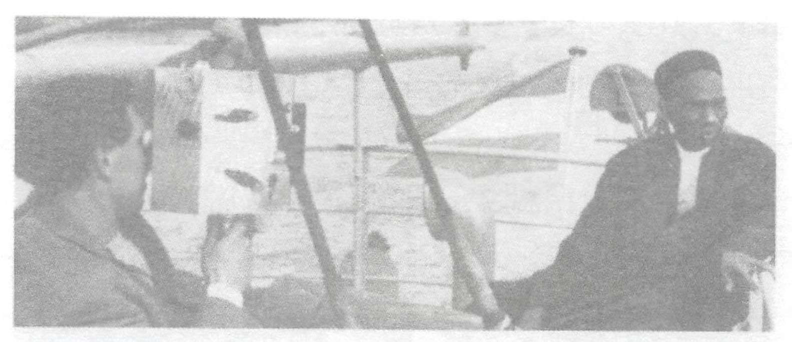
كانت السيدة جرى Grey، حرم النائب العام السابق، قد دشنت سفينة من سفن نقل الفحم فى ميناء إبردين فى أسكتلنده فى اليوم الذى عقد فيه أبو بكر مؤتمره الصحفى، وقد بنت هذه السيدة تلك السفينة للعمل فيما بين بورت هاركوت وليجوس، وقد طلب منها إطلاق الاسم تافاوا باليوا على تلك السفينة. لو حدث ذلك، لأحس رئيس الوزراء بالحرج من الناحية الدينية وعلى المستوى الشخصى، وبخاصة لو أطلق عليها اسم أبى بكر تافاوا باليوا، لكن زبدة هذا الكلام تتمثل فى أن هذه الفكرة من أفكار التكريم كانت لا تزال فكرة وافدة عليه وعلى مسقط رأسه. كان أبو بكر يحظى باحترام، هؤلاء الذين كان يترأسهم على مستوى مجلس الوزراء أو اللجنة بل ويحظى بإعجابهم أيضاً، وكان الناس يحيون سيارته فى الشوارع كرمز لذلك الاحترام، لكن أولئك الذى لم يحكموا عليه من حواراته ومن مصالحه واهتماماته أصبحوا يتحدثون اليوم عنه علانية كواحد من الزعماء غير المثيرين. كانوا ينظرون إلى مجلس وزرائه باعتباره توسعة غير متوازنة للمجلس القديم، وأن المجلس يحتوى على بدلاء عن أعضاء حزب جماعة العمل الذين خسروا الانتخابات، وهم عشرة أعضاء من الشمال وثلاثة أعضاء من الشرق وثلاثة آخرين من الغرب وعضو من ليجوس علاوة على عضو آخر من مجلس الشيوخ. وقالوا أيضاً إن هذه الوزارة تبدو ضعيفة على المستوى الشخصى وعلى المستوى الوطنى. وطوال وجود السير جيمس فى منصبه، كان الرجل أيضاً فى موقف يثور من حوله الجدل، ولا يقوى معه على المخاطرة برفض أسماء الوزيرين اللذين قد يفرضهما عليه كل من الدكتور أزكوى والمستشار السياسى، لكن أبا بكر كان قد أدرك وفهم أن طرد الوزراء بعد أن يتولوا مناصبهم، بسبب أخطاء ينظر الجمهور إليها

باعتبارها رشوة أو ارتشاءً، قد يفسـد عليـه الأمـر. وإذا ما نحيـنا جانبًا كلاً من جونســون، ونجـوكو، ونواشوكو، وواشوكو، وكذلك أوكوتاى - إبوه Okotie - Eboh نجد أن القادم الجديد هو تى أو إس بنسون Benson الذى سيتولى حمل حقيبة الإعلام (بما فى ذلك الإذاعة).

كان الدكتور ميخائيل أوكبارا Okpara، الرئيس الجديد لحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، مثل السير أحمد بللو رئيسًا لوزراء إقليم من الأقاليم، وعلى العكس تمامًا من سلفه نانمدى آزكوى، كان الرجل إداريًا مبتذلاً جيداً، وكان مثل نسمة الهواء العليل من بين موظفيه المدنيين الذين كانوا يحصلون منه فى ذلك الوقت على توجيهات واضحة. كان الرئيس Chief آكنتولا، رئيس وزراء الغرب الجديد، رجلاً صادق العزم فى تصميمه، وكانت عيناه تراقب أدق التفاصيل، لم يكن الرئيس أولوو يود النجاح لآكنتولا فى الانتخابات، لكن أجبو موشو Ogbomosho سنترال Central لم يكن خصمًا لآكنتولا فى الانتخابات الفرعية، وآثر إيناهورو أن يتبع زعيمه فى المجلس الفيدرالى. وانفصل ريمى فانى Fani كايود عن حزب جماعة العمل، ليتولى زعامة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى بوصفه زعيمًا للمعارضة فى المجلس الغربى نظراً لأن دينيس Dennis أوساديباى Osadebay أصبح عضواً فى مجلس الشيوخ. ومن بين فريق ليجوس القديم رَقَّى الحاج أبا بكر سكرتيره البرلمانى، الشيخ شاجارى، ليكون وزيراً للتنمية الاقتصادية والموارد الطبيعية، التى كانت بمثابة بركة محاذية لوزارة المالية والبنك المركزى، وبقى الدكتور نارايان Narayan براساد Prasad بمثابة المستشار الاقتصادى للحكومة. وفى ظل حكم من جاءوا بعد أبى بكر راح المخططون الاقتصاديون ينسون أن مهمتهم كانت مضللة، لو أنهم تصوروا أن الحكومات قادرة على جعل الناس يفعلون ذلك الذى يريده المخططون، وإذا ما استعملوا القانون والنظام اللذين يوحيان بأن الاستقرار أمر مسلم به.

تولى المعلم ميتاما سول Sule حقيبة المناجم والقوى، كان المستشار السياسى الرئيسى قد أبلغه أنه سيصبح أول وزير للخارجية من داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، لكن عندما أحضره محمد رباط إلى ليجوس قال رئيس الوزراء إنه على الرغم من أنه كان يريد له فى بداية الأمر تولى أمور قسم الشئون الخارجية فى مكتبه الخاص، فإنه قرر فى نهاية المطاف أن من الأفضل فى البداية أن يدرب الإنسان نفسه على إدارة وزارة من الوزارات. لم تكن وجهة نظر أبى بكر فى الشئون الخارجية مؤشرًا ودليلاً للوطنيين الأقوياء على الإرشاد والتوجيه الموضوعى، ولم تكن إشارة أيضًا إلى صبغة المحافظة التى يصطبغ بها الكمنولث: **"الإنسان لا يمكن أن يتكلم عن انحياز دائم لأى كتلة من الكتل على الإطلاق، ومن الصعب جدًا على أية حكومة اتباع سياسة دائمة"**. ومع ذلك أضاف أبو بكر،عند هذه المرحلة، إلى تعاطفه مع الكمنولث إشارة، أو إن شئت فقل تلميحة مفادها أنه يفضل فى نهاية المطاف شكلاً من أشكال الارتباط الأوثق مع الولايات المتحدة. كان أبو بكر قد التقى من وقت قصير السكرتير العام للأمم المتحدة السيد داج همرشولد أثناء الزيارة التى قام بها إلى ليجوس، **واكتشف أبو بكر أن ذلك السويدى كان رجلاً ماهرًا، ومؤثرًا لكنه يعد رمزًا باردًا تمامًا لمؤسسة أو منظمة أنشئت على أساس من النوايا الحسنة.**

بينما كان أبو بكر يُعْمل فكره متأملاً فى يأس تلك المسئوليات التى لم يكن يريدها أو يود تحملها، والتى لم يجد لها وارثًا مناسبًا، ترك أحد ثقاته الشماليين المستقلين، وهو المعلم يحيى جوساو، الخدمة فى لجنة الخدمات العامة الفيدرالية ليعود إلى الشمال كيما يصبح سكرتيرًا للمجلس التنفيذى. حاول أبو بكر الإبقاء على يحيى جوساو بأن وعده بالترقى، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل. ولم ينشرح صدر الرجل أيضًا للمقال الذى كتبه عبد الكريم ديسو السكرتير الصحفى للدكتور آزكوى، ورحب فيه بيحيى جوساو فى واحدة من صحف الإقليم الشمالى: "ليس هناك ما يجعلنا نزكى الحكومة الفيدرالية الجديدة عند الوطنيين النيجيريين... كانت الحكومة الفيدرالية السابقة شهيرة



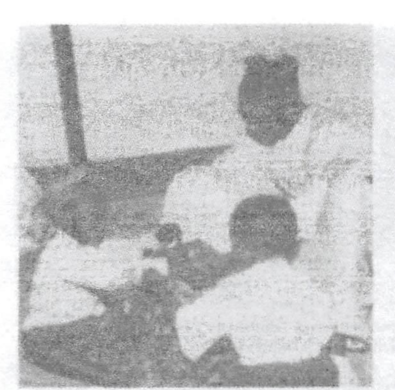
Abubakar being filmed on a Netherlands inland waterway.
Examining a hydrological model; and befriending two Dutch boys.





Abubakar and the Sardauna, between the Emirs of Kano and Katsina, at Sharwood-Smith's final departure from Kaduna railway station.
[Photograph by Author]



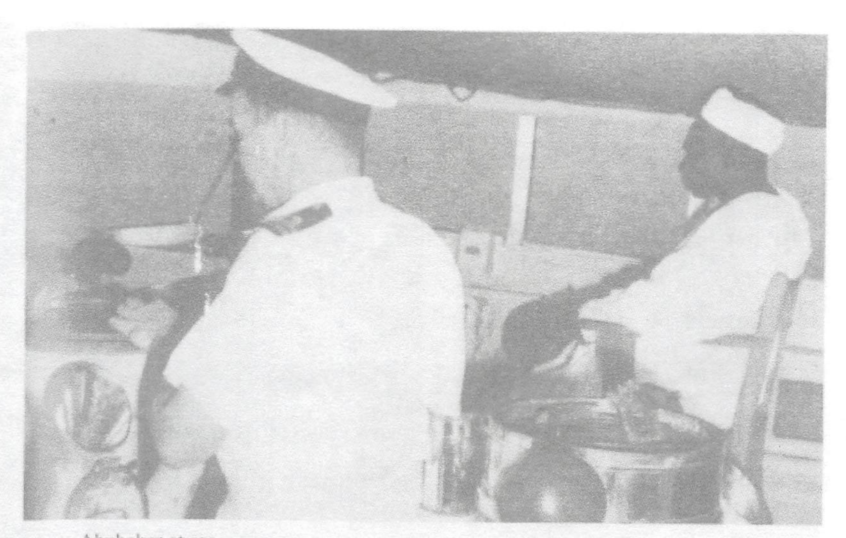


Sorting groundnuts with Mukhtar and Saddik; and (right) posing for one of his own Christmas cards.



Robert Wright, in retirement, meets Abubakar again.
[Photograph by courtesy of Mr Wright]

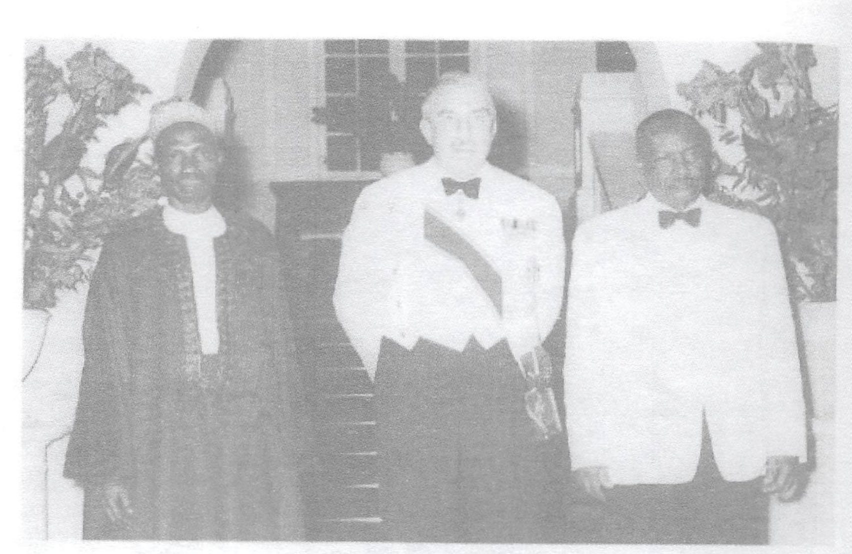




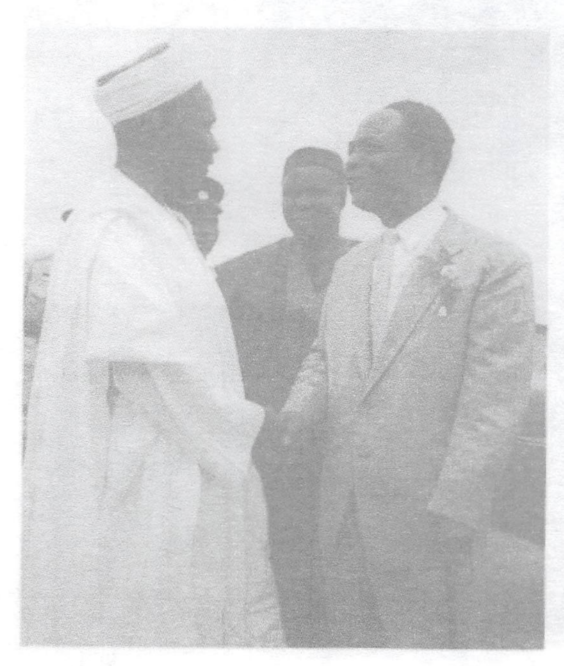
Abubakar at sea.

1958 conference. Inuwa Wada and Abubakar with Sardauna and Makaman Bida.





Abubakar, Sir James Robertson and Abdulla Bey Khalil of Sudan.



Abubakar and Kwame Nkrumah.



Abubakar wearing his Sierra Leonean chief's robes, with Sir Foley Newns.

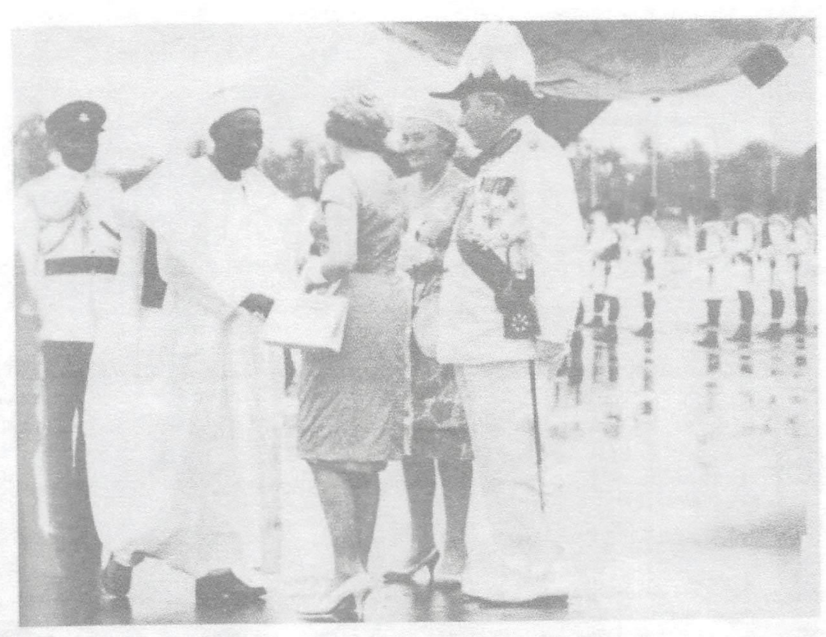
Abubakar meets Sir Roy Welensky and Verwoerd at PMs' conference.



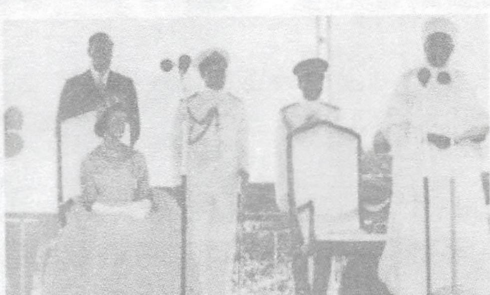


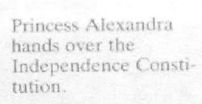


[By Courtesy of Time Magazine]



Princess Alexandra is welcomed at Ikeja airport by Abubakar and Sir James.

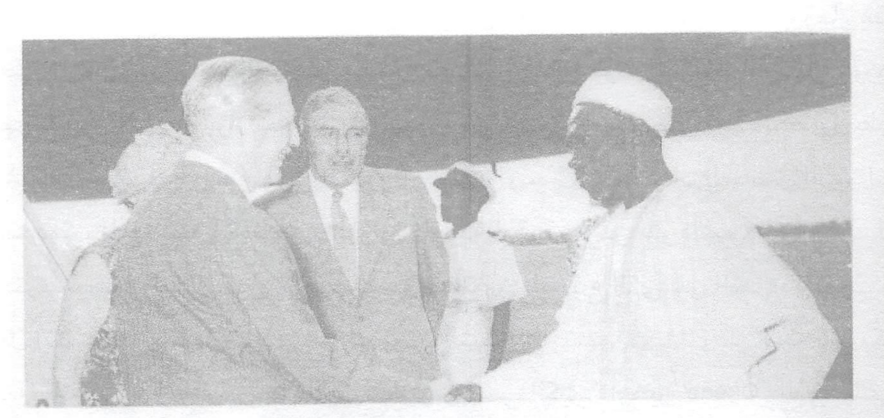




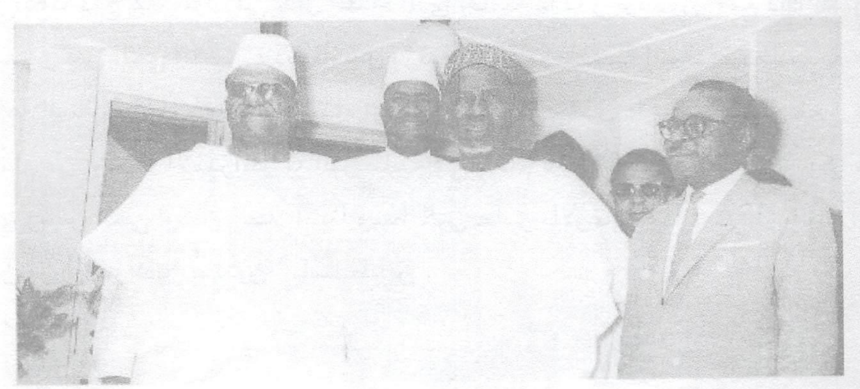
Princess Alexandra hands over the Independence Constitution.



Abubakar addresses the nation at the celebration.



Harold Macmillan, Robertson and Abubakar.



Hamani Diori (Niger), Abubakar and Maurice Yameogu (Haute Volta).

Abubakar, Azikiwe, Sir Francis Ibiam and Dr Majekodunmi.



بعدم نقل أى مع الموظفين البريطانيين المقيمين. عادت هذه الحكومة إلى مقرها، هذا يعنى أن أعضاء هذه الحكومة سوف يحصلون على نوط "ضابط الإمبراطورية البريطانية" لأنهم أثبتوا أنهم "أناس طيبين" فى الإمبراطورية حتى بعد الحصول على الاستقلال. ألا يُعد عدم وجود الدكتور آزكوى أو زعيم حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، المُعلِّم أمين كانو، فى الوزارة الفيدرالية نذيرًا من نذر الشؤم؟" ومع ذلك لم يعترف مطلقًا السيد "إيزى لايف" ديسو Disu أن الصدع الذى بين الشرق والغرب لا يقل اتساعًا عن الصدع الذى بين الجنوب والشمال. ارتسم الاكتئاب على وجه أبى بكر أثناء الإيواء الذى وفره رئيس الوزراء لرئيس الحى الكبير أوكين Okene، الذى التقى هو أيضًا داج همرشولد فى حفل الغداء الذى أقامته عائلة روبرتسون. ومع ذلك انشرح صدر رئيس الحى الكبير عندما أرسل برقية تهنئة من سفينة البريد عندما سمع من إذاعة السفينة أثناء مغادرتها الميناء أن الحاج أبا بكر حصل على لقب فارس مع أرقى وسام من أوسمة الإمبراطورية البريطانية فى العام ١٩٦٥ الميلادى. كان أبو بكر فى رأى رئيس الحى أوكين رجلاً أمينًا وسط كون عامر بالأوغاد، هذا يعنى أن الرجل لم يكن من أولئك الذين يُسمون "أناسًا طيبين".

الفصل التاسع والعشرون

المؤتمر الأخير

"نحن نطلق عليها اسم [محادثات] ليس إلا"

الخطط ، والكلام البارع والمهارة هؤلاء الثلاثة

لن يوصلوا الإنسان إلى العام التالي(*)

يرى الكثيرون حصول الحاج السير أبى بكر على لقب فارس أمرًا مناسبًا ولائقًا لهذا الرجل، وقد اقتبس الباحثون الإنجليز عن شوسر، فى كثير من الأحيان بعض الأبيات التى تناسب هذا المقام من ديوان شعره المعنون "حكايات كانتربرى" ("كان هناك فارس، وهو فاضل وشريف، ٠٠٠١ أحب الفروسية، \والصدق والشرف، والحرية والتأدب ٠٠٠١ وكان يكرم دومًا لشرفه وجدارته. ٠٠٠١ لم يعرف النذالة \ لم يغيِّر أسلوبه طوال حياته.\ كان فارسًا لطيفًا وكاملاً".) كان الآخرون من أمثال أعضاء حزب جماعة العمل الذين استمعوا إلى هذه الأبيات يرون أن البريطانيين قد أفرطوا بعض الشىء فى الاعتراف بفضائل سياسى بدا لهم فى بعض الأحيان شديد التسامح مع البريطانيين، كيف يتأتى لفارس من فرسان الإمبراطورية البريطانية أن يكون وطنيًا حقيقيًا؟ هذه الكرامة كانت محاطة من الجانبين بوسام "تابع القديس ميخائيل والقديس

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل العربى السائد "العبد فى تفكير والرب فى تدبير" وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى الذى يقول : Mon propones God dispones . (المترجم)

جورج" CMG الذى حصل عليه وزير المالية، الرئيس Chief فستوس سام أوكوتاى - إيبوه Okotie-Eboh، الذى حسبه البعض متلقيًا غوغانيًا لذلك الوسام الرفيع، الذى عادة ما يتدلى من أعناق سفراء بريطانيا المستقبليين، وكبار الموظفين الاستعماريين الوقورين. يقول خبراء منظومة الفروسية: إن منح هذين الوسامين كان إشارة طيبة إلى أن الغلظة والخشونة لا يسودان دائمًا، أما فيما يتعلق برئيس الوزراء فقد جاء ذلك بمثابة تأكيد رسمي من جانب لندن أن الرجل موثوقًا به فى قيادة بلاده دون أن يجلب الدَّنية على الدولة التى تنازلت عن الاستعمار. كان الرجل (أبو بكر) قد أوشك أن يحل ضيفًا على رئيس البرتكول، هارولد ماكميلان رئيس الوزراء البريطانى، الذى كان يتمتع بإزعاج الحاكم العام عن طريق مراعاة الشكليات بطريقة مؤذية، عندما كان يصر على الانحناء لممثل الملكة كلما التقاه.

أمضى هارولد ماكميلان شهرًا فى الزيارات التى قام بها إلى غانا ونيجيريا، والأجزاء المكونة لروديسيا، وجنوب إفريقيا. كان الدكتور نيكروما قد أعلن منذ وقت قريب، "حجم البيت لا يهم، وإنما الذى يهم هو جودة البيت"، ويرد السير أبو بكر على نيكروما فى الرسالة التى وجهها إلى الشعب بمناسبة العام الجديد: **"نيجيريا ليس لها الحق فقط، وإنما عليها واجب ضخم فى أن تصبح مستقلة، حتى تتمكن من لعب الدور المناسب فى شئون الأمم ..... ونيجيريا باعتبارها الدولة الوحيدة الأكثر سكانًا فى إفريقيا، سوف تحتل وبلا أدنى شك مكانة وموقعًا مهمًا من بداية استقلالها .... أصغر أعمالنا ، وكل كلامنا ستكون له مضاعفات على جيراننا، وأنا على يقين أن نيجيريا سوف تثبت أنها قوة استقرار فى إفريقيا، وأن المثل الذى سنضربه فى هذا المجال سوف يؤدى إلى خلق الظروف المناسبة للتقدم والتنمية المنظمين".**

الواقع أن إفريقيا كانت تتغير تغيرًا سريعًا. كانت هيئة الإذاعة النيجيرية، التى أذاعت هذا الخبر، تستعد للإذاعة على إفريقيا كلها (ولإيصال الإرسال التليفزيونى إلى

ليجوس). وأعلن فى اليوم الأول من العام ١٩٦٠ الميلادى قيام جمهورية الكاميرون (سابقًا الكاميرون الفرنسى) المستقلة، وسط استمرار العمليات الإرهابية، على الرغم من عدم البت فى مستقبل منطقة الوصاية البريطانية. كان الجنرال ديجول قد عقد العزم على اتخاذ الترتيبات النهائية لاستقلال مالى، وكان مندوبون من مالى قد سافروا إلى باريس من مدغشقر لكى يحصلوا على المكافأة نفسها، واصلت كل من ساحل العاج، وداهومى، وفولتا العليا، والنيجر الحديث عن آمالها المرتقبة باعتبارهم أعضاءً فى التحالف entente الفرنسى، فى الوقت الذى بدأت تتنبه فيه إلى الصيحات العالية الصادرة عن السيادة المطلقة. كانت القلاقل التى تجددت فى الجزائر قد أوشكت على التحول إلى مظاهرات واضرابات بواسطة المتطرفين كما نصبت الحواجز فى الجزائر عقب الاجتماع الثانى الذى عقدته منظمة كل الشعوب الإفريقية والذى نادت أكرا بعقده فى تونس، لم يكن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أو الكاميرون البريطانية ممثلين فى هذا الاجتماع لكن المعلم إبراهيم إمام حضر ذلك الاجتماع، وتكلم الرئيس أنطونيو Anthony إيناهورو نيابة عن حزب جماعة العمل والإقليم الغربى والتقى الرجلان كلاً من لومومبا وأميلكار كابرال. كذلك الوطنى القادم من غينيا البرتغالية والرأس الأخضر (كان المعلم أمين كانو قد قام بزيارة الحاج السير أبى بكر وهو فى طريقه لحضور ذلك الاجتماع، وأبلغه رئيس الوزراء أن مصادره الشرطية أكدت له أن المؤتمر قد ألغى، وأرسل له من تونس برقية وقحة تكذب ذلك الخبر). قاطع المندوبون الأفارقة المنتخبون المؤتمر الذى عقده مجلس لندن – لانكستر Lancaster لإحداث بعض التغييرات الدستورية المحددة فى كينيا (كما إنهار أيضًا المؤتمر الذى عقد بشأن قبرص انهيارًا تامًا). وفى مصر بدأ العمل فى بناء السد العالى فى أسوان، بمساعدة من الاستثمارات الفنية والمالية الروسية. وفى بروكسل كان مؤتمر المائدة المستديرة على وشك الموافقة على استقلال الكنغو البلجيكى فى شهر يونيو، دون أن تكون هناك تفاصيل محددة لذلك الاستقلال.

كان هارولد ماكميلان قد ألقى خطابًا فى أكرا ولم يشد إليه انتباه أى أحد من الناس، وقال فى هذا الخطاب "إن رياح التغيير تهب على كل أنحاء إفريقيا". وبحكم وجوده فى نيجيريا احدث تناقضان انطباعًا كبيرًا لدى هذا الرجل: الانطباع الأول عن الدكتور نيكروما، الذى قرأ على ماكميلان خطبة، صاغها صياغة جيدة رئيس خدمته المدنية الغانى القدير، لكن الخطبة جرى إلقاؤها بلا مبالاة وذلك على العكس من الترحيب الشفاهى البليغ الذى قام به أبو بكر فى مطار إكيجا Ikeja. أما الانطباع الثانى فقد تمثل فى الاكتشاف الذى مفاده أنه فى الوقت الذى كان نيكروما محاطًا فيه بالمتحمسين المحليين والأجانب الموالين لإفريقيا، وكانوا جميعًا يتشوقون إلى إعادة كتابة تاريخ القارة وإعادة بناء مجتمعاتها بالقوة، كان الساسة النيجيريون الذين التقاهم هارولد ماكميلان خلال الجولة التى قام بها فى عواصم البلد (نيجيريا) مشغولين تمامًا بمتاعبهم الداخلية الخاصة بهم وبالصراع الدائر بين الحماقة الإقليمية والفيدرالية النظرية إلى الحد الذى جعلهم لا يهتمون بتفاصيل التطورات الدستورية فى الأماكن الأخرى، سواء أكانت تلك التطورات غامضة أم مجددة. وقد اكتشف داود هنت مستشاره فى مكتب علاقات الكمنولث ومعد خطبه - والذى كان أكثر تشككًا من رفاقه فى وزارة المستعمرات الذين سبق لهم أن نصحوا الساسة النيجيريين أنه مع تولى السير أبى بكر العاقل المهذب مقاليد الأمور فإن مستقبل نيجيريا سيكون مستقرًا وواعدًا - وأن جو الزهو بالمضى السلس قدمًا صوب الاستقلال "بلغ من الجودة مبلغًا يصعب معه أن يكون جوًا حقيقيًا".

لم يكن لدى السير أبى بكر نفسه قصة حتى يرويها لهارولد ماكميلان عندما التقيا للمرة الثانية فى مقر الحكومة. حكى أبو بكر لرئيس الوزراء البريطانى عن المرارة التى نشأت عن ذوى الخُرُج(*) الذين كانوا يناصبون الناس العداء خلال حملة الانتخابات

(*) ذوى الخُرُج: بضم الخاء والراء، هم أبناء الشمال الأمريكى الذين شخصوا إلى الولايات الجنوبية وليس معهم غير ما حملوه فى أخراجهم التماسًا للربح الشخصى عقب الحرب الأهلية الأمريكية، لكن المقصود هنا هو الأشخاص الغرباء الذين يتدخلون فى السياسة . (المترجم)

الفيدرالية، كما أبدى أبو بكر ملاحظة فى ضوء ابتسامة توحى بالشك، مفادها أن الأحزاب الرئيسية كلها خاضت الانتخابات على أساس أن كل حزب من الأحزاب يضع المصلحة "الوطنية" نصب عينيه، ومع ذلك حاولت الأحزاب كلها الحصول لنفسها على مواطئ أقدام فى الأقاليم التى تعد مواطن لتلك الأحزاب وذلك عن طريق استغلال الخلافات القبلية والخلافات الدينية. وقال أبو بكر أيضًا، إنه لا يزال يتحتم عليه عمل الكثير ليجمع البلاد كلها على المعنى الحقيقى للوحدة الوطنية، وهذا هو ما كان الرجل يصر عليه فى خطبه منذ سنوات عديدة، لكن الرجل كان لا يزال لديه أمل مفاده أن الشباب مع مرور الزمن قد يبدأون فى النظر إلى أنفسهم باعتبارهم نيجيريين، وتنمو فى داخلهم وتتطور فى أذهانهم هذه الوطنية الحقيقية على نحو يجعلهم يحسون أن نيجيريا بلد لهم، وأن هذا هو ما حاول أبو بكر التعبير عنه والمناداة به. "الوحدة سوف تتحقق مع مرور الزمن". لم يكن هناك شك فى أن هذه الآمال والتطلعات كانت تمثل صوت أولئك الذين أقنعوا أنفسهم بأنهم استمالوا الرجل عن طريق المكر والخداع إلى التعبير عن نفسه والتركيز على وجوده هو، ولذلك أصبح أبو بكر بعد أن تولى مقاليد الأمر، هو ذلك الشخص نفسه.

أوضح أبو بكر لهارولد ماكميلان أيضًا أنه يتطلع إلى قيام الحاكم العام بإقناع صاحبة الجلالة ببقاء روبرتسون عاهلاً للدستور مدة عام، ويفضل أن يكون ذلك عامين، من بعد الاستقلال، وكان الهدف الرئيسى من وراء ذلك، من ناحية، هو إعطاء الدكتور أزكوى مثلا يُحتذى، وتهيئة أرضية صلبة للرجل أثناء مؤتمرات وندسور، وربما كان ذلك أيضًا، من الناحية الأخرى، احتفاظًا لنفسه بمنصب كاهن الاعتراف لمدة أطول. كان روبرتسون غير راض عن ذلك، وكان يقاومه ويعترض عليه. لن يفيد كثيرًا هنا أن نجادل فى الحقيقة التى مفادها أن الممتلكات dominions "البيضاء" لم تدرك إلا مؤخرًا تمامًا أن مواطنيها قد يصبحون نوابًا أو منابين ملكيين. وربما كان عدم الرضا هذا ناتجًا لا عن تنبؤه بالاستياء والأحقاد التى قد تتولد لدى الرمز البريطانى الموجود على

القمة، وإنما من اليقين الذى مفاده أن الكثيرين لن يفهموا مطلقًا أن ممثل صاحبة الجلالة، مثل الملكة نفسها، يمكن أن يتصرف أو يتكلم على النحو المناسب الذى يشير به الوزير، ويواصل زعم استمرار هذا التدخل، ثم يلقى عليه باللوم كلما فعلت الحكومة شيئًا لا يحظى بالقبول الشعبى. كان الطريق القويم واضحًا للرجل، ومع ذلك لم يكن السير جيمس يود تخييب آمال أبى بكر أو إحباطه. جرى إعفاء روبرتسون عندما لعب رئيس الوزراء دوره فى إقناع رئيس الوزراء النيجيرى بما مفاده أن رؤية روبرتسون كانت واضحة وصادقة، كان ذلك يعنى أن البدء فى توجيه أزكوى وإرشاده يتعين أن يبدأ من الآن. وينتقل الرجلان بعد ذلك إلى موضوعات أخرى من قبيل الاختبارات الذرية الفرنسية، ومستقبل الكاميرون، وقبل ذلك كله مسألة المشكلات التى ستنشأ عن مسألة حصول موظفى ما وراء البحار على تعويضاتهم وعودتهم إلى الوطن، كما تناول الرجلان أيضًا مشاريع الرفاه. وضحك أبو بكر ملءً شدقيه عندما تطرق الحديث إلى أحدث العروض التى تقدم بها نيكروما والذى يقضى بترك سيادة غانا لاتحاد إفريقى.

فى ساعة متأخرة من صباح ذلك اليوم، دُعى السيد/ ماكميلان لحضور أول اجتماع لمجلس الوزراء النيجيرى والتحدث إلى ذلك الاجتماع. وآثر ماكميلان التحدث إلى السير جيمس وإلى السير أبى بكر وإلى الآخرين عن قيمة مبدأ المسئولية المشتركة، وعن دور سكرتارية مجلس الوزراء. وطلب السير أبو بكر من السير نورمان بروك سكرتير مجلس الوزراء البريطانى كبير مستشارى هارولد ماكميلان، التحدث فى الاجتماع. كان ذلك الاجتماع بمثابة آخر اجتماع يحضره فولى Foley نوينز Newns بصفته سكرتيرًا للمجلس. أوضح المسئول الرئيسى فى الحكومة البريطانية للجمهور الذى كان يستمع إليه، مهام اللجان اللندنية الخاصة، ومهام الإدارات ومهام المسئولين أيضًا، وقد أدى أسلوب هذا الرجل إلى وضع منظور جديد لملاحظات الإجراءات الإدارية التى سبق أن قام فولى نوينز بأخذها من المصدر نفسه قبل تشكيل

الوزارات المتكاملة فى نيجيريا وإنشائها. وفى اليوم التالى عُقد اجتماع قصير لمجلس المندوبين الجديد، فى الصالة الوطنية التى لم تكن قد اكتملت بعد، وجرى المرور مروراً عابراً على الأمور، وكان ذلك أمراً متوقعًا خاصة بعد افتتاح الحاكم العام لأعمال المجلس، ثم غادر ماكميلان نيجيريا بعد ذلك.

قدم رئيس الوزراء النيجيرى السيد/ هارولد ماكميلان وطلب منه النصح والإرشاد فى أمر غاية فى الأهمية. ولما كان الرجل يفكر فى كل من أندونيسيا، وباكستان، والسودان وكذلك الآمال المرتقبة فى غانا قال:

"رأينا خلال السنوات القلائل الماضية عددًا كبيرًا من الدول التى حصلت على استقلالها، وانطلقت من دستور يقوم على النظام البرلمانى. ويؤسفنا أن نرى فى بعض الحالات أنه بعد سنوات قلائل من الديمقراطية البرلمانية، انهيارًا كاملاً للحكومة، وأصبح قطاع واحد من قطاعات المجتمع هو القابض على السلطة. وقد أصبح واضحًا الآن أن هناك خطأ فى مكان ما. من السهولة بمكان القول إن البلدان التى حدث فيها ذلك لم تكن مستعدة للاستقلال، لكنى أرى أن هذه حجة واهية وضعيفة. الواقع أن الحقيقة تكمن فى مكان آخر، ويبدو لى أن الزعماء السياسيين فى هذه البلدان خذلوا شعوبهم .... ومخاوفنا لا تتمثل فى أننا سنفشل، لا، مخاوفنا تتمثل فى أننا قد نخيب آمال الملايين من إخواننا المواطنين، الذين عهدوا إلينا بمهمة إدارة شئونهم".

كان رئيس الوزراء البريطانى، الذى أطلق عليه مؤلف الرسوم المتحركة ميكى اسم "سوبر ماك" بدلا من "سوبر مان"، مع استعمال الأنغام الشعبية المطمئنة التى تجعل المرشح الانتخابى البريطانى يحس بالارتياح، كان يتصبب عرقًا فى بدلة داكنة اللون نظرًا لتعطل جهاز التكييف، ومع ذلك كان رئيس الوزراء يتكلم بسهولة آخذًا فى

اعتباره وصف السير أبى بكر للانتخابات النيجيرية، وقدم لمستمعيه النصيحة التالية: "توجد فى أى اتحاد من الاتحادات الفيدرالية توترات وضغوط تهدد وحدة مثل هذا الاتحاد، وهذا يتطلب درجة غير عادية من الفهم والتحمل .... والمرء عندما يخسر [فى الانتخابات] يجد نفسه مقتنعًا بأن العملية كلها تدعو إلى السخرية والاستهزاء، هذا يعنى أيضًا أن الناس يجرى تضليلهم عن طريق المُهَيِّجين(*)، لكن المرء عندما يفوز فى الانتخابات يقول فيما بينه وبين نفسه: "أنا كنت أعرف دومًا مدى صدق الناس". حسن، وهذا هو ما حدث. هذا يعنى أننا يتعين علينا جميعًا أن نزن الأمور بميزانها الصحيح ونقبل المزاح بصدر رحب. على كل حال، وما دمنا كنا نقدر حرية الكلام، وحرية التعبير عن آرائنا على النحو المسموح به للمتحدث الرسمى باسم البرلمان، فإننى لا أجد أمامى منظومة أفضل من منظمة البرلمان المنتخب لأن مثل هذه المنظومة هى التى تعطى الناس نوعية الحكم الذى يريدونه .... وتاريخكم يشهد على مكانة السير لوجارد، كما أن كلمات الرجل الشهيرة عن "الانتداب الثنائى" تعد إلى يومنا هذا كلمات صادقة مثلما كانت عندما نطق بها أول مرة: "أولاً، تطوير الرفاه المادى والمعنوى للشعوب الإفريقية، ثانيًا، تنمية موارد إفريقيا الطبيعية، لا من أجل رفاه شعبها وحدها وإنما لرفاه الجنس البشرى كله".

شكوكنا ونقدنا الذاتى للرفاه المادى والمعنوى للشعوب الإفريقية واسترخاؤنا وتساهلنا فى مسألة تنمية موارد إفريقيا الطبيعية، ليست سوى خصائص صغيرة دعَّمت الأشكال النمطية التى رُسمت لهذين الزعيمين، بواسطة أولئك الذين حاولوا إهمالهما من الحساب أو الاعتبار بعد ذلك بحوالى جيل من الزمان، وقد تجلت هذه الخصائص فى هذه المناسبة بصفة خاصة (ولم يحدث أن تساوى اعتدال كل من سياسيى حزب العمل الذى يحظى باحترام كبير، وجى بى ماكنتوش الأكاديمى

(*) من يتلاعبون بعواطف الناس أثناء الانتخابات عن طريق الخطابة. (المترجم)

الإيبادانى Ibadan، ولا عباراتهما الحريصة ولا شكوكهما فى الأعمال المتهورة أو الاندفاعية ولا تلميحهما إلى الغلظة والقسوة الكامنة فى شخصيتهما، لم يحدث ذلك إلا منذ سنوات قلائل فقط). عُقِد بعد ذلك مؤتمر صحفى، أوضح فيه أبو بكر أنه كان يتطلع أن لا تكون هناك دول أخرى يبلغ طموحها حداً يجعلها تسيطر على الدول الأخرى، ومعروف هنا الدولة وزعيمها، التى كان يقصدها أبو بكر بهذا الكلام. أصر أبو بكر على أنه لم يناقش مشكلات جنوب إفريقيا، على الرغم من أن جنوب إفريقيا كان آخر محطة فى جولة ماكميلان. أبلغ أبو بكر المراسلين الصحفيين أن إدانة حكومة جنوب إفريقيا بصورة مستمرة ينطوى على شىء من الخطر، نظراً لأن الاستمرار فى هذه الإدانة يمكن أن يؤدى إلى الاستياء وتحجر القلوب، لكن الرجل أقبل على تحركه الشعبى الأول الذى ابتعد به عن وجهة نظره التدرجية الخالصة فى السياسة القارية، وأردف قائلاً: إن سياسة الأفريكان Afrikaner العرقيه بدأت تسىء إلى الكمنولث بشكل عام، كما قال أيضاً: إذا كان الاقتتال داخل الأسرة أكثر فاعلية منه خارج الأسرة، فإن اتحاد جنوب إفريقيا سيكون قد فعل خيراً إذا ما ترك الكمنولث لأنه ليس مستعداً لتحمل النقد وتغيير طرقه وأساليبه.

أقام الرجل حفل غداء من حفلات رئيس الوزراء، لم يحضر وزير الأشغال ذلك الحفل لأنه نسى أنه مدعو إليه، كما أدرك رئيس الوزراء أيضاً أنه أغفل إرسال مذكّر إلى وزير الأشغال، كيما يذكره بموعد ذلك الحفل، وفى تلك المناسبة قام ستالارد Stal-lard الذى كان لا يزال يشعر بأن عليه مراجعة الاقتصاد المنزلى، الذى من قبيل التأكد من المخزونات فى الثلاجة، وتنظيم الأطفال والسيطرة عليهم، قام بإحضار صندوق من السيجار محلى الصنع كان عنده من أيام أن كان فى بلدة كبا Kabba: ويسافر ماكميلان بعد ذلك لزيارة عواصم الأقاليم (ومن بينها كادونا التى ذكَّرته عظمة المستشار السياسى الرئيسى بدوق أمنيوم Omnium عند ترولوب Trollope، الذى أُعجب به حفيد الفلاح الصغير، ويتمثل الفارق فى أن الدوق الروائى كان يتعين التزلف

إليه كيما يقبل التزامات النبالة العامة والموافقة عليها). ويطير هارولد ماكميلان بعد ذلك إلى سالسبيرى، ومنها إلى بلنتير Blantyre ومنها إلى مدينة الكاب Cape Town (التى وردت فيها أيضًا عبارة "رياح التغيير" عبر مبانى السفارات العالمية ووكالات الأنباء، الأمر الذى جعل الرئيس Chief النيجيرى المنفى لوثولى Luthuli يتعجب "أنا لا أصدق ذلك الذى تسمعه أذناى"، وراح الرجل فى حزن يشجع الرجال البيض من أهل روديسيا الجنوبية - وبخاصة نساءهم - على التراجع إلى ما وراء معسكرهن Laag-er). كان هارولد ماكميلان قد فوجئ، على ما يبدو، باستماعه إلى التأكيدات الجادة الصادرة عن الرئيس آكنتولا، وعن بعض الناس العاديين تمامًا، والتى مفادها أن النيجيريين كانوا ممنونين لكل ما حصلوا عليه فى الماضى من بريطانيا، وأن هذا الإحساس سيجرى الرمز إليه مستقبلاً فى احترامه الشديد لذكرى السير أبى بكر باعتبار أن أبا بكر يعد أيقونة (رمز) من أيقونات الكرم الإفريقى الأصيل.

تقدم أبو بكر فى اليوم التالى باقتراح إلى المجلس حول الطلب من حكومة صاحبة الجلالة إعداد التشريعات المطلوبة لاستقلال نيجيريا: "هذه فرصة فريدة ... فى المناسبتين السابقتين [عندما تعين على وزراء حزب جماعة العمل الاستقالة نتيجة الفوضى والاضطراب، وعندما قام حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بدور القيادة فى اختيار اليوم الثانى من شهر أبريل من العام ١٩٦٠ الميلادى، موعدًا للحصول على الاستقلال] **كان الاقتراح بمثابة تحدٍ لحكومة المملكة المتحدة. أما فى هذه المرة فالأمر مختلف تمامًا .... الاقتراح .... لا يعد مجرد شكلية من الشكليات ..... فى المستقبل، سواء أطاب الزمن أم خاب، لن يكون من حق [مواطنينا] الحصول على المساعدة الخارجية باعتبار ذلك حقًا من حقوقهم ..... هذا عمل وقور يُعطى لمواطنينا على الملأ وعلانية وعلى نحو يجعلنا نثق بقدرتنا على إدارة شئوننا الخاصة بنا إدارة حكيمة وعادلة. أذكر أنه قيل فى حوار سابق أن نحكم أنفسنا حكمًا سيئًا بدلاً من أن نُحكم حكمًا جيدًا. ربما كان ذلك أفضل - عند أولئك الذين يقومون بالحكم. لكن يتعين علينا**

التفكير فى أولئك الذين سنحكمهم نحن. هل سيكونون أفضل حالاً ـ أم أسوأ حالاً فى أضعف الأحوال؟"

قال: تلك خطوة لا يمكن الرجوع فيها، لا يمكن أن نعود مرة ثانية إلى الاستعمار. يزاد على ذلك أن الموضوعين المتحفظين الباقيين، وهما الدفاع والشئون الخارجية لا يمكن قبولهما قبولاً حسنًا خالٍ من الجدل. سنكون بحاجة ماسة إلى قوات عسكرية. ولا يمكن لأى بلد من البلدان أن تكون لديه سياسة خارجية غير مرنة أو جامدة، ويتعين أن تكون سياسة نيجيريا الخارجية قادرة على التكيف مع الظروف المتغيرة فى العالم، وعندما ينادى أبو بكر بذلك، فهو لا يتحدى نظريات الرئيس آولوو الخاصة بالأرضية المشتركة التى تتقاسمها الديمقراطيات أو رأى الدكتور آزكوى عن المزايا الناجمة عن عدم الانحياز القارِّى. كان هناك أيضًا فى ذلك الوقت الإشادة الحقيقية بكل البعثات التبشيرية، وبالتجار، وبرجال المال والأعمال وبرجال الإدارة الذين عملوا من أجل تقدم نيجيريا. أهم من ذلك كله، "**.... أن نيجيريا سوف يُنصَحُ لها بالمحافظة على دستورها المدون بلا مساس ..... شريطة أن نتبع نصوص دستورنا، وأنا شخصيًا لا يمكن أن أتصور أى شكل من أشكال الاحتكاك الخطير الذى يمكن أن ينشأ بين مختلف حكومات الاتحاد**". كان الدكتور آزكوى يراقب ما يجرى بوصفه غريبًا مرموقًا، وكان الرئيس آولوو قد طلب من مؤيديه ذات مرة الامتناع عن انتقاد الحكومة الجديدة، نظراً لأن المقترح كان مقترحًا أجمعت على الاتفاق عليه أذهان أعضاء المجلس جميعهم فضلاً عن أذهان الناس كلهم أيضًا. هذا يعنى أن التصويت على ذلك المقترح كان تصويتًا بالإجماع، على الرغم من أن مقدم الاقتراح لما يشاركه مواجسه(*) كل الحاضرين فى الاجتماع، يزاد على ذلك أن كتاب الأعمدة فى الصحف لم يكونوا كلهم يودون للدستور أن يصبح شيئًا لا تدنس حرمته.

(*) الواجس: إحساس غامض بأن حدثًا ما وشيك الوقوع. (المترجم)

كان مجلس النواب قد تشكل بصورة رسمية. وقيل إن المعيار الرئيسى للعضوية لم يكن سياسيًا، وإنما هو سجل القدرات الماضية "والشعور بالمواطنة". كان بعض الأعضاء الذين جرى اختيارهم بواسطة المجالس التشريعية الإقليمية من المندوبين السابقين أو من أعضاء الجمعية العمومية الذين لم يعودوا بعد يشغلون مقاعدهم، وكان من بينهم أيضًا الدكتور أى إيه إيسين Esin، الوزير الإقليمى الشرقى الأسبق. كان الحاج أبو بكر جاربا، رئيس الحى madaki وأفضل أصدقاء رئيس الوزراء، قد جرى اختياره فى الاجتماع المشترك الذى عقده مجلس الرؤساء والجمعية العمومية، ليكون ممثلاً لمدينة باوتشى، ومعروف أن أبا بكر جاربا كان من بلده كافين Kafin ماداكى Madaki، حدثت هناك جلبة أيضًا فى كادونا، عندما أصر عنصر من عناصر حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، وعنصر من عناصر حزب جماعة العمل فى الشمال على أن يكون للحزبين تمثيل فى مجلس النواب، شملت مقاعد الحاكم العام الثلاثة فى المجلس الأعلى (من بين المقاعد الأربعة المسموح بها)، والتى أنشئت بناء على نصيحة من رئيس الوزراء لسد الثغرات التى فى طيف هذه الهيئة واسعة الاهتمام، كلاً من ليونارد دالدرى Daldry من بنك باكليز، والدكتور آد Ade ماجيكودنمى Majekodunmi، الذى أُقيل من وظيفته المدنية، كبير أخصائى أمراض النساء، نظرًا لأن الناس ظنوا أن موضوعية هذا الرجل الحقيقية بدأت تمكنه من الإمساك المحكم بالشئون العامة بشكل عام. وبذلك أصبح الطبيب ماجيكودونمى زعيمًا لمجلس الشيوخ.

وبناء على ذلك، عين المجلس الدكتور نانمدى أزكوى رئيسًا لمجلس النواب، وذلك طبقًا للتعليمات الصادرة عن كل من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، وسرعان ما أوصى السير أبو بكر بتعيين الطبيب ماجيكودونمى هو والدكتور إيسين وزيرين من وزراء الدولة، وبذلك يصبح عدد الوزراء تسعة عشر وزيرًا. وقام أبو بكر أيضًا بزيارة لمنروفيا Monrovia حيث التقى الرئيس

تبمان Tubman، كما التقى أيضًا رئيس وزراء سيراليون، السير الدكتور ميلتون Mil-tion مرجاى Margai، الذى حصل مؤخرًا على لقب فارس.

حدثت تغييرات كثيرة أخرى فى الفريق المعاون خلال العام ١٩٦٠ الميلادى. بعد سفر هارولد ماكميلان، ترك فولى Foley نوينز سكرتارية مجلس الوزراء فى شهر يناير ليصبح حاكمًا منابًا لسيراليون، وأقام له رئيس الوزراء حفل عشاء حافل فى الليلة السابقة لسفره إلى سيراليون. وحل محله مارتن هول فى منصب سكرتير الحاكم العام، كما عمل فترة وجيزة سكرتيرًا لمجلس الوزراء (وذلك بموافقة من رئيس الوزراء) وحل محله فى هذا المنصب شارلز أو لاوسون Lawson الذى كان قد عاد منذ وقت قريب جدًا، من كلية الدفاع الإمبريالية فى لندن، والتى التحق بها إس أو وى wey فى الدورة التالية. كما حل شارلز لاوسون محل وى wey فى منصب السكرتير الخاص الرئيسى، وكان الرجل يتعامل فى هذا المنصب مع الأوراق الخاصة ومع الأمور الاجتماعية والشئون البرلمانية، وأصبحت زوجته تعلب دورًا مهمًا فى شئون أبناء رئيس الوزراء (وفى مقابل ذلك ساعده رئيس الوزراء فى حل بعض المصاعب الشخصية فى الخدمة) إلى أن جرى الحصول على الاستقلال، وعندها أصبح شارلز لاوسون سكرتيرًا منابًا لمجلس الوزراء وتأجلت ترقيته إلى العام التالى حيث صار سكرتيرًا دائمًا لوزارة الصحة. ثم أصبح أكبر أبناء ملك alake أبيوكوتا Abeokuta قاضى القضاة الفيدراليين، وراح يصدر بعض التلميحات بين المعادين للدكتور آزكوى، أنه بحكم كونه رجلاً مثقفًا ويتمتع بعلاقات طيبة مع رئيس الوزراء، فإنه يمكن أن يكون أولاً وقبل كل شىء أول حاكم عام نيجيرى.

وجرى بالإجماع وطبقًا لما اتفق عليه، انتخاب السيد/ جاجا واشوكو، الذى بنى فى منزله غرفة خاصة لتكون له مكتبة، والذى كان يحظى برعاية رئيس الوزراء فى معظم الأحيان، ليخلف السير فردريك متكالف Metcalfe ناطقًا رسميًا باسم المجلس الأدنى، وحظى متكالف هو الآخر بحفل عشاء توديعى، على الرغم من استياء رئيس

الوزراء من الحرية التى أولاها متكالف، مثل فيلوز Fellowes من قبله للرئيس أولوو، ومن المعارضة التى دارت خلال المناقشات الماضية (وكانت تلك مناسبة من المناسبات التى أخبر فيها أبو بكر ستالارد بفحوى الرسالة ثم تركه يكتب الخطبة بعد ذلك ـ هذه الممارسة هى التى هيأت لستالارد Stallrd ذات مرة فرصة مناقشة السير رالف جرى فى أخلاقية الضحك عندما يستعمل المتحدث النكات أو الطرف التى سبق أن كتبها له أحد غيره). كان متكالف صريحاً فى نقده اللطيف على مائدة العشاء، لتسريع مسألة الحكومة النيجيرية والتعجيل بها فى مجلس الوزراء البريطانى على امتداد السنوات الخمس الماضية. فى وقت بلغ فيه الوزراء من القلق حداً يصعب معه عليهم العودة إلى مكاتبهم، كما بلغ الأعضاء من القلق أيضاً مبلغاً يصعب معه عودة هؤلاء الأعضاء إلى الراحة المعهودة فى منازلهم. وفى أواخر العام حان موعد تقاعد ميخائيل فارفل -Var vill، وتحتم عليه تسليم وزارة النقل إلى جو Joe ورمان Warmann. وجرى فى واقع الأمر تحاشى التهديدات المحدقة الأخرى، التى اشتملت على التكفير عن تهمة احتقار وزير الإعلام، الرئيس تى أو شوبويل Shobowale بنسون للمحكمة (من خلال تقديم اعتذاره غير المهذب)، والالتماسات الانتخابية المقدمة ضد السير أبى بكر نفسه (جرى سحب ذلك الالتماس بالذات)، والرئيس فستوس، والرئيس "تى أواس" بنسون. وجرت أيضاً معاونة شخص يدعى الدكتور شايك Chike أوبى Obi، مؤسس الحزب الديناميكى الذى كان يرتبط بعلاقة مع حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى فى أن يخلف الدكتور أزكوى فى عضوية الجمعية العمومية بعد أن جرى شغل منصب الرئاسة فى مجلس الشيوخ.

فى شهر فبراير من العام ١٩٦٠ الميلادى قام الحاكم العام بتسليم المسئولية عن الشرطه والدفاع إلى رئيس الوزراء، وجرى نقل هيئة العاملين والأفرع من مكتب الحاكم العام إلى مكتب رئيس الوزراء. ومن الناحية الدستورية، كانت سلطة الحاكم العام على فعل ذلك، أمراً تدور من حوله الشكوك، وفى بعض الأماكن الأخرى كان

هناك حكام أضعف وأكثر عصبية، كان يتعين عليهم طلب الإذن بذلك من لندن ثم يقومون بعد ذلك بنقل هذا التفويض مع بعض التحفظات التى يمكن أن تكون بمثابة غطاء لهم إذا ما وجهت الحكومة البريطانية اللوم لهم عندما تسوء الأمور فى نهاية المطاف. وعلى الرغم من زيادة الضغوط من قبل السياسيين الجنوبيين على أفراد رجال الشرطة الجنوبيين اعتباراً من العام ١٩٥٩، فإن السير جيمس لم تخامره الشكوك، وكان يعرف جيداً أنهم لن يخفوا عنه أى شىء. وأصبح الدكتور ماجيكودونمى وزير دولة لشئون الجيش (الذى أعيد تسميته إلى القوة العسكرية النيجيرية الملكية). وهنا نجد أحمد كورفى، أحد السكرتيرين المساعدين الذين انتقلوا إلى ليجوس، ينضم إلى فرع الدفاع، الذى بقى فيه طوال حياة أبى بكر تافاوا باليوا. وتأكد أيضاً تبادل كتائب المشاة وتنقلها بين مدن الحاميات كل ثلاثة أعوام، كما تأسست أيضاً قوات من الطلبة العسكريين فى المدارس الثانوية الكبيرة. ولم يمض وقت طويل قبل أن يمارس أعضاء مجلس الدفاع الوطنى من الإقليم الشرقى، ضغوطهم من أجل استبدال القائد العام البريطانى بضابط آخر محلى، على الرغم من تطلع بعض الأعضاء الآخرين إلى قيام بريطانيا بإلحاق ضابط آخر على سبيل الإعارة عندما يئون أوان ذلك. قال أبو بكر أثناء مناقشة هذا الأمر: "**أنا أصوت لصالح تجديد تعيينه – لقد انقضى وقت طويل على قيام أحد الجنرالات البريطانيين بانقلاب على نظام الحكم. بوسعنا الإبقاء على اللواء إيرونسى** [الذى كان لا يزال عميداً فى ذلك الوقت] مدة عامين آخرين". وقد أبلغ أبو بكر أحد المسئولين فى حديث خاص أنه يعتقد أن الجيش سوف تتم نجرنته Nigerianized بحلول العام ١٩٦٥ . وبينما كان أبو بكر يبقى على افتتانه بالجيش، والذى كان ينعكس على مجموعته المتزايدة من بنادق الرماية، وتمتعه بزيارة تدريبات الجيش، وإتاحة الفرصة له للرماية، فإن الرجل لم يتدخل مطلقاً فى مهام الدكتور ماجيكودونمى الوزارية.

على الرغم من أن أبا بكر كان يتعين عليه أن يكون له وزير دولة آخر، هو السيد/ أم إيه أو أولارواجو Olarewaju الأيلورى Ilorin، حتى يمكن أن يساعده فى المسائل الشرطية الروتينية المماثلة فى مكتب رئيس الوزراء فإن الرجل ظل محتفظًا بالإشراف المباشر على قوة الشرطة. وبصفته رئيسًا لمجلس الشرطة، الذى كان يضم وزير الدولة، والرؤساء الإقليميين ورئيس لجنة خدمات الشرطة، إضافة إلى سكرتيريهم ومستشاريهم الرئيسين فقد كان يلتقى المفتش العام بصورة دورية هو والمفوضين المحليين تحت أى ظرف من الظروف. كان أبو بكر، مثل المستشار السياسى الرئيسى مؤيدًا عنيدًا لمشروع بوفل Bovel الخاص بأشباه المفتشين، وذلك للاستفادة بالأولاد المتعلمين فى الالتحاق بالقوة المسلحة باعتبارهم قادة مستقبليين، دون وقف الترقيات فى الخدمة عند حد معين. كان أبو بكر من المؤيدين لبوفل Bovel فى مسألة فصل الكونستبلات العاديين عن وحدات المظاهرات شبه العسكرية. يزاد على ذلك أن أبا بكر كان يسلم أن القوات المسلحة، إذا ما توقفت عن أن تصبح دومًا اهتمامًا وطنيًا وأصبحت هواية وطنية مكلفة (على حد تلميح المتهكمين)، فإنها يمكن أن تظل سياسية الطابع وتتركز الأذهان فيها على العدو المتمركز فى الخارج: لكن الرجل كان يرى أن الشرطة أكثر تعرضًا للمؤثرات السياسية الداخلية.

هداه هذا التفكير إلى الاهتمام بصفة خاصة بالنشاطات الاستخباراتية التى يقوم بها الفرع الخاص. كان لرئيس الفرع الخاص حق "الاتصال المباشر" بالحاكم العام، وكان له أيضًا امتياز مقابلة السير جيمس بدون "المرور على" أو أن يكون بصحبة الحاكم العام المناب أو المفتش العام للشرطة. حق الاتصال المباشر هذا كان أمرًا مؤكدًا أيضًا مع رئيس الوزراء، على الرغم من التهامس القوى الذى مفاده أن رئيس الفرع الخاص كان يرى أن مسألة تحييد كلاب حراسة السير جيمس وتحييد "حراس" أبى بكر أمران غير مرغوب فيهما. وبعد أن اقتنع رئيس الوزراء فى نهاية المطاف بمسألة حق الاطلاع على التسجيلات والسجلات، وأن مصلحة الفرع الخاص، على

العكس من بعض التبليغات الإدارية الماضية، لا تتركز على أعمال السياسيين والأحزاب، وأنها تبحث عن العمليات التى تستهدف تخريب الحكومة الشرعية أو تقويضها، عمد أبو بكر إلى دعم حق "الاتصال المباشر" وتقويته. وتأسيساً على هذه الثقة المتبادلة قويت العلاقة بين رئيس الوزراء وقوته الشرطيه وأصبح أبو بكر مترزماً فى وجه المعارضة "الفوضوية" لمهام الأمن الداخلى الموكلة إليه من مجلس الوزراء والبرلمان والصحافة. وأسفر استياء أبى بكر من مسألة أن جواسيس الدكتور نيكروما كانوا يتدخلون فى الشئون النيجيرية عن نوع من القلق الشديد المتصل بهذا الموضوع. وطلب أبو بكر من الحاكم العام أن يطلب مساعدة بريطانيا وعونها فى إنشاء "خدمة سرية" أو مكافحة خارجية للجاسوسية، تقوم باكتشاف ماهية أولئك المتطفلين الغانيين. وجرى تقييم النصيحة وتقديم يد المساعدة لما كان يعده السير جيمس مصلحة ساذجة فى ذلك الوقت، بأنها أقل أهمية من الاهتمام بالأمن الداخلى المباشر. أدى ذلك الانشغال فى ذلك الوقت إلى زيادة دعم رئيس الوزراء ومساندته لاتفاقية الدفاع التى جرى التوقيع عليها بالأحرف الأولى، والتى تصور أبو بكر أنها قد تؤدى فى يوم من الأيام إلى قيام بريطانيا بإجراء مضاد على غانا.

كان السير أبو بكر يساند قوات الشرطة النيجيرية بصورة منتظمة كلما أحس الوزراء بالريبة أو بالامتعاض لأن أحد رجال الشرطة تغاضى عن أداء التحية، أو رفع علم السيارة إلى الأعلى أو عندما لا يرقى جندى من أصحاب الحظوة. ساهمت التقاليد والموروثات فى دعم هذه الثقة فى الشرطة. هذا يعنى أن العلاقات بين قوة الشرطة النيجيرية – وكل أعضاء الإدارة المحلية على وجه التقريب هى والسكرتاريات (الخاصة "بالحكم" فى الماضى) كانت تقوم على الاحترام المتبادل والثقة المتبادلة. كان هناك فارق لم تجر ملاحظته وتعرفه إلا بعد انتهاء فترة الاستعمار بفترة طويلة، وكان يتمثل فى أن الخدمات المدنية لم يكن بينها وبين الجيش ذلك الاتصال الاجتماعى والحرفى، اللهم إلا إذا كان ذلك على المستويات العالية تماماً. ومع ذلك كان القادة العسكريون البريطانيون

يجيئون ويروحون، هذا يعنى أن ضباط الأفواج الأصاغر كانوا محدودى الإقامة، نظراً لأن الكثيرين منهم كانوا يمضون جزءًا من خدمتهم الوطنية البريطانية لفترة ما بعد الحرب، ومع تقدم عملية النجرنة أصبح ضباط الجيش يفتقرون إلى إتاحة الفرصة لإحداث نوع من التكامل الاجتماعى أو الثقافى مع الدوائر الحكومية كلها والتى أصبح أندادهم الإداريون المدنيون، والحرفيون والفنيون يحظون به من باب التحصيل الحاصل. على العموم، كان الجنود الخارجيون ينظرون إلى الداخل، ومن سوء الطالع أيضًا أن القادة التكتيكيين لهؤلاء الجنود كان الناس ينظرون إليهم من الداخل على اعتبار أنهم أشخاص نمطيون يرتدون زيًا موحدًا أو منخرطين فى جماعة موالية منظمة وليسو أفرادًا أصحاب شخصيات متأملة (نجم القسم الأكبر من ذلك عن طريقة التعليم من ناحية والتحامل من الناحية الأخرى). يزاد على ذلك أن المحاولة التى جرت فى إينوجو للسيطرة على الكتيبة الأولى من فوج صاحبة الجلالة النيجيرى فى العام ١٩٦٠ الميلادى لم تسترع الانتباه الوطنى بشكل كبير، يزاد على ذلك أن العودة السريعة إلى الخدمة جعلت قلة قليلة من الشرقيين يمضون ستة أشهر فى السجن. ولم يجر إبلاغ رئيس الوزراء على الفور بذلك الزيغ أو الضلال.

كانت المصاعب الإدارية أيضًا من بين اهتمامات رئيس الوزراء. فقد قامت هيئة السكك الحديدية النيجيرية بفصل مائة من العاملين الدائمين، ومائتين من عمال اليومية، لفشل هؤلاء فى تبرير الدور الذى قاموا به فى المظاهرات، وهدد اتحاد عمال السكك الحديدية بالإضراب عن العمل. وقد تعززت تلك المتاعب والاضطرابات أيضًا عندما أضرب عمال المناجم فى إينوجو عن العمل، احتجاجًا على إدخال نظام الديازل إلى السكه الحديد، واحتجاجًا أيضًا على الميزانية التكميلية فى الإقليم الشرقى. وأصر كل من الدكتور ميخائيل أوكبارا، رئيس وزراء الإقليم الشرقى، هو والسيد/ إس جى إيكوكو، رئيس معارضته على أن الأمر جرت تسويته بين رئيس هيئة الفحم ورئيس الوزراء الفيدرالى. وأُعطيت وعود بعمل المزيد من التحقيقات فى كل من صناعتى الفحم

والسكك الحديدية. كانت وصلة السكك الحديدية فى ميدوجورى قد بدأ الناس يشيرون إليها بشكل عام على أنها إجراء من إجراءات التنمية المبشرة بالأمل وتشجيع زيادة الإنتاج الزراعى، من منطلق إضافة وسيلة جديدة من وسائل الشحن الخارجى، وليس من منطلق أن ذلك يعد استثمارًا صناعيًا مضمونًا بحد ذاته. وقد اعترف إميرسون Emerson فى تعليق عام أن هذه المسألة استغرقت من وزيره السابق ومنه شخصيًا ثلاثة أشهر وثمانين صفحة كاملة كيما يقنعا البنك الدولى بدعم هذا المشروع، بدلاً من تمديد الطرق والتحسينات البحرية، على الرغم من أن المشروع قد لا يحقق ربحًا قبل مضى خمس سنوات. على كل حال، كانت الأشهر الثلاثة، والصفحات الثمانين والسنوات الخمس مجرد أرقام بسيطة إذا ما قورنت بمشاريع التنمية الأخرى التى سيقوم البنك بدراستها فى السنوات المقبلة.

كانت مشكلة إميرسون الوحيدة تتمثل فى أنه ومن ورائه نجاحه، بدأ كثير من الوزراء وبعض الإداريين ينظرون إلى الرجل باعتباره إقطاعيًا غائبًا ظهر (بسبب الإعاقات البدنية الناجمة عن عجزه وكأنه يعيش فى إنجلترا ويقوم برحلات دورية إلى ضيعاته شأنه شأن أى مالك من ملاك الأراضى الإيرلنديين الفيكتوريين.(*) كانت هناك رغبة فى إخراج إميرسون وإبعاده، وقد وصلت تلك الرغبة إلى ذروتها بعد ذلك عندما تقدم ديموند نجوكو بمذكرة إلى مجلس الوزراء تقول إن رجلاً من الإقليم الشرقى، يدعى الدكتور أو إيكجيانى Ikejiani قد حل محل إميرسون. إيكجيانى هذا، كان قد خسر وظيفته فى كلية إيبادان الجامعية، لأن درجة الدكتوراه الحاصل عليها لم تكن فى موضوع الميكروبات، لكن الرجل كان قد كسب قضية التشهير التى أقامها على صحيفة الديلى Daily سرفيس Service التابعة لحزب جماعة العمل، التى قالت: إنه لم يكن حاصلاً على درجة الدكتوراه بالمرة، لكن الحاكم العام، الذى آثر عدم ترك رئاسة

(*) نسبة إلى عصر الملكة فيكتوريا (١٨٣٧-١٩٠١) . (المترجم)

المجلس لأبى بكر فى تلك المناسبة، أوضح أنه يرى أن أزكوى كان يدور هنا وهناك لا لشيء سوى العثور على عمل بديل لإيكجيانى. وعلى الرغم من تشجيع رئيس الوزراء من قبل زملائه، فى معارضته للمذكرة التى قدمها ريموند نجوكو، فإن الرجل كان متردداً فى التدخل فى هذا الأمر، واتضح أنه فى هذا الموقف كان يحبذ الوصول إلى حل وسط. أما السير جيمس، على الجانب الآخر، وفى ضوء المقاومة المستترة، فقد أوضح تماماً أن صندوق النقد الدولى وضع شرطاً على القرض يقضى بالتشاور مع الصندوق قبل تغيير المدير العام، وعلى الرغم من تعجيل الرئيس فستوس بتوضيح مفاده أن الاستشارة لا تعنى طلب الموافقة (وأن إيكجيانى إذا كان مخطئاً فإن مهنته هى التى يتعين عليها تأديبه). فى تلك الأثناء تقرر أن يصبح الدكتور أو إيكجيانى رئيساً لمجلس الجامعة التى فصلته (هذا المنصب الذى عرضه بعد ذلك الدكتور أجكوى، من جانب واحد فى وقت متأخر من العام، فور توليه منصب الحاكم العام، وبعد "التشاور" القانونى مع مجلس الوزراء، لكن دون الحصول على موافقة وزارية بذلك، وعلى العكس من توصية مجلس الكلية، الذى صوت بنسبة ٨-٢ ضد اختيار إيكجيانى). وفيما يتعلق بالعقيد أميرسون (سرعان ما أصبح السير رالف)، الذى أصبح على علاقة أوثق مع أبى بكر عنها مع كثير من الآخرين، وبعد أن أصبح خط حديد ميدوجورى التزاماً أكيد أضحت مسألة استبدال إميرسون أمراً غير ممكن، وجرى التغلب على تردد رئيس الوزراء المعتاد فى الافتراق عن مؤيديه المخلصين عن طريق الوحدات قصيرة الأجل على غير المعتاد.

وهذا حل وسط أفضى إلى حل مشكلة مختلفة. فقد وافقت الشركة المساهمة بين الحكومة الفيدرالية وحكومة الشمال، وهيئة التنمية الاستعمارية، وهيئة السكك الحديدية النيجيرية على تمويل شركة فنادق نيجيريا المحدودة وإنشائها، الأمر الذى ساعد على انتشار المبانى الفخمة. وفى ذلك الوقت، كانت هناك مجموعة من الوزراء بقيادة محمد رباط (الذى كان يرتدى قبعه "شنون ليجوس")، استثيرت بفعل الخطة التى كانت تهدف

إلى إقامة مبنى ارتفاعه ١٠٠ متر مقسمة إلى خمسة وعشرين طابقًا، وكله عبارة عن مكاتب، وعلى أمل أن يطلق عليه اسم دار الاستقلال، على أن يتفوق ذلك المبنى على المبنى الذى أقامه حزب جماعة العمل ويتكون من ستة عشر طابقًا، ويطلق عليه اسم "دار الغرب" ويقع فى شارع بريد Bread. كان الموقع المفضل لذلك المبنى داخل الحدود المسجلة لمضمار السباق، الذى إذا ما نحينا جانبًا القيود الحمائية المترتبة على المشاعر الشعبية والمشاعر الرياضية، فسوف يصبح بحاجة إلى إجراء تشريعى يقلل من قيمته، وكان قد فات أوان إدراج مشروع القانون ضمن البرنامج التشريعى إن قدر لذلك المبنى الاكتمال فى تاريخ يتوافق مع تاريخ الحصول على الاستقلال. واستشار السير أبو بكر ستالارد بغية معرفة أفكاره حول هذا الموضوع، وفرح أبو بكر باقتراح موقع آخر فى منطقة مماثلة من حديقة المتحف عند الطرف الآخر من مضمار السباق. جاء ذلك بمثابة دليل أكيد على مدى نفوذ بطرس ستالارد الأكيد والحقيقى فى ذلك الوقت، ستالارد هذا الذى كان يقل عن مجرد سكرتير من سكرتيرى الحكومة البريطانية - لم يكن معترفًا به رئيسًا للخدمة المدنية الفيدرالية (ولم يكن فى واقع الأمر، اللهم باستثناء المعنى الرسمى، نائبًا سابقًا للحاكم العام، بعد توقفه عن العمل معه فى منصب كبير الأمناء "السكرتيرين"، ولم يشغل أى أحد ذلك المنصب بعده)، وإنما أسىء فهمه على نحو كبير فى ليجوس. لم يحدث مطلقًا أن ناقش الرجلان الأمور الشخصية أو السياسات الحزبية، ولذلك لم يختلفا مطلقًا (لم يكن كل مساعدى الوزراء على هذا القدر من الوضوح ويمن الطالع). لكن الحاج أبا بكر ظل حائرًا فى النصيحة التى أسداها إليه روبرتسون والتى مفادها أنه بغض النظر عن الوظائف السياسية الفرعية والوظائف الإدارية الفرعية التى جرى إنشاؤها للإشراف على شئون الخدمة العامة ومؤسساتها، يظل رئيس الوزراء، فى المحصلة النهائية هو المسئول دومًا عن الخدمة المدنية، هل يعنى ذلك أن أبا بكر كان "رئيسًا" head لتلك الخدمة المدنية؟ وهنا نجد أن ستالارد بصفته سكرتيرًا، تجرى الاستفادة منه مثل دبلوماسى له قيمته، فى ذلك الوقت كان أبو بكر يطلب إلى ستالارد، عندما يترمل رئيس من رؤساء اللجان الدستورية التى أنشئت

مؤخرًا، كتابة رسالة تعزية لإرسالها إلى إنجليزى بارز ومرموق، هذا يعنى أن رئيس الوزراء كان يرفض النسخة المبَيَّضة المكتوبة على الآلة الكاتبة، وكان يكتب كلمات العزاء بخط يده مستعملاً فى ذلك حروف الكتابة المعتادة.

كان الحاج محمد رباط قد بدأ يضع لنفسه اسمًا ذائعًا بوصفه رجلاً قويًا من تلقاء نفسه، وذلك خلال مشروع إخلاء وسط ليجوس من الخرائب والأنقاض ومن خلال مشروعات جديدة للإسكان. ونظرًا لأن محمد رباط كان يقصر عمله على التعاون مع المجلس التنفيذى لتنمية ليجوس، بدلاً من العمل مع مجلس المدينة الفوغائى، فقد كان سعيدًا بتحمله مسئولية إخلاء سكان العشش والأكواخ فى حى سوروتير والأماكن الأخرى عن طريق استعمال الجرافات وعن طريق استعمال القوة، ولم يهتم قيد أنملة بتحدى هؤلاء السكان الوحشى له، وبخاصة أنه عزا ذلك التحدى إلى مثيرى الشغب من اتباع حزب جماعة العمل. وقد أعلن على الملأ أنه يسعده نقل الأوتا Otta والأيكورود والباداجرى Badagry إلى مناطق العاصمة، وبعون أكيد من المستشار السياسى الرئيسى، وبموافقة ضمنية من رئيس الوزراء، أصبح ذلك الإجراء كافيًا لإخضاع أعضاء حزب جماعة العمل الذين بدأوا يفكرون فى إنشاء مناطق صناعية منافسة بدلاً من المناطق التى فى إيكيجا Ikeja وإليوبيجو Ilupeju.

كانت أفكار الدكتور نيكروما عن الاتحاد الإفريقى لا تزال تستحوذ على انتباه الصحفيين، لكن إم سلفانوس Sylvanus أوليمبيو هو وزعيم المعارضة فى توجو السيد/ أم نيكولاس جرونتزكى Grunitzky، اتحدا فى رفضهما لعرض الدكتور نيكروما الجديد لبلدهما باعتباره من البلدان ذات "العلاقة الرئيسية والحميمة" مع غانا - كان نيكروما فى ذلك الوقت يشرح أفكاره عن إعلان الجمهورية، التى ربما يكون قد ناقشها مع الملكة عندما كان يتخذ ترتيبات تأجيل زيارة جلالتها إلى العام ١٩٦١ الميلادى، وربما يكون قد عرض على هارولد ماكميلان رغبته فى البقاء ضمن دول الكمنولث (التى لم يكن لها سكرتارية أو أمانة عامة حتى ذلك الحين): كان واضحًا أن البرلمان الغانى

لم يكن يتمتع بعد بالسيادة المنصوص عليها فى البرلمان البريطانى، أو التى حددها صائغوا نصوص استقلال غانا. وقد أدلى السير أبو بكر، الذى كان يعبر من جديد عن غضبه لبعض الأصدقاء الإنجليز، من احتمالات تعديل الدستور النيجيرى على نحو يخل بالوحدة الوطنية إذا ما جرى فى المستقبل انتخاب أعداد كبيرة من "**الجنوبيين الذين لا يمكن الاعتماد عليهم**" برأيه من جديد فى مطامح نيكروما، لأحد المعلقين الصحفيين فى ألمانيا الغربية قائلاً: "**لم يحن بعد أوان ذلك. نحن على استعداد فعلاً لمناقشة المشكلات المشتركة مع الدول الإفريقية الأخرى، لكننا لسنا مستعدين للتضحية باستقلالنا الذى بدأنا الحصول عليه أولاً وقبل كل شيء**". تمنى أبو بكر بعد هذه المقابلة النجاح للوفود التجارية، المسافرة، وكلها حماس لكنها تفتقر إلى الخبرة الناضجة، إلى كل من هونج كونج، واليابان وإلى يوغسلافيا، ثم عرَّج الرجل على باوتشى لنيل قسط من الراحة خلال شهر رمضان، شهر الصوم، والقراءة والزراعة. كان فى منزل أبى بكر فى ذلك الوقت مولِّد كهربائى صغير، يكفى لتشغيل مكيف هواء واحد فضلاً عن إضاءة الغرف. بدأ المنزل يجذب العملاء المزعجين، على الرغم من أن ذلك لم يكن بالأعداد التى كانت تحيط بالمستشار السياسى الرئيسى أو باى أمير من الأمراء فى قصره. وعرف أبو بكر عازى Azi الذى تحداه فى الانتخابات وحكم عليه القاضى بثلاثة أشهر سجن جزاء له على إصابة السياقة (القيادة) التى تسبب فيها، وأن عازى استأنف الحكم أمام الممثل المقيم.

واجهت واط watt بعض المتاعب الأخرى. وقد عكست تلك المتاعب ابتعاداً كبيراً عن مسألة الأولويات بين الرجال الذين يعملون فى ظلال المستشار السياسى الرئيسى، أمثال جرتيباتش Greatbatch وأولئك الذين كانوا لا يزالون يحاولون الإبقاء على استمرارية عملية الإدارة المحلية فى مسار انتقالها من الحكم غير المباشر والسلطات المُخَوَّلة إلى عالم الوزارات المندفع نحو المركز. كانت هيئة كبار الموظفين العاملين فى مكتب رئيس الوزراء فى كادونا أكثر حساسية للإهانات غير المباشرة الموجهة إلى

الرجال الجدد، منها إلى الاهتمام بالواجب التنفيذى والواقعية اللوجستية عند المتمرسين القدامى فى المقاطعات، كانت هذه الهيئة قد طلبت مؤخراً (على سبيل المثال) شيئًا مستحيلاً - دعوة مجلس الأجور الإقليمى إلى الانعقاد فى ظرف أربع وعشرين ساعة لمناقشة فئات الأجور الجديدة التى أوصت بها لجنة وزير الخارجية التى ترأسها القاضى لويس مبانيفو Mbanefo. هذا الاجتماع العاجل الذى يتعين عقده فى مقاطعة تبلغ مساحتها ضعف مساحة دولة سويسرا، أمر يصعب تنفيذه خلال أسبوع، وبخاصة أعضاء المجلس الذين ليس لديهم طائرات أو تليفونات. وهنا نجد هيئة العاملين هذه تصر على أن يلغى واط الجولة التى خطط للقيام بها منذ زمن طويل إلى المجالس المحلية الفرعية فى منطقة تنجيل - واجا Tangale - waja، لمجرد أن يكون هناك لتحية رئيس الوزراء رسميًا فى مطار باوتشى. وبصورة أو بأخرى جرت إزاحة البروتكول البريطانى السائد بين ممثلى الملكة المحليين والملكة (أو بالأحرى نائبها) إلى ذلك البروتكول السائد بين الموظفين والوزراء. ولم يجر استشارة السير أبى بكر فى هذا الأمر، وغضب الرجل لأن الإلغاء المفاجئ خيب آمال وبدد وقت أناس كثيرين كانوا ينتظرون فى تولا Tula وحولها. كانت هناك فى هذه المقاطعة قلة قليلة من الشخصيات وبعض المؤامرات التى لم يكن أبو بكر على علم تام بها مثل الإدارة، من الطبيعى أن يكون الرجل على علم بالمحاولات التى جرت منذ وقوع إضرابات لير Lere فى العام ١٩٥٩، حتى يتمكن من الإفادة من مجالس الأحياء، التى يكون السواد الأعظم فيها من غير المسلمين، ولكى يقنع رؤساء الأحياء بعقد اجتماعات كل أسبوعين تضم رؤساء القبائل الرئيسية والزعماء التقليديين. تعين على واط أيضًا إبلاغ أبى بكر أن بعض المستشارين فى إدارة باوتشى المحلية الموسعة كانوا لا يزالون يلقنون أنفسهم بطريقة غير سليمة قبل الاجتماعات، وأن هؤلاء المستشارين كانوا ضعافًا مثل أسلافهم فى فرض قرارات المجلس. وإلى حد ما كانت المتأخرات فى أعمال الخزانة المحلية، هى والقيمة الهزيلة التى تحققت بالمبالغ المخصصة للصيانة، وفى مجال طرق إخلاء المنتوجات بصورة خاصة، ترجعان إلى الاتصالات التى كانت تدور بين أعداد كبيرة من

المهنيين الحكوميين المستشارين الفنيين من ناحية ونظرائهم فى الإدارة المحلية الذين لم يعودوا قريبين منهم مثلما كانوا من قبل فى مطلع الخمسينيات، عندما لم يكن هناك ما يعترض طريقهم.

لاحظ السير أبو بكر بعد ذلك بأيام قلائل تشعباً آخر شبيهًا بالتشعب السابق، عندما طار رئيس الوزراء (الذى سبق أن زاره فى كادونا فى مطلع شهر فبراير "للتشاور فى بعض الأعمال الروتينية") عائداً إلى باوتشى لمناقشة استمرت ساعة واحدة، صاحب بروس Bruce جريتباتش بصفته سكرتيراً لرئيس الوزراء، لكنه لم يكن لديه أى عمل أو أية مهمة حتى يقوم بتنفيذها، فى هذا الوقت الذى كان يندر فيه على أبى بكر أن يصحب معه سكرتيره الخاص فى أية جولة من الجولات، وكان يحس بسعادة أكثر عندما يعتمد على هيئة صغار العاملين عندما يكون الرجل بحاجة إلى عون بأى حال من الأحوال. كان إميرسون غير السعيد زائراً آخر من الزوار الذين زاروا أبا بكر فى منزله فى باوتشى. وبانتهاء شهر الصوم تأكد واط watt تماماً من أن رئيس الوزراء لن يكون راضياً عن توديع الممثل المقيم له وداعًا رسميًا، وبخاصة أن الممثل المقيم هذا كان يتوقع السفر فى سيارته لحضور المؤتمر السنوى للممثلين المقيمين، وبعد ذلك، وفى اليوم السابق لرحيل رئيس الوزراء، دونما اعتذار أو إبداء الأسباب الداعية لذلك الإلغاء. وعندما أوضح واط أنه سيكون حراً فى الوصول إلى المطار ضمن حشد من الناس، أحس بالامتنان عندما رأى أبا بكر أحس بصدمة إزاء الخشونة المفاجئة التى لقيها فى كادونا حيث قال الناس: **"ليست هذه مطلقًا هى الطريقة التى يمكن بها تصريف الأعمال"**. وهنا بدت له "كادونا" ذات الحكم الذاتى وكأنها دخلت فى شكل من أشكال الهستريا الإدارية. كان الحاج محمد رباط بمثابة الشخصية المهمة التى جاءت من إيولا yola، واصطحبه واط إلى منزل السير أبى بكر ليتجاذب معه أطراف الحديث. وعلق هاردو Hardo رباط تعليقا فكاهيًا عنيفًا ومنطويًا على الشك عندما قال أبو بكر: إن تحرير المرأة فى الشمال يمكن أن يتحقق إن قُدِّر

للأمراء أن يضربوا المثل على ذلك. وفى اليوم التالى وبعد أن ودع واط كلاً من محمد رباط وهاردو رباط دُعى بدوره إلى البقاء مع رئيس الوزراء عندما كان يمر خلال ليجوس وهو فى طريقه إلى التقاعد.

عندما قفل السير أبو بكر عائداً إلى ليجوس، كانت فى جنوب إفريقيا مظاهرة كبيرة ضد قوانين المرور، وقد جاءت تلك المظاهرة بعد الاحتجاجات التى جرى فيها إحراق تصاريح المرور من قبل حزب مؤتمر إفريقيا كلها، الذى قام بدعم حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى ومساندته، وقد أدت تلك المظاهرة التى فتح النار على سبعة وستين إفريقيًا فى المكان المدعو شاربفيل، وأعقب ذلك إعلان حالة الطوارئ، وهنا نجد أن أولئك الذين يميلون إلى إيجاد تفسير تاريخى أو ثقافى لسياسة الفصل العنصرى، كان صعبًا عليهم انتحال مثل هذه الأعذار، وهنا بدأ الناس الذين لا يخشون المقارنة غير المنطقية يعدون ويحصون السنوات فى الفترة ما بين أحداث فتح النار فى أرمتسار Armistar والحصول على الاستقلال. وكان السير أبو بكر وإلى وقت قريب مستعداً لتفهم، أو بالأحرى الموافقة، على الحوار النظرى عن بعد حول التطور المستقل فى الاستيعاب الكامل البطىء فى نهاية المطاف. كان أبو بكر قد سبق له أن عرف، على سبيل المثال، أن السَّياوه Seyawa لابسى جلود الماعز (والذين يدينون للبعثات التبشيرية المسيحية الراديكالية بتقديمهم للتعليم فى مرحلة مبكرة) لم يجر بعد تصالحهم مع الأقلية المسلمة الحاكمة أو استيعابهم ضمن هذه الأقلية خلال عشية أو ضحاها، هؤلاء السياوه كانوا لا يزالون بحاجة إلى ترتيبات خاصة من مجلس الحى حتى يمكن استباق تجدد المظاهرات. ومع ذلك، فإن السياوه الذين احترموا أنفسهم لم يجر مطلقًا تحديد تحركاتهم فى المناطق التى يعدون فيها أقلية من الغرباء، ولم تكن أيضًا المؤسسات الخاصة بهم محرمة أو محظورة، كما لم تكن تجمعاتهم محظورة أيضًا، اللهم باستثناء تهديد القانون والإخلال بالنظام الذى يحكم الجميع. وهنا قام جنوب إفريقيا بحظر كل من حزب مؤتمر كل إفريقيا وحزب المؤتمر الوطنى الإفريقى.

بدأت تتقطع أولى خيوط حبل الصبر القليلة المتوترة، الذى كان عالم ما بعد الحرب يتطلع إلى استعماله فى إعادة عربة الأفريكان Afrikaners مرة أخرى إلى طريق القافلة الرئيسية، اتضح لهؤلاء الناس الذين كان يجرى تعليمهم، سواء أكانوا تلاميذ ضعاف أم مترددين - النظر إلى أنفسهم باعتبارهم مواطنين أوروبيين لهم تراث مشترك، أن من الصعب عليهم تماماً تفهم الحقيقة التى مفادها أن السود فى بعض أجزاء إفريقيا قد لا يكونون مؤهلين لإنتاج زعماء متحضرين للحكومات، ومستخدمين جيدين للتقنية، ومؤهلين للعب أدوارهم فى مجتمع دولى متحضر، عن السود الآخرين فى مكان آخر. كان اللورد مُنكتون Monckton قد أوفد لرئاسة لجنة كانت متجهة إلى سالسبيرى، لدراسة مشكلات روديسيا. وكان أحد المؤتمرات الذى عقد فى لندن قد أوصى باستقلال سيراليون فى شهر أبريل من العام ١٩٦١ الميلادى، وكان ألبرت مارجاى Margai هو والحزب الشعبى الوطنى قد انضما من جديد إلى حزب سيراليون الشعبى، وخلَّفا وراءهما سياكا Siaka ستيفنز Stevens يشكل حزباً جديداً اسمه حزب مؤتمر كل الشعوب. أدى إنشاء جمهورية توجو المستقلة فى منطقة الوصاية الفرنسية (ذلك الشريط البريطانى الضيق من المستعمرة الألمانية، كان تابعاً لغانا فى ذلك الوقت) إلى تأكيد هذه النقطة. فى الكاميرون وبعد حوالى شهرين من الاحتفال بنشوة الاستقلال، أثار الاستفتاء الذى أجرى لإقرار الدستور الذى وضعه أم أحمد أهيدجو شيئاً محدوداً من الحماس الفكرى: هذا يعنى أن الحصول على الحرية كان أهم بكثير من تفاصيل التمتع بهذه الحرية. حدث أيضاً المزيد من التهديد بالعنف.

أصبحت الثقة الإفريقية بالنفس أمراً مشهوداً، وفى نيجيريا، بدأ يخفت صوت المشككين العصبيين فى الشمال (وجدت مدينة كانو، موطن رد الفعل والأصولية، نفسها مزودة بتعليم أولى أو ابتدائى عام). وتغلبت المؤسسات الوطنية التابعة لرئيس الوزراء على استيائها من رفض الإقليم الغربى التعاون مع لجنة مبانيفو Mbanefo وإصراره على أن تكون رؤيته المستقلة التى يسمونها رؤية "مُرْجان" Morgan. كان

الإقليم الغربى فى ذلك الوقت يتأمل تقارير لجنة أصحاب المقاعد الخلفية البرلمانية التى ترأسها الرئيس Chief تى تى سولارو فى العام ١٩٥٩، وبخاصة أن تلك التقارير كانت تحت عنوان النجرنة "من الأعلى إلى الأسفل" مع الإشارة بصفة خاصة إلى القوائم التى تخص موظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية. القائمة الأصلية من بين هذه القوائم والتى استرعت اهتمام قلة قليلة من الرومانسيين وانتباههم بفعل وعد غامض بمستقبل عملى باهر إذا ما تخلوا عن المطالبة "بمبلغ مقطوع على شكل تعويض"، أعيدت تسميتها من جديد وأطلق عليها اسم القائمة الخاصة "أ"، وجرى دعمها بقائمة أخرى جديدة هى القائمة "ب" : التى جرى تصميمها على نحو يصعب معه رفضها، ونجح أمبلر توماس من وزارة المستعمرات فى التفاوض بشأن هذه القائمة مع الحكومة الفيدرالية وحكومة الشمال، وجرى تطبيقها على الكثيرين من الموظفين العاملين فيما وراء البحار. كان توماس يود منذ فترة طويلة إسداء النصح إلى الحكومات الاستعمارية فى زمن ماكفرسن، حول الشروط الدائمة لاستحقاق المعاش. وقد حدثت مشكلة نموذجية بسبب سكرتير إينوا وادا الدائم، وسوف نعود إلى هذه المشكلة فيما بعد: كان أوُريجان O'Regan قد نقل بعد الخدمة فى بعض الوزارات فى كل من سيلان وجاميكا، إلى الإقليم الغربى فى نيجيريا، لكن نظراً لإدخال نظام الأقاليم بالفعل إلى نيجيريا لم يكن بوسع الرجل التقدم بطلب لتعويضه عن خسارته لآماله المرتقبة بعد الحصول على الحكم الذاتى الداخلى - وبالتالى بقى أوُريجان فى مكانه دون أن يكون له حق النقل إلى الخدمة الفيدرالية، وعليه لم يجر ضمان مستقبله العملى ولا التعويض فى حال تقاعده مبكراً من الخدمة، وسبب ذلك أن أوريجان هذا لم يكن ضمن الواردة اسماؤهم فى القائمة الخاصة "ب".

تركز النقد البرلمانى فى ليجوس لأعلى الوعود التى أعطتها لندن للموظفين البريطانيين، والتى تفيد أنه عندما يئون الأوان، فإن الحكومة البريطانية سوف تحاول إعادة تسكين هؤلاء الموظفين، وبذلك تضمن ولاء هؤلاء الموظفين لنيجيريا بلا أى خوف

من المستقبل، وإنما انصب ذلك النقد البرلماني على الكرم والسخاء المالي من جانب واحد، الذي سمح للأعضاء بسحب أجزء إضافية من رواتبهم، إلى أن يحين موعد الاستقلال، وذلك على أساس أن هذا السحب يعد دفعة مقدمة من التعويض الذي سيحصلون عليه بسبب إنهاء خدمتهم، على أن يحصل الموظفون على نسبة التسعين بالمئة المتبقية عند الحصول على الاستقلال، مع الاحتفاظ للموظف بحقه في أن يُعْطى إخطاراً مدته إثنا عشر شهراً يفيد أنه سيجري الاستغناء عن خدماته، وذلك بغض النظر عن استمرار احتياج الحكومة إلى خدمات هؤلاء الموظفين. كان مضمون ما توصلت إليه اللجنة، والذي فنده أبو بكر تفنيداً شديداً، يفيد أن الجميع كانوا مجرد مسافرين على عجلة مطلقة، جرى تأخير دورانها بلا داع. ومع ذلك، كانت لدى أبي بكر بعض الشكوك حول منطق المشروع وأخلاقياته. وهنا نجد أن أبا بكر يوافق في مجلس الوزراء على أن المساواة بين المهارات والموارد المتاحة للاستقلال تبيح فرض حظر على إنشاء أية وظائف جديدة في الخدمة المدنية الفيدرالية، بدون موافقة كاملة ومسبقة من مجلس الوزراء، ووافق أيضًا على أن تقليص المعرفة التخصصية الوافدة أمر يمكن تحمله والسير فيه قدماً، كما وافق الرجل أيضاً على الإبقاء على الوظائف الشاغرة منذ عامين، ينبغي تجميدها لمدة عامين آخرين أي إلى العام ١٩٦٢ الميلادي. انعكس ذلك النضج الوطني أيضًا على موافقة مجلس الوزراء على شراء مقر رسمي في لندن للمفوض السامي النيجيري مستقبلاً، وظن أبو بكر أن شراء المنزل ٢٤-٣٦ الكائن في شارع شابل، بحي وستمنستر، كان من قبيل المصادقة الطيبة نظراً لأن هذه البناية كانت عبارة عن المسكن العائلي الحضري لصديقه الشخصي آلان Alan لينوكس بويد Alan-Boyd الذي كان يستقبل فيه الطُّلاب النيجيريين بين الحين والآخر.

ألقى رئيس الوزراء خطبة قيمة، أو إن شئت فقل موعظة، في ذلك الوقت في الاجتماع الأول للجمعية النيجيرية، تلك الهيئة غير السياسية التي تشكلت لتُعْنى بمسألة

"مشكلات التعايش فى نيجيريا"، ولنشر المحافظة على النزاهة الشفافية الكاملة فى الحياة الخاصة العامة. قال أبو بكر ما يلى فى ثنايا تلك الخطبة أو الموعظة:

"..... سيادة الرئيس [السيد/ دوروسارو] قلتم منذ لحظات إن تطوير الوحدة النيجيرية يحتم على قادتنا أن يكونوا على ود ووئام مع بعضهم البعض. وقال إنه لا يجد مبررًا لعدم حضور الدكتور آزكوى والرئيس آولوو الحفل الذى أقيم فى منزلى. أنا أتفق معه، لكنى يتعين على أن أوضح أننا نحن القادة أكثر ودًا ووئامًا مع بعضنا البعض أكثر مما يتصور الجمهور .... هناك طرق أخرى لبناء البلد المتحد. الزواج بين القبائل طريقة من هذه الطرق. التعليم المشترك من خلال المدارس المشتركة بين الأقاليم طريقة ثالثة من هذه الطرق.... لكن هناك أيضًا موقف الفرد نفسه ..... أنا أنتمى إلى واحدة من أصغر القبائل فى الشمال. السواد الأعظم ممن أتعامل معهم لا يمارسون التمييز ضدى بسبب انتمائى إلى قبيلة من قبائل الأقلية فى الشمال. وهذا هو ما ينبغى أن يسود كل أنحاء البلاد.

..... الصحافة لديها مهمة مقدسة يتعين عليها القيام بها ..... تجنب نشر النفايات التى تعمل على تفريقنا. قلت لزملائى منذ أيام قلائل إننى لا ألقى بالأكبيرا للصحف، سواء أكانت وطنية أم محلية، التى تبث الحقد القبلى وتثيره. ولعلنا نبرز لهذه الصحف الأذى الذى تسببه لهذه البلاد .... فى المجال التطبيقى للسياسة .... أنا مقتنع أن بعض الأساليب والطرق التى جرى اتباعها خلال الانتخابات الفيدرالية الأخيرة لم تكن صائبة وينبغى عدم تكرارها. ونحن عندما نلقى نظرة موضوعية بعض الشىء على

هذه الطرق والأساليب، نجد أنها كانت علامات نضجنا فى الديمقراطية البرلمانية فى ذلك الوقت. لكننا الآن كبرنا عما كنا عليه وبدأت الأمور تبدو أكثر استقرارًا وانتظامًا. وعليه لا أجد مبررًا لعدم قبول المعارضة للهزيمة ونسيان مرارتها.... وإلى الآن أبذل أنا وزعيم المعارضة قصارى جهودنا كيما نكون على وئام وود. نحن نبتسم لبعضنا البعض ..... وهو يقبل ضيافتى وأنا أقبل ضيافته. وأنا أتطلع إلى المزيد فى هذا الاتجاه .... ولعل جمعيتكم تجاهر .... وتقول للناس ... إن كل فرد من أفراد الأجبو يتعين عليه احترام ... أساليب حياة اليوروبا حتى وإن كان لا يؤمن بتلك الأساليب. ولعلهم يعرفون أيضًا بالطريقة نفسها أن اليوروباويين يتعين عليهم احترام آراء الهوساويين وهلم جرا ..... لا يتعين على أحد منا احتقار ثقافات الآخرين وتقاليدهم وموروثاتهم وبخاصة عندما نكون جاهلين بتلك الثقافات والموروثات وغير عارفين لها.

وهنا بدأت الابتسامات والآمال تتدافع. وينتهز رئيس الوزراء هذه الفرصة ويورد النقطتين التاليتين:

الرغبة فى الثراء تتزايد بين طائفة معينة من الناس فى هذه الأيام. ولعلنا نتذكر أن المال ليس هو كل شيء. المال بلا نزاهة أو شفافية يعد أمرًا مشينًا. إذا كان لدىَّ قدر كبير من المال فهل يعنى ذلك أن أبنائى لن يبددوا هذا المال؟ لو فعلوا ذلك يصبح كل هذا الاكتناز بلا قيمة. وأنا إذا ما اكتسبت المال من طريق غير حلال، فإن ذلك الحرام يبقى مدة طويلة بعد أن يتبدد ذلك المال ويضيع. "وأنا"، إلى وقت قريب جدًا .... كنت مسئولاً عن السماح

للناس بدخول هذه البلاد [النزوح إلى هذه البلاد] وكنت مسئولاً أيضًا عن إبعاد الناس وإخراجهم من هذه البلاد. وقد خاب ظنى ... لأن أعدادًا كبيرة من الناس كانوا مستعدين لرجائى السماح للمقيمين الذين جاءوا إلى هذه البلاد بغرض وحيد هو النصب والاحتيال على أهلها وشعبنا. جاءوا إلينا لإنشاء الشركات، ويقومون بتعيين نيجيرى أو نيجيريين مدراء. وهؤلاء المدراء النيجيريون لا يعرفون أى شىء عن إدارة المال والأعمال..... وفى ظل هذا التمويه يعملون على اعتصار طاقتنا الاقتصادية. ومن أجل تلك الفضالة التى يحصل عليها هؤلاء المدراء يصبحون على استعداد لرجائى ويطلبون منى السماح بدخول رجال الأعمال المقيمين غير الشرفاء. وهذا عار كبير ....".

ويختم رئيس الوزراء كلامه اختتام الإدارى العليم وليس السياسى المحارب :

"أنا أومن دومًا بالصراحة مع كل إنسان، بل وحتى مع صحفنا. قد تكون آرائى خاطئة. قد يكون الآخر هو المصيب وأنا المخطئ. وعليه نحن بحاجة إلى التسامح. نحن أيضًا بحاجة إلى روح الحلول الوسط. الحل الوسط هو أفضل الحلول للسواد الأعظم من مشكلات العالم الذى نعيش فيه".

وتختار فرنسا تفجير قنبلتها الاختبارية الثانية فى الصحراء الكبرى فى اليوم الأول من شهر أبريل من العام ١٩٦٠ الميلادى أثناء انعقاد مجلس المندوبين (الممثلين). وقد تعرض خطاب السير جيمس روبرتسون الذى ألقاه من فوق العرش، بعد الموافقة عليه من مجلس الوزراء على طريقة الوستمنستر Westminister والذى جرى تسليمه له بطريقة رمزية فى المجلس بواسطة السير أبى بكر ليقرأه، تعرض هذا الخطاب لاهتمام أبى بكر بشأن أجنبى آخر عندما قال: "تأسف حكومتى لسفك الدماء المأساوى فى

جنوب إفريقيا، وعندما تحصل نيجيريا على الاستقلال فإن وزرائى سوف يستخدمون كل الطرق التى قد تتاح لهم لوضع حد لتلك الأحداث المأسوية. وزرائى على ثقة، أنهم فى ظل النفوذ الذى يمكن أن يكون لنيجيريا المستقلة فى إفريقيا، سوف يستطيعون تحقيق نتائج مهمة". ومع ذلك حوَّل زعيم المعارضة اهتمام المجلس وشتته. تقدم الرئيس أولوو بمقترح لتعديل مقترح الولاء الروتينى بتوجيه الشكر إلى الخطاب، وخلال انتقاداته أحرج رئيس الوزراء بطريقة ذكَّرت السامعين بالجلبة التى حدثت فى العام ١٩٥٣ الميلادى عندما انذهل المستشار السياسى الرئيسى من الطريقة الوقحة التى حنث بها [بود توماس] فى يمين المحافظة على السرية.

وبدون أى إشارة رسمية راح الرئيس أولوو يشير إلى تخمين واسع الانتشار عن وجود معاهدة دفاعية أنجلو - نيجيرية، وطلب من السير أبى بكر أن يأخذ مجلس المندوبين بعين اعتباره. ورد عليه رئيس الوزراء ردًا عنيفًا: الواقع أنه اعتبارًا من تلك اللحظة بدأ تحطيم التقارب المدنى بين كل من أوبافيمى أولوو وأبى بكر تافاوا باليوا، ومع ذلك ظل الرجل يحتفظ بكثير من التقمص الوجدانى لأولوو [شأنه شأن أمين كانو] وإحساسه بالخدمة العامة أو استعداده لأن يبدو ودودًا وصديقًا فى الاجتماعات الخاصة. كان هناك تخمين شعبى عن وجود فهم مزعوم مفاده أن الاستقلال يجب أن لا يترتب عليه أى فارق فى علاقة بريطانيا العسكرية وعلاقة نيجيريا العسكرية فى أى صراع مستقبلى تكون بريطانيا طرفًا فيه، وراحت تلك القلة القليلة من السياسيين والوطنيين، ومعهم الرئيس أولوو، الذين كانوا على علاقة سرية مع دنكان Duncan سانديز Sandys أثناء إعداد مسودة لندن، لكنهم أصبحوا يظنون الآن أن النيجيريين ربما يكونون قد أُلزموا بصورة أو بأخرى بالقتال فى صف الإمبراطورية البريطانية من جديد، راحو يُذْكون أوار تلك الشكوك ويثيرونها من جديد. وأوضح السير أبو بكر بمزيد من الاستياء أن أولوو دأب على أن يكون هو دومًا رئيسًا لحكومته الإقليمية إلى حد أنه لم يكن قادرًا على أن يضع للمجلس الفيدرالى القواعد التى تناسب أعضاءه وتحكمهم

وأنكر الرجل أنه "تولى حقيبة الدفاع كيما "يلزم نيجيريا بشىء ما"، وجلس وهو يغلى غضباً، دون أن يشير إلى الاتفاقات العسكرية بصورة أو بأخرى.

اقتنع السير أبو بكر عند هذا الحد أنه لا أولوو ولا حزب جماعة العمل الذى يتزعمه، يمكن أن يجدا لهم مكاناً فى الوحدة الوطنية التى يشتاق إليها دوماً. حقق تدخل أولوو هدفه فى خلق بؤرة للدس والنشر المضاد لأبى بكر والمشاعر البريطانية، وقد ازدادت تلك البؤرة حدة بعد الحصول على الاستقلال. بؤرة الدس هذه أضعفت لسوء الحظ نفوذ وزارة المستعمرات فى مقر الحكومة البريطانية، وبخاصة عندما كانت وزارة المستعمرات تصر أمام الإدارات البريطانية التهكمية أن زعماء الأمة الجدد هم رجال لا يغيرون كلامهم ولا يخلفون وعودهم. فى الوقت نفسه بدأ السير أبو بكر فى إصدار التطمينات غير الرسمية أنه لن يتم إقرار أية معاهدات دفاعية إلا بعد الاستقلال، وهذا هو على وجه التقريب ما فهمه المطلعون على أسرار المسودة فى لندن. لم يكن كل أولئك الذين تحدث إليهم أبو بكر على استعداد لسماعه أو الإصغاء إلى كلامه.

كانت تلك خلفية غامضة لتلك الزيارة الخاطفة التى قام بها رئيس الوزراء إلى كادونا لافتتاح الكلية الحربية النيجيرية، التى تكلف بناؤها ربع مليون جنيه إنجليزى الأمر الذى جعل من مدرسة غانا فى تيشاى Teshie شيئاً لا يذكر - وكان على هيئة تدريس الكلية المكونة من واحد وثلاثين ضابطاً تدريب خمسة وتسعين طالباً من مختلف التخصصات: ضباط مشاة، وتخصصات أخرى، وكتبة وأفراد إشارة ومدربين. وأعرب أبو بكر عن أمله فى أن تقوم الدول الصديقة الأخرى من غرب إفريقيا بإرسال أبنائها إلى الكلية الجديدة، مثلما كان يذهب طلبة الكمنولث إلى كلية ساند هيرست Sand hurst البريطانية، وايتون هول Eaton-Hall، وأردف أبو بكر أن حصول نيجيريا على الاستقلال دون أن يكون لها جيش سيكون بلا معنى، وأن الوسيلة الوحيدة لإقامة ذلك الجيش هى تدريب الرجال. ومن سوء الطالع أن كان هناك خلاف بين أبى بكر

والمستشار السياسى الرئيسى، الذى كان يحتج لأن الأمراء والزعماء الآخرين كانوا يشجعون "الشبان العظام" على تقديم أنفسهم لكى يكونوا ضباطًا أقوياء، وبخاصة أولئك الذين ثبت فى ذلك الوقت أنهم غير صالحين من الناحية الأكاديمية أو الطبية. قال أحد أتباع المستشار السياسى الرئيسى: إذا ما استمر ذلك، فلن يمضى أى أحد من أبناء الأمراء قدمًا طلبًا للتخرج والتأهل.

عاد أبو بكر إلى ليجوس ليواجه فى اليوم التالى المصادف لليوم الأول من شهر أبريل ذلك الجدال الذى أكد سيطرته الفعلية على الشئون الخارجية، وأنه أصبح له صوته الخاص وأنه لم يعد بعد دمية لصانع القرار الدبلوماسى. وافق أبو بكر على اقتراح تقدم به أحد أعضاء حزب جماعة العمل ويدين فيه الاختبار الفرنسى الذى أجرى فى الصحراء الكبرى، والذى أوصى أنه فى حال حدوث تفجير آخر فإن الحكومة سوف تنظر فى تعليق التجارة والصناعة بين نيجيريا وفرنسا اعتباراً من ذلك التاريخ فصاعداً وسوف تقوم بتجميد الأصول والأرصدة الفرنسية كلها: **"سافرت إلى لندن بصحبة ثلاثة وزراء من الحكومة الفيدرالية. أجريت مناقشات مع وزير الخارجية ورئيس الوزراء البريطانى .... وزرت أيضًا مركز الأبحاث الذرية فى هارويل .... والتقيت بعض الخبراء، الذين طمأنونى بعض الشىء، ... لكنى أنا ورفاقى كلهم فى إنجلترا وجدنا أن أفضل ما يمكن عمله هو ألا تقوم فرنسا بتفجير القنبلة"**. لم يركز أبو بكر على الوهم الذى مفاده أن العمل الخارجى كان يمكن أن يحول دون القيام بهذا التفجير، لكن الرجل تجاوز كل ما يمكن أن يقوله أى زعيم من زعماء الدول الإفريقية المستقلة، ودون اعتبار لأخطار نيجيريا الاقتصادية عندما قال: **"قد نفرض المزيد من العقوبات على فرنسا وعلى نحو أكبر مما ورد فى المقترح"**. وأيد أبو بكر بعد ذلك اقتراحًا آخر حول حظر استيراد البضائع والسلع من جنوب إفريقيا. وكان الرجل صريحًا وقاسيًا فى انتقاده لبعض الأفراد الجنوب إفريقيين الذين كانوا لا يزالون يعملون فى نيجيريا، لكن عندما ذكَّر أبو المجلس أن ماكميلان عندما كان فى إفريقيا أدان بشكل واضح تمامًا

السياسة التى تنتهجها حكومة الإتحاد، وبدا أنه لم يكن واثقًا تمامًا من تفسيره للمغزى الفنى لامتناع بريطانيا عن إدانة اتحاد جنوب إفريقيا فى منظمة الأمم المتحدة. وقال إن المسألة كانت مجرد عملية إجرائية لم يكن هو الوحيد المسئول عنها.

وافق أبو بكر على اقتراح خاص آخر تقدم به السيد/ أر. بى. كى أوكافور Oka-for. جاء هذا المتقرح صدى "لتسريب شائعة من الشائعات" عن طريق آولوو، كانت تلك الشائعة تقول إن التحالفات العسكرية يجب تحاشيها اللهم إلا إذا كان ذلك بموافقة مسبقة من المجلس التشريعى. لكن السير أبا بكر كثف هجومه على آولوو: "أعتقد أن الانطباع الذى ولَّده زعيم المعارضة لدى المجلس بخصوص الجدل الذى دار حول خطبة سعادته التى ألقاها من فوق العرش، يفيد أن سعادة الحاكم العام قد عهد إلىَّ بمسئولية الدفاع حتى يمكننى إلزام نيجيريا: كان ذلك هو الانطباع الذى أراد زعيم المعارضة توصيله إلى المجلس. واقع الأمر، أن رؤساء وزراء الأقاليم، وآخرين أجروا مناقشات فى لندن مع وزير الخارجية". واقع الأمر أن ذلك كان ابتعادًا نيجيريًا مبكرًا وغير مخطط عن اتفاقية وستمنستر التى تنص على أنه باستثناء السيطرة الرئيسية على التموين، وعلى الطرق والوسائل، لا يحق للبرلمان أن يكون له حق الشفعة فى استعمال الحق الملكى فى السيطرة على العمليات الدفاعية وإبرام المعاهدات.

من الأهمية بمكان هنا القول: إن السير أبا بكر نجح فى آخر يوم من أيام الاجتماع، فى معارضة اقتراح مماثل "جرى سحبه هو الآخر أيضًا"، ومفاده أن الحكومة يتعين عليها عدم الدخول فى أى اتفاق صناعى أو تجارى، أو أية ترتيبات مالية مع الحكومات الأجنبية أو مع الشركات التى لها مصالح أجنبية دون موافقة مسبقة من المجلس: "**لا تستطيع أية حكومة العمل فى ظل هذه القيود**". كان أبو بكر قد أوضح فى الحوار والنقاش الذى دار حول الميزانية الرئيسية أن "**الحكومة لا يمكن أن تكون لها سياسة خارجية فى الوقت الراهن ..... ومن المهم جدًا، فى هذه المرحلة، أن لا نسمح لأنفسنا بالانقسام حول المسائل الرئيسية .... وأنا لا تروق لى دعوة نيجيريا**

باعتبارها دولة مستعمرة (على الرغم من أننا غير مستقلين من الناحية النظرية)، لكن تلك الدول الصغيرة التى استقلت الآن يجب عليها أن توافق على وضعنا. وأنا أود أن أؤكد للمجلس أنه فى حال انعقاد أى مؤتمر مستقبلاً فى أى مكان من إفريقيا، إذا لم يجر دعوة الحكومة النيجيرية فسوف نرسل وفدًا برلمانيًا، وأنا أتطلع إلى أن نلعب دورنا كاملاً فى كل شئون القارة الإفريقية". وعندما تطرق حديثه إلى مؤتمر الجامعة الإفريقية فى أكرا قال: إن الرئيس نيكروما طلب منه المشاركة فى اجتماع ما يجرى حاليًا ويبحث فى الطريقة التى يمكن بها وقف التجارب على تفجير القنابل الذرية الفرنسية، لكن الغانى قام بعد ذلك بتغيير موعد الاجتماع وتوسيع جدول أعماله - كان من رأى أبى بكر أن إعداد جدول أعمال طويل كهذا يحتاج إلى إعداد طويل، ورفض أبو بكر أيضًا مقترحًا بتحديد أصوات عدد المندوبين النيجيريين (كان من رأى مبادوى، الذى حضر فعلاً ذلك الاجتماع، أنه ربما كان مستحيلاً تدريب أى لواء من المتطوعين الأفارقة لإرسالهم للقتال مع الجزائريين). وقال أبو بكر للمجلس بهذه المناسبة إنه "كان مندهشًا إلى حد ما أن يسمع ..... التعبيرين .... "**الشخصية الإفريقية" و"الشخصية النيجيرية". أنا أنظر إلى الأفارقة باعتبارهم بشرًا، مثل أى عرق آخر من أعراق الدنيا كلها، وأنا عندما أتكلم عن "شخصية" للإفريقى، أتكلم عن شخصية إنسانية"**. ومع ذلك، فإن وزارة الخارجية المستقبلية سوف تضم قسمًا للتعامل مع شئون الدول الإفريقية، وسوف يجرى تمثيل نيجيريا (حتى وإن لم يكن ذلك بصورة مباشرة أو على الفور) فى الدول المُستَعْمرة كلها.

حدث تأكيد آخر للقوة من جانب رئيس الوزراء فى اجتماع كان يمكن بغير هذه الوسيلة، الاستحواذ عليه من قبل أولئك المشغولين بالمناصب المستقبلية. كان الرئيس تونى إنياهورو قد ألمح أن السير أبا بكر كان مقيدًا بالتزام سياسى أن يوصى صاحبة الجلالة باختيار شخص يخلف السير جيمس روبرتسون، باعتبار ذلك "ثمن المحافظة على إبقاء حكومة الائتلاف التى شكلها هذا الرجل، على قيد الحياة". كان حزب جماعة

العمل يسعى لإنكار منصب الحاكم العام على الدكتور آزكوى إذا ما استطاع الحزب إلى ذلك سبيلاً، وتقدم الرئيس أولوو بمقترح شبه خيالى مفاده أن هذا المنصب يجب أن يعطى "لكبار الرؤساء" بالدور: واقع الأمر أن سلطان سيلانجور كان قد جرى انتخابه مؤخرًا من قبل أنداده ليكون ملكًا، أو بالأحرى كبيرًا للرؤساء، فى اتحاد ماليزيا الفيدرالى لمدة خمس سنوات، وكان الرئيس أولوو نفسه على وشك أن يوصى بانتخاب ملك الإيف Ife ليكون الحاكم القادم للإقليم الغربى. تتمثل نقطة ضعف هذه الفكرة فى أن رؤساء الطبقة الأولى القانونيين يمكن العثور عليهم فى الغرب أو أقصى الشمال، لكن "كبار الرؤساء" فى الأماكن الأخرى، أصحاب النفوذ الكبير والسمعة الذائعة لم يكن لهم وجود أو بالأحرى لم يكونوا مطلوبين أو مرغوب فيهم. ويضحك السير أبو بكر "فيما بينه وبين نفسه" من كلام الرئيس إيناهورو غير الدقيق تمامًا وأعلن على الملأ أن التعيين أمر يخصه هو : **"سأبذل قصارى جهدى لإرضاء البلاد"**، وسوف يكون الحاكم العام القادم واحدًا من عامة النيجيريين ويحظى باحترام الأمة. وبعد أن وضع السير أبو بكر ذلك المنصب نصب عينيه (لأن الشماليين كانوا يريدون أيضًا إبعاد الدكتور أزكوى عن السلطة السياسية (الفعلية)، أردف قائلاً: **"بعد الاستقلال لن أبحث فى مسألة ذلك السر الدولى الكبير الذى ينطوى عليه منصب الحاكم العام"**.

أحسَّ أبو بكر بالمزيد من الثقة مما جعله يدلف لمدة ليلة واحدة، إلى باوتشى، مستخدمًا فى ذلك طائرة الحاكم العام، قبل انتهاء الاجتماع، كان السيد/ إس إيه أوديوكيل Odukale يشغل، فى ذلك الوقت منصب السكرتير الخاص لرئيس الوزراء، أوديوكيل هذا هو أيضًا موظف مدنى جنوبى وجد فى سيده صديقًا. كان أبو بكر قد قطع وعدًا على نفسه أمام المجلس، بالقيام بجولة واسعة أخرى إلى كل من الشرق والغرب فى آخر العام، كما فنّد الرجل أيضًا النقد الموجه إلى التمييز المزعوم فى الأماكن التى يتناول الجنود فيها طعامهم فى الجيش. كما شارك أبو بكر أيضًا الرئيس فستوس تمتعه بإلقاء أطول خطبه متعمدة فى تاريخ نيجيريا عن الموازنة، بأن قدم

الرجل ميزانية "استقرار" تحتم تشجيع المدخرات الوطنية. أُلقيت هذه الخطبة فى الوقت الذى كانت فيه المحكمة العليا ترفض الالتماس الانتخابى المقدم من العضـــو ريوين Rewane، خصم الرئيس فستوس فى حزب جماعة العمل، وألزمته بدفع أتعاب المحاماة. كانت الترتيبات الخاصة باحتفالات الاستقلال، والتى كانت تحت إشراف دقيق من أبى بكر، قد أوشكت على الاكتمال فى ظل عدد كبير من لجان الطبخ. كانت هناك تحفظات قليلة حول التورط السياسى المحلى من جانب المنظمين المقيمين أكثر منها فى استعدادات الزيارة الملكية أو حيث غلب على أقل المسئولين البريطانيين شوفانية عدم التدخل وتنقية الشوائب، مخافة ألا يشاركهم النيجيريون طباعهم فيما يتصل بالبرتكول (الملكى)، ويجد إريك Eric هيفورد Hefford، ضابط الجيش المتقاعد، الذى جرى إحضاره لتنسيق الأمور على مستوى المسئولين، يجد نفسه يتلقى تعليماته من السير أبى بكر شخصيًا بواقع مرة أو مرتين كل أسبوع، طوال الأشهر القليلة المتبقية على الاستقلال، وبدون تدخل من جانب سكرتير رئيس الوزراء. ومن سوء الطالع أن حدث تغيير غير مريح فى البرنامج - كان أوركسترا "بورن موث" "Bournmouth" السيمفونى، وهو عبارة عن هيئة فنية أساسية أكثر حيوية ونشاطًا وأقل تكلفة، قد تقرر له أن يصل اعتبارًا من شهر سبتمبر من العام ١٩٥٩ الميلادى لكى يقوم بالعزف فى مناسبة الاستقلال، ولذلك ألغى الاوركسترا ارتباطاته كلها كيما ينال هذا الشرف. كانت مسألة عزف الموسيقى الكلاسيكية الغربية على نطاق كبير فى ليجوس أمرًا متقلبًا وغير ثابت فى ظل المناخ الثقافى الذى كان سائدًا فى العام ١٩٦٠ الميلادى، ورؤى فى ذلك الوقت أن هذه المسألة سوف تتكلف الكثير جدًا ولن تكون مناسبة أو مقبولة أولاً وقبل كل شىء. وألغيت دعوة الأوركسترا. وحدث تغيير آخر أقل تعاسة فى هذه المناسبة: كانت الأميرة مارجريت قد فُوِّضَت لتمثل أختها صاحبة الجلالة، التى لم يسبق لها مطلقًا حضور مثل هذه الاحتفالات، بغية تركيز الاهتمام أثناء الاحتفال بالاستقلال على ما ينبغى التركيز عليه. وجرى استطلاع رأى السير أبى بكر من خلال السير جيمس حول هذا الأمر، ووافق الرجل فى شىء من الحيرة من منطلق أنه ما دامت الأميرة

كانت على وشك الزواج فى اليوم السادس من شهر مايو، وما دام أنها يتعين لها أن "**تبدأ حياتها الزوجية بلا إزعاج**"، فإن أية شخصية ملكية أقل من الأميرة سوف تكون مقبولة. وهنا وقع الاختيار على الأميرة الصغيرة ألكسندرا Alexandra، أميرة كنت التى تتمتع بشعبية كبيرة.

صادف حفل الزواج انعقاد مؤتمر رؤساء وزراء الكمنولث فى لندن، والذى كان بمثابة آخر المؤتمرات التى كانت الأغلبية فيها من أصحاب الأصول الأوروبية. مثَّل رئيس وزراء جنوب إفريقيا فى هذا المؤتمر وزير خارجيته إريك Eric لو Luow، وبقى السير أبو بكر تافاوا باليوا على هامش المناقشات بصحبة السير جيمس روبرتسون، كان المراقبون السياسيون يطاردون الرجل بالفعل، على الرغم من أن الرجل كان فى لندن بهدف يخص مؤتمر الاستقلال الأخير الذى تقرر عقده مع وزير الخارجية لشئون المستعمرات، وذلك لتنظيم الأمور المتبقية وترتيبها، ولذلك قال الرجل للصحافة "أنا ذاهب لحضور حفل الزواج". وهنا أصبح الزعماء النيجيريون الآخرون أقل شعبية عن المناسبات السابقة. أقيم حفل استقبال فى الدار النيجيرية، وأبلغ السير أبو بكر الصحفيين الحاضرين أنه كان يحبذ اتخاذ الكمنولث إجراءات قوية ضد أعضاء المجلس المسيئين. وقال أيضًا: إن نيجيريا سوف تستبعد الجنوب إفريقيين كلهم من خدمتها العامة، وتستثنى من ذلك الأماكن التى تؤكد فيها نصوص الخدمة وشروطها مدى الحاجة إلى هؤلاء الأعضاء المخلصين: جاء ذلك التصريح أقوى من التصريح الذى ألقاه منذ وقت غير بعيد فى مجلس ليجوس، ولم يقدم أبو بكر ضمانات جديدة ضد الضغوط الأخلاقية على الموظفين العاملين فى الخدمة .

هنا، وعلى العكس من استعداده السابق للإذعان لقوة التاريخ والتمييز بين الجماعات والأفراد، يعلن السير أبو بكر أنه لو اتحد كل سكان جنوب إفريقيا البيض الذين يرفضون ولا تعجبهم سياسة حكومتهم العنصرية، لو اتحد هؤلاء السكان مع بعضهم البعض ووضعوا أيديهم فى أيدى السود لأجبروا الحكومة على الاستقالة. وقال

أيضـًا: إن البيض الذين يحسون بالتعاسة يجب ألا يهربوا من الاتحاد، وإنما ينعين عليهم البقاء فيه ومقاومته نظرًا لأن التغيير يتحتم أن يأتى من الداخل. كان أبو بكر قد استوعب الكثير من عواطف زملائه الجنوبيين، ناهيك عن عواطف واشوكو، لكن الرجل كان يفيد من تلك العواطف بطريقته الخاصة. وقد لوحظ أن زعماء الكمنولث المستقلين، الذين لم يكن استياؤهم العام من أمور جنوب إفريقيا خال من العواطف، بدأوا يكتشفون أن ردودهم الصريحة والمكشوفة كان يجرى مقارنتها بردود أبى بكر. وأصر الرجل أنه على الرغم من أن كولين Collin ليجوم Legum مراسل جريدة الأوبزفر قد يجد صعوبة فى الدخول إلى نيجيريا مرة ثانية، فإن نيجيريا لن تستخدم أبيض آخر من جنوب إفريقيا، ولن تعطى حق اللجوء السياسى لأى أحد من هؤلاء. وتطلع أبو بكر إلى لقاء رؤساء الوزراء الآخرين، وأردف قائلاً: "لكنى لا أعتقد أن من المهم أن ألتقى السيد/ لو Louw. وساند الرئيس أكنتولا أبا بكر فى سياسة عدم المؤاخاة الكاملة، نظرًا (قالها ووجهه كل عزم وإصرار) لأن النيجيريين يجدون صعوبة فى التعرف على البيض فى جنوب إفريقيا. ويستطرد السير أبو بكر فى حديثه ويروح يُذَكِّر مدراء النادى الذين كانوا لا يزالون يصوتون ضده بغية منع قبوله، "**ما هى جدوى وضع قواعد طنانة لنادٍ من النوادى، إلا إذا كان الأعضاء الآخرين قادرين على طرد أى إنسان يعمل على تكسير هذه القواعد؟**" وقد ترجمت صحف ليجوس هذه العبارة إلى، "إذا ما تسبب عضو فى خلق المتاعب للأعضاء الآخرين، فلماذا لا يجرى طرد مثل هذا العضو؟" هذا يعنى أن جنوب إفريقيا انتبه لذلك، لكن زعماءه لم يتحركوا قيد أُنملة.

عرفت الصحافة البريطانية حزم الرجل القاطع فى موضوعين مهمين آخرين. الرد الإفريقى الواضح على فرنسا، والذى يقضى بتفجير قنبلة إفريقية فى فرنسا، هذا الرد، على حد تعليق أبى بكر، لم يكن متاحًا للأفارقة، لكن بعد الاستقلال "سنعرف ماذا تعرف"، وفيما يخص مفهوم الاتحاد الإفريقى بالغ الأهمية، استطاع أبو بكر أن يُخْرِس المتسائلين عندما راح هو نفسه يتساءل متعجبًا من أسباب عدم اهتمام هؤلاء

المتسائلين بذلك الموضوع عندما جرى تطبيقه فى أوروبا. وقال الرجل أيضًا، إنه يرحب بانضمام جزء من الكاميرون أو الكاميرون كله إلى الاتحاد الفيدرالى النيجيرى المستقل، هذا إن كانت أغلبية سكان هذه المناطق راغبة فى العودة إلى نيجيريا. وقد استطاع أبو بكر تبين أخطار إضافة أقليات كبيرة متمردة إلى أعداد المشككين الحاليين فى الوسط وفى المناطق الجنوبية. ولم يعلق الرجل على فشل القمة الروسية - الأمريكية بسبب طائرة التجسس الأمريكية التى كان يقودها فرانسس جارى باورز وجرى إسقاطها بواسطة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية فى اليوم الأول من شهر مايو.

أثناء انعقاد مؤتمر الكمنولث، كانت جامعة شفيلد أول مؤسسة علمية بحثية تهتم بأهمية رئيس الوزراء الشعبية، ولذلك منحته درجة الدكتوراه الفخرية فى الآداب. وعندما كان أبوبكر يتحدث نيابة عن الأربعة المكرمين الآخرين، هنأ الرجل شيفيلد على تعيين السيد/ آر إيه بتلر رئيسًا أعلى للجامعة عقب قيام جامعة أكسفورد بانتخاب السيد/ ماكميلان رئيسًا لها. لاحظ أبو بكر أيضًا ذلك العدد الكبير من الطلبة النيجيريين الذين يدرسون فى جامعة شيفلد. **"أنا أدرك أن مسألة فتح جامعة من الجامعات أبوابها على مصراعيها إلى الطلاب القادمين من وراء البحار، لا تعد أمرًا سهلاً أو صغيرًا، لكن صدقونى ليس من السهل على حكومة من الحكومات أن ترسل خيرة شبابها للتعلم والتقولب فى جامعات البلاد الأخرى، لكننا نفعل هذا الشىء عن طيب خاطر لأننا على يقين من أنه لن يحدث سوى الخير لشبابنا عندما يكونون بين جدران الجامعات التى من قبيل هذه الجامعة"**. كانت هناك بعض الآذان البريطانية التى كانت هذه الكلمات تبدو غريبة عليها، وخاصة مضمونها الذى مفاده أن تعليم الشبان الصغار، والسفر فيما وراء البحار كانا أمرين يتعين على الحكومات التخلص منهما، لكن تعليم أبى بكر فى كل مرحلة من مراحله كان على أيدى المعلمين الحكوميين. وأعقب ذلك سوء فهم مشوش، ولما كان أبو بكر معتاداً على قبول الهدايا على شكل

ثيـاب فى وطنه، قـام بعـد الحـفل بحـزم غطاء الرأس والروب الجـامـعى الذى ارتداه للحصول على درجة الدكتوراه، لكنه علم من مسجل الجامعة المُحْرَج قبل رحيله مباشرة أن الروب الجامعى وغطاء الرأس كانا على سبيل القرض المؤقت.

عندما عاد إلى لندن مساء ذلك اليوم دُعى إلى الانضمام إلى الدكتـور نيكروما، ورؤسـاء الوزراء وآخرين فى حفل العشاء الذى أقامه السيد/ ماكميلان فى مقر مجلس الوزراء البريطانى فى ١٠ دواننج ستريت، كان ماكميلان قد أقام لأبى بكر حفل غداء عند وصوله قادمًا من ليجوس. لم يتطور احترام ماكميلان الشديد لأبى بكر إلى حد الود الشـخـصى الدافئ الذى كـان لينوكس بويد يكنه لأبى بكر. وطلب مـاكـمـيـلان من السـيـر جيمس روبرتسون تقديم رئيس وزرائه إلى الرجل الذى سبق أن درسه أبو بكر من خلال رواق الغرباء، وهو السير ونستون شرشل Churchill. ويرد شرشل الذى كان فى السادسة والثمانين من عمره فى ذلك الوقت بعبارة تعجبية غير يقينية قائلاً: "آه ! آه !" وتجرأ أبو بكر وقدم الباندت نهرو إلى السـيـر جيمس روبرتسـون (الذى كان قد ضـايق نيكرومـا بأن راح يتحدث إلى زوجته المصرية باللغة العربية التى لا يعرفها نيكرومـا، والتى لم تكن هى الأخـرى تجـيـدها تمامًا بحكم كـونهـا قـبطيـة تتكلم - الفرنسية). وفى اليوم التالى استقبل دوق جلوسستر ودوقته أبا بكر، وكانا لم ينسيا بعد حرارة سفرهما إلى نيجيريا وتنقلاتهما فيها، وفى آخر يوم من أيام المؤتمر عاد أبو بكر إلى مقر البرلمان البريطانى لينتظر فى غرفة الاندواء حفل الغداء Luncheon (الذى درج رئيس الوزراء على تسميته باسم وجبة منتصف النهـار). صوت رؤسـاء وزارات الكمنولث لصالح انضمـام نيجـيريا إلى النادى لتكون العضـو الحـادى عشـر فى ذلك النادى وذلك بعد أن استقلت فى اليوم الأول من شهر أكتوبر، وصعد رؤساء الوزارات إلى الدور العلوى ليشـربوا نخب السـيـر أبى بكر ونخب بلاده بطريقة تقليدية متعددة الأجناس، لكن على طريق الخبـز المحمص الوثنى. كان رؤسـاء الوزارات قد قرروا من قبل أن الحكمة من إنشـاء لجنة صغيرة من الخبراء الدستوريين للنظر فى المشكلات

التي يمكن أن تنشأ إذا ما أرادت مجموعة من الدول الصغيرة التي كانت مستعمرة من قبل أن تصبح أعضاء لهم حق التصويت في النادي (وفي النهاية لم تكن هناك مشكلات لا يمكن التغلب عليها بالطرق الرسمية). وأبدى رؤساء الوزارات أيضًا ملاحظة مفادها أن اتحاد جنوب إفريقيا يتعين عليه عمل استفتاء عما إذا كان يود أن يكون جمهورية، وأنه إذا ما أراد مثل الهند البقاء بصفته الجمهورية ضمن الكمنولث، تحتم عليه الحصول على موافقة الأعضاء الآخرين.

كشف المؤتمر النيجيري، أو **"المحادثات"** كما يحلو لأبي بكر أن يسميها (نظرًا لأن هذه المحادثات كانت معنية أصلاً بتفاصيل المخططين، كما انه لم يعد هناك ما يمكن إدراجه ضمن هذا الجدول من جداول الأعمال الكثيرة)، عن شيء أو نهاية غير التي كان الجميع يتوقعونها. في مساء الليلة السابقة للجلسة الافتتاحية بكامل أعضاء المؤتمر، أقام وزير الخارجية حفل استقبال في جاليري تيت Tate الشهير للفن الحديث، نظرًا لأن الظروف هي التي حتمت اختيار هذا المكان تحاشيًا لإزعاج أمير كانو والمسلمين الآخرين أو إغضابهم، وحتى ذلك ستر التماثيل العارية التي من قبيل رائعة روبين Robin التي أطلق عليها اسم **"القبلة"**. ومع ذلك، لم يكن بالإمكان عمل أي شيء لستر اللوحة الزيتية الكبيرة التي كانت في الجاليري(*) الكبير في مجلس لانكستر الذي عقدت فيه الجلسة الافتتاحية: ومن يمن الطالع لم يحدث أي احتجاج على رسم الكائنات الحية مثل الجنيات العاريات، والرعاة والسّاطير(**). وتعين على السيد/ إيان ماكلويد أن يكون على ألفة مع السياسيين النيجيريين كلهم الذين كانوا ميالين إلى اعتباره شخصًا قليل الأهمية في مستقبلهم ـ الدكتور أزكوي، وأكنتولا، والدكتور أكبارا Okpara ومعه وزير المالية ووزير العدل وكبير سكرتارية السيد/ جيروم يوبوتا Upota

---

(*) الجاليري: صالة من صالات العرض. (المترجم).

(**) السّاطير: بتشديد السين وفتحها وكسر الطاء، هم آلهة الغابات عند الإغريق. (المترجم).

يودوجي Udoji زميله من الدورة التـي عـقدت فـي العـام ١٩٤٧-٤٨ في ديفنشــاير Devonshire (الذي خدم في بداية عمله في الإدارة المحلية الغربية، شأنه شأن معاصره عبد العزيز عطا الذي أُوفد إلى الشرق)، والمستشار السياسي الرئيسي، وموزع المهام في بطا (بدا) Bida، وجورج أوكـهيري والمستشـار القانوني لحزب المؤتمر الشـعبي الشمالي عبد الرازق. كل أولئك كانوا في المؤتمر غير متفاوضين وإنما ممثلي حكومات، في اتحاد بقي مدة عامين معتمداً على خيوط واهية، لكن ماكلويد تعين عليه جعل قانون الاستقلال يمر من خلال مجلس بريطاني، على الرغم من استعداده لنفض الأحمال عنه، فإنه لن يتحتم عليه في لحظات المقاعد الخلفية القانونية أو عند توضيح موقف الحزب عدم نسيان هذه الحقيقة. وجرى التأكيد على الحق في الاستئناف أمام اللجنة القضائية التـابعـة للمـجلس الملكي الخـاص، على أن لا ينطبق ذلك الحق الاسـتـئنافي على الالتماسات الانتخابية. لم تتبقَّ سوى مشكلة واحدة حقيقية، وهنا نجد ماكلويد يستغل وجوده بوصفه قادماً جديداً، وبصفته عائداً من مؤتمر سيراليون، يستفيد من ذلك كله في الإشارة على الفور إلى رءوس الموضوعات المحيرة التي جرى الاتفاق عليها سراً في العـام ١٩٥٨-٥٩ والتي تتعلق بترتيبات الدفاع المتبادل. وهنا تحتم على السواد الأعظم من النيجيريين المعنيين بالأمر إقناع أنفسهم بأنهم تحتم عليهم قبول ذلك وإلا سحبت بريطانيا مسألة الاستقلال وتراجعت عنها. كان من رأي ماكلويد أن "الاستقلال" يعني المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، ولم يكن هناك متسع من الوقت للتماحك بين أعضاء النادي. وأصر ماكلويد على حتمية حصـول نيجيريا على الاسـتقلال "بلا شروط أو خيوط، وسرعان ما كافأه السير أبو بكر بأن أكد له على الفور أن من الأهمية بمكان أن تبقى نيجيريا عضواً في الكمنولث، كما أعرب أبو بكر عن سعادته لأن رؤساء الوزراء الآخرين قبلوا نيجيريا عضواً كاملاً ومساوياً لهم في نادي الكمنولث.

بعد ذلك بأيام قلائل أبلغ ماكلويد مجلس العموم "كان يُظن تماماً **[بواسطة دنكان سانديز الذي لم يُذْكر اسمه]** قبل عام أو عامين، أن من المناسب لنيجيريا أن تؤجر

شيئًا من أراضيها لهذا البلد، والذى يمكننا أن نقيم عليه تسهيلات إضافية إذا ما أردنا نحن ذلك. لكننا قررنا ألا نطلب ذلك، وقد رحبت السلطات النيجيرية بذلك ترحيبًا كبيرًا". وسوف يجرى بعد الاستقلال توقيع اتفاقية للدفاع المتبادل. هذا القرار الخاص لم يؤد إلى كبت فكرة إنشاء قواعد بريطانية ملكية لحلف شمال الأطلسى فى قبرص على هدى من الخطوط المقامة عليها القواعد الاستراتيجية فى كل من الفلبين، وبنما وكوبا، ولم يؤد هذا القرار أيضًا أولاً وقبل كل شىء إلى ترطيب العداوات كلها فى نيجيريا، وواصل أولوو إغراق سامعيه فى "الريِّمات"، التى من قبيل حجز ستين هكتارًا فى مطار كانو لإنشاء "التسهيلات" ولأغراض تكديس المعدات، أو تخصيص ٤٥٠ هكتارًا لإنشاء مطار جديد فى حال إذا لم يصبح الوصول إلى كانو أمرًا ممكنًا، لكن هذه الأفكار لم يكن فيها دليل على أن دنكان سانديز كان يتصور أو يتخيل إنشاء "قواعد" رئيسية. جاء هذا القرار متفقًا تمامًا مع التلقين المختصر الذى أوفد به ماكميلان السيد/ ماكلويد إلى وزارة المستعمرات، كان ذلك التلفيق المختصر يعنى أن الأخطار التى قد تتعرض لها بريطانيا جراء محاولاتها تعطيل الاندفاع نحو الاستقلال فى وسط إفريقيا وشرقها، على الرغم من المناشدات الشخصية الصادرة عن "الأهلون، أو إن شئت فقل أبناء جلدتنا" من المستوطنين البيض، تفوق بكثير الأخطار الناجمة عن العمل على احتواء ذلك الاندفاع. (كان ماكلويد قد عاد من زيارته إلى نياسلند Nyasaland بعد أن أمر بالإفراج عن الدكتور هيستنجز باندا، وكان الرجل قد عقد العزم من قبل أن يتولى منصبه، وفى ضوء نصائح الزملاء وإرشاداتهم، على الإفراج عن هذا الرجل. وتنتهى حالة إعلان الطوارئ فى شهر يونيو ويعقب ذلك عقد مؤتمر دستورى على الرغم من اندلاع الإضرابات فى الروديسيتين.

كان لا يزال هناك فى ذلك الوقت بعض السياسيين البريطانيين، حوالى واحد أو اثنين، كان شاندوس Chandos ولينوكس بويد يعرفانهما، يتطلعون إلى الوفورات المالية التى ستنتج عن تفكيك المستعمرات. هؤلاء البريطانيون ربما أحسوا بالرضا لأن تعليقات السير أبى بكر التى جاءت على شكل عناوين رئيسية عن جنوب إفريقيا أدت

إلى عرقلة بل الحيلولة بين السير أحمد بللو وبين مطالبته بمنح صريحة حتى يمكن الوفاء باحتياجات الإقليم الشمالى "الضخمة" بعد الاستقلال، أوضحت شكوك المستشار السياسى الرئيسى فى مسألة إحداث شيء من التوازن فى الميزانية، أن الرجل لم يعرف شيئًا عن تمويل العجز فى الميزانية، وعلى الرغم من ذلك، كان مكتب علاقات الكمنولث يطور نظرياته الخاصة بالمساعدة الفنية لتحل محل التنمية الاستعمارية ومشروعات الرفاه: هذا يعنى أن السيد/ ماكلويد استطاع أن يؤكد للنيجيريين أنه مثلما أمكن فى العام ١٩٤٠ كسر السد المالى والتمويلى الذى واجه المستعمرات (التى كان ينبغى عليها فى ذلك الوقت أن تكون مكتفية ذاتيًا إذا ما كان لها حكومة مستقلة) فإن هذه المشكلة نفسها يمكن مواجهتها، بعد عشرين عامًا وبدون حكم مباشر، فى موازنات الدول الأعضاء فى الكمنولث التى أصبحت مستقلة استقلالاً تامًا. وقيل إن أول قرض من قروض مساعدات الكمنولث سيكون فى حدود ١٢ مليون جنيه إنجليزى. وفى ظل هذه الظروف وصلت "المحادثات" إلى نتائج ميسرة وسهلة فى المسائل المتعلقة بالسلطات الشخصية المتبقية للحاكم العام (وبخاصة ما يتعلق منها بالتزكيات الخاصة بالتكريم، على سبيل المثال)، والعملية أو الطريقة التى يمكن بها تقديم اسماء حكام الأقاليم واسماء السفراء الفيدراليين إلى ملكة نيجيريا للتوقيع عليها واعتمادها بعد أن يتم تكليفهم. وعلى العكس مما كان متوقعًا لم يعترض المحافظون من الأمراء الشماليين، على التغييرات الهيكلية فى إدارة القضاء. وأعطى السير أحمد بللو إشارة كبيرة بأن منح الدكتور أزكوى ميدالية ذهبية فخمة من باب "الاعتراف بخدمات الرجل فى تأمين حكومة مستقرة لنيجيريا". وحدث تكريم آخر فى الإقليم الشرقى عندما حصل لويس Louis أوجوكو Ojukwu مليونير النقل على لقب فارس.

أنهى رئيس وزراء نيجيريا مقامة فى لندن بمشاهدة مباراة قبلية(*) بريطانية فى كرة القدم انهزم فيها خريف بلاكبرن Blckburn رفرز Rovers من ولفرهامبتون

(*) بمعنى حامية الوطيس. (المترجم).

Wolverhampton واندرز Wanderers بثلاثة أهداف مقابل لا شيء فى نهائى كأس اتحاد كرة القدم، وبعد حصول رئيس وزراء نيجيريا على شارة الحصول على لقب فارس والتكريم اللازم لها من صاحبة الجلالة فى القصر الملكى فى اليوم الحادى عشر من شهر مايو، على شكل سلسلة من المقابلات ضمت أيضًا السيد/ إريك Eric لو Louw، كما حضر رئيس الوزراء النيجيرى أيضًا مجلس صاحبة الجلالة الخاص الذى يترأسه السيد/ روى Roy ولنسكى Welenesky (الذى أُعيد إلى هدوئه المعتاد بعد أن أساء فهم التوقعات المبنية على النتائج التى توصل إليها اللورد مونكتون Monckton فيما يتعلق الاتحاد الفيدرالى الإفريقى المركزى، وبعد افتتاح سد كاريبا)، وبعد أن حضر رئيس وزراء نيجيريا حفلاً من حفلات الباليه فى قصر باكنجهام، حضر حفل عشاء خاص مع كل من اللورد ملفيرتون والسير جون ماكفرسن، وكلاهما كان فخورًا بنيجيريا الناهضة، كما حضر الرجل أيضًا اجتماعًا مع دوقة كنت والدة الأميرة ألكسندرا Alexandra، وبعد حضور حفل غداء آخر فى مقر البرلمان البريطانى مع كبار الشخصيات التى أجرى معها "محادثات"، وحضر أيضًا حفل استقبال دُعى إليه السواد الأعظم من أعضاء الحكومة البريطانية لكى يلتقوا بأبى بكر شخصيًا، وحضر الرجل أيضًا حفل غداء حكومى أقامته الحكومة البريطانية لكل من رئيس الوزراء النيجيرى، ورؤساء وزراء الأقاليم والأقاليم، ولم يحضر المستشار السياسى الرئيس هذا الحفل الأخير. العجيب فى الأمر هو استمرار أبى بكر فى جَلَدِه مدة طويلة. كان ذلك هو نوعية الحياة التى كان ينتظر أن يحياها سياسيو العالم الغربى المحترفون كلهم، عندما لا يكونون مباشرين لأعمالهم، وعندما يكونون فى اجتماعاتهم، أو فى دوائرهم الانتخابية، فى العام ١٩٦٠ الميلادى كان السواد الأعظم منهم لا يزالون يعيشون هذه الحياة، وإلى جانبهم مخبر وحيد عندما يكونون فى مكاتبهم. يزاد على ذلك أن كون أبى بكر تافاوا باليوا أصبح شخصية مهمة جدًا لم يعفه من الانتظار فى مطار هيثرو مدة اثنى عشر ساعة قبل أن يعود إلى وطنه، وذلك بسبب إصلاح عطل حدث للطائرة التى كانت ستقله إلى وطنه.

الفصل الثلاثون

السلحفاة والأرانب البرية : الاستقلال يجىء فى "عام إفريقيا"

الزراعة شاقة، لكنها عندما تنتهى يلَذُّ أكله(*)

كان لابد من نشر صورة مارشال ماكلوهن الذهنية عن القرية الكونية، على نطاق واسع، لكن معنى هذه الصورة الذهنية طاب واستطاب الآن وأصبح جاهزًا لكى تستوعبه الشعوب. كان الجيل الأول قد كبر إلى الحد الذى يجعلنا نقول بحق إنه ما دام أن كل وسيط من وسائط الاتصال يضع كلاً من الإبلاغ السياسى والتعليق السياسى فى مقدمة كل منتج من منتجاته، وذلك يعنى أنه لم يعد هناك أى شىء غير سياسى. كانت تقع فى ذلك الوقت أحداث كثيرة فى العالم، وكان كل من لديه ضمير سياسى عام يجرى إعلامه بتلك الأحداث فى حينها (بغض النظر عن ندرة قدرة مثل هذا الشخص على تنسيق ردود فعله مع رد الفعل العام)، إلى حد أنه فى الشهور القلائل الأخيرة من استعمار نيجيريا أصبح من الصعب الحديث عن الأحداث الخارجية فى تسلسل دقيق، نظرًا لأن هذه الأحداث زادت من مخزون الخبرة والتجربة عند السير أبى بكر تافاوا باليوا ومست ولمست أيضًا سياسته الداخلية. تلك الأحداث الأجنبية الكثيرة التى سجلناها فى الصفحات السابقة جعلت أبا بكر يستكشف أو بالأحرى

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى الذى يقول : "الله لم يرسل الفم مطلقًا وإنما أرسل معه اللحم أيضًا" God ne'er sent the mouih but he sent the meat with it.

يتنبأ بالمضاعفات المستقبلية، عندما يؤدى الحكم الذاتى الداخلى نفسه إلى جعل المشكلات أو الورطات الخارجية المتعبة أمرًا لا فكاك منه، يزاد على ذلك أيضًا أن تلك الأحداث الخارجية سهلت على الأجانب تجاهل أولوياتهم ومشاغلهم فيما يتعلق بالأخبار الواردة من نيجيريا.

خروج بريطانيا من نيجيريا أدى إلى جعل نيجيريا وجهًا لوجه مع بقية العالم، وهذا يعنى القيام بالمزيد من مراجعة الفرضيات المريحة على كل جانب من الجوانب. تلك الأشهر القليلة التى كانت بين مؤتمر لندن والاحتفال باستقبال الأميرة ألكسندرا - تديرنا لتلك الشهور بعد مرورها يجعلنا نقر ونعترف أن تلك الأشهر كانت تشكل تلك الفترة الزمنية الوجيزة التى انصهرت خلالها ثلاثة أنوا ع من السياسات صهرًا كاملاً مع بعضها البعض، كان هناك قرار ماكميلان القاضى بالتخلى عن النظرية الأبوية والتدرجية عن طريق ذلك الذى اسماه ماكلويد "مجال القرارات المتعمدة المختلفة"، وكان هناك أيضًا قرار ديجول بالتخلى عن التَّمثُّل assimilation باعتباره الوسيلة المؤدية إلى إنهاء الاستعمار الثقافى، وكان هناك أيضًا اتفاق مستشارى الملك بودوين Baudouin، ملك بلجيكا، على أن استعداد تسعة ملايين بلجيكى لحماية مصالحهم الاقتصادية لا يمكنهم الوقوف أو مقاومة الضغوط العالمية التى تنشد التغيير السياسى، فى الوقت الذى لم يكن فيه خمسة وتسعون مليونًا من البريطانيين والفرنسيين متحمسين لمثل هذه الحماية. هذه الأحداث الخارجية الرئيسية هى التى دفعت القارة الإفريقية إلى تشكيل مستقبلها السياسى، وعليه تغيرت طبيعة "التدافع على إفريقيا"، على حد قول المتهكمين، لتصبح "تدافع على الخروج من إفريقيا". وهنا نجد أن تلك الأقلية من الحرس القديم المهموم فى وزارة المستعمرات، والذين حسبوا أنهم أفنوا أنفسهم فى محاولة منهم للتقليل من معدل السرعة الذى وضعه أساتذتهم ورؤساؤهم، نجد أن هذه الأقلية تفسر تلك الحالة النفسية البريطانية على أنها نجمت عن الجهل، والرومانسية، والتفكير المغرض، الذى لعب عليه، إلى حد ما، أولئك الذين لم يريدوا لبريطانيا الخير.

كان المثال الكنغولى فى ذلك الوقت لا ينطوى على أى شىء من الخير لبريطانيا فى المستقبل. هذا المثال كان محط اهتمام أبى بكر الكبير، وكان لابد من متابعة هذا المثل بالمزيد من التفاصيل أكثر من الأحداث التى كانت تقع فى أماكن أخرى من إفريقيا. لم ينس البلجيكيون مطلقًا بصفتهم حكامًا استياء العالم من مظاهر القسوة التى تزايد الإبلاغ عنها من قبل القناصل البريطانيين ومن قبل الصحافيين فى عهد دولة الكنغو الحرة فى عهد ليوبولد الثانى، أى قبل العام ١٩٠٨ الميلادى، لكن البلجيكيين آثروا من الناحية الإدارية، شأنهم فى ذلك شأن الأسبان والبرتغاليين من قبلهم، إصلاح ألبسة مستعمرتهم الاجتماعية بدءًا من السنغال إلى ما هو أعلى من ذلك. فى العام ١٩٦٠ الميلادى كان الكنغو البلجيكى يحظى بأعلى معدل للقرائية والالتحاق بالمدارس فى سائر أنحاء إفريقيا فى إطار الوحدة الاقتصادية أو السياسية. لم يكن فى الكنغو البلجيكى طبيب إفريقى واحد، أو مهندس إفريقى واحد، أو ضابط إفريقى واحد مؤهل، أو حتى إدارى أفريقى كبير واحد. أصبح التحرير عندئذ يعنى بوضوح انسحابًا غير ممرحل، وترقيات محلية مفاجئة عن طريق المجلس. وفى اليوم الثلاثين من شهر يونيو من العام ١٩٦٠ الميلادى أصبح الكنغو البلجليكى جمهورية ديمقراطية مستقلة، بعد انتخابات محلية وانتخابات عامة، تنافست عليها مجموعة من الأحزاب السياسية تقدر بحوالى أربعين حزبًا من بين مائتى جماعة إثنية (عرقية)، وقد تنافست هذه الأحزاب قليلة الخبرة فى جو من القلاقل التى تحولت إلى إضرابات، والحرائق المتعمدة، والاعتداء على المبشرين وهتك أعراض الراهبات وحوادث القتل.

جرى تحت رعاية البرلمان فى بروكسل وضع مسودة القانون المحلى الأساسى الخاص بالبناء وكان له طابع فيدرالى. هذا القانون كان يمكن أن يكون نموذجًا فى أعين الكثير من الأكاديميين الذين بدأوا يظهرون فى العالم النامى، لكن هذا القانون لم يُعْطَ بصمة الاحترام من قبل مؤتمرات العمل التى كان يعقدها المسئولون البلجيكيون، والمدرسون الكنغوليون المُسَيَّسون، والقساوسة والموظفون المدنيون، على الرغم من عقد

"مؤتمر مائدة مستديرة" للتصنيف فيما بعد، وقد انسحب كازافوبو من ذلك المؤتمر بسبب رفض بلجيكا وجود مجلس تأسيسى محلى من ناحية وبسبب الخلافات التى كانت بينه وبين نائب كانزا Kanza نائب رئيس حزب تحالف الباكونجو. حصل تحالف كازافوبو على اثنى عشر مقعداً من بين ١٢٧ مقعداً، وحصل حزب الحركة الوطنية الكنغولية برئاسة لومومبا على ثلاثة وثلاثين مقعداً، هذا يعنى أنه لم يتبق سوى ٩٢ مقعداً للأحزاب الأخرى، مما شكل أغلبية كبيرة فى انتخابات الجمعية العمومية التى جرت فى شهر مايو. وبمقتضى الحل الوسط، الذى يقال إنه جاء بفضل التدخل الإسرائيلى من ناحية والإقناع من جانب غانا من الناحية الأخرى، جرى انتخاب الرئيس جوزيف كازافوبو، رئيس أحد التحالفات القبلية، رئيساً فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيو لدولة مركزية تضم ستة حكومات إقليمية، كانت هناك نظرة توحى بأن الرجل فيدرالى إلى حد ما. كان خصمه السياسى الأول هو باتريس Patrice إمرى Emery لومومبا Lumumba، زعيم الحركة الوطنية الكنغولية، الذى كان الناس ينظرون إليه باعتباره وحدوياً أساسياً، هذا الخصم كان يعتمد على جيش قوامة حوالى ٢٥ ألفاً من الرجال، وخسر السواد الأعظم من ضباطه، برز لومومبا رئيساً للوزراء ووزير للدفاع.

السبل القاتلة التى من هذا القبيل والتى تعتمد على التصالح قصير الأجل واللحظى، جرى تجربتها مرة ثانية من خلال تيه الخبراء المستوردين من الخارج وخيلائهم، فى عمليات تصفية الاستعمار المستقبلية الأخرى. كان الرائد لومومبا قد أفرج عنه من السجن قبل حضوره فى شهر يناير مؤتمر المائدة المستديرة بوقت قصير جداً، وكان الرجل لا يزال شخصية غير معروفة للناشطين فى الخارج، باستثناء أولئك الذين حضروا مؤتمر شعوب كل إفريقيا الأخير، لكن لومومبا لم يظل مطموراً مدة طويلة. تكهرب أولئك الذين كانوا يخططون لاحتفالات الاستقلال الوشيك، التى تكلفت ١٧٥٠٠٠ جنيه إنجليزى، عندما قرأوا ما مفاده أنه فى ليوبولد فيل جرى سحب سيف

الاحتفاء الشخصى من الملك بدوان Baudouin منه بواسطة صيادى الهدايا غير المسالمين، وهنا نجد أن تباهى لومومبا الهستيرى فى ذروة الاحتفالات، والذى كان موجهًا لكل من بلجيكا والإمبريالية، على الرغم من تراجع ذلك التباهى وتقلصه فيما بعد، كان فى غير موعده عند أولئك النيجيريين الأكثر هدوءًا، الذين كانوا يتطلعون إلى زيادة لا تقليل الأصدقاء الأجانب تحسبًا للأيام الصعبة فى المستقبل. وبمقتضى معاهدة الصداقة التى وقعت فى اليوم التاسع والعشرين من شهر يونيو، اتُّفِقَ على استخدام القوات البلجيكية المتبقية، خارج حدود قواعدها بناء على أمر من وزير الدفاع الكنغولى. يزاد على ذلك، أنه على الرغم من احتياج لومومبا إلى موظفيه الحكوميين المقيمين expatriate، وعلى الرغم من احتياجه أيضًا إلى ضباط الخدمات، إن قدر له أن يستمر فى الحكم بصورة مرحلية، فإن رد قائد القوة الشعبية جاء على شكل تقديم استقالته، ليجرى استبداله برقيب أول اسمه ليندولا Lundula . وفى اليوم الخامس من شهر يوليو وجد العسكر الكنغوليون وبعض رجال الشرطة، أن بعض الضباط البيض لا يزالون يتولون دور القيادة بناء على الحل الوسط الذى توصل إليه كل من لومومبا وكازافوبو، كما وجدوا أيضًا أن مرتباتهم لم يجر تحسينها، الأمر الذى دفعهم إلى إعلان تمردهم أثناء نشوب أعمال العنف بين الجماعتين العرقيتين المتنافستين اللولا Lulua والبالوبا Baluba.

بدأ الأجانب يهربون بأعداد كبيرة عبر النهر لاجئين إلى برازفيل فى الكنغو الفرنسية، وسارع المتخصصون البلجيكيون فى التكتيك إلى رسم خطة للعودة العسكرية إلى هناك، على أمل استعادة النظام الأساسى. هذه الإساءة النفسية الضمنية إلى الزعماء الكنغوليين من ناحية، وإلى السواد الأعظم من الساسة الأفارقة بصفة عامة من الناحية الأخرى، فاقت كل الكرب والبلاء الذى ترتب على الانهيار الشديد للقانون، وناشد لومومبا كلاً من غانا والأمم المتحدة أن تقدما له يد العون فى اليوم الثامن من شهر يوليو. وفى اليوم الحادى عشر من شهر يوليو بدأ رئيس وزراء

إقليم كاتانجا، الغنية بالموارد المعدنية، والتى فيها استثمارات وتقنية أجنبية كبيرة، والتى كان قد سُمِح لقوات المظلات البلجيكية بإنقاذ بعض المعزولين خارج البلاد بسبب عدم وجود نقل، بدأ رئيس الوزراء هذا يتشكك أن لومومبا فى وسط هذه الفوضى كان يخطط للعودة إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، ولذلك أعلن الاستقلال وطلب المساعدة من المرتزقة: رئيس الوزراء هذا كان اسمه مويس تشومبى، وكان يبلغ من العمر واحداً وأربعين عامًا، وتحصل مؤيدوه على ثمانية من المقاعد فى الجمعية العمومية، لكنه لم يتحصل فى المجلس المحلى فى كاتانجا سوى على ٢٥ مقعداً من أصل ٦٠ مقعداً. وحذا ألبرت كالونجى حذو مويس تشومبى فى إقليم كاساى، لكن ذلك كله له يخط باعتراف الدول الأخرى. وفى اليوم الثانى عشر من شهر يوليو طلب كازافوبو من الأمم المتحدة تقديم يد العون له.

بعد ذلك بثلاثة أيام، قام لومومبا، الذى راودته الشكوك فى أن بروكسل هى التى شجعت كاتانجا على الانسحاب والتراجع، حتى يمكنها السيطرة من جديد، بقطع العلاقات الرسمية مع بلجيكا وطلب المساعدة الروسية فى الوقوف فى وجه بلجيكا، التى قامت بتعزيز قواتها، وفى اليوم التالى وصلت أول دفعة من قوات الطوارئ الدولية التى تقدر بحوالى ٣٥٠٠ فرد جاءوا من إثيوبيا، ومن غانا، ومن المغرب ومن تونس، مع مفرزة من السويد قوامها ٦٢٥ فرداً كانت تخدم فى قطاع غزة بين إسرائيل ومصر، وذلك فى محاولة لإحلال السلام ومنع التعدى الروسى. وراح لومومبا ينتقل فى الخارج على نطاق واسع، فقد سافر إلى نيويورك، وإلى واشنطون، وأوتاوا وشرق إفريقيا وشمالها، ثم سافر إلى لندن (الذى أصبح فيها محطًا للإضراب والمظاهرات التى جرت ضده خارج سينما رتز، وأدت الفوضى التى ترتبت عليها إلى إصابة المندوب السامى الغانى).

لما كان السير أبو بكر تافاوا باليوا مشتاقًا كالعادة إلى تقوية موقف نيجيريا المستقبلى وتدعيمه فى الوقت الذى لم يكن يتبقى فيه على الحصول على الاستقلال

سوى أحد عشر أسبوعًا استعماريًا، ولما كان الرجل متشككًا أيضًا فى لعبة نيكروما الماكرة (كانت غانا قد عرضت المشاركة عسكريًا فى الأمم المتحدة حتى قبل أن يصدر مجلس الأمن قراره) فقد نقل انطباعه هذا إلى السير جيمس روبرتسون كما أعرب عن تحمسه لفكرة أن يكون الجنود النيجيريون أعضاء مؤسسين فى قوة الطوارئ. وخاب أمل أبى بكر خيبة شديدة إلى حد أن دبلوماسية الحكومة البريطانية، التى تعصبت بفعل التفسيرات الخاطئة المعادية للإمبريالية، منعت البرهان أو الدليل على "**استقلاله فى الأمور العملية كلها**" وتحتم على أبى بكر الاعتماد على حشو العلاقات العامة عن "**استطلاع الطرق والوسائل التى يمكن أن تساعد بها نيجيريا الكنغو**". كظم أبو بكر غيظه أمام عجزه هذا، فى الوقت الذى تسلمت فيه الأمم المتحدة دور القيادة من السكرتير العام ومضت إلى تشكيل قوة من الدول الأعضاء التى لم تكن لها صلات استعمارية واضحة، وقليلة الخبرة أيضًا، هذا يعنى أن الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن، الذين تَعُول مواردهم المنظمة كلها، كان لهم دور محدود أو رأى محدد فى الأحداث التى وقعت بعد ذلك مباشرة فى الكنغو. فى كادونا، لاحظ أبو بكر أن المستشار السياسى الرئيسى كان قد دعا إلى عقد اجتماع موسع وكبير للمقيمين ex-patriates، لكى يؤكد لهم أن سلامهم وأمنهم لن يتهدد مطلقًا بأى طوفان يكون من قبيل هذا الطوفان الذى حدث فى الكنغو، وعلّق المحامى العام مارشال Marshall أن الهجمات الكلامية من جانب حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على الموظفين الأجانب فى الجمعية العمومية لم تؤيد هذا التأكيد.

فى مطلع شهر أغسطس أصر هموشولد على جلاء القوات البلجيكية المتبقية هى والفنيين البلجيك عن الكنغو. كان همر شولد رومانسيًا حقيقيًا وقع فى غرام سكان غرب إفريقيا، الذين أطلق عليهم "البيوريتانيون الشبان" فى منظمة الأمم المتحدة، وتمنى أن يكون الأفارقة كلهم مثلهم. بعد ذلك بأيام قلائل رافق همر شولد قواته عندما كانت تدخل كاتانجا، وكان الرجل يود بذلك تأصيل التزام الإقليم بأنه من صنع

السياسة البلجيكية. كان همر شولد هو والرئيس أيزنهاور يشعران بالغضب إزاء تهديدات خروشوف باتخاذ "إجراءات حاسمة للقضاء على العدوان". والذى تجلى بالفعل فى إقراض الطائرات العسكرية الروسية، وكذلك المركبات والمعدات للقيام بمساعدة لومومبا. على الرغم من ذلك كان تشومبى قد انْتُخب فى اليوم الثامن من شهر أغسطس "رئيساً لدولة كاتانجا". شهد الأسبوع الأخير من شهر أغسطس مؤتمراً خاصًا للدول الإفريقية المستقلة انعقد فى ليوبولدفيل، وفشل فيه كل من كازافوبو ولومومبا فى إخفاء خلافاتهما المستمرة: وعرض الدكتور نيكروما على لومومبا مساعدته فى طرد البلجيكيين العائدين من البلاد إذا ما فشلت الأمم المتحدة فى ذلك. واقع الأمر أن القوات البلجيكية غادرت البلاد فى اليوم الثانى من شهر سبتمبر، وهو اليوم نفسه الذى قبل فيه لومومبا الذى كان يهدد فى الداخل والخارج بإحضار الروس ومعداتهم (على الرغم من المعارضة الشديدة من قبل الزعماء الأفارقة الذين كانوا باستثناء غينيا، يخشون أن يحل الملك تركان محل الملك علاَّن، اثنى عشرة طائرة من طراز اليوشن ١٤ الروسية لاستخدامها ضد كاتانجا، كما جرى إنزال حوالى مائة مركبة (شاحنة) فى ماتادى Matadi. ونظراً لعدم التشاور مع كازافوبو حول هذا الأمر، قام بطرد لومومبا فى اليوم الخامس من شهر سبتمبر وعين محله إم جوزيف إليو Ileo، رئيسًا لمجلس الشيوخ، وجوزيف إليو هذا من فرع حزب الحركة الوطنية الكنغولية فى كالونجى. رفض لومومبا ذلك الطرد وطلب من الشعب والجيش والعمال الثورة، حاول مجلس الممثلين (النواب) تفنيد الطردين وإفراغهما من مضمونهما فى اليوم السابع من شهر سبتمبر بعد أن وجه مجلس الوزراء تهمة الخيانة العظمى إلى كازافوبو، لكن فى اليوم التالى أعرب المجلس النيابى عن ثقته فى لومومبا فى حين أنكر كازافوبو على المجلسين حقهما الدستورى فى الموافقة أو عدم الموافقة على قرارات رئيس الدولة، وحاول بعض الأعضاء أن يكونوا أعضاء فى حكومتى كل من لومومبا وإليو Ileo. وفى

اليوم الحادى عشر من شهر سبتمبر أبلغ رئيسا المجلسين سلطات الأمم المتحدة أنهما يؤيدان لومومبا وأنهم "أبطلوا" القرارات التى أصدرها كازافوبو. وأغلقت الأمم المتحدة جميع المطارات فى وجه الطائرات كلها فيما عدا طائراتها وطائرات الأليوشن.

فى هذه المرحلة الباكرة من الفوضى، ضحى لومومبا بالقسم الأكبر من التعاطف الصحفى النيجيرى، خارج حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، بسبب عدائه المعلن لأمين عام الأمم المتحدة داج همر شولد. يزاد على ذلك أن الأمور لم يجر تسهيلها بسبب الاحتكاك الشعبى بين القيادة العليا للأمم المتحدة والرئيس نيكروما، الذى أفلح فى محاباة كل من كازافوبو ولومبابا بإصراره على وجود تورط إفريقى خارجى وقيادة إفريقية لقوة الطوارئ؛ لكن ذلك كله فشل فى الوقوف على المغزى السياسى لبروز العقيد جوزيف موبوتو، ذلك العسكرى الكنغولى القديم الذى رُقِّى مؤخرًا من بين صفوف "القوة الشعبية" Force publique، التى أطلق عليها آنذاك اسم الجيش الوطنى الكنغولى L'armee nationale congolaise ليحل محل لوندولا Lundula. لم تقل الفوضى فى ذلك البلد بسبب تردد كل منهما مرارًا فى استخدام السلطة فى حسم مفاده أن القوة هى التى نقلت الملكية، لكن مبوتو "حيَّدهم" جميعهم تحييدًا كاملاً فى اليوم الرابع عشر من شهر سبتمبر، عندما عين "مجمعًا من كبار المفوضين" أو (الجامعيين) للقيام بالحكم، وحدد إقامة لومومبا فى منزله وطرد السوفييت والتشيك (الذين كانوا قد أخذوا مواقعهم لشغل الفرا غ الناجم عن المستعمرين الغربيين المنسحبين، وكانوا مصرين على التدخل المباشر بدلاً من تقديم مساعداتهم ومؤسساتهم عن طريق الأمم المتحدة). وسرعان ما أبرق كازافوبو إلى منظمة الأمم المتحدة ليشكو من تدخلها فى الشأن الداخلى، كما أبرق أيضًا إلى نيكروما راجيًا منه الاعتراف باليو Ileo وبقى كازافوبو على ولائه لمبوتو Mobutu. قرر مبوتو السعى إلى تدريب الضباط الكنغولين فى الكلية الحربية البريطانية (ساندهيرست)، لكن سلطات الأمم المتحدة أعلنت أن ذلك "لا يصح"، وعطلت إنجلترا الاستجابة لذلك الطلب. تَحيَّن

السير أبو بكر الفرصة، وفى منتصف شهر سبتمبر كان الدكتور ماجيكودونمى قد أعلن وعلى مسئولية رئيس الوزراء وبمبادأة منه، أن داج همرشولد، سكرتير عام الأمم المتحدة، سوف يضم إلى قوات الطوارئ كتيبة من فوج صاحبة الجلالة النيجيرى، ومعها مهندسون معاونون، وأفراد إشارة، وخدمات طبية، على أن يكون ذلك عقب يوم الاستقلال. فى ذلك الوقت كانت الأمم المتحدة تقوم بتوفير الحكم والحكومة التى كانت تتمتع بهما البلاد، لكن تنظيمهم كان ممنوعًا من الموافقة على ذلك.

جاء استياء أبى بكر مما يحدث فى الكنغو مصحوبًا "بتدخل" من جانب بريطانيا وتوريط كتيبة نيجيرية (تضم الكابتن "نقيب" جيمس جوون Gowon) فى جنوب غربى الكاميرون، حيث توجد الوصاية البريطانية، وتحسبًا للخطر الذى يمكن أن ينجم عن استمرار التمرد عبر الحدود الفرنسية. وبسبب هذه المهمة القانونية الملقاة على عاتق المملكة المتحدة، كانت لا تزال هناك بعض الشئون المتعلقة بالدفاع، والتى لم يكن بوسع الحاكم العام الإبقاء عليها بين يدى رئيس الوزراء، وعلى الرغم من محاولة الحاكم العام ضم السير أبى بكر إلى جانبه، فقد واجه صعوبة فى إقناع الرجل أن من الصواب استمرار ضباط الصف النيجيريين الشرطيين بعد الاستقلال، فى تدريب المجندين الكاميرونيين فى المدرسة الشرطية الجديدة فى تيكو Tiko وأن التكاليف المترتبة على ذلك سيجرى تعويضها من منطلق أن ضباط الصف هؤلاء يعملون بعقود. أضعف الإيمان أن رفض السماح للقوات النيجيرية المقاتلة التى كانت لا تزال تحت حكم الحكومة البريطانية الاسمى، بالذهاب إلى الكنغو، لم يتفاقم بفعل النيجيريين الذين كانوا يواصلون المحافظة على الأمن الداخلى فى الكاميرون: فقد جرى القيام بذلك الدور على حساب بريطانيا :لتى سحبت الكتيبة الأولى من فوج صاحب الجلالة الحدودى، بعد إعفائها من مهامها الأخرى، وإرسالها بعد ذلك اليوم الحادى والثلاثين من شهر أغسطس إلى الكاميرون، وبذلك أمكن إرضاء كلٍّ من الدكتور أنديلى الذى كان يود بديلاً بريطانيًا إذا ما رفضت نيجيريا تقديم المساعدة العسكرية، ومنافسة

السيد/ فونكا(*) Foncha الذى لم يكن راغبًا فى القوات النيجيرية تحت أى ظرف. لكن فى الوقت الذى جرى فيه على مضض السماح لموظفى الجمارك المهمين، وعمال البريد والتلغراف بالبقاء بصفة مؤقتة فى الكاميرون (شأنهم فى ذلك شأن الشرطة، التى تأخذ مرتباتها من الخزانة البريطانية)، نجد أن السير أبا بكر كان مصرًا على سحب الموظفين المدنيين الآخرين من جنوب الكاميرون باستثناء تلك الحفنة أو ذلك العدد الصغير من موظفى صاحبة الجلالة المقيمين العاملين فى الخدمة الاستعمارية، وأن يكون ذلك السحب على ثلاث دفعات شهرية تبدأ من شهر يونيو وتنتهى فى شهر أغسطس. لم يؤد هذا الإجراء إلى تقليل الضغط الواقع على الفرع الخاص من الشرطة الفيدرالية التى كانت تراقب الآثار الناجمة عن الثورة والتمرد القائمين فى المنطقة الفرنسية سابقًا، والتى كان يتحتم على أبى بكر متابعة أخبارها بصورة مستمرة. وتوقعا لحدوث استفتاء، بدأ السواد الأعظم من الأعين الكاميرونية تنظر شرقًا فى اتجاه الكاميرون الذى جرى بالفعل فيه فى ذلك الوقت انتخاب أحمد أهيدجو لمنصب الرئيس، وقلة قليلة من الناس هم الذين لاحظوا تلك السابقة التى تمثلت فى انضمام الصومال البريطانى إلى المنطقة الإيطالية سابقًا ليكونا بذلك الصومال Somalia (فى الاحتفالات الصومالية التى جرت فى مقديشيو فى اليوم الأول من شهر يوليو، قال السيد/ جوليوس نيريرى رئيس تنجانيقا، ومن باب الغيرة والحسد، للحاج الشيخ شاجارى "أتمنى المجىء إلى نيجيريا لأرى كيف تستطيع توحيد بلد كبير بمثل هذا الحجم وهذا التنوع، فى الوقت الذى لا يزال فيه شرق إفريقيا، وهو أصغر من نيجيريا، ويتكلم كله اللغة الإنجليزية، والسواحيلية، وبينه خدمات مشتركة، عاجزًا عن تحقيق الوحدة: إنها معجزة!").

(*)يصح فيه أيضًا "فونشا" Foncha. (المترجم)

تواصلت فوضى الهدف هذه فى أجزاء أخرى من إفريقيا الفرنسية، إلى الحد الذى مكّن الأجانب من الحكم الصائب على الأمور فى ذلك الوقت. ظهر خلال فترة زمنية من شهر مايو أن اتحادًا لوسط إفريقيا (أو استوائيًا) يضم كلاً من الكنغو المويونى Moyen وجمهورية وسط إفريقيا (أو بانغى شارى سابقًا) وتشاد كان على وشك البدء والمضى قدمًا، ويستثنى من ذلك الاتحاد الجابونى الذى وازن قادته حساباتهم ولم يطلبوا الاستقلال. فى الغرب كانت مالى تفضل رئيسًا فيدراليًا واحدًا. وفى شهر يونيو عرض الرئيس ديجول التفاوض على وقف إطلاق النار مع الحكومة الجزائرية المؤقتة، الذى وافقت عليه جبهة التحرير الوطنية الإسلامية فى بداية الأمر، لكنها رفضت بعد ذلك شروط ذلك الاتفاق. وفى شهر يوليو تمت الموافقة بصورة نهائية على استقلال مدغشقر اعتباراً من ذلك التاريخ، وأعقب ذلك قيام مجلس التوافق Con-sei de L'entente الذى أبقى على الروابط الثقافية والاقتصادية الداخلة فى إطار دول المجموعة الفرنسية التى ضمت داهومى فى اليوم الأول من شهر أغسطس، والنيجر فى اليوم الثالث من الشهر نفسه، ثم كلاً من فولتا العليا وساحل العاج. وانضم إلى مجلس التوافق هذا بعد كل من تشاد، إفريقيا الوسطى، الكنغو برازافيل، والجابون، على أن تكون كلها جمهوريات، كان من رأى المؤمنين بفلسفة الذرائع pragmatists أن عشرة احتفالات فى يوم واحد يمكن أن تؤدى إلى حدوث نوع من التوتر فى قدرات سلطة تصفية الاستعمار التمثيلية والاحتفائية. ويجىء دور موريتانيا فى النهاية لتصبح جمهورية إسلامية فى شهر نوفمبر، ويسفر ذلك عن جعل الصومال الفرنسى (الذى عُرف باسم أرض العفار والإيزاس) رافعًا العلم الفرنسى بعد الجزائر. سكان هذا الفيضان من الدول الإفريقية الناطقة بالفرنسية كان يقدر فى ذلك الوقت بحوالى ١٧ مليون نسمة، وهذا ما يعادل سكان الجزء الشمالى فقط من نيجريا حسب آخر الإحصاءات. وقد علق اللورد شاندوس Chandos تعليقًا لاذعًا مفاده أن هذه الدول كلها تنتج محصولاً واحدًا، وأن زعماء هذه الدول وقادتهم يحصلون على كل ما يريدونه من باريس عن طريق الطيران مع "الأموال الخاصة باللجوء". لكن فى اليوم التاسع عشر

من شهر أغسطس جرى حل الاتحاد المالى Mali الفيدرالى القديم، نظرًا لأن السودان كان يخشى من الهيمنة الاقتصادية من قبل السنغال من ناحية وأن السنغال كان يمكن أن يرث أو يستولى لنفسه على داكار، العاصمة الفرنسية لغرب إفريقيا كله، وعندها سيقوم الفرنسيون بالاعتراف بالسودان الأسبق مثل مالى Mali، ويتبنون انضمام كل من السنغال ومالى المنفصلتين إلى عضوية الأمم المتحدة.

تواصلت "القرارات" البريطانية "الدقيقة والمختلفة" وجاءت أقل عجلة وتسرعًا فى المناطق التى كانت النزاعات فيها أقل رصانة من المناطق الفرنسية، فى اليوم الأول من شهر يوليو أُبرم اتفاق مع قبرص حول مسألة القواعد ذات السيادة، وأنشئت جمهورية قلقة جديدة ولها رئيس يونانى يحظى بالأغلبية، هو الأسقف مكاريوس، ونائب رئيس من الأقلية التركية، واستقلت قبرص استقلال كاملاً فى اليوم السادس عشر من شهر أغسطس. وانعقد فى لندن مؤتمر آخر لوضع دستور جديد لنياسلندا Nyasaland، وقد انعقد ذلك المؤتمر فى شهر يوليو، كما جرى أيضًا وضع خطة مساعدات الكمنولث الإفريقية فى شهر سبتمبر، الذى قدمت فيه لجنة منكتون Monckton تقريرها النهائى عن روديسيا. وفى جنوب إفريقيا أتضح تمامًا أن تفعيل قانون الحكم الذاتى عند البانتو Bantu بغية خلق "مواطن مستقلة" كان بمثابة تصعيب فعلى "للتنمية المستقلة" نظرًا لأن الناطقين باللغة الإنجليزية بدأوا يحذون حذو الأفريكان Africaners فى معسكرهم الدفاعى الذى تحميه العربات فى جنوب إفريقيا laager.

طوال هذه الأشهر نفسها، وبينما كان رئيس الوزراء يتعامل مع الروتين الليجوسى Lagos، وبينما كان يستعد أيضًا لمناسبة اليوم الأول من شهر أكتوبر، كان الرجل يدير الشئون الخارجية بطريقة تمتاز بقدر كبير من الواقعية وتعتمد على المزيد من الأسفار والمزيد من المقابلات الشخصية مع أنداده فيما وراء البحار. وقف السير أبو بكر إلى جانب الحاكم العام لاستقبال رئيس ليبريا عندما قام بزيارة رسمية إلى نيجيريا فى اليوم السابع والعشرين من شهر يونيو، وشاهد السير جيمس يسلم رسالة

من الملكة إلى صاحب السيادة السيد/ وليام تبمان Tubman، وأقام له مأدبة غداء رسمية (حضرها عدد أكبر من عدد الضيوف المدعوين، وجرى إبعاد سكرتيري أبي بكر الخصوصيين من على المائدة إلى غرفة الكراج حتى يمكن إفساح المجال أمام المدعوين). تحدثا في موضوع إمكانية استخدام القوة العاملة النيجيرية في ليبريا، وقال تبمان إنه قال في خطبة علنية ألقاها في سيراليون إن ليبريا عانت كثيرًا لأنها لم تكن مستعمرة بريطانية. لم يشأ الحاج أبو بكر حضور المؤتمر الثاني للدول الإفريقية الثمانية المستقلة بصفته شاهدًا مستعمرًا على تلكم الدول الإفريقية الإحدى عشر المستقلة، والذي عُقد في أديس أبابا في شهر يوليو، قبل الاجتماع الذي انعقد في ليوبولد وسبق الإشارة إليه: وأمام إصرار معارضة حزب جماعة العمل على حضور ذلك المؤتمر، وثق أبو بكر بالمعلم ميتاما سول، وزير المناجم والطاقة، وكلفه بمراقبة المؤتمر وأن (**"يحضره ويقول أي شيء، وأنا أعرف أنك ستمثل آرائي ووجهة نظري"**) يعلن في المؤتمر مرة ثانية أن التفكير في إنشاء ولايات متحدة في غرب إفريقيا كان "سابقًا لأوانه"، بغض النظر عمن يبادئ بتنفيذ هذه الفكرة. وأشار ميتاما سول إشارة شبه مقنَّعة إلى نيكروما عندما كان يتحدث عن "أدولف هتلر" محتمل. كما دُعيت أيضًا الحكومة الجزائرية المؤقتة لحضور هذا المؤتمر. كما عقدت منظمة الشعوب الأفرو-آسيوية اجتماعها في القاهرة في العام ١٩٦٠ الميلادي.

كان هناك انقسام قبل ذلك بين الشمال والاتحاد الفيدرالي، وقد حدث ذلك الانقسام بطريقة جرى بها الرد على أولئك الذين كانوا لا يزالون يصدقون أن مساعد المستشار السياسي الرئيسي كان يتلقى أوامره من ذلك النقيب. لم تكن الحكومة الفيدرالية تتطلع فقط إلى الحصول على مساعدة مستقبلية من البنك الدولي ومن بريطانيا: هذا يعني أن ألمانيا الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية، ومنظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم إما جرت زيارتها أو أرسلت إليها قوائم تسوق، تشجع على المزيد من الاستثمار الأجنبي مع ضمانات للملكية فيما وراء البحار وضمان التحويلات،

ونشطت إسرائيل في هذا الموضوع أيضًا. كان أوكوتاى - إيبوه Okotie - Eboh قد ترأس توقيع اتفاق اقتصادى لمعونة اقتصادية مشروطة من إسرائيل فى شهر يونيو، وبدأت إسرائيل عندئذ تهتم بإجراء المزيد من الاتصالات فى كل من إيبادان وإينوجو. كان هناك شرط مفاده أن كل جنيه إنجليزى من المعونة النقدية لمشروعات التنمية الحرة، يقابله جنيه إنجليزى من المشتريات من أجهزة التكييف الإسرائيلية، والثلاجات الإسرائيلية، والدهانات بحيث لا يتطلب الأمر تلبية الاحتياجات النيجيرية كلها.

أصدر السير أحمد بللو (أو بالأحرى لجنة العمل المركزية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى) بيانًا يستنكر أية تسهيلات تصديرية أو قروض من إسرائيل، وأوضح الجدل الصحفى الذى ترتب على هذا البيان أن أهداف أحمد بللو كانت قائمة على أساس دينى وتعاطف عام مع الغرب ومعادٍ للصهيونية: قال أحمد بللو أيضًا للمراسلين، لكن خارج المضبطة "إسرائيل ليس لها وجود عندى". وجاء رد فعل أبى بكر حادًا جدًا، فقد فصل بين الأمرين بطريقة منطقية. وقد أعلن أبو بكر إعلانًا واضحًا فى أحد المؤتمرات الصحفية الشهرية أن "إقحام الدين فى السياسة سوف يعنى نهاية السعادة فى نيجيريا". وفيما يتصل بالصداقة مع جميع الدول، فنحن نرحب بالمعونة "الحقيقية" من أى بلد من البلدان، وأن نيجيريا تقحم نفسها فى الجدل الدائر فى الشرق الأدنى بين إسرائيل والعالم العربى أو اليهود أو المسلمين. كل ما فى الأمر هو أن الحكومة الفيدرالية مخولة من قبل الدستور بالاقتراض من وراء البحار، وأن الأقاليم ليس من حقها إصدار تعليقات، يزاد على ذلك أن الاتحاد الفيدرالى لن يرغم الشمال على قبول أموال هو لا يريدها. ومع ذلك كان واضحًا فى نهاية المطاف أن مفهوم وكالة مركزية للخدمات تتمتع بالشفافية، لم يعد يخطر على فكره أو باله.

بعد الاستقلال، وعندما أعيد إحياء هذه المسألة من جديد وبطريقة غير رسمية، كرر أبو بكر كلامه قائلاً: "هذا كلام طيب، هذه وجهة نظر شخصية [يقصد بذلك وجهة نظر المستشار السياسى الرئيسى]، أما فيما يخصنى فإسرائيل لها سفارة هنا، وعليه

فنحن معترفون بهم". وفى العام التالى تبدى فى الأفق قرض إسرائيلى مقداره ثلاثة ملايين جنيه إسترلينى، وعندها قال أبو بكر: "الشمال ليس بحاجة إلى أى شىء من هذا القرض". كان الأمر يحتاج إلى شىء من التوبيخ: معروف أن الوفود الأجنبية المفوضين الأجانب والوكلاء العموميين الأجانب الذين يمثلون المصالح الإقليمية لم يقصروا أنفسهم على حسن النية، أو المعلومات أو تجنيد الموظفين، يضاف إلى ذلك أن زعماء الأحزاب الثلاثة بصفتهم رؤساء وزراء لم يشجعوا أى مضيف من المضيفين الأجانب على اعتبار أنهم رؤساء ولايات. فى ظل هذه الظروف وبينما كان مكتب رئيس الوزراء يقوم بإلحاق الدبلوماسيين المتدربين على المراكز والوظائف البريطانية المماثلة طلبا لاكتساب الخبرة والتمرين العملى والاستغناء عن شرانق كل من وزارة الخارجية وعلاقات الكمنولث وخادراتهم، أصبحت مسألة التوبيخ هذه أكثر لزوماً من ذى قبل، ولم يلخبط أبى بكر هذه المشكلة أو يخربطها. هذا يعنى أنه فى حال عدم رجوع لجنة العمل المركزية التابعة لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى إلى السير أبو بكر لأخذ رأيه فى مثل هذه الأمور، فإن صلاحياته الدستورية تخول له سلطة تجاهل هذه اللجنة، بل ويكون من حقه أيضاً الرجوع إلى البرتوكول البريطانى ليحذو حذوه فيما يتعلق بالحق الخاص والتصرف فى ضوء الحوادث السابقة.

كان الحاج السير أبو بكر واحداً من كثير من زعماء البلاد الذين لم يقبلوا الدعوة لحضور الاحتفالات المتعلقة ببدء النظام الجمهورى فى غانا فى اليوم الأول من شهر يوليو من العام ١٩٦٠، على الرغم من أن الزيارة الرسمية التى قام بها الرئيس بتمان كانت لم تنته بعد. كان أبو بكر تافاوا باليوا قد حدد موعد وصوله إلى أكرا فى اليوم الثانى من شهر يوليو، بصحبة مجموعة من زملائه الوزراء، وكان يحدوه أمل رسمى مهذب مفاده أن الروابط الودية بين نيجيريا وغانا سيجرى تقويتها أكثر من ذى قبل، كما هنأ أبو بكر الرئيس نيكروما على تغييره لقبه وأسلوبه. قال أبو بكر للصحافة إن نيكروما ربما "**أصبح يتفق**" معه على أن أى شكل من **أشكال الاتحاد السياسى** يعد

أمراً غير عملى فى ذلك الوقت، لكن الرجل بعد الاستقلال كان يتطلع إلى قيام نيجيريا بوضع أساس للتعاون بين الدول الإفريقية. وهنا نجد وزير الإعلام الغانى يسارع إلى إنكار احتمال موافقة رئيسه على ذلك الاتفاق. فى اليوم التالى سافر أبو بكر إلى لوم Lome فى توجو لأيام عدة، وهناك خطب أبو بكر فى الجماهير التى كانت لا تزال تتكيف مع استقلالها بعد ثلاثة أشهر، ومدركين وعارفين تماماً بجارهم الغانى الأكبر منهم، الذى كان لا يزال مصراً على التكامل مهما كانت الأسباب والنتائج، قال أبو بكر فى هذا الحشد من البشر: "**سياستنا تقوم على اعتبار كل بلدان إفريقيا، كبرت أم صغرت، متساوية. هذا الأساس هو الذى سيقوم عليه السلام فى غرب إفريقيا.. [و] أننا يمكن أن نعمل سوياً من خلال الوحدة**". وعندما قدم أبو بكر تقريراً إلى رئيسه البريطانى فى ليجوس، قال وهو يبتسم: إنه التقى سيكوتورى الغينى فى أكرا، وأحبه وأعجب به أكثر من مُضيِّفه، وقال أيضًا إنه تمتع بلقاء الرئيس التوجى سلفانوس Sylvanus أوليمبيو Olympio، الذى وجد فيه كثيراً من التفاهم وبعض المصالح المشتركة فيما بينهما.

كان الزعيم النيجيرى ميَّالا إلى أوليمبيو، الذى يحتمل أنه كان يراسله من قبل، ويرجع ذلك الميل إلى أسباب عدة. لم تكن المسألة تتمثل فقط فى أن مساحة غانا تعادل ربع مساحة المنطقة كلها ويشكل سكانها سبع سكان نيجيريا، وإنما كان أبو بكر يتطلع إلى وجود منظمة ما تضم دول الإقليم الإفريقى كلها. والذى كان يزعج أبا بكر بحق هو القالب المرتقب الذى صاغه نيكروما فى وقت كانت فيه الغالبية العظمى من الأفارقة جاهلة تماماً بظروف بعضها البعض. هذا الجهل، الذى يعلم أبو بكر أنه كان عليه إلى وقت قريب، قد يتحول بصورة مباشرة إلى شك عقدى أو كراهية متبادلة. كان أبو بكر ينظر إلى سلفانوس أوليمبيو باعتباره بؤرة مستقبلية لإصدار المزيد من أشعة التنوير الأوسع والأكثر دفئًا. يزاد على ذلك أن سلفانوس كان زعيمًا آخر من الزعماء المستقلين فعلاً، وكانت سياسته تقوم على المحافظة على روابط قوية مع القوة

الإمبريالية السابقة، كان سلفانوس قد تلقى تعليمه باللغة الإنجليزية فى كلية الاقتصاد فى لندن، فضلاً عن أن الرجل كان زميلاً شرفيًا فى تلك الكلية، تمثلت خبرة هذا الرجل العملية فى أنه كان وكيلاً تجاريًا كبيرًا لشركة إفريقيا المتحدة، كان الرجل يترأس حكومة تستخدم اللغة الفرنسية، وكان الرجل يتحدث بالألمانية والبرتغالية إلى حد ما، يضاف إلى ذلك أن الرجل، دونًا عن سائر الآخرين، كانت لديه المؤهلات التى تمكنه من إقامة علاقة مع كبار الشخصيات على مستوى القارة، من أمثال لوموبا أولوثولى Luthuli أو روبرتو أو مرجاى Margai، أو كينياتا أو سنغور. ودونًا عن سائر غرب إفريقيا كله، كان سلفانوس يحبذ خفض الإنفاق العام، والمرتبات الرسمية المتواضعة والمؤسسات الرسمية المتواضعة أيضًا، كما كان يحبذ أيضًا استيراد الضروريات غير المكلفة بدلاً من الكماليات، على الرغم من أن التقشف الذى يكون من هذا القبيل قد يدفع بعضًا من شعبه إلى البحث عن السراء بطرق أخرى.

مسألة كراهية نيكروما وحده لسلفانوس، لوقوفه فى وجه مشروع حركة الجامعة الغانية، جاءت لصالح الأخير، وقد تعزز ذلك عندما أعرب ديجول عن استيائه بقوله إن نيكروما يفتقر إلى روح الجماعة Communautairisme. كان سلفانوس مثل أبى بكر رجلاً عمليًا فى بداية الأمر، وعلى قناعة بأن التعاون الاقتصادى لابد أن يسبق التجمعات الثقافية الخيالية التى تنطوى عليها السياسة غير المستقرة، زد على ذلك أن الرجل واجه أيضًا معارضة ترى أنه لم يكن معاديًا للإمبريالية بما فيه الكفاية. أدى الإمساك بهذين الجانبين إلى خلق أول جسر فاعل ومؤثر بين الدول الناطقة بالإنجليزية والدول الناطقة بالفرنسية، كما مكّن أيضًا لتحركات الحاج السير أبى بكر فيما بعد على مستوى الدبلوماسية القارية. اتفق الرجلان فى ذلك الوقت على أنه إذا ما استطاعت الدول الناطقة بالفرنسية الأكثر محافظة (وهذا كلام نسبى) أن تتشجع وتتشاور مع بعضها البعض فى بداية الأمر، فإن مسألة إدخال صعاليك غانا، وغينيا،

والجمهورية العربية المتحدة إلى التطبيع الأكبر يمكن إرجاؤها أو تأجيلها أو عزلها في أضعف الأحوال.

بانتهاء شهر أغسطس قام أبو بكر بزيارة ودية إلى سيراليون استغرقت ثلاثة أيام وكان بصحبته أربعة من الوزراء (زنا بوكار دبشاريما وزير التجارة والصناعة، والرئيس Chief جي إم جونسون وزير العمل والرفاه، وتي أو اس بنسون Benson وميتاما سول)، وكان بصحبته أيضًا اثنان من المسئولين ومراسل خاص واحد order-ly. وقد أدت مسألة إعادة تموين الطائرة بالوقود في مطار أبيدجان إلى لقاء قصير مع السيد/ فيلكس هوفيت بوانييه، الذي اتهمه نيكروما بأنه كانت له أطماع في الأرض المحيطة بمسقط رأسه. لكنه كان متفقًا في الرأي مع أبي بكر على مسألة التعاون مستقبلاً بين الدول، كما كان الرجل متفقًا أيضًا مع أبي بكر في آرائه عن مسألة السيادة في إفريقيا. أدت هذه الزيارة إلى وضع النظام الخاص بالزيارات التي سيقوم بها أبو بكر إلى العالم الخارجي مستقبلاً. هذا يعني أن الرجل سوف يلتزم بنصوص برنامج المُضيف وتفاصيله، وأنه سوف يشغل وقته الخاص في قراءة المواد المتعلقة بخلفية هذا النوع من الزيارات، وأن يقوم بتدوين الملاحظات أو المسودات التي قد يساهم بها في أي مؤتمر من المؤتمرات. وبعد أن ينتهي أبو بكر من ذلك، قد يبدأ قراءته الخاصة أو كتاباته الخاصة بهذا الشأن، لكن الأرجح أن الرجل كان يتمتع بالراحة، وأداء الصلاة واستقبال الزوار. في تلك المناسبة، بقي أبو بكر مع السيد فولي نوينز القائم بأعمال الحاكم (كان نوينز يُوصف في كثير من الأحيان بأنه حليف لأبي بكر في مكتب مجلس وزراء ليجوس منذ العام ١٩٥٢) في فورت Fort ثورنتون Thorn-ton في المقر القنصلي الرسمي في فريتون Freetown. لم يكن سكان سيراليون جميعهم يتطلعون إلى الاستقلال: نظرًا لأن الأحداث التي كانت تقع في الكنغو البعيد عنهم كانت تسبب لهم الكثير من القلق والإزعاج، كان الدكتور نيكروما قد أبدى بعض الملاحظات الاستعراضية في إحدى المناطق الغربية من سيراليون باعتبارها واحدة من

الدول الصغيرة التى لا يمكن لها الحصول على استقلال حقيقى، فى تلك الأثناء لم تكن الأمور عبر الحدود فى غينيا على ما يرام بعد أن سارع الفرنسيون بالخروج منها بلا إنذار(على الرغم من أنهم خلَّفوا فيها بنية فوقية أفضل من تلك التى خلَّفها البلجيكيون).

كانت مشاعرالخوف والواحدة تتملك العديد من وزراء السير ملتون مرجاى أغسطس مرجاى الحريص والبالغ من العمر خمسة وستين عامًا، وقد أدت الرسائل المختلفة التى أرسلها الحاج السير أبو بكر إلى توليد إحساس قوى بالطمأنينة والتشجيع الملموس والمحسوس. أقام عمدة ومستشارو مدينة فريتون Freetown حفل استقبال للترحيب بأبى بكر الذى قال فى ذلك الحفل: "**حرب العقائديات (الأيديولوجيات) تتحرك الآن صوب إفريقيا... ولابد من توقف هذا الزحف... يجب أن نبذل قصارى جهدنا للحيلولة دون سرقة استقلالنا منا .... شعب سيراليون أكثر ارتباطًا أو قرابة بنا هنا فى نيجيريا أكثر من أى منطقة أخرى فى غرب إفريقيا ... ونحن يتعين علينا بذل كل ما فى وسعنا لتمكين هذه المنطقة من التقدم بطريقة منظمة وعلى النحو الذى نسير عليه مثل هذه الأمور.... لقد أطلق الناس على هذا العام اسم عام إفريقيا. هذا صحيح، لكننا إذا لم نكن حريصين فى هذه القارة، فقد تتحول إفريقيا إلى مكان متعب ومقلق تمامًا، لا بالنسبة لنا وحدنا وإنما للعالم كله ـ ولنا أيضًا فى نيجيريا**".

قال نوينز على مأدبة الغداء الرسمية إنه مقتنع فى تلك الأيام العصيبة بأن دخول بلد كبير، ومستقر وعامر بالحيوية، إلى الحياة الدولية يمكن أن يشكل قوة من قوى الخير الكبيرة فى هذه القارة. وردًا على هذا الكلام، ألقى رئيس الوزراء ذلك البلد خطبة أخرى انطوت على الكثير منا الاعترافات التى أعطت غرماءه الشوفانيين ذخيرة مجانية:

> **"لم يخطر ببالى قط أن الحاكم المناب سيلقى خطبة فى هذه المأدبة، وعليه فقد أُخذت على غِرة، لكنى لا أجد صعوبة كبيرة فى**

الرد على الملاحظات التى أوردها صديق تربطنى به صداقة منذ زمن طويل جداً .... أنا أعرفك منذ سنين. لقد كنا سوياً مع بعضنا البعض. أمضينا أوقاتاً عصيبة مع بعضنا البعض، وأنا أرى أننا أدركنا فى نهاية المطاف أننا أناس تعودوا على تجاوز المشكلات والأزمات - أناس يخرجون من الأزمات وهم على خير ما يرام .... المؤسف أن الكثيرين من موظفينا الذين خدمونا بإخلاص وأمانة تعين عليهم أن يتركونا فى بعض الأحيان. نحن الأفارقة نشعر أكثر من الشعوب الأخرى، ونحن ما إن يتيسر لنا أصدقاء مخلصون، أناس يهتمون برفاهنا بحق وحقيقة، حتى نبدأ فى استشعار الحزن والمشاعر المؤلمة عندما يتركونا أو يفارقونا، وأنا أقولها بصدق وأمانة، إننى شخصياً أحسست عند مجيئك لهذا المكان، أنه لم يكن من مصلحتنا أن تتركنا - لكن خطر ببالى، أننا يتعين علينا السماح للناس باكتساب الخبرة التى تميزنا نحن باكتسابها (وأنا أود القول هنا إن حرم السيد/ نوينز ساعدتنا كثيراً فى اكتساب هذه الخبرة!).

يتحول الرجل بعد ذلك إلى السير ملتون، ويقول له بكلمات ليست من أعداد ستالارد أو لاوسن Lawson:

"الرجل أمين ويفصح عما فى ذهنه. من الخير أن يكون الإنسان صريحاً، وبخاصة فى هذه الأيام، لأن الناس تظن أن اعتدال الإنسان مؤشر على رضاه وجبنه. والمؤسف أن الجلبة والضوضاء تبدوان وكأنهما أمرين مفيدين.... عند وصولى أحسست على الفور أننى بين أناس أكثر من أصدقاء، أحسست أننى بين أشقائى. والطريقة التى جرى استقبالى بها على

> رصيف الميناء، وكيف كان الجميع مرحبين برؤيتى، أعطانى المزيد من التشجيع.... فى وقت من الأوقات كانت نيجيريا تتطلع إلى سيراليون، وسبب ذلك أن عددًا كبيرًا من السيراليونيين ساهموا فى تطورنا... ونحن نرى أن هذا الارتباط سوف يستمر".

كانت هناك مادة أخرى أكثر صراحة، لم يجر الإبلاغ عنها. كان السير ملتون آغسطس مرجاى أول خريج جامعى من المحمية، إذ كان المتعلمون السابقون له عبارة عن أناس من الكريبول(*) أو من حضر مدينة فريتون Freetown.

وبعد أن أشار الرجل إشارة حميمة إلى كلية خليج فوره راح يردد وجهة نظر مارجاى عند غرب إفريقيا، وهذا الترديد له مغزاه كما أنه تنويرى إلى حد بعيد،

> نحن نسمع فى كثير الأحيان أناسًا يصيحون ويطالبون بالوحدة الإفريقية، أو اتحاد إفريقى، أو اتحاد إفريقى فيدرالى. ونحن أنفسنا الذين يعنينا الأمر بصورة مباشرة نجد أننا فى كثير من الأحيان، مرتبكين فى هذه المسألة، وهنا لابد أن أعترف أننى أجد نفسى فى بعض الأحيان عاجزًا عن فهم الهدف الذى يرمى إليه ذلك كله. نحن نعلم أن إفريقيا يجب أن تكون متحدة. لكننا يجب أن نكون متحدين، لا عن طريق الامتزاج والانصهار السياسى، لأن ذلك يمكن أن يؤدى إلى الفوضى، ونحن إذا أصررنا على ابتلاع بلد لآخر، فلن يكون هناك سلام فى إفريقيا. وأنا لا أعتقد أن نيجيريا بعد حصولها على استقلالها ستقوم على الفور بإخضاع ذلك الاستقلال لأية دولة أخرى فى العالم.

(*) الكريبول: أوروبى مولود فى جزر الهند الغربية، والمقصود هنا هو الشخص المولد (من أبوين أحدهما ملون والآخر أوروبى). (المترجم).

نحن لا نقول: إننا نريد الاستقلال لاننا لا نحب سادتنا المستعمرين السابقين، نحن نريد الاستقلال لكي نحدد نحن مصيرنا – ونخطط لمشاريعنا بأنفسنا من أجل تحسين أحوال شعبنا – نحن نود أن نحكم أنفسنا – وأن نحدد ذلك الذى ينبغى علينا عمله. هذا لا يعنى أننا أفضل من البريطانيين لكننا نود أن نجرب بأنفسنا. وسوف تقوم سياستنا بعد الاستقلال على الاعتراف بكل الدول الموجودة فى إفريقيا فى الوقت الحالى،.... وسوف ننظر إلى هذه الدول نظرة المساواة فى أى تجمع من التجمعات الوطنية، لأننا نحس ونستشعر أننا عن طريق احترامنا بعضنا بعضًا يمكن أن نحقق السلام والاستقرار. ونحن إذا ما بدأنا نختلف حول من يتولى قيادة إفريقيا أو غرب إفريقيا، وهذا أمر غير واضح تمامًا، فسوف نبدد جهودنا وطاقاتنا. وأنا اسمع الناس يقولون فى كثير من الأحيان: "بعض الناس لا يهتمون بالتقاء الآخرين، وإنما يهتمون بالاستماع إليهم فى التجمعات الدولية". إنه ضرب من الجنون أن تذهب نيجيريا إلى الأمم المتحدة وتتبع أية دولة اتباع الأعمى. آراؤنا ووجهات نظرنا هى آراؤكم ووجهات نظركم: إذا ما تغيرتم، فسوف لا نجنى شيئًا سوى المتاعب. هذا يعنى أننا يتعين علينا التعامل مع المشكلات الحساسة مثل مشكلة الكنغو، بحرص وعناية، وبحذر وموضوعية. نحن لا يمكن أن نتكلم كلامًا مرسلاً فى الهواء. لأن ذلك لن يُفيد أحدًا منا. يجب أن نكون موضوعيين.

فى واحد من المؤتمرات الصحفية وعد السير أبو بكر بتعيين مفوضية نيجيرية فى مدينة فريتون تحت إشراف خريج من خريجى كلية خليج فوره أو برئاسته (وبذلك يكون

جورج دوف إدوين أول قائم بالأعمال). وفيما يتصل بمسألة ادعاء نيكروما بأن غانا على استعداد للتنازل عن سيادتها إن كان ذلك فى مصلحة الاتحاد السياسى، أبدى أبو بكر ملاحظة مفادها أن من السهل قول الأشياء والتحدث عنها أما مسألة تحقيق هذه الأشياء فأمر مختلف تماماً.

لتقل غانا لسيراليون، ونيجيريا أو حتى ليبيريا، أنا أتنازل عن سيادة عامة لبلدكم، وعندها سنبدأ نحن العمل من تلك المرحلة.... والذى لا شك فيه أن غانا سوف تقاوم ذلك.... ولا يستطيع أى بلد من البلدان التنازل عن سيادته، ثم يصبح له بعد ذلك رئيسان لحكومتين.

لكن أبا بكر كان أقل تشككاً فى مسألة الاتحاد الاقتصادى:

هذه فكرة ممتازة.... نستطيع التجمع ونتدبر وندرس الطرق الخاصة بدفاعاتنا، نستطيع التجمع لتحقيق نوع من التفاهم والسلام فى غرب إفريقيا، ونجد حلولاً لمشكلاتنا الاقتصادية، ولوسائل النقل والمواصلات بين بلداننا، كما نجد حلولاً أيضاً لترتيبات الهجرة، وتبادل المعرفة العلمية، والإجراءات الوقائية ضد الأمراض التى تصيب الإنسان والحيوان، وإمكانية الدفاع عن غرب إفريقيا، والأشياء التى من هذا القبيل. ونحن إذا كنا نستطيع عمل ذلك فى ظل الحكم الاستعمارى، فليس هناك سبب يدعو ألا يكون لنا اتحاد اقتصادى أو ثقافى عندما نكون مستقلين.

كان هناك أيضاً حفل أقامته الجالية النيجيرية المحلية، وحفل غداء خاص أقيم فى منزل السير ملتون مارجاى فى منطقة هيل Hill ستيشن Station. اختفى فى ذلك المكان

السائق الشرطى الذى كان يقوم بقيادة سيارة جى إتش ديلمر Dailmer، لأنه ذهب لتناول الطعام مع أصدقائه. تكلم السير أبو بكر كلامًا قويًا طوال حفل الغداء هذا مع السير ملتون، الذى قال إن لينوكس بويد (الذى أصبح متيمًا به مثل أبى بكر من ناحية وتنجكو من ناحية أخرى) سأله ذات مرة، "يا صديقى العزيز، إذا كنت مصرًا على الحصول على الاستقلال، فسوف تحصل عليه - لكن هل تريد الاستقلال بحق وحقيقة، وهل أنت كبير بما فيه الكفاية؟" وجاء رد مارجارى البسيط على هذا السؤال على النحو التالى، "عدد سكاننا أكبر عدد سكان نيوزيلنده". وعندما اقترح أبو بكر الرحيل فى ساعة مبكرة لنيل قسط من الراحة ولاستعراض أفكاره استعدادًا لحفل الاستقبال فى فترة العصر فى كلية خليج فوره، كان السائق لا يزال غير موجود. قال أبو بكر الذى كان يحب قيادة سيارته الرولز رويس فى أنحاء ليجوس: **"من فضلك، دعنى أقود السيارة بنفسى. أنا أود قيادة السيارة لتوصيل أصدقائى إلى المدينة"**. جلس صاحب السيارة هو وحرم نوينز فى الكرسى الخلفى من السيارة المكشوفة، وكان السائق يرتدى ثياب النيجيرى الشمالى، ويرشده فى المقدمة مفوض الحى الإدارى، وقد استرعى ذلك المنظر انتباه سكان المدينة وسرَّهم على طول طريق بادمبا، كما لفت هذا المنظر انتباه المحلات الإخبارية الأمريكية. وكانت هناك سيارة جيب من سيارات الشرطة تحمل فى الخلف سائقًا احتياطيًا مستاء. كان الاحتفال النهائى قبل عودة رئيس الوزراء الزائر إلى بلده يتمثل فى تنصيب الرجل، وهو يرتدى غطاء رأس منسوج محليًا وثوبًا منسوجًا محليًا أيضًا، شأنه شأن رئيس بالغ الأهمية: وقد اشتملت تلك المناسبة السعيدة على تقديم ست زوجات شابات، قمن بتقديم بعض الطُّرف والنكات عن ردود الأفعال فى كل من ليجوس أو باوتشى (**"ما الذى يمكن أن تظنه زوجتى الأسبق إذا ما جلبت إلى المنزل ست زوجات شابات من سنى؟"** كانت عصا المكانة المطلية بالفضة والدالة على رؤساء الفئة الأولى تولد لديه كثيرًا من الأحاسيس والمشاعر المبهجة: هذا يعنى أن أى عنصر بشرى مهم من عناصر باوتشى لا يمكن أن يحصل على عصا القيادة من المرتبة الخامسة أو ما دون ذلك.

الاتحاد الاقتصادى والثقافى معناه الشروط العادلة التى تسمح بتبادل أكبر متعدد الجوانب للبضائع والخدمات والأفكار. وكانت السيادة السياسية عند الدول الموجودة بالفعل تعنى الالتزام بالحدود التى جرى ترسيمها، والاعتراف والإقرار بأن الدول أنشئت قبل الإحساس بالقومية الحقيقية. هذا التناقض الظاهرى، الذى لا يزال يفصل بين الساسة الراديكاليين الأفارقة والساسة البراجماتيين الأفارقة (والباحثين المتخصصين الذين يتعاملون مع إفريقيا باعتبارها عالمًا خاصًا بذاته) ليس بالشىء الغريب على أية قارة من القارات بطبيعة الحال. ومع ذلك نجد أن زعماء الدول حبهًا لديهم مشاغلهم الداخلية، وحتى فى وجود المشاغل الدولية التى من قبيل الحرب الكنغولى والزيارات الودية إلى الجيران نجد هؤلاء الزعماء يمسكون لذلك أكمامهم الفكرية. حدث فى ايجوس أثناء الصيف مسار آخر اشتمل على مراقبة شركة ليفربول الأسرية الوحدوية القديمة التى يمتلكها جون هولت وهى تنسحب من مجال تجارة السلع، مثلما كانت الشركة الإفريقية المتحدة تنسحب هى الأخرى من مجال شراء منتجات الخط الأول، كما اشتمل ذلك المسار أيضًا على إبطال المحكمة انتخاب السيد/ أُولو Olu أكنفو سايل Akinfosile فى أوكيتبوبا Okitipupa (لكن الرجل استأنف الحكم ليصبح فى نهاية المطاف وزيرًا للمواصلات من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، فى وزارة السير أبى بكر)، كما صدر أيضًا حكم بالسجن لمدة ستة أشهر للإضراب والهجوم اللذين قام بهما "جماعة من المتطرفين الفوغانيين عديمى المسئولية الذين اتسمت أعمالهم بالقسوة، والرذيلة والخلو من الرحمة". وقد جاء هذا الوصف القضائى المعاصر على لسان السيد/ ميخائيل أمودو، رئيس اتحاد عمال السكك الحديدية النيجيرى. وقد تواصلت تلك الانقسامات فى مؤتمر اتحاد العمال والنقابات التى جرى إصلاحها مؤخرًا، كما تواصلت تلك الانقسامات أيضًا مع السكرتير العام للسكك الحديد وهيئة العاملين فى نقل الموانئ الذين كانوا يعارضون أُمودو، كما احتجوا أيضًا لدى رئيس الوزراء والمفوض الغانى السامى السيد/ تاى Tay، على تدخل السيد/ جون John تتيجا Tettegah سكرتير عام الخطوط الحديدية الغانية،

لمصلحة حزب أُمودو. حدثت أيضًا بعض المتاعب العمالية الخاصة بالقرارات الصادرة عن هيئة الفحم، والتى تقضى بتخفيض الإنتاج وتخفيض عدد ١٢٠٠ رجل من العاملين فى هذه الهيئة.

وكان هناك خبر سار آخر مفاده أن الرئيس Chief فستوس، بصحبة كل من وزير المالية فى الإقليم الشرقى ووزير المالية فى الإقليم الشمالى، سافروا جميعًا إلى لندن فى شهر مايو لتوقيع اتفاق القرض البريطانى البالغ ١٢ مليون جنيه إسترلينى مع ريجنالد Reginald مودلنج وزير المالية البريطانى. وقد أسدى رئيس الوزراء بعض النصائح السياسية للرئيس فستوس قبل أن يغادر البلاد، لكن رئيس الوزراء استشعر فى نهاية الحديث شيئًا من القلق بفعل طلب شخصى. كان الرئيس فستوس، الذى لا يزال ينظر إلى أبى بكر بشىء من الخوف، قال إنه لديه ثلاثة بنات ولم يكن لديه ولد، هل يعتقد الحاج أن سلطة الشمال يمكن الاستفادة منها فى مساعدة حرم الرئيس فستوس؟ وهنا أوحى له رئيس الوزراء بالبحث عن هذه المساعدة لدى صديقه محمد رباط. حدثت أيضًا بعض الترحيلات الأخرى التى كانت تحتاج إلى التمنيات الطيبة، وتمثلت فى سفر مفرزه من الفوج النيجيرى الملكى للمشاركة فى الدورى الملكى وتقوم بتقديم بعض الحفلات الموسيقية فى حديقة هايد بارك فى لندن، كما تقرر أيضًا أن يقوم أمير باوتشى وميساو وأحد مسئولى إجبيرا بجولة فى بريطانيا. وجرى الإعلان عن تشكيل وفدين برلمانيين يقومان فيما بينهما بزيارة الدول الإفريقية المستقلة كلها سعيًا إلى توسيع الرؤى المتبادلة.

فى منتصف العام قدمت لجنة أشبى الخاصة بالتعليم العالى وشهادات ما بعد المدرسة فى نيجيريا، تقريرها تحت عنوان **الاستثمار فى التعليم**، إلى الحكومة وبطريقة سرية. كانت تلك اللجنة قد أوصت بإنشاء أربعة جامعات فى ذلك الوقت، إضافة إلى جامعة أخرى فى ليجوس تضم كلية للطب وتستفيد من المساعدات والمساندات الأجنبية، وأن تقوم تلك الجامعات بتقديم نظام جديد للتعليم يؤدى إلى مضاعفة عدد

الخريجين والشهادات فوق المتوسطة. وقد تطلب ذلك ليس مجرد توسيع الإطار وإنما خلق وإيجاد إطار يناسب التطلعات والمطامح النيجيرية حتى يمكن شغل الوظائف التى يشغلها المقيمون، فى الحال وعندما يتطلب الأمر مواجهة بعض الاقتصاديات والتقنيات الجديدة فى المستقبل، بأبناء نيجيريا، ومن هنا راح التقرير يتطلع إلى الخارج طلبًا لقروض دولية كبيرة وبرنامج للمساعدات التعليمية. وتقرر أيضًا ضم أفرع كلية الآداب، والعلوم والتقانة إلى أقرب الجامعات إليها. وأصر الإقليم الغربى الذى كان ينظر إلى إيبادان باعتبارها مؤسسة فيدرالية (على الرغم من بقاء التعليم الثانوى والتعليم الفنى موضوعين إقليميين تمامًا)، على أن تكون له جامعته الخاصة به منذ البداية. وبدأ الاقتصاديون والإداريون يعربون عن انزعاجهم من عدم وجود أعمال لتلاميذ شهادة ما قبل المدرسة الذين راحوا يهجرون مزارع أسرهم وينزحون إلى البلدان والمدن التى تطورت ونمت فى ظل ظروف ما قبل الحرب، لكنها أصبحت فى الوقت الحالى غير قادرة على استيعاب هؤلاء الأبناء وإعاشتهم أو خدمتهم بطريقة لائقة ومناسبة، لكن السياسيين وخبراء التعليم عجزوا عن وضع حد لتلك الآمال والتطلعات القومية، التى تولت أمر ذلك المستودع الكبير للشهادات المدرسية التى يتعين الاختيار من بينها على أساس من المزايا التعليمية العالية، والتى بدأت بالمطالبة بما يساوى نصف الموازنات الإقليمية الحالية.

واقع الأمر، أن هذه الفرضية سواء أكانت حرة أم لا فى الإقليم الغربى، أو لا تزال مُدْعمة بالمصروفات والأتعاب كما هو الحال فى الشرق، كانت لا تعنى فقط مسألة عدم وضع حد للتعليم الابتدائى فى الجنوب، وإنما كانت تعنى أيضًا توسعًا كبيرًا فى الشمال حتى يتماشى مع نسب المُخْرج الجنوبى. هذا النوع من الاستثمار الذى لم يجد رئيس الوزراء له بديلاً أو محيصًا عنه بسبب تنشئة رئيس الوزراء وخلفيته عن هذا الأمر. وبذلك يصبح تقرير "آشبى" المحرك الرئيسى لأفكار المخططين كلهم، ومستشارى المساعدات الخارجية، ووزراء المالية إلى أن بدأ النظام الجمهورى. لكن

علماء الاجتماع "اليساريين" هم والاقتصاديين اليساريين أيضًا المعادين والكارهين لتقاليد أوكسبردج Oxbridge وموروثاته الكلاسيكية الضيقة لم يعفوا مطلقًا أو يتسامحوا مطلقًا مع هذا التقرير بسبب "سوء فكره عن (الحداثة)". كان البراجماتيون المتعلمون من غير المفكرين يرون أن ذلك النوع من الاستثمار منافيًا للواقع من منطلق الجدول الزمنى والتوقيتات. لكن هذين الاتجاهين: الاتجاه الاجتماعى والاقتصادى اليسارى والاتجاه البراجماتى لاحظا أن تعليم الكبار كان بمثابة سندريلا العائلة التعليمية. تصادف وصول آشبى إلى الوزارات مع تعيين الدكتور كينيث Kenneth دايك Dike بوصفه أول رئيس إفريقى لجامعة إيبادان، كما صادف أيضًا افتتاح الكلية الكائنة فى نسوكا Nsukka والتابعة لجامعة الإقليم الشرقى، كما صادف ذلك أيضًا قيام المستشار السياسى الرئيسى بوضع حجر الأساس لإحدى كليات جامعة أحمد بللو فى الشمال. وبعد صدور التقرير بفترة قصيرة، جرى العثور على المزيد من البترول، وكان ذلك فى منطقة الدلتا فى نطاق الإقليم الغربى.

فى شهر أغسطس استطاع الرئيس آكنتولا كسب الغرب إلى جانب حزب جماعة العمل عن طريق انتخاب إقليمى فاسد، جاء مقنعًا من الناحية الظاهرية لعدم وجود صوت من حزب جماعة العمل فى مجلس الوزراء الفيدرالى. وقد ساعد نجاح الرجل مع الإذاعة على كسب تأييد اليوروباويين من فرع الأويو Oyo، الذين جرى استخدامهم فى التصويت لصالح حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى. كان هناك زعم مطلق بأن الرجل كان يود تحقيق نصر حاسم قبل قيام البريطانيين بتسليم القوات والشرطة إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، الذى سيستعمل القوات والشرطة فى تدمير حزب جماعة العمل. ومن باب الدفاع عن حزبهم ومن الدفاع أيضًا عن الإقليم، قيل إن جماعة صغيرة من رفاقه كانوا يفكرون فى الانسحاب والتراجع. كان رئيس الوزراء قد أكد للمجلس التشريعى أنه "**يبذل قصارى جهده ليتأكد من أن تلك الانتخابات جرت فى جو من الهدوء**". لكن أولئك الذين كانوا يعتقدون أن الرحلات التى قام بها السير

أبو بكر إلى كادونا كانت للتشاور جاءت دليلاً على أن مجلس الوزراء الفيدرالى كان يُدار من قبل المستشار السياسى الرئيسى بدلاً من أن يكون وسيلة مناسبة من وسائل تبادل الروح والتفسيرات بصورة مباشرة بين رفاق الحزب وبلا أى غطاء تشويشى من الخدمة المدنية، هذا الانتخاب لم ينظر إليه (من جانب حزب جماعة العمل فى أضعف الأحوال) على أنه دلالة أخرى من دلالات عدم وجود مساندة شخصية قوية للرجل فى سائر أنحاء البلاد، وأن الرجل كان مقدر له أن يلقى هزيمة باكرة.

الغريب فى الأمر، أن موقف الدكتور أوكبارا okpara لم يستغل تعزيز هذا الجدل. والسبب فى ذلك أن الحاج أبا بكر سبق له تعرف الكثيرين من الإقليم الشرقى الذين جرى انتخابهم مؤخرًا فى العام ١٩٥٩ أكثر من تعرفه أهل الشمال، جاءت مقترحات الدكتور أُكبارا فيما يتعلق بالتعيينات الوزارية والسكرتيرين البرلمانيين من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى بعيدة عن احتمال الرفض، فى الوقت الذى لم يكن بالإمكان فيه فرض مرشحى حزب المؤتمر الوطنى الشمالى على رئيس الوزراء إذا ما كان رئيس الوزراء متردداً بناء على أسباب معقولة. ولم يحدث مطلقًا أن قال أوكبارا، الذى كان أبو بكر على علاقة شخصية طيبة معه وأفضل من علاقته الشخصية بالإجباويين خارج وزارته، لم يحدث أن قال أوكبارا "بإبعاد الدكتور أزكوى"، يزاد على ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى (الذى لم يكن يشارك أبا بكر استياءه من نيكروما، والذى قدم له مرافقين لموكبه على سبيل التشريف) كان يرى أن الدكتور أزكوى يكون أكثر سلاسة فى التعامل معه ما دام أنه غير قادر على كل شىء، ومن الواضح أن كليهما لم يشاركا أبا بكر فى إدراكه الواضح لعجز الحاكم العام على المستوى الدستورى فى المستقبل.

لم يكن الدرس الحقيقى الذى جرى الخروج به من الإطار الفيدرالى فى العام ١٩٥٩-٦٠ يتمثل فى أن رئيس الوزراء كان يجرى تشغيله بخيوط يمسك بها كل من السير أحمد بللو والدكتور ميخائيل أوكبارا وفى الوقت الذى يختارانه، وإنما كانت

الأقاليم الثلاثة كلها فى قبضة أحزابهما محلية المولد، يضاف إلى ذلك أن الرئيس صمويل Samuel آكنتولا، الذى كان يحتفل بعيد زواجه الفضى، كان قد قوّى قبضته وأحكمها على حزبه الإقليمى، وأصبح شأنه شأن رئيس الوزراء ورؤساء الوزراء الإقليميين الآخرين، لا يهتم إلا بنفسه. كان صمويل آكنتولا هو الآخر قد نصح مع طول الوقت وابتعد عن طريق "القبلى الثورى الرجعى". وأصبح بطريقة مدهشة ومفاجئة وزيرًا مركزيًا كيسًا للعمل، فى إطار وزير فيدرالى مشاغب ولكنه اجتماعى إلى حد بعيد، ويقوم على أمر الاتصالات والطيران فى وزارة الحاج السير أبى بكر. فى هذه الوزارة تعلم صمويل آكنتولا كيف يكون سياسيًا شاملاً وإداريًا يعرف تفاصيل عمله كلها معرفة دقيقة. وربما أحس رئيس الوزراء بسعادة أكبر فى وجود حكومة وطنية أخرى، يكون صمويل آكنتولا عضواً فيها، لكن الديمقراطية الحقيقية لابد أن يكون لها معارضة قوية فى يوم من الأيام.

مع تواصل قصة أبى بكر تزداد أهمية صمويل آكنتولا، وأعتقد أن من المناسب الآن إعادة دراسة طبيعة هذا الرجل، مثلما سبق أن درسنا بعض أبعاده الشخصية من قبل. صوت هذا الرجل الرفيع يمكن أن يتحول إلى صوت حاد وعالٍ لأن الرجل كان مكارًا ومراوغًا وكانت سرعة بديهته حاده مثل الشفرة، لكنه كان صاحب جاذبية لطيفة، وصاحب ابتسامة أكثر من عذبة، وكان على استعداد لإقامة نوع من المودة مع أفراد مختلفين مثل اختلاف إيه سى نوابا Nwapa عن موزع المهام (رئيس) بدا (بطا). وكان الرجل قادراً على التوصل والحديث بلغة الهوسا ولغة النيوب Nupe ولغة اليوروبا وكذلك اللغة الإنجليزية، صحيح أن الرجل كان مدنى الطبع لكنه بحكم طبيعته معاديًا للعنف، ومع ذلك كان مقاتلاً شرسًا، ولولا ضغوط زوجته التى كانت لها آراء قوية فى زوجات منافسيه) ولولا تردده فى حفظ ماء وجهه، لما تحدى الرئيس آولوو مطلقًا. كان صمويل آكنتولا من "يوروبا الأويو oyo"، وقد ولد هذا الرجل فى بلدة أُجبوموشو ogbomosho فى العام ١٩١٠ الميلادى لأسرة تمارس عملاً تجاريًا ناجحًا، كان آكنتولا معمدانيًا

مـخلصًا طوال حيـاته، وتدرج من العمل بالتدريس إلى العمل بالمحاسـبة فى السكك الحديدية، إلى مسـاعد لإرنسـت Ernest كولى فى حزب حركة الشـبـاب النيجيرى، ثم انتقل بعد ذلك إلى جريدة الديلى سيرفس، حيث أصبح رئيسًا لتحرير هذه الجريدة، ومن موقعه فى جريدة الديلى سرفيس راح صمويل آكنتولا يعارض الإضراب العام، الأمر الذى أكسبه ارتياب تونى Tony إيناهورو Enahoro فيه بصورة مستمرة، وتونى إيناهورو هذا من بلدة يورومى Uromi، وقد زعم أن الهدف الرئيسى الذى يحرك آكنتولا هو "الغمـوض الذى ينطوى على شىء من الفضـيلة"، وعـدم قول كلمة "لا" مطلقًا. حذا آكنتولا حذو الكثيرين من غرب إفريقيا فى ترددهم على الهيئات القانونية الأربع فى لندن، سعيًا إلى دراسة قانون القوة الاستعمارية وبذلك يتأهل لمهنة تدر عليه إيرادًا وفيرًا دون أن يتقيد بمنهج جامعى مرتبط بزمن محدد. جاء شخص آخر من ترينداد Trinidad مفتتنًا بجورج George بادمور Padmore بصفة مؤقتة، وراح يخوض فى مياه الشيوعية المعادية للاستعمار، لكن النظريات لم تصمد طويلاً مع هذا الرجل بعد أن قُبل فى نقابة المحامين فى العام ١٩٤٩، ليعود إلى وطنه بعد ذلك، على الرغم من أن أهدافه العملية لم تغب عن عينيه. من الطبيعى أن يقوم آكنتولا بالتعرف إلى الصفوة المختارة فى ليجوس وإلى المنظمة الثقافية اليوروباوية أكثر من أى شىء آخر، وكان من رأيه أن مهمة الحكومات تتمثل فى فرض شكل معين من الأشكال القانونية بغية تحسين العلاقات المتبادلة، لكن فى الأحوال التى تكون فيها الاحتياجات الروحية للفرد هى محط الاهتمام، كان الرجل يرى أن حق تقرير المصير يجب التمكين له من خلال العرف التقليدى عن طريق الإجماع وعن طريق النظرية الدستورية. وليس من الغرابة فى شىء أن يكون الرجل عند هذه المرحلة كيفية المحافظة على العلاقات الاجتماعية المتحضرة مع كل من سلطان سُكتو sokoto، والمستشار السياسى الرئيسى والحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا.

فى الوقت الذى كان فيه المنظرون من أشباه المفكرين فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، وفى حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمي، وأمثالهم من حركة النقابة العمالية النيجيرية يعبثون اعتبارًا من شهر أبريل بفكرة تشكيل حزب اجتماعى نشط وجديد وواع، فى ذلك الوقت تصالح الدكتور مبادوى مع الدكتور آزكوى، وبعد ذلك بفترة قصيرة انحرف حزبه المدعو الحزب الديمقراطى لنيجيريا والكاميرون عن مساره الطبيعى نتيجة هفوة من الهفوات، الأمر الذى سمح للدكتور مبادوى بالعودة إلى الدوائر الداخلية. من ناحية أخرى، قام الراديكاليون(*) فى شهر أغسطس بتأسيس حزب الفلاحين والعمال الاجتماعى، الذى يقوم على سياسة واضحة ومسجلة مفادها أن الماركسية الثورية هى أساس العضوية فى هذا الحزب، وأن الماركسية هى سلاح هذا الحزب الوحيد. ومع ذلك، ونظرًا لأن الوقت لم يكن مناسبًا للدفاع العلنى والصريح عن الصراع الطبقى وعن الثورة، شارك السواد الأعظم من الأعضاء أو المناصرين للحزب، فى تأسيس حركة مؤتمر الشباب النيجيرى بقيادة تونجى Tunji أوتجبى otegbeye أحد أطباء ليجوس. كان لابد من عدم الوقوع فى الخطأ أو ارتكاب أية هفوة من الهفوات على الرغم من أن مؤتمر شباب نيجيريا كان حركة، كرست نفسها لتغيير المجتمع تغييرًا كاملاً، وليس تغيير الحزب، وكانت تلك الحركة معادية بشكل أو آخر للأحزاب التى كان أنصارها يساندونها إلى حين مجيء الثورة.

جاءت الزيارات التى قام بها أبو بكر للشمال "طلبًا للتشاور" بعد عودته من لندن، بمثابة مُذكّرات لأبى بكر أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لم يُهْمَل.كانت الزيادة التى طرأت على حركة التجارة العالمية تعنى أنه على الرغم من إعلان المستشار السياسى

(*) الراديكالى: هو النزاع إلى إحداث تغيرات متطرفة فى الفكرات والعادات السائدة أو فى الأحوال والمؤسسات القائمة (المترجم).

الرئيسى عند قلقه بخصوص المتحصلات (الإيرادات) المستقبلية، فإن الشمال استطاع إنفاق مليونى جنيه أكثر على البنود الجارية فى الموازنة الجديدة. كان عمل لجنة فقهاء القانون، التى كانت تعمل على أساس من الإصلاحات السودانية، وإدخال هذه الإصلاحات إلى منظومة المحاكم النيجيرية المحلية، محاولة إيجاد شكل من أشكال الربط بين المنظومة القانونية الإسلامية، والمنظومة القانونية الإنجليزية والمنظومة القانونية التقليدية، قد جرى إقراره فى العام السابق، وبذلك تكون هذه اللجنة قد أحدثت بعملها هذا، ودون وعى منها بذلك، نوعًا أفضل من الجذب للاستثمارات الأجنبية المتباينة، التى من قبيل مصنع للبيبسى كولا ومصنع برتغالى لصهر القصدير فى جوس. قامت بعض الشخصيات الأخرى بالسفر إلى بعض الدول. وهذا المعلم إبراهيم إمام، الذى جرى الاعتراف به مؤخرًا زعيمًا لمعارضة الشمال فى الانتخابات الإقليمية التى أقيمت فى العام السابق، يسافر بصفته واحدًا من رابطة الكمنولث البرلمانية لحضور دورة عن الإجراءات البرلمانية التى كانت يعرفها حق المعرفة، ثم يقوم بعد ذلك بأداء فريضة الحج. وقام حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بإيفاد اثنين من كبار مسئوليه هما: محمد كنج، وراجى عبد الله، لدراسة تنظيم الأحزاب السياسية فى بريطانيا.

كان بعض من شباب الحزب الأكثر راديكالية يكشفون عن بعض الدلائل غير التقليدية عن أسف مفاده أن السير أبا بكر كان يقودهم إلى الاستقلال بكثير من الرزانة والرصانة، وكان هؤلاء الشباب الراديكاليون يعلقون على مدى ظهور تلك "الشخصية الإفريقية" وشيوعها التى كشف عنها نيكروما ورفضها أبو بكر تافاوا باليوا، لو أن الدكتور آزكوى كان أولاً وقبل كل شىء، فى مكان أبى بكر. من جانب آخر، فإن هذا الكلام الراديكالى، الذى أفضى إلى الأفكار التى مفادها أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أصبح حزب المؤتمر الشعبى النيجيرى وأخذ يجند له أعضاء

من الجنوب، هذا الكلام جرى إخراسه عندما تحققت النتائج المرجحة لسياسة الحزب المباشرة الخاصة بالأشملة والنجرنة Nigerianizing، فى الخدمة المدنية فى الإقليم، يزاد على ذلك أن ليبرالية أبى بكر الرصينة، كانت فى بعض المناقشات، شيئًا شبيهًا بخشب القشرة. كان أبو بكر يقول: إن من الخطورة بمكان، الخروج على احترام السلطة القبلية لمجرد أننا استقلينا عن البريطانيين.

تعكر صفو الأشهر الأخيرة من الاستعمار بفعل الإضرابات والمظاهرات والحرائق فى بلاد التيف، التى جرى التشجيع عليها فى أضعف الأحوال بمساعدة حزب جماعة العمل للسيد/ يوسف تاركا هو وحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، الذى كان يوسف تاركا قد حوله إلى تحالف فعال مع كل من اتحاد التيف التقدمى وحزب جماعة العمل، وكان الرجل قد استثير أيضًا بشىء من التخويف من قبل بعض متملقى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان يوسف تاركا شابًا، وسيما وكان يتمتع بتواضع أبى بكر وأمانته بين معاصريه - حاول يوسف تاركا أيضًا إعادة المبالغ التى لم يجر صرفها من مخصصات المؤتمر الدستورى الأول، ورفض الرجل كل الإغراءات بالوقوف إلى جانب حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ولم يكن قد مضى بعد عقد من الزمان على المظاهرات التى وقعت فى بلاد التيف فى مطلع القرن. كان الموظفون الإداريون الذين كانوا يطبقون المعرفة الأنثربولوجية على فهمهم لقواعد مجتمعهم المشرذم، يحبون التيف، أما الغرباء هم و "الهوساويون" فكانوا يرعون التيف باعتبارهم "أبناء الطبيعة" غير المشاغبين، أو كانوا ينظرون إلى تلك "القواعد" بوصفها مساوية للفوضى، اكتشف الأفارقة والأوروبيون الذى أقلموا أنفسهم على الطرق والأساليب السُّكُتية Sokoto إن تلك الطرق والأساليب غير مفهومة لهم، وحاولوا نسيانها، ووصل بهم الأمر فى ذلك الوقت إلى حد تراجع ثقتهم بالموظفين الذين لديهم خبرة تيفاوية Tiv . ويعملون فى كادونا، ومعروف أن كادونا لم تفهم مشكلة التيف مطلقًا. كان السواد الأعظم من رجال

التيف الناجحين مثل النير السودانيين والميلانيزيين(*) حتى خمسينيات أو ستينيات القرن العشرين هدفًا ومحطًا لحقد أهل الأرض، ونظرية المساواة التامة القبلية بين البشر اجتماعيًا وسياسيًا، الأمر الذى أدى إلى قطع البراعم الجديدة بدلاً من تشجيع النبتات كلها على النمو الطبيعى. كان التيف متشككين فيما يمكن أن يفعله صاحب القوة لمصلحته الخاصة. وقد أدى الطلب المتزايد على القانون والنظام، وكذلك النظام الضمنى الناتج عن فرض ضابط صف أمى ليشغل منصب رئيس التيف، فضلاً عن فرض نائب لهذا الرئيس من القسم القبلى الأصغر، أدى ذلك كله إلى إرباك آمال الناس وتوقعاتهم الذين ورثوا تجمعين رئيسيين وعشائر وسطية مختلفة، ولم يعرفوا شيئًا عن التسلسل الهرمى للسلطة. بعد أن رفض التيف التأثيرات الثقافية والتأثيرات التبشيرية مدة طويلة (رفضت الكنيسة الهولندية قبول الردة إلى ما بعد سنوات من التعليم النظامى الذى جرى فرضه على التيف) استجاب هؤلاء التيف لمسألة الزيادة السكانية لاعن طريق استقرارهم بوصفهم حرفيين ومهنيين نازحين إلى مناطق نائية مثل الأجبو، وإنما عن طريق إخلاء المزارع بين الجيران المستائين القريبين منهم، الأمر الذى أدى إلى إثارة العنف بين التيف وبين الجوكون، والأيدوما، وأهل شندام بل ومع الأجبو أنفسهم.

الشىء الذى أحزن المراقبين هو أن هؤلاء الناس الذين كانوا يبدون وكأنهم يشكلون تناغمًا وانسجامًا فيما بين أنفسهم صاروا الآن يقتلون ويغتالون لا الأجانب، وإنما بعضهم البعض. وبعد أن غضب أبو بكر من تدخل حزب العمل فى شئون الشمال أبلغ أبو بكر (الذى يبدو أنه لم يزر أى معقل من معاقل التيف) السيد/ جريتباتش سكرتير المستشار السياسى الرئيسى فى كادونا أن الشرطة ينبغى أن لا تخشى شيئًا من إطلاق النار: "**يجب أن نكون حازمين وقساة – يجب أن ننسى كل شىء ونتصرف**

(*) سكان الجزر الواقعة شمال شرق أستراليا وهم أصحاب بشرة داكنة. (المترجم)

على النحو الذى ينبغى أن يكون عليه الإفريقى!" كان أربعون من شرطة الإدارة المحلية قد أعيدوا لإدارة التيف المحلية لكى يساعدوا ويعاونوا فى إخماد المظاهرات، هؤلاء الشرطيون كانوا مجندين تحت التدريب من كلية الشرطة الشمالية، وكان من بينهم بعض الرجال الذين جاءوا من باوتشى، وقد أبلى هؤلاء الشرطيون بلاء حسنًا فى مسألة إخماد المظاهرات هذه. وكان عدد المتوفين بسبب تدخل قوات الأمن المدنية يقدر بحوالى ستة متوفين وجرح اثنا عشر رجلاً، وهنا نجد حكومة المستشار السياسى الرئيسى تعين رئيس حى كبير لتسيير أمور الإدارة المحلية. ومع ذلك، جرى أخذ الشرطة لتثأر لخسائرها، وعلى الرغم من التعجيل بإجراءات المحاكمة لم يبذل الجهد الكافى لإعادة تنظيم الحكم المحلى ليناسب الواقع النفسى للجماهير.

فى آخر زيارة قام بها أبو بكر لموطنه يوم أن كان ليث واط ممثلاً مقيمًا فى مقاطعة باوتشى، أقام الرجل حفل عشاء لآل واط للمرة الثانية، لكن أبا بكر حرص كعادته على أن يكون ذلك العشاء فى بداية الليل، لكن أبا بكر ذكّر آل واط هم ورئيس الحى الأقدم، من خلال حديث فكه لطيف له علاقة بموضوع سياسة الشمال كيف أن جدته كانت تنهى دومًا حواديتها التى تحكيها له عندما كان طفلاً بتعليمات تتعلق بطريقة التعامل مع الفولانيين (**"عندما تكبر، يجب أن تقتلهم كلهم وتتركهم من البلاد!"**) وربما كان الحديث يدور أيضًا عن كيف أن زوجاته علّمن بجى واط هى وزوجة مقيمة أخرى طريقة تثبيت أربطة الرأس النسائية وترتيبها دون الخوف من أن ينهار ذلك التثبيت والترتيب. كان الرجل حرًا أيضًا فى تعليقاته على رؤساء ووزراء الكمنولث الذين التقاهم، وكان أبو بكر لا يزال متسامحًا مع السير روى Roy ولنسكى welensky (الذى كان قد ادعى منذ فترة وجيزة أن الجزء الذى سيتبقى من القارة الإفريقية خلال عشر سنوات سيكون اتحاد روديسيا ونياسلند). بعد ذلك بشهر كان آل واط فى دار الضيافة التابعة لرئيس الوزراء فى ليجوس، فى طريقهما إلى سفينة البريد والتقاعد. ولما كان أبو بكر قد عاد لتوه من رحلته التى قام بها إلى كل من توجو وغانا، قاد

سيارته بنفسه ليودع آل واط للمرة الأخيرة. وخطر ببال أبى بكر أن كفاية غانا فى ذلك الوقت كانت تعادل ثمانين فى المئة فقط مما كانت عليه، **"وأنا أتوقع أن تتداعى نيجيريا إلى ما هو أبعد من ذلك بعد الاستقلال"**. لم يقل أبو بكر هذا الكلام من منطلق الحزن والاكتئاب ولكن كتحصيل حاصل للواقع المعيش. واندهش أبو بكر وانشرح صدره عندما أُعطى الأزرار الصدفية الخضراء التى كانت لدى ليث واط، والتى تعبر عن نيوزيلنده، لكى يحتفظ بها، وبعد ذلك استقل قطار شركة الهضبة المحدودة، الذى يخترق كلاً من إيلورن ومنه Minna وصولاً إلى كادونا مرة ثانية.

جاءت الجلسة الأخيرة لمجلس المندوبين (الممثلين) بمثابة الجلسة التى تحول المجلس بعدها إلى برلمان ذى سيادة. وعلى الرغم من أن أحداً لم يشك فى أن يصبح الدكتور أزكوى حاكمًا عامًا، فإن الجدل كان لا يزال على أشده وكانت التصريحات الرسمية فجة وسابقة لأوانها. وقد أبلغ السير أبو بكر المجلس، **"أنا عندما أزكى حاكمًا عامًا فلن أطالب بأى تعهد من أى شكل كان، وواقع الأمر أنى لا أزكى الرئيس أولوو"**. وقد فُسِّر هذا الكلام على أنه إشارة إلى تعهد مفترض موقع عليه من ممثل صاحبة الجلالة وينص على ترك السياسة، وقد حرص أبو بكر أن يكون دبلوماسيًا إلى أبعد الحدود مع هذه المسألة. وقد وسع أبو بكر هذا الموضوع أمام الصحافة عندما قال: إنه سيطلب إلى صاحبة الجلالة ويزكى لها حاكمًا عامًا **"يصلح للمهمة"**، لكن من الواضح وعلى الرغم من أن رئيس الوزراء قد يأخذ بعين اعتباره رأى زعيم المعارضة، فإن رئيس الوزراء هو وحده الذى يمكن أن يقدم المشورة والنصيحة الفاعلة. فى إينوجو تناولت الصحف موضوع تعليق الحاكم العام المرتجل الذى مفاده أن من الخير أن الدكتور أزكوى لم يصبح شخصية شديدة البروز فى السياسة بعد أن أصبح رئيسًا لمجلس النواب. وقد فسر الدكتور أزكوى هذا الكلام على أنه تصريح بأن خلف السير جيمس ينبغى أن يتخلى عن السياسة، وأعلن الدكتور أزكوى بقوة أن هذا الكلام "خال

من اللياقة وسابق لأوانه"، وذلك فى معرض إبداء رأيه فى مسألة تكليف الحاكم العام لأبى بكر بتشكيل حكومة جديدة.

لكن الدكتور آزكوى قدم بالفعل استقالته من رئاسة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، وقبلها السكرتير الوطنى بكل أسف وهو "تعتمل فى داخله مشاعر مختلطة". فى المؤتمر السنوى لحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، رد الدكتور ميخائيل أوكبارا، الرئيس الوطنى الجديد للحزب على التحذيرات التى وجهها السيد/ إف إس ماكوين McEwen، السكرتير الوطنى للحزب، إلى مسألة اضطهاد حزب جماعة العمل ومطاردته لأعضاء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى فى الإقليم الغربى، كما رد الرئيس أيضًا على حاجة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى إلى إنشاء "لجان دفاع قانونية"، الأمر كان بمثابة تنبؤ جاء فى محله بعد ذلك بخمس سنوات: "ما لم يتخل حزب جماعة العمل عن سياسته غير الإنسانية فى مطاردته لخصومه، فإن حزب جماعة العمل يمكن أن يتوقع المعاملة نفسها لمؤيديه فى الإقليم الشرقى. وهذا ليس تهديدًا أجوف. وإذا ما أصبحت مسألة ملاحقة الخصوم السياسيين أمرًا عامًا فى نيجيريا، فإن ذلك سيوجه ضربة قوية لمؤسسات الوحدة". وجاء مغزى هذا الكلام واضحًا لأولئك الذين أعملوا فيه أذهانهم الأمر الذى عرض القضاة الشماليين ورجال الشرطة للخطر.

قال الدكتور آزكوى للمراسلين الصحفيين فى المطار وهو فى طريقه لمشاهدة دورة الألعاب الأولمبية فى روما إنه ينظر إلى منصب الحاكم العام فى نيجيريا المستقلة على أنه منصب سياسى، وأنه إذا ما عين فى هذا المنصب فسوف يواصل العمل بالسياسة. وهنا يجىء رد السير أبى بكر المقلق والمزعج: فقد سارع الرجل إلى الإعراب عن أسفه للكلام الذى لا معنى له عن هذا المنصب، الذى سيسىء إساءة خطيرة إلى سمعة نيجيريا الدولية: **"أنا لا أستسيغ أو أستحسن بصفة خاصة استغلال المعلومات التى جرت فى إطار مناقشات سرية، لتحقيق أغراض سياسية. هذا المنصب منصوص عليه**

فى الدستور الذى لم يجر نشره بعد، ويخطئ كل من يصدر تصريحات مبنية على أساس من معلومات جرى التحصل عليها من المحادثات الرسمية". جاء هذا الكلام بمثابة صدى لرأى أبى بكر فى العام ١٩٥٣ الميلادى عن حنث بود - توماس فى يمينه من ناحية وتعامل أولوو مؤخراً مع مسوَّدة اتفاقية الدفاع الأخيرة التى أُجريت مع دنكان سانديز. فى تلك الأثناء صدر فى منتصف شهر سبتمبر إعلان مفاده أن السير جيمس سيعاد تعيينه أول حاكم عام لنيجيريا المستقلة، وهنا بدا الأمر وكأنه نوع من التكريم لذلك الرجل، وأن الدكتور أزكوى سيخلفه فى هذا المنصب بعد ستة أشهر.

سيطرت مسألتا الدفاع والشئون الخارجية على بقية الجلسة. وتخطى قانون القوة العسكرية النيجيرية الملكية مسألة السيطرة من القائد العام إلى وزير الدفاع الذى يترأس مجلس القوات، كما تخطى هذا القانون أيضًا كلاً من ضابط القيادة العامة والسكرتير الدائم. وأضيفت إلى ذلك القانون نصوص فيما يتعلق باللجنة الخاصة برئيس الوزراء، تعطى رئيس الوزراء الحق فى إصدار التوجيهات لقائد العمليات التى تقوم بها القوات المسلحة فى حال قيام هذه القوات بدور فى طوارئ الأمن الداخلى، دون أن يرجع رئيس الوزراء فى ذلك إلى مجلس الوزراء. وقد استعملت هذه السابقة مع الشرطة فى حال الطوارئ أيضًا. واتفق على أن تصبح القوة العسكرية النيجيرية الملكية، الجيش النيجيرى الملكى عند الحصول على الاستقلال (وعلى أن يطلق على البحرية اسم البحرية النيجيرية الملكية). وقد روى عن أبى بكر فى إحدى المناظرات، **"أنا لا أظن أننى موافق على ذلك الذى حدث فى الكنغو، عندما جرى فجأة تعيين رقيب أول قائدًا عامًا"**. كما استنكر بل وأنكر أيضًا الإبلاغ الخاطئ الذى مفاده أن وزير خارجية أبى بكر قال فى سالسبيرى إن نيجيريا لن تقاطع بضائع جنوب إفريقيا: كان إيزن Esin يحظى بثقة كل من رئيس الوزراء وزملائه. وفى رد مكتوب أعلن الرئيس Chief فستوس أنه لم يجر طلب أى قرض روسى - ولم تعرض أية قروض من هذا القبيل أيضًا. واقع الأمر أن ما يرقى إلى مستوى بيان السياسة الخارجية كان يتمثل

فى مغزى المؤتمر نفسه وجلسته الختامية. السياسى الذى يكون معنياً ومشغولاً بالأمور الداخلية يتعين عليه فى بداية الأمر الكلام أو التحدث عن أعمال الحكومات الأخرى والنتائج التى ترتبت على هذه الأعمال، وأن يكون ذلك الحديث فى منتدى يود المستمعون فيه معرفة ذلك الذى يود أن يفعله ذلك السياسى حتى يغير آراء زعماء الحكومات الأخرى، وأن يعى ذلك السياسى أيضًا القيود المفروضة على طلاقته البلاغية، وأن يدرك أيضًا الارتياح الخطر الذى يترتب على الحصول على أسلحة قوية، وأن يدرك أيضًا مدى ضعفه إذا لم يمكنه الحصول على أى سلاح من هذه الأسلحة القوية. وعلى الرغم من أن أبا بكر لم يقل شيئًا جديداً، فإن هناك مغزى فى واقعية ذلك الذى أحسه واستشعره وكان بوسعه أن يقوله، وكان هناك مغزى لحذف ذلك الكثير الذى ربما نظر إليه الآخرون على أنه أمر لا يطاق أو غير مستساغ.

تتمثل المهمة الأولى لأولئك الذين يقومون على أمر الشئون الخارجية فى تأمين مصلحة الاتحاد الفيدرالى وتطويره هو ومواطنيه. كانت نيجيريا قد انتوت الانضمام إلى كل من الكمنولث والأمم المتحدة. وكان لابد من فهم الحقيقة التى مفادها أن كل أعضاء الكمنولث كانوا مجتمعات تتمتع بالاستقلال والحكم الذاتى، ومتساوين من جميع النواحى ولا يتبع أى منهم الآخر بأى حال من الأحوال فيما يتصل بشئونهم الداخلية والخارجية (ولابد أن ذلك كان واحداً من قطع المحفوظات العامة الواردة فى لائحة الوستمنستر والتى يعيها الجميع ويعرفونها حق المعرفة). **"فى الوقت الذى تجرى فيه الاستفادة إلى حد بعيد جداً من تبادل الأفكار الحرة والمشاورات بين الدول الأعضاء فى الكمنولث ومن الخبرات فى إطار الأمم المتحدة، فإننا ستكون لنا يد مطلقة أو بالأحرى أحرار فى اختيار تلك السياسات التى نراها فى مصلحة نيجيريا إلى أبعد الحدود، وذلك من باب إيماننا دومًا بمبادئ الأمم المتحدة. سوف نحاول الإبقاء على العلاقات الطيبة والودية مع كل من يعترف بسيادتنا ويحترمها، ولن نتبع أى إنسان اتباع الأعمى. ونحن نرى أن من الخطأ على الحكومة الفيدرالية النيجيرية أن تربط بأى**

تكتل من تكتلات القوى. ستكون سياستنا على أساس من مصالح نيجيريا وسوف تتمسك تلك السياسة بالمبادئ الأخلاقية والديمقراطية التى يقوم عليها دستورنا". هذا الذى علمه عن "الكتل" أعطاه درساً لا يمكن أن ينساه مطلقاً.

كانت هناك رغبة فى توجيه اهتمام كبير للسياسات العملية الواضحة الخاصة بإفريقيا. كانت نيجيريا راغبة فى مساعدة أية دولة إفريقية فى حل مشكلاتها والوصول إلى تفاهم مشترك وتشجيع الروابط المشتركة. هذا يعنى أن المصاعب والمشكلات يمكن التغلب عليها عن طريق البناء على الروابط الثقافية والاقتصادية القائمة بالفعل. على أن يعقب ذلك بخطة معينة يجرى الاتفاق عليها لتحسين المواصلات والنقل فيما بين البلدان المختلفة، وعن طريق توفير الموارد اللازمة للتعليم العالى والبحث العلمى. كانت مسألة التفكير فى سوق مشتركة سابقة لأوانها..... وعلى الرغم من أن بعض الحدود كانت اصطناعية، فإن هذه الحدود يتعين احترامها إلى أن يقرر الناس بمحض إرادتهم ذلك التغيير أو الدخول فى الوحدة الكاملة. وكانت نيجيريا على استعداد لإفشال أية محاولة لتحقيق ذلك عن طريق القوة وإحباطها. **"لقد أتعبتنا إشارات الحرب الأيدلوجية بين القوتين العظميين وبخاصة أن هذه الحرب بدأت تزحف فى اتجاه إفريقيا. سوف نتخذ من الخطوات ما يقنع الزعماء الأفارقة أن يراقبوا بصورة جادة هذا الاتجاه المحزن، وأن يحاولوا توحيد جهودنا ومنع إفريقيا من أن تكون منطقة أزمات وتوترات عالمية.... ومع ذلك، لن نسمح لاهتمامنا المباشرة واهتمامنا الأساسى بالشئون الإفريقية أن يعميانا عن المشكلات الخطيرة والمشكلات الحيوية التى تسيطر على الساحة الدولية الأوسع. سوف نناضل دوماً من أجل المحافظة على حقوق الإنسان التى تعترف أحزابنا كلها وتقر بأنها أمور أساسية، وعلى الأخص حرية التخلص من التمييز العنصرى"**.

تواصل كيل الانتقادات للقوائم الخاصة بموظفى صاحبة الجلالة العاملين فى الخدمة الاستعمارية، كما كيلت الانتقادات أيضاً إلى المظهر الحقيقى الذى مفاده أن

الحكومة البريطانية فشلت فى الاهتمام الحقيقى بشروط هؤلاء الموظفين الأجانب وتطميناتهم الذين أرادوا مواصلة العمل فى نيجيريا، وشروط أولئك الموظفين واحتياجاتهم الذين آثروا أن يبدأوا حياة جديدة فى وطنهم بمساعدة من مكتب إعادة التوطين الخاص بهم. هذا الأمر لم يكن منطويًا على شىء من الحكمة الديبلوماسية فى نظر الكثيرين المعنيين بهذا الأمر والداخلين فيه، والسبب فى ذلك هو الطقوس المحاسبية فى الخزانة البريطانية، التى تستهدف الحصول من دولة جديدة على اتفاق يقضى بتقديم مدفوعات للمستخدمين المقيمين expatriate، بطرق تطفئ حرائق الاستياء، حتى وإن كان مثل هذا العمل غير منطقى، ولمجرد عرض دفع هذا المبلغ، بل وأكثر منه فى شكل معونة لا علاقة لها بهذا الأمر. كانت الحكومة الفيدرالية هى الوحيدة من بين الحكومات النيجيرية الأربعة، التى رفضت فى مؤتمر العام ١٩٥٨ الميلادى الموافقة على التوقيع على اتفاقية خاصة بالموظفين العموميين عند الحصول على الاستقلال، وبرر السير أبو بكر ذلك برفضه الموافقة على احتمال مفاده أن الحكومة الفيدرالية، قد تنكث المطالب العادلة لأى فرد من أفراد الخدمة المدنية. أصدرت الحكومة المدنية خلال الأسابيع الأخيرة من الفترة الاستعمارية تعليقاتها التى طال انتظارها عن لجنة سولارو Solaru الخاصة بالنجرنة. ونجد أن السيد/ إم أو آنى Ani، مسئول النجرنة، قد أعطى تطمينات للموظفين الواردة اسماؤهم فى القائمة الخاصة "ب"، كما أشار الرجل أيضًا إلى الساعين العجلين الذين يتعجلون مسألة النجرنة وأن هذا العمل من جانبهم يمكن أن يؤدى إلى تأخير الحصول على الاستقلال الحقيقى، والسبب فى ذلك أن هؤلاء الذين سيحلون محلهم، وعليه فإن الترقيات السابقة لأوانها يمكن أن تمنع دخول النيجيريين المدربين وتقدمهم إلى هذه الوظائف وبخاصة أن مثل هؤلاء النيجيريين المدربين لن يمكثوا طويلاً فى سوق تجنيد العمالة.

نشأت مشادة مماثلة فى وزارة ظل وزارة الدفاع: فقد عبر السكرتير المساعد الذى كان يمثل الوزارة فى لجنة اختيار الضباط المحتملين للجيش، عن قلقه الذى

مفاده أنه قبل وقت غير طويل كان قطاع واحد من السكان هو الذى يسيطر على كادر الضباط، وأن هذا القطاع نفسه هو الذى كان يسيطر أيضًا على ضباط الصف - كان من بين الضباط النيجيريين البالغ عددهم ٤٤ ضابطًا، حوالى أربعة وعشرين ضابطًا من الأجبو، وحوالى ستة ضباط من الشمال، وخمسة عشر ضابطًا من الإقليم الغربى وثلاثة وعشرين ضابطًا من الإقليم الشرقى. وتساءل ذلك السكرتير المساعد عن الأسباب التى تمنع من تطبيق نظام الحصة الثابت والمستقربين الشمال والجنوب على سلاح الضباط. وتقدم ذلك السكرتير المساعد بتوصية لم تحظ بمساندة السكرتير المساعد الأقدم المقيم أو السكرتير الدائم المرتقب (وكلاهما ليس لديه أية خبرة عن الشمال)، وجرى تقديم ذلك المقترح عن طريق الطبيب ماجيكودونمى إلى رئيس الوزراء ثم بعد ذلك إلى الحاكم العام إلى أن جرى رفض المقترح فى نهاية المطاف.

حدثت بعض المشكلات الأخلاقية الأخرى. وهذا هو إدوارد جيبون Gibbon الذى عرف "الفساد" ذات يوم بطريقة ساخرة ودقيقة على أنه "**أكثر أعراض التحرر الدستورى عصمة**". وهذه هى نزاهة رئيس الوزراء المالية الشخصية بدأ يطالها الإزعاج عن طريق التقارير الدورية التى تفيد أن بعض زملائه كانوا أقل منه حرصًا. يزاد على ذلك أن أحد سكرتيريه السابقين لم يفهم كيف أن السير أبا بكر لم يحط علمًا بالمضاعفات التى تجمعت عن فساد آكنتولا، من خلال منظومات الاستخبارات السياسية أو من خلال حساسيته الشخصية. كان ينبغى على رئيس الوزراء أن يتكهن أو يُخمن أن السياسى الذى يعمل فى وزارة الأشغال، والذى له أسطول من المركبات الثقيلة التى تعمل فى نقل الفول السودانى، يعد طلبه من مدير القوة الفنية فى الأشغال العامة، السماح لتلك الناقلات الثقيلة بالمرور عبر حواجز الطرق التى تقام عند إغلاق الطرق اللطريطية بسبب سقوط الأمطار الغزيرة، هذا الطلب يعد أمرًا مفروغًا منه، لكن ما دام أن أحدًا لم يجأر بالشكوى، فإن رئيس الوزراء كانت لديه هموم أكثر من ذلك تثقل كاهله. أضف إلى ذلك أن الوزير بلغ من الحكمة مبلغًا حرص معه على أن لا يلفت

انتباه سكرتيره الدائم لأمور، لابد أن يكون سكرتيره الدائم هذا قد أسدى إليه نصائح بغيضة إلى نفسه عن هذه الأمور، كما أن السكرتير الدائم، الذى يتحدث وزيره عن صعوبة مقاومة مطالب الأصدقاء، والأقارب، ورفاق العمل يعرف جيداً كيف لا يدخل إلى المناطق التى تكون فيها الضغوط السياسية أو الاجتماعية أمراً حتمياً لا يمكن الفرار منه. كان الحاج السير أبو بكر، ذلك الموظف المدنى الفاشل يقول دوماً وحالياً وفيما بعد: **"أحضرلى الدليل – على شكل ملف"**. لم يكن أبو بكر مخطئاً، نظراً لأن أى أحد من المحيطين به ولا الفرع الشرطى الخاص، استشعر أهمية تفسير "التهديدات التى تتهدد الأمن الوطنى" وأخذ ذلك فى الحسبان أكثر من ذى قبل، كما لم يستطيعا محاكمة الفساد التجارى الذى يفضى إلى الابتزاز ومن ثم المخاطر الأمنية فى الظروف المحلية. ومن باب التوقع زعم جيبون، "لاروشفوكولد" Larochefoucauld ذات مرة أن **المرء سيكون دوماً بلا حول أو طول عندما يلاحق المال ويكون شريراً وشرساً عندما يلاحق السلطة. ومكمن الخطر السياسى هو عندما تجتمع هاتان الملاحقتان.**

وفى يوم من الأيام ثارت حاسة شكوك السير روبرتسون، وجعلته يرى أن الأمور ليست كلها على الطاولة (أى شفافة)، وأن عقداً جرى منحه بلا حق بسبب الرشوة. وهنا قام السير جيمس روبرتسون بطلب الملف من الوزارة وطلب من رئيس الوزراء إلقاء نظرة على ذلك الملف. تصفح السير أبو بكر الملف وألغى قرار الوزير وأعطى العقد لصاحب أقل سعر. كانت هناك حالات أخرى، بل يمكن القول حالات أكثر وأكثر من ذلك، لم تثر فيها الشكوك المبررة بالقدر الكافى وفى تاريخ مبكر. كان التصميم المبدئى الذى أعدته شركة نيدكو لجسر النيجر فى منطقة أصابا Asaba وأونيتشا (ثالث الأعمال الخاصة بالتحكم فى النهر وزيادة ذراعى الدلتا وسد جباً Jebba) قد اكتمل، لكن مسألة تمويل المشروع كانت لا تزال تشكل عقبة. كان أرميتاج فى ذلك الوقت يشغل منصب مدير الأشغال الفيدرالية، وكان لديه بالفعل تصميم نهائى جاهز فى الوزارة، وهنا تقدمت شركة تيلور وودرو Woodrow الهندسية البارزة بعرض لبناء

الجسر وتمويله بطريقة التقسيط، ودفعت الحكومة مبالغ كبيرة كل ستة أشهر ولمدة خمس سنوات. وهنا وافق وزير الأشغال، الحاج محمد إينوا وادا، على إصدار خطاب نوايا، لكن خلال فترة إنهاء العقد لَّحت بعض الشركات الأخرى وادعت أن لديها عروضًا أفضل وشروطًا أحسن. وهنا وافق إينوا وادا على دعوى المتقدمين، وقدمت قائمة قصيرة تضم خمس شركات تقدمت بعروض تنافسية لتصميم، الجسر وإنشائه وتمويله، وزكى المستشارون عروض تلك الشركات. وأُرسلت التوصيات إلى مجلس الوزراء، حيث قال الرئيس Chief فستوس، ثم جاهر بعد ذلك بهذا الكلام، إن المسئولين لم يدرسوا المضامين المالية كلها. لم تكن تقنية الشركة التى زكاها فستوس هى الأحداث، من منظور المسئولين الذين لم يحبذوها (لم تكن تلك التقنية تتجاوز تلك التى كانت سائدة أيام الحرب الأهلية). والذى كان يعرفه بعض هؤلاء المسئولين هو أن قريبًا عقيمًا للرئيس فستوس كان يشغل منصب المدير فى هذه الشركة. وهنا نجد القائم بعمل مدير الأشغال الفيدرالية، والذى جرى تمديد خدمته أربع سنوات أخرى، بواسطة رئيس مجلس إدارة لجنة الخدمة العامة الفيدرالية (السير صمويل مانوا فى ذلك الوقت)، يستقيل من منصبه. وعلى الرغم من أن صمويل مانوا كان لا يزال يتمتع مثل إيدى أرميتاج بالثرثرة الاجتماعية حول المهام مع "سيده" الأسبق، الذى كان من عادته السؤال عن أحوال "الولد" و "الأم"، فإن الرجل استشعر أنه لم يعد قادرًا بعد على تمرير التظلمات المهنية من فوق رءوس الرؤساء الحاليين، والسبب فى ذلك أن الأشياء التى من هذا القبيل تصطبغ عند هذا المستوى بالصبغة "السياسية"، وهنا يكتشف السواد الأعظم من الموظفين المدنيين الأجانب الحواجز غير المنظورة التى تفرض قيودًا وتضع حدودًا لما يمكن أن يفعله هؤلاء الموظفين.

الأحداث التى من هذا القبيل أعطت مذاقًا لاذعًا لتعيين المدعى العام ووزير العدل فى الاتحاد الفيدرالى المستقل. وهنا أجرى الحاكم العام هو ورئيس الوزراء محادثات ومناقشات للنظر فى قائمة الاسماء المؤهلة لهذين المنصبين. كان الدكتور أزكوى هو

الآخر مهموماً بذلك الأمر ولم يعترض على الرجل الذى جاء فى طليعة المؤهلين، والذى كان واحداً من أصدقاء الدكتور آزكوى القدامى. كان ذلك الرجل شقيقًا لصديق عزيز على الرئيس آولوو، وجرى التأكيد على أن ذلك هو الشخص المطلوب، من قبل المستشار السياسى الرئيسى أيضًا، وكان المستشار السياسى يعرف هو الآخر ذلك الشقيق أيضًا. وبناء على ذلك دعا بطرس ستالارد مدير عام دراسات معهد الكمنولث، السير رتشارد Richard بولارد، إلى الكلام فى هذا الموضوع، وقد أشرك بولارد ذلك الشقيق فى الدراسة التى قام بها باحث يدعى الدكتور تسليم إلياس. قال بطرس ستالارد لإلياس إنه شخصياً أحضر رسالة مهمة وغير عادية، وأنه يتوقع رداً على هذه الرسالة. وقد سهل إجماع الزعماء السياسيين على الدكتور إلياس مسألة القبول، وبنهاية شهر سبتمبر وصل تسليم إلياس إلى ليجوس لتولى مهام منصبه، مع تأكيد من كل من أبى بكر، وآزكوى والمستشار السياسى الرئيسى يفيد أن ولاءات الرجل الشخصية ستكون ثانوية إلى جانب ولائه الأصلى للبلاد. وينتهز الدكتور السياسى أول الفرص التى سنحت له، ويقوم بزيارة إينوجو ليقابل زميله النائب العام الإقليمى ميخائيل أجيبو. وفى إينوجو اندهش الدكتور إلياس عندما رأى بعد تناول الإفطار، النقيب إميكا Emeka أوجوكو Ojukwu عند بداية السُلم، وهو يرتدى زى الجيش، وقد ذكر إميكا الدكتور إلياس وبطريقة تهكمية بآخر لقاء جرى بينهما فى أكسفورد، وعما دار بينهما عن مستقبل السنوات الست القادمة الذى أوردناه فى الفصل الثامن عشر.

تنصرم الأسابيع. وتقوم الشركات الكبيرة بإيداع مبالغ كبيرة لتكوين ودائع تعليمية، وقدمت الحكومات والشركات هدايا من الكريستال وأطباق وأشياء أخرى من باب الاحتفال بالاستقلال، وقد استخدمت هذه الهدايا فى تزيين الغرف العامة الرسمية والغرف الحكومية ومكتب رئيس الوزراء. حضر أبو بكر عندما كان مسئول السكة الحديد يؤدى اليمين، وعندما قام السير آدسوجى Adesoji أدريمى Aderemi، ملك الإيف، بأداء اليمين بصفته حاكمًا للإقليم الغربى بدلاً من السير جون رانكاين Ran-

kine (فى الشرق، كان الدكتور المبشر السير فرانسس إبيام، هو الذى تولى منصب الحاكم بعد السير روبرت ستابلدون Stapledon الذى خلف السير كلمنت بليس Pleass)، أعلن السير أبو بكر عن انتوائه تأسيس معهد للدراسات الدولية، وقال الرجل فى قاعة بحث عقدها المحامون النيجيريون بدعم من مؤسسة فورد لدراسة المشكلات الدستورية الفيدرالية قال: "قد يكون الأفضل عدواً للأحسن"، كما افتتح أبوبكر أيضاً المكتب الرئيسى الشاهق الجديد لبنك باركليز فى المنطقة البحرية من ليجوس، والذى ابتعد مبناه بعض الشىء عن العمارة الاستعمارية، وكان مكيف الهواء مركزيًا، والذى استخدم فى وضع أساساته طوفًا خرسانيًا كان طافيًا على الضفة الرملية من البحيرة. وانضم أبو بكر أيضاً إلى الحكام ورؤساء وزراء الأقاليم فى اجتماع مع مسئولى وزارة المستعمرات لإيراد كل صغيرة وكبيرة فى مشروع الدستور، وأبدى ملاحظة مفادها أن الممثلين البريطانيين فى الاحتفالات سيكون: اللورد كلموير Kimuir رئيس مجلس اللوردات، ووزير الدولة لشئون المستعمرات إيرل أوف بيرث Earl of perth ووزير الدولة لعلاقات الكمنولث السيد/ سى جى إم ألبورت Alport .

سمع أبو بكر فى شىء من الحرج أن اللورد مليفرتون المسن قد أبلغ مجلس اللوردات، عندما كان وزير الخارجية الجديد، إيرل أوف هوم Earl of Home بمشروع قانون (استقلال) نيجيريا، أن أبا بكر تافاوا باليوا هو أعظم السياسيين الذين أنجبتهم إفريقيا إلى الآن، وأردف ملفرتون فى شىء من الحيرة أن قسمًا كبيرًا من الوحدة التى تشهدها نيجيريا اليوم إنما نتج عن المجهود الحربى. وجرت تحية أبى بكر فى واحد من المؤتمرات الصحفية الخاصة بالشئون الخارجية، جرت تحيته لاعتداله فى مسألة حركة الجامعة الإفريقية ولتعاطفه الشديد مع الجزائر ومع العنصرية، فى الوقت الذى اعترف فيه أن بلاده تضم نصف السكان المستعمرين الباقين فى إفريقيا، وربع سكان القارة الإفريقية، لكن المؤسف أن لها صوتًا واحدًا فقط فى الاجتماعات الدولية. وواصل

أبو بكر حديثه لإرشاد إريك هيفورد Hefford إلى القرارات الحاسمة فى الترتيبات النهائية الخاصة باليوم الأول من شهر أكتوبر، وعلق على شواهد الفساد المتزايدة بقوله: "**السياسة تفرق بين شركاء الفراش**".

وعلى الرغم من ذلك كان رأى أبى بكر فى الاتفاق أوسع بكثير من رأى المسئولين. كان من رأى الرجل أن كل إقليم من الأقاليم، على الرغم من أوجه الإسراف فى حكومته، ينبغى أن يحصل على ١٠٠٠٠٠ جنيه إنجليزى. وأن ليجوس يتعين تنظيف سوقها الوسخة القريبة من جسر كارتر، ويجب تحسين إضاءة الشوارع، والمرافق الجديدة، التى تستخدم بصورة دائمة ومستمرة، كأن يكون ذلك بإنشاء نافورة جديدة فى ميدان تونوبو Tinubu وفندق القصر الفيدرالى. ويتحتم دعوة الكثيرين من الموظفين البريطانيين للعودة للمشاركة فى الفخر والسرور، ومن بينهم: شارود – سميث، جى دى كلارك، وشلنجفورد، وأيضًا حرم السيد/ بورديلّون. وقال أيضًا إنه لابد من وجود السيدات البريطانيات اللاتى يؤجرن غرفًا مفروشة فى منازلهن للطلبة المُسْتَعْمِرِين. وقال أيضًا إنه لابد من تأجير بارجة أمير البحر التى تسمى الدر دمبستر لنقل الضيوف من بريطانيا ولكى تكون بمثابة فندق عائم. كما أن ممرضته السيدة/ أوهارا ستحل عليه ضيفة فى منزله. وقد أشرف بنفسه على حفل العشاء الخاص الذى سيقام للأميرة السكندرا التى وافقت على حضور الاحتفال، وأصر على أن تحضر زوجته الأولى ذلك الحفل، وكانت تلك هى المرة الأولى التى تحضر فيها هذه الزوجة حفل عشاء على الطريقة الأوروبية، وهى التى نشأت فى منزل طعامه اليومى نيجيرى شمالى تمامًا. قد لا تكون المُعلَمة إنِّى Inni انبهرت بالحفل أو فاجأتها المناسبة، لكنها وجدت أن الطعام الأوروبى وآداب المائدة الأوروبية غريبان عليها ولا طعم لذلك الطعام عندها. قبل موعد العشاء الرسمى بأسبوع أحضر السير الحاج أبو بكر زوجته إلى منزل بطرس ستالارد لعمل بروفة كاملة لقائمة الطعام التى سيجرى تقديمها للأميرة، ورتب أن يكون مكانها بجوار بطرس ستالارد.

سوف يجرى دهان مائتين وأربعين سيارة جديدة من طراز مرسيدس، وشيفروليت، وفورد جالاكسى، وجاجوار بلون العلم الوطنى ليقوم الضيوف باستعمالها (وقام أحد الضيوف بقيادة واحدة من تلك السيارات إلى موطنه)، وتقرر أن يرتدى السائقون زيًا موحدًا عبارة عن بدلة رمادية اللون، وغطاء رأس، وشارات وأزرار منقوش عليها رمز الأسلحة الفيدرالية، وأحذية موحدة، وجوارب موحدة، وقمصان موحدة، وأربطة عنق موحدة أيضًا. وتقرر أيضًا أن تكون جميع المشروبات مجانية فى فنادق الضيوف: وعندما حُذر أبو بكر من إساءة استعمال المشروبات قال أبو بكر مبالغًا فى المدح: **"أنتم تعرفون قوانين الكرم الإسلامى – إذا ما أراد ضيف من الضيوف الحصول على زجاجة من البراندى فى الإفطار، فبوسعه الحصول عليها"**. وجرى أيضًا تخصيص ميداليات تذكارية لكل أولئك الذين سيشاركون فى العروض العامة، وجرى عمل شارات أنيقة لكل القائمين على أمور السيطرة، كل ذلك جرى فحصه وتنفيذه بدقة شديدة. كانت هناك أيضًا أحكام "عمياء" من قبل مجلس الوزراء على المداخلات الرابحة فى المنافسات العامة على العلم والسلام الوطنى، وجرى المحافظة على تلك الأحكام إلى آخر دقيقة من الاحتفال، كما كان هناك انعكاس أيضًا لاهتمام أبى بكر بالمنظومات النهرية الدولية، جاء على شكل حرف Y المصنوع من الفضة ليرمز إلى نهر النيجر ونهر بنيو فى إطار تحديد المواقف الجديدة. لكن بينما كان أبو بكر يشجع على استعراض الكرم الذى يجعل النيجيريين يتفاخرون ويترك انطباعًا طيبًا لدى الزوار، كان لا يزال لدى أبى بكر متسع من الوقت الذى كان يجلس فيه على الأرض ليلعب بالقطارات الكهربية مع ولديه اللذين يقومان على أمر تدبير شئون المنزل.

فى الجلسة الأخيرة التى عقدها مجلس الوزراء برئاسة الحاكم العام، قدم السير جيمس روبرتسون ثلاثة نصائح: أن الوزراء الفيدراليين يتعين عليهم الاستمرار فى ترديد الحقيقة العسكرية البريطانية التى لا ريب فيها، عن الوحدة فى سائر أنحاء

الاتحاد الفيدرالى، وأن الحُنكه السياسية، وليس الثأر الحزبى قصير الأجل، هى التى ينبغى أن تصطبغ بها المواقف كلها تجاه حزب جماعة العمل، وتجاه ولاية الغرب الأوسط، وأيضًا تجاه ليجوس الموسَّعة، وأن كل وزير سواء أكان فيدراليًا أم إقليميًا، يتعين عليه تجنب الحديث عن سياسة الحكومة، وبخاصة السياسة الخارجية، أثناء سفره إلى الخارج اللهم إلا إذا كان مسئولاً عن ذلك بنص من الدستور فى حقيبة وزارته. يمكن الوقوف على التسجيل الكامل لردود كل من السير أبى بكر والرئيس فستوس فى مذكرات السير جيمس لكننا نؤثر هنا إيراد تعليق أو تعليقين من تعليقات أبى بكر. قال أبو بكر إنه لن ينسى مطلقًا ما قاله روبرتسون لماكميلان **"الناس فى هذه الأيام يمكنهم الاعتماد على الله ويبذلون قصارى جهدهم" - ويتعين على الوزراء جميعًا أن يدعوا جانبًا المصلحة الذاتية الأنانية ويعملون من أجل نيجيريا الموحدة.** قال أبو بكر أيضًا عن حزب جماعة العمل (الذى كان قد ألزم نفسه منذ وقت قريب بـ"نظرية الاشتراكية الديمقراطية" التى تجمع بين ما يشبه التأميم الماركسى للأعمال والأموال الأجنبية والإعانات المتكررة للأعمال والمشاريع الخاصة المحلية) أن مجلس الوزراء يتعين عليه أن يعد نفسه وصيًا وراعيًا للأحزاب السياسية كلها فى نيجيريا، وأنه بصفته مسلمًا يؤمن أنه إذا ما أدان الآخرين لأنهم لم يعتنقوا معتقداته السياسية، فإنه سيكون مسئولاً عن ذلك أمام الله ؟؟؟. وقال بصفة خاصة وبكل ثقة إن البلاد طوال العامين الماضيين كانت مستقلة فنيًا.

كان آلان Alan لينوكس - بويد من بين الضيوف الخصوصيين المدعوين لتلك المناسبة، وكان الرجل يتذكر بصورة مستمرة إصرار أبى بكر، **"لا تنتظروا الكثير منا – أنا أعلم أن العالم يراقبنا، والذى يقلقنى هو أن كل واحد ينتظر الكثير منا"**، كما كان لينوكس بويد يتذكر المثل الهوسوى الذى كان يرد دومًا على لسان أبى بكر، "هذا الذى يكون محمولاً لا يدرك بعد المدينة". كان لينوكس بويد قد حضر حفل غداء فى اليوم السابق، ووافق فيه بطرس ستالارد أنه من السياسة إدراج بعض الإشارات فى

خطبة رئيس الوزراء بمناسبة الاستقلال، عن إزالة الأغلال والقيود الاستعمارية. قال أبو بكر "**أنا لا أومن بذلك كله، ولا أعرف ماذا يعنون بهذا الكلام**"، ويستطرد أبو بكر فى كلامه عن أولئك البريطانيين الذين ساعدوا نيجيريا فيقول: "**لكن إنه شيء طيب أن أقول ذلك لكم بصفة خاصة، لكنى أود أن أقوله على الملأ**". كان اللورد بيرث صديق لينوكس بويد وزميله قد علم أن الرئيس أولوو يود مقاطعة الاحتفال: قال أبو بكر "**آه، هل انتوى ذلك فعلاً؟ سننظر فى الأمر**" وأرسل على الفور برقية للتأكد من صحة ذلك الكلام.

أقيمت فى تلك الليلة مأدبة عشاء للأميرة، وللضيوف الأجانب، وفيها هز تونى شلنجفورد اللبق يده وقال: "هذا وقت لا نملك فيه حق الكلام - لأن مشاعرنا أقوى من أن تعبر عنها الكلمات". فى ذلك كان السير وليام جوريل بارنس Barnes، الذى كان يشغل مقعد العمل الرئيسى طوال سنوات إنهاء الاستعمار، يحذر المسئولين فى إدارة الشئون الخارجية الكندية: أن ذلك الإحساس بالبهجة والاغتباط وصل إلى أوتاوا، حيث كان لأولئك الذين لم يلوثهم الاستعمار، على حد رؤيتهم لأنفسهم، تبصر خاص. وقال وليام جوريل باترس "هناك أغنية شمعية عن الآمال المرتقبة فى نيجيريا، لكن نيجيريا تنطوى على أشد المشكلات الأثنيه صعوبة فى إفريقيا".

جرى تبادل الأعلام أثناء عزف نوبة الرجوع على ضوء اصطناعى غامر فى مضمار السباق عند منتصف ليل الاحتفال الذى أسهب الكثيرون فى وصفه، بما فى ذلك أولئك الذين أوضحوا أن الدكتور أزكوى هو والرئيس أولوو كانا مجرد متفرجين فى الصفوف الأولى من المدرج. كان السير جيمس روبرتسون هو والحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا واقفين إلى جوار بعضهما فوق منصة مضاءة أسفل علم الاتحاد المسلط عليه الضوء، أصطف حرس شرف من البحرية النيجيرية، ومن الجيش والشرطة النيجيرية، ومن البحرية البريطانية والجيش البريطانى، وفصيل من روديسيا، كانوا جميعًا يقفون فى وضع سلام سلاح بينما كانت الفرق الموسيقية تعزف السلام الملكى

"حفظ الله الملكة". وأطفئت الأنوار، وعندما أعيدت الأنوار كان العلم البسيط المكون من اللونين الأخضر والأبيض، رمز استقلال نيجيريا، يرفرف على قمة السارية. وجرى عزف السلام الملكي، تحية لممثلى ملكة نيجيريا، ثم عزف بعد ذلك السلام الوطنى النيجيرى، وعندما استدار السير جيمس لتقبيل يد السير أبى بكر كان رئيس الوزراء يرتعد فخراً ويبكى على مرأى ومسمع من الجميع.

المؤلف فى سطور:

تريفور كلارك

مؤلف الكتاب ، رجل أسكتلندى تخرج فى جامعة أكسفورد ، وهو محام غير ممارس فى مدينة مدل تمبل . عمل هذا الرجل ضمن القوات البريطانية فى كل من سيراليون وجامبيا ، وبخاصة قوات الحدود الإفريقية الغربية الملكية ، فى فترة الحرب العالمية الثانية ، باعتبار هذه القوات جزءاً من الفرقة الحادية والثمانين المتمركزة فى وادى كالدان . بعد انتهاء حرب المحيط الهادى ، جرى إلحاق تريفور كلارك على الفرقة الثانية والثمانين فى رانجون عاصمة بورما برتبة رائد.

التحق تريفور كلارك بخدمة صاحبة الجلالة الإدارية فى نيجيريا فى العام ١٩٤٨، ومارس الرجل وظيفة رئيس حى مساعد ممارسة ناجحة . كان الرجل مساعداً الرئيس حى كاتاجوم فى بلده أزار ثم أصبح بعد ذلك رئيس حى الارى ، ثم بعد ذلك رئيساً لباوتشى ، ثم أصبح بعد ذلك سكرتيراً منابًا للمجلس التنفيذى ، فى مكتب حاكم نيجيريا ، فى مجلس وزراء الشمال ، ثم أصبح رئيس حى أول فى بلدة إجبيرا فى أوكينى . وفى باوتشى تعرف تريفور على السير أبى بكر نافا واباليوا تعرف جيداً والتقاه بعد ذلك مراراً فى كادونا ، وأوكينى ، وليجوس .

تقاعد تريفور كلارك من الخدمة العسكرية فى العام ١٩٧٧ ، عين مستشاراً لمدينة أدنبره ، فى أسكتلندة ، وأصبح عضواً فى لجنة أختبار كبار الموظفين .

المترجم فى سطور:

صبرى محمد حسن

أستاذ اللغويات غير المتفرغ ، له أكثر من عشرين بحثًا ومقالاً نشرت فى المجالات والصحف العربية المحلية والدولية منها :

له مقالات وأبحاث نشرت بمجلات الفيصل - الرياض - المملكة العربية السعودية، ومجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، والمجلة العربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة الهلال - القاهرة - جمهورية مصر العربية .

وله كتب مترجمة إلى العربية منها :

(أ) كتب نشرتها دور نشر عربية .

١ - التفكيكية : النظرية والممارسة ، تأليف كرسيتوفرنوريس ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢ - الشاعر والشكل ، تأليف : جدسون جيروم ، دار المريخ .

٣ - الاستراتيجية العربية والإسرائيلية وجهًا لوجه ، دار المريخ .

٤ - الأطفال والمخدرات ، دار المريخ .

(ب) كتب نشرتها دار آفاق الإبداع العالمية للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١ - الموظف المشاكس .

٢ - عمل الفريق الفعال .

(جـ) كتب نشرت ضمن كتاب الهلال . القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ - هارون الرشيد ، تأليف : فيلبى .

٢ - الكاكائين والمرهقين .

٣ - بنات مدمنى ومدمنات المسكرات .

(د) روايات مترجمة نشرت ضمن روايات الهلال .

١ - حلم ليلة إفريقية .

(هـ) كتب روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية .

١ - سبعة أنماط من الغموض ، تأليف : وليم أمبسون .

٢ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ، تأليف : بالجريف (جزءان) .

٣ - حركات التحرر الإفريقى ، تأليف : ريتشارد جبسون .

٤ - إرادة الإنسان فى علاج الإدمان .

٥ - قلب الجزيرة العربية (جزءان).

٦ - سيرتى الذاتية ، تأليف : أحمد بللو .

(و) روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ - سكين واحد لكل رجل .

٢ - نجوم حظر التجوال الجدد .

٣ - المهمة الاستوائية .

التصحيح اللغـوى : **علا طعمة**
الإشـــراف الفنـــى : **حسن كامل**